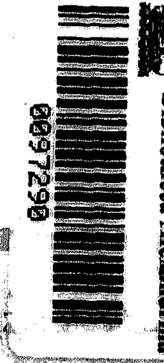


٢١٢

الحصيلة اللغوية

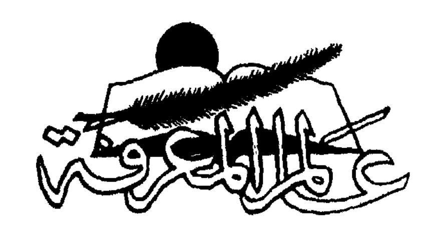
أهميتها - مصادرها - وسائل تنميتها



تأليف: د. أحمد محمد المعتوق

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت





٢١٢

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

الحصيلة اللغوية

أهميتها - مصادرها - وسائل تنميتها

تأليف: د. أحمد محمد المعتوق

ربيع الأول ١٤١٧ هـ - أغسطس / آب ١٩٩٦ م

المراسلات:
توجه باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
فاكس: ٤٨٧٣٦٩٤ ، ص. ب: ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة ـ الكويت 13100

الحَصِيلة اللغويّة

أهمّيتها - مصادرها - وسائل تنميتها

المحتويات

رقم الصفحة



تقديم

لقد وجدت من خلال مزاولتي للتعليم، والتقائي عددا كبيرا من الطلبة والدارسين من جنسيات عربية مختلفة، ومتابعتي لطائفة من الندوات التي عقدت والدراسات التي تحدثت عن الوضع اللغوي الراهن في عالمنا العربي وعما يعانيه ناشئتنا في مراحل تعليمهم المختلفة من ضعف عام في لغتهم، وجدت أن من أبرز مظاهر الضعف اللغوي لدى هؤلاء الناشئة افتقارهم للطلاقة في التعبير بلغتهم الفصحى، رغم بلوغ طوائف منهم مستويات تعليمية أو فكرية متطورة. كما وجدت أن من أهم أسباب هذه الظاهرة لديهم ضآلة محصولهم من ألفاظ الفصحى الملائمة لاحتياجاتهم في التعبير، وعدم توافر الحوافز والوسائل الكافية لديهم لتنمية هذا المحصول والارتقاء به. هذا بالإضافة إلى قصور وعي الكثيرين منهم بخطورة ما يعانون منه وجهلهم بمصادر تنمية الرصيد اللغوي وبطرق استغلال هذه المصادر وبما يمكن أن يحد من خطورة المشكلة بنحو عام.

توليت منذ التحاقي بقسم الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن عام ١٩٧٦ تدريس مساقات يهدف معظمها بصورة أساسية إلى تنمية الحصيلة اللغوية وتطوير القدرات التعبيرية للطلبة في مجالات وأنشطة لغوية مختلفة، ومن بين هذه المساقات مساق خاص بالأساليب الأدبية، وآخر خاص بالمعاجم والمصطلحات العلمية العربية. وقد أتاحت لي تجربتي في تدريس هذه المساقات فرصة الاطلاع على ما يؤكد تفشي الظاهرة المشار إليها في الوسط التعليمي الذي أعيش وأمارس عملي فيه على الأقل، وهو وسط يتركز الاهتمام فيه على التخصصات العلمية بصورة أساسية.

لقد شهـدت ما يعانيـه معظم طلبة الجامعـة المذكورة –وهم كثـر– من ضعـف القدرة على التعبير بلغتهـم الفصحى، ومـن ضـآلة في المحصـول اللغوي اللفظـي وجهل بمـوارد وطرق تنميـة هذا المحصـول، كما شهدت ومازلت أشهد ما تلقاه اللغة نفسها مـن غربة ومن قلة في التقدير والاهتمام بينهم وبين طائفة من أساتذتهم العرب أيضا، قياسا إلى اللغة الإنجليزية، لغة التعليم العلمي الأولى.

إن اللغة العـربية في المحيـط التعليمي لهؤلاء الطلبـة تعيش في صراع مـرير دائم مع اللغـة الأجنبية، لغة التعليـم المفروضة، وتعـاني من تداخـل بغيض متواصل مع هـذه اللغة، وهذا ما يزيد الموقـف سوءا وخطرا ويبرر الخوف على مستقبل لغـة هؤلاء الطلبة ولغة المجتمـع الذي سيعملون فيه ويشكلـون جزءا مهما فيه، وهـذا بذاتـه ما كـان يجعل مـن (ضعف محصـول هؤلاء الطلبـة من مفردات لغتهـم الأولى وما نجم وينجـم عن هـذا الضعف لديهم مـن تدن في مستوى التعبير) ظاهرة خطيرة في تصوري، جديرة بدراسة متعمقة تكشف عن معـالجة لهذا الضعف وتسعـى بقدر الإمكـان إلى دعـم موقـف اللغة تجاه مـا تشهده في المحيـط المذكور من صراع. لاسيما أن قـوى هذا الصراع بـاتت غير متكافئة. فالـدوافع للاهتمام باللغة الأجنبية والاتجاه لتعلمهـا متعددة وقوية، والسـاعـات المقررة لتـدريسهـا والتـدريـب عليها كثيرة ومتـواصلـة، وفترات ممارستها وتلقيهـا مكثفة وطويلة، بينما البـواعث للاتجاه للغة العـربية والاهتمام بها ضعيفة، والساعات المقررة لتدريسها والتدريب عليها قليلة محدودة الأثر، وفترات قصيرة ومتقطعة غير منتظمـة، يغلب فيها استخـدام العامية الـدارجة من هذه اللغة على الفصحى السليمة الرصينة.

إن انشغال الطلبة بدراسة المواد العلميـة، وتكريسهم في الاهتمام على اللغة الأجنبية على أسـاس أنها اللغة المعتمدة في دراسـة هذه المواد، وممـارستهم لهذه اللغة على مستـوى واسع في القـراءة والكتابـة والحديث والمنـاقشة والحوار مـع

أساتـذتهم والمشرفين الأكاديميين وغيرهم مـن الموظفين الرسميين، إلى جـانب المؤثرات الخارجيـة الأخرى التي تغريهم وتـدعوهم إلى الاحتفاء بها، كـل هذه العوامل تؤدي بلا شك إلى اتساع رقعة الظاهرة المذكورة وإلى زيادة خطورتها، لأنها لا تعمل على التقليل من فرص استخـدام الطلبة لغتهم أو فرص التمكن منها فحسب، وإنما تبعثهم على النظر إلى هذه اللغة على أنها اللغة الأقل شأنا والأقل جـدارة بالاهتمام، فتزيـد من جهلهـم بها وبمكانتها ودورهـا في عملية البنـاء الحضاري، وتقلـل من احترامهـم لها ومـن العنايـة بها، وتضعف مـن سعيهم أو من حماستهم لتطوير مهاراتهم فيها.

لا يُعتقد أن يكون الوضع في جامعـة الملك فهد للبترول والمعادن مختلفا كثيرا عنـه في الكليـات والمعـاهـد أو الأقسام العلميـة العـربيـة الأخـرى، فالـرواسب أو المؤثـرات التاريخيـة المهيئة للضعـف اللغوي لـدى الناشئـة العرب عموما متقاربة، والمناهـج التعليمية المتبعة في هذه المؤسسات تكاد تكون متشـابهة، والظروف الاجتماعيـة والسياسيـة التي تخضـع لها لغتنا في الوقت الراهن في معظم الأوساط العـربية توشك أن تكون متماثلة، ولاسيما في دول الخليج العربي. وفي النهاية فـإن تفشي الظاهرة المذكورة بين طلبة التخصصـات العلمية في معظـم الأقطار العـربيـة وفي الأقطار الخليجيـة بنحو أخص أمر متوقع إن لم يكن حاصلا بالفعل.

والقول بتفشي الظاهرة المذكورة بين طلبة التخصصات العلمية لا ينفي الاعتقاد بـوجودها أو تفشيها بين طلبـة التخصصات الأخرى. إن طـائفة كبيرة من التـوصيات التي صـدرت بشأن اللغة العـربية والدراسـات التي عقدت في عدد من المؤسسات الأكاديمية العربية لمعالجة قضايا هذه اللغة ومشاكلها الراهنة تشير إلى أن الظاهرة المذكورة سائدة في الأوساط التعليمية العربية على اختلاف جهـاتها وتنوع مستوياتها، وإن تباين مـدى وجودها واختلفت نسبـة انتشارها أو نسبة تـأثيرها، وتغير مقدار الوعـي بخطورتها

بين بلد عـربي وآخر أو وسـط تعليمي وغيره، تبعا لـلاتجاه الثقافي ونـوعية الميراث اللغوي ونسبة الوعي الفكري والقـومي واللغوي والحضاري في كل من هذه البلدان أو هذه الأوساط.

إن ما نـراه من قلـة أو ضآلـة في الإنتاج العلمـي الرصين ومـن اعتماد على المؤلفات والمقـررات المدونة باللغات الأجنبيـة في كثير من الجامعات والمعـاهد العلمية العـربية، وما نشهـده من ضعـف أو ضحالة أو قصـور أو افتقار إلى الأصالة في كثير من الإصدارات والبرامج الإعلامية والتثقيفية العربية المسموعة والمرئية، وما نجـده لدى ناشئتنا من عـزوف عن القراءة وإعراض عـن ممارسة النشاطـات الثقافية التحريـرية والشفهية المثمـرة، ما هذه إلا مظاهـر واضحة وعوامل مساعدة في الوقت نفسه للضعف في اللغة ولضآلة المكتسب منها من صيغ وألفاظ وتراكيب وأساليب وقواعد لدى الناشئة وغيرهم.

إن لوجود الظاهرة سابقة الذكر أو انتشارها في الأوساط التعليمية والأوساط الثقافية العربية بنحو عام أسبابـا عديدة متفرعة متشعبة مختلفة في طبيعتها وفي آثارهـا أو نتائجها مـن وسط عربي لآخر. يعـود بعض هذه الأسبـاب إلى طرق وأساليب التدريس المتبعة في مؤسسـاتنا التعليمية، وبعض آخر منها يعود إلى الكتب الدراسية والمقررة في هـذه المؤسسات، بينما هناك أسباب أخرى تشترك في إيجادها أو تطـويرهـا ظروف اجتماعيـة وثقافيـة مختلفة. وإذا كـان لا يتسع المجال هنـا لاستيفاء أو استقصاء جميـع هذه الأسبـاب فمن الجدير أن نـذكر مايمكن أن يعـزز إدراكنا لوجود الظاهرة ويقـرب من تصورنا لبواعـث نشوئها وعوامل تطورها واتساع مدى خطورتها.

١ - إن من أبـرز ما تعانيه اللغـة العربية في الأوسـاط التعليمية لدينا عـامة ضعف المهارات أو الكفاءات في نقلها وتعليمها للناشئة، وعدم وجود الاهتمام الكافي بتقـوية وتطـوير هـذه المهارات أو الكفـاءات، بحيث تصبـح مواكبـة للطرق والمناهج الحديثة في التعليم، ومتلائمة مع معطيات هذا العصر ومع ما

تواجهه اللغة من ظروف وما يعيشه أهلها من أوضاع . فمازال كثير من مدرسي هـذه اللغـة والمساقـات المتعلقـة بها في مـراحـل التعليم المختلفـة ينهجـون في تدريسهـم طرقـا سقيمة لا تجتـذب التلاميـذ ولا تعمل على تنميـة رصيدهـم اللفظي وتطـوير مهـاراتهم اللغويـة على النحو المطلـوب ، بل إن بعـض هذه الطرق يقلـل من الحماس لتعلم اللغـة ويضعف القدرة على اكتسـاب مفرداتها وصيغها الصحيحة ويـؤدي إلى النفور من دروسها ، ومـن بين هذه الطرق على سبيل المثال لا الاستقصاء والتفصيل :

أ- اتبـاع كثير من المدرسين طـريقة التحفيـظ والتلقين الآلي ، حيث يقـدم الطالب الذي يسرد المعلومات أو الموضوعـات المطلوبة نصا على من يستخدم تعبيره الخاص في نقلهـا أو التعبير عنهـا . ولا يقتصر ذلـك على النصـوص الشعرية أو الأدبيـة التراثية ، بل يشمل حتـى الموضوعات النثريـة التي يتمكن الطالـب من أداء مضـامينها . ولهذا الإجراء كما هو واضـح نتائج سلبيـة عديدة يعود أثرهـا على اكتساب اللغة ، من أبرزها تعطيـل قدرات التلميذ على التعبير وعدم تشجيعه على الاهتمام بفهم واستيعاب معـاني ومفاهيم الألفاظ والصيغ اللغـوية وعلى ممـارسـة ما اكتسبـه أو مـا يمكن أن يكتسبـه مـن هذه المعـاني والمفاهيم ، ويجدر التنبيه إلى أن هذه الطريقة لا تزال متبعة من قبل طائفة كبيرة من مدرسي المساقات الدينية ومدرسي المساقات الأخرى أيضا .

ب- اعتياد كثير من المدرسين على طريقـة الإلقاء التي تقوم على الشرح أو الحديث من جانب واحد ، واحتكارهـم معظم الوقت المخصص ، دون إتاحة الفرص الكـافية للتلاميـذ للمناقشـة أو الحوار أو الاستفسار، وقد سـاعد على شيوع هذه الطريقة في الماضي صعوبة الحصول على الكتب وقلة مصادر المعرفة واعتماد التلاميذ على مالدى المدرس من معلـومات ، ومازال اتباعها سائدا بين كثير من مـدرسي اللغة ومدرسي المسـاقات الأخرى كـدروس الدين والتـاريخ والجغرافيـة وما شابهها إلى يـومنا هذا ، رغـم وفرة الكتب وتعدد وتنـوع مصادر المعرفة وتطور وسائل التعليم .

إن هذه الطريقة تؤدي في الغالب إلى شعور التلاميذ بالحرج أو الخوف من مقاطعة المدرس، وتمنعهم من السؤال عن معاني الكلمات أو صيغ التعبيرات اللغوية الغامضة أو الغريبة التي قد تتردد على لسان المدرس نفسه أو ترد في المقررات الدراسية، ونتيجة لذلك تبقى هذه الكلمات والتعبيرات في أذهانهم مجردة من مدلولاتها أومشوشة المعاني. هذا بالإضافة إلى أن الفرصة لممارسة ما اكتسبوه وفهموه من مفردات لغوية تبقى محدودة أو معدومة مما يؤدي إلى نسيان هذه المفردات أو إلى صعوبة استحضارها وقت الحاجة إليها فضلا عن أن الطريقة المذكورة كثيرا ما توجب عدم انجذاب التلاميذ إلى موضوع الدرس وانشدادهم إلى مايقول المدرس وتؤدي بهم إلى الملل أو إلى تشتت الذهن أو شروده في أثناء الدرس، الأمر الذي يؤدي بالتالي إلى حرمانهم من الاستفادة مما يدلي به المدرس من أفكار وينقله من معلومات وينطق به من كلمات وعبارات وصيغ.

ج- عدم مراعاة كثير من مدرسي المقررات المتعلقة باللغة للفوارق العقلية والثقافية واللغوية بين التلاميذ في المتابعة والتصحيح وفي تقرير الموضوعات وفرض الواجبات وشرح النصوص على النحو المطلوب، وعدم وجود الرعاية الكافية للميول الفنية والكفاءات والهوايات الثقافية والاحتياجات اللغوية الخاصة والسعي الحثيث لتنميتها وتطوير ما قد يفتقر التلاميذ إلى تطويره من مهارات لغوية ومن عادات تثقيفية ترتقي بهذه المهارات. إن ذلك قد يقود إلى نوع من اللامبالاة بما يدرس من موضوعات وما قد يندب إليه من نشاطات، أو أنه يؤدي إلى الشعور بالإحباط أو التباطؤ والتثاقل في أداء ما يمكن أن يغْني اللغة ويمي الرصيد اللفظي من واجبات أو فعاليات.

د- كثير من مدرسي اللغة يستخدمون لهجاتهم العامية المحلية في التدريس بدلا من الفصحى، مما يوسع الفجوة بين الفصحى والعامية، أو يبعد الفصحى عن دائرة الاهتمام ويقلل من حصيلة الناشئة

مـن مفرداتها وصيغهـا ، كما يقلل مـن إحساسهـم بفـاعليتها وفـاعلية مـا يكتسب منها من عناصر، أو يخلق صعوبة في استحضارهـم لهذه العناصر وفي استخدامها في مجالات التعبير.

هـ- قلة الاهتمام لـدى طائفـة من المدرسين بـالنـواحي الـوظيفية للغـة ، وتغليـب الجوانب والمنـاقشـات النظـرية والإيضـاحـات المجـردة في تدريـس الموضوعات المتعلقة بها على الجوانب العمليـة والنشاطات الحركية والتطبيقات المحسوسة التي تدعو إلى ممارسـة استخدام الألفاظ المكتسبة وتهيىء لعمليات الربـط الذهنـي بين هذه الألفـاظ ومدلـولاتها ومفاهيمهـا المتجسدة في واقـع الحياة ، وتبعث على تكرار استدعائها واستحضـارها من الذاكرة وحضورها في الذهن وتهيئتها للاستعمال .

إن حياة اللغة في الأذهان بعيدة عن الـواقع الفعلي ، وحصرها داخل حدود الفصل دون الانطلاق بها إلى حيز العمل ، ووقوف المدرس بها عند الشروحات والأمثلة والتطبيقـات النظرية الموجـودة في الكتب الـدراسية ، كل هـذه تشعر بجمودها وعدم فاعليتها ، وتبعث على الإحساس بعدم أهميتها وعدم الجدوى من التمكن منها أو من الحرص على اكتساب ألفاظها وصيغها . إضافة إلى أن هذه الإجـراءات من النـاحية العمليـة المباشرة مـن شأنها أن تقلـل من فـرص التـلاميذ للـربـط بين الألفـاظ والصيغ اللغـويـة المسمـوعة أو المقـروءة وبين مدلولاتها أو معـانيها التي ترمز إليهـا ، أو تقلل من إمكانـاتهم في تصور وتمثل المفـاهيـم المتعلقـة بهذه الألفـاظ والصيـغ ، وذلـك مـا يـؤول إلى اضطـرابها واضطراب معانيهـا في أذهانهم أو إلى عدم رسوخها في ذاكـرتهم ، ومن ثم إلى صعوبة استحضـارها عند الحاجة إليها وربما أدى ذلـك إلى نسيانها ، والافتقار إلى تعرُّفها مرة ثانية ، وهكذا تستمر مشكلة الضعف .

٢- المقـررات المتعلقة بمـوضـوعات اللغـة في مـراحـل التعليم الابتـدائي والإعـدادي تفتقر في معظمهـا إلى المنهجية في انتقـائهـا وعرضهـا وإخراجهـا

وربطها بواقـع التلميذ وبظروف حياته وتطـورات عصره. كما يفتقر بعضها إلى عنصر التشويـق وإلى إثارة حب الاطلاع وإذكـاء روح المنافسة والتحـــدي، ولا شـك في أن ذلك ينعكـس سلبا على مـدى ما يكتسبـه الناشئـة من هـذه المقررات من رصيد لغوي لفظي.

وعلى سبيل المثـال هناك نماذج تـراثية كثيرة تتصـدر كتب الأدب والبـلاغة والنقد المقـررة في المراحل المذكـورة توحـي بصعوبـة اللغة أو بجمـودها وعـدم ملاءمتها أو ملاءمة موادها لحياة العصر، لأنها لا تخضع لترتيب محكم مدروس يتماشى مـع تطور المعجـم الذهنـي للناشيء أو مـع قدرتـه على توسيـع هذا المعجم وتطـويره أو مع ظروفـه واحتياجاته اللغـوية. فمن هذه النماذج مـاهو سردي تقريري ممل في أسلوبه، ومنها ماهو غريب في موضوعه بعيد في صوره وأفكاره عن تصور التـلاميذ وعن مشاهداتهم، ومنها مـاهو متكرر أو ضحل تـافه في محتـواه لا يوسـع من آفـاق خيـال التلميذ ولا يثير في نفسـه الرغبـة في الاطلاع، ومنها ماهو قديم صعـب معقد في لغته. تزدحم فيه الكلمات نادرة الاستعمال أو المهجورة أو الثقيلة غير المألوفة، كالمقامات والمعلقات والطرديات والقصائد أو المقطوعات الشعرية والخطب العربية المماثلة.

إذا كانـت الموضوعات التقـريريـة أو السردية المملة أو النصـوص الضحلة التافهة أو الموضوعات المفتقرة إلى الحيويـة والقرب من الواقع لا تجتذب التلميذ ولا تكسبه الكثير ممـا ينمي رصيـده اللغوي، فـإن الموضوعـات أو النصوص الصعبـة المعقـدة التي تـزدحـم فيهـا الكلمات والصيـغ والتراكيب الغـامضـة الغريبـة يمكن أن تنفره مـن اللغة أو تصده عـن التحمس لتنمية رصيـده من مفـرداتها، أو أنها تشغل ذهنـه بما لا ينفعه فتـزيد مـن حاجتـه إلى ما ينمـي رصيده اللفظي الفاعل.

إن عدم قدرة الناشيء على تفهم وإدراك معاني ألفاظ النص المقرر أو عدم قدرتـه على التمييز بينها وبين معـانيها وإيحاءاتها على النحو المطلـوب لكثرتها

وتزاحمها وتداخلها وغرابتها قد يؤدي إلى اختلاطها والتباس مدلولاتها في ذهنه، أو يدعوه إلى حفظ النص كله بمفرداته الكثيرة الغامضة المتداخلة وبكل ما عليها من شروح حفظا آليا دون فهم، وواضح أن مثل هذا الحفظ لا يعمل على تنمية رصيد التلميذ من مفردات اللغة، إذ ليس للألفاظ المحفوظة أي قيمة ما لم تدرك مدلولاتها وتعرف معانيها، كما أن مثل هذا الحفظ يستهلك من التلميذ من الجهد والوقت ما يمكن أن يستثمر في تنمية لغته من مصادر أخرى، هذا بالإضافة إلى ما يولده هذا الحفظ لدى التلميذ من شعور بالملل والإحباط أو الكراهية لموضوعات اللغة ويبعثه على النفور ومن دروسها وموضوعاتها، مما يؤدي بالتالي إلى قلة محصوله مما تشتمل عليه أو تحمله هذه الموضوعات من مفردات وتراكيب لغوية فصيحة.

٣- معظم الكليات والمعاهد العلمية لا تعنى -كما سبقت الإشارة- عناية كافية بتدريس اللغة العربية، بل لا تولي هذه اللغة أي اهتمام ملحوظ، فهي إن وضعت ضمن برامجها فقرات لتدريس هذه اللغة فإنها لا تعدها إلا فقرات هامشية تكميلية أو ثانوية أو «ترويحية» لاتبعث على الاهتمام بها من قبل الطالب ولا تحث المدرس على الإخلاص والبذل في تدريسها. وبالتالي فإن تحصيل الطالب في هذه المؤسسات من هذه اللغة واكتسابه من مفرداتها، وصيغها لا يكون في العادة إلا هامشيا ضئيلا.

٤- لا تلقى الفعاليات الخطابية والنشاطات المسرحية اهتماما وتشجيعا كافيين في المؤسسات التعليمية بنحو عام. وإن وجدت نوعا من الحوافز لممارستها في بعض هذه المؤسسات فإنها تنفذ في كثير من الأحيان باللهجات العامية المحلية أو باللغة الفصحى القاصرة محدودة الفاعلية، وليس باللغة الفصحى التي تغْني رصيد الناشىء من مفردات اللغة وصيغها الفاعلة الراقية أو تنعش ما اكتسبه من هذه المفردات من مصادر أخرى وتطور بها مهارته في الإلقاء والتعبير.

٥- على الرغم من تنوع المعاجم العربية وتعدد أشكالها ومناهجها وسهولة توفيرها في الوقت الراهن فإن ممارسة استخدامها في المؤسسات التعليمية المتقدمة غير ملحوظة، لا من قبل الناشئة ولا من قبل مدرسيهم، اللهم إلا المتخصصين منهم في مجالات اللغة والأدب في مراحل التعليم المتقدمة. أما في مراحل التعليم الابتدائي والإعدادي فإن ممارسة استخدامها تكاد تكون معدومة. ويعود ذلك بالدرجة الأولى -فيما أظن- إلى الجهل بمناهج تصنيف المفردات فيها وبطرق استعمالها ثم إلى عدم توافر الدوافع الحافزة على هذا الاستعمال أو الباعثة على الاستئناس بها والاستفادة منها.

إن كثيرا من المؤسسات التعليمية لا تهتم بتوفير الأعداد الكافية من هذه المعاجم، وإن وفرتها فلا تهتم بتعريف الناشئة على طرق استخدامها، ولا بخلق الحوافز الكافية لديهم على الرجوع إليها. إضافة إلى ذلك فإن غالب المعاجم العربية المتوافرة في المكتبات أو الأسواق المحلية لا تتلاءم مع مستويات الطلبة ولا تلبي حاجاتهم من مفردات اللغة بشكل سهل ومبسط، ولا تجذبهم إليها وتبعثهم على اقتنائها والاستفادة منها، فمازالت اللغة العربية تفتقر إلى المعاجم المرحلية والمعاجم السياقية ومعاجم الأضداد والمترادفات المناسبة من حيث موادها ومناهجها وأحجامها لظروف وحاجات الناشئة على اختلاف مستوياتهم التعليمية والعقلية. إن معاجم اللغة تعد بلا شك موردا أساسيا لألفاظ اللغة وصيغها، وعدم استفادة الناشىء من هذا المورد لا يؤدي إلا إلى الإقلال من رصيده اللفظي وإضعاف مهارة التعبير لديه.

٦- عزوف الناشئة بمختلف أعمارهم ومستوياتهم التعليمية عن القراءة الحرة ذات الأثر الفعال في تنمية الحصيلة اللغوية وتطوير القدرات التعبيرية يشكل ظاهرة بارزة في عالمنا العربي في الوقت الراهن لا يمكن إنكارها أو تجاهلها. ولهذه الظاهرة بلا شك بواعثها وأسبابها العديدة التي لا مجال هنا لذكرها أو الحديث عنها، ويكفي القول إن العزوف عن القراءة عامة يصلح

أن يكون دليـلا على قلة المحصـول اللغوي والفكـري، كما يمكن أن يشكـل عاملا خطيرا من العوامل التي أدت ومـازالت تؤدي إلى تردي هذا المحصول أو إلى زيادة إضعافه.

٧- يغلب إقبال الناشئة في عصرنا الحاضر على تعلم اللغات الأجنبية، إما لأن هذه اللغات كما سبق القول مفـروضة في مجال التعليم أو العمل ولا مناص من ممـارستها ومـن تكريـس الاهتمام بها، أو لتوافـر فرص العمـل المغريـة بها والـداعيـة لتعلمهـا والمشجعـة على تغليـب الاتجاه إليهـا، أو لمجـرد التعلـق والانبهار بها واعتبارها عنوانا للتقـدم والحضارة. ومهما كان سبب هذا الإقبال أو الانبهار فإنه يقلل بلا شك مـن فرص الاتجاه لتعلـم اللغة الأم، كما يقلل من ممـارستها ومـن تـداول مفرداتها، ممـا يؤدي بـالتـالي إلى قلة الـرصيـد من هـذه المفردات. إن تعلـم اللغة الأجنبية يعـد بلا ريب مغنما لا يستهان بقيمته، غير أن غلبة الاهتمام به والتكـريس من أجله يكون على حسـاب اللغة الأم ويؤدي إلى إضعـافهـا وإلى تقليل البراعـة في استخـدامهـا، وإن اختلف مـدى هـذا الضعـف بحسـب اختـلاف السـن والخلفية الثقـافيـة التـي يمتلكهـا الفـرد وبحسب نوعية الممارسة لهذه اللغة.

٨- إن غلبة الاهتمام باللغة الأجنبيـة، ولاسيما في مجالات تعليم العلوم، أدت فيما يبدو إلى تقليـص حركة التـأليـف والتصنيف بـاللغة الأولى، وإلى الاكتفاء أحيـانا بما يستورد من الكتـب والمقررات والمراجع المدونة بـاللغات الأجنبية التي تعتمد في التدريس والتعويـل عليها. وقد زاد ذلك بدوره من غلبة استخـدام المصطلحات والتعبيرات الأجنبيـة وساعـد في سريانها على الألسن وتسربها إلى اللغة في أوسـاط المؤسسات المذكورة، فقلل بـذلك من فرص استعمال مقابلاتها العربية ومن فرص استخدام اللغة وإنعاش مخزونها اللفظي عن طريق القراءة والكتابة بوجه عام.

٩- نتيجة لفرض استخدام اللغة الأجنبية وتنحية اللغة العربية في كثير من مجالات التعليم العلمي من جانب، وتعميم استخدام هذه اللغة على موظفي الشركات والمؤسسات الصناعية والتجارية الأجنبية المتعاقدة في عدد من الأقطار العربية من جانب آخر، ثم تسرب أعداد كبيرة من ألفاظ هذه اللغة ومصطلحاتها إلى لغة الجمهور العربي تبعا لانتشار السلع والأدوات والأجهزة المرتبطة بها أو اختلاط هذا الجمهور بأهل هذه اللغة أو بمن ينطق بها من غير العرب، نتيجة لهذه العوامل ولما تكون من شعور لدى عامة الناس بهيمنة هذه اللغة وسيطرة أصحابها من النواحي السياسية والاقتصادية والحضارية، فقد ضعفت ثقة كثير من أبناء المجتمع العربي بأنفسهم وبلغتهم وبقدرات هذه اللغة على الوفاء بمتطلبات الحياة ومستلزمات الحضارة الحديثة. مما قلل من شأنها في نظرهم وأضعف من شعورهم بالاعتزاز بها ومن إحساسهم بضرورة التمكن منها والسعي لإغناء المحصول المكتسب من صيغها ومفرداتها.

١٠- إن أجهزة ووسائل الإعلام العربية التي يفترض أن تشارك مشاركة فعالة في تنمية اللغة القومية وفي الارتقاء بلغة الجمهور لا تقوم في وقتنا الراهن بدورها على الوجه الأكمل. فكثيرا ما يلجأ مثلا إلى استخدام اللهجات العامية المحلية في تقديم بعض البرامج الإذاعية والتلفزيونية، أو يلجأ إلى استخدام مايسمى باللغة الوسطى التي لا ترتقي بلغة الجمهور، لضحالتها وقلة الرصيد اللفظي المستخدم فيها أو لعدم الالتزام التام بتنقيتها من الشوائب وعدم التورع فيها من استعمال الألفاظ المبتذلة والتراكيب المرتجلة والمحرفة أو الصيغ اللغوية الدخيلة والعبارات المترجمة ترجمة ناقصة أو غير سليمة. . . ومع شدة ارتباط أفراد الجمهور -ولاسيما الناشئة منهم- وتعلقهم بهذه الوسائل وانجذابهم إليها وشغلها جزءا كبيرا من وقتهم، فإن محصول هؤلاء الأفراد من الألفاظ والتراكيب الفصيحة لا يتوقع أن يكون إلا ضئيلا، أو أقل مما يكفي لارتقاء قدراتهم التعبيرية بلغتهم الفصحى السليمة.

١١- لا يلتزم باستخدام اللغة الفصحى ومفرداتها وصيغها الصافية في التخاطب الرسمي الشفهي، فكثير من المسؤولين ومن جملتهم المسؤولون عن إدارة ورعاية الشؤون الثقافية والتربوية والمؤسسات لا يلزمون أنفسهم باستعمال الفصحى عند اتصالهم بالجمهور أو التحدث إليه. وربما كان لذلك أثر كبير في التقليل من اهتمام الآخرين من أفراد الرعية باللغة ومن حرصهم على تتبع ما يمكن أن يرتقي بها وينمي رصيدهم من مفرداتها، حيث يقل الإحساس بفاعليتها على الصعيد العملي وتنعدم القدوة التي تقود إلى إحساس معاكس، ولا شك في أن أكثر المتأثرين بهذا الوضع هم الناشئة، حيث يكون للتقليد والمحاكاة أثرهما الكبير في تربيتهم وتثقيفهم.

١٢- بالإضافة إلى هيمنة اللهجات العامية المختلفة على لغة الجمهور العربي وسيادة هذه اللهجات حتى في مجالات التعليم، فقد أخذ التداخل بين العربية واللغات الأجنبية يزداد ويتفاقم لدى كثير من قطاعات هذا الجمهور. لاسيما في البلدان العربية التي كثرت فيها العمالة الأجنبية وتوثقت العلاقات التجارية والثقافية بينها وبين الدول الأوروبية أو الغربية كبلدان الخليج العربي. لقد تراجع استخدام اللغة الأم في هذه البلدان على سبيل المثال إلى درجة أصبح فيها التعامل في الأسواق التجارية الكبيرة وفي كثير من المؤسسات يتم بالدرجة الأولى باللغة الأجنبية وأصبحت العناوين واليافطات تكتب باللغة الأجنبية. هذا بالإضافة إلى المنتجات الأجنبية التي تنهال في كل يوم على المجتمع حاملة معها أسماءها وربما صفاتها وأسماء وظائفها التي أطلقها عليها صانعوها. وهذا كله بلا شك يؤدي إلى التقليل مما يكتسب عن طريق الاتصال والتعامل الاجتماعي من مفردات اللغة وصيغها الفصيحة المقبولة في مجال التعبير السليم الراقي، كما يؤدي إلى زعزعة واضطراب المكتسب من هذه المفردات والصيغ.

إن الألفاظ والصيغ اللغوية الأجنبية المتسربة إلى لغة الجمهور تظل تتداخل وتتناوب في الاستخدام مع بديلاتها العربية، وعندما يزيد ويغلب على الألسنة استخدامها تثبت في الأذهان وتحل محل بديلاتها الأصلية كما تجر إليها ألفاظا وصيغا أجنبية أخرى بطريق الارتباط أو التجاور أو تمهد لمزيد من استخدام التراكيب وعبارات التواصل الأجنبية أو تهيىء لسماعها والتأثر بها، وهكذا تعمل على التقليل من الرصيد المستخدم أو المكتسب من مفردات اللغة الأم الفصيحة وتضعف من القدرة على التعبير السليم المقبول في مجال الكتابة.

هذه طائفة من الأسباب التي أدت ومازالت تؤدي إلى ضعف حصيلة الفرد، أو الناشىء العربي بنحو خاص، من ألفاظ لغته وتراكيبها وصيغها وأساليبها الفصيحة، وتؤدي بالتالي إلى ضعف قدرته على التعبير السليم أو السلس الطليق بهذه اللغة، وهناك أسباب عديدة أخرى ذكرت مع ما يرتبط بها من جوانب البحث، ولئن ترتب نشوء بعض ما ذكر من هذه الأسباب على وجود بعض آخر منها، فإن لكل سبب منها طبيعته ومؤثراته وارتباطاته وملابساته وعوامل تكوينه المختلفة التي لا يتسع المجال هنا لسردها وللتفصيل فيها.

إن ضآلة محصول الناشئة من مفردات اللغة وصيغها وتراكيبها مهما كان منشؤها أو سببها لها بلا شك عواقب خطيرة وآثار سيئة في الصعيد النفسي والاجتماعي وفي الصعيد العلمي والثقافي والصعيد الحضاري بنحو عام، فمن المعروف أن الطلاقة اللغوية أساس في بناء الشخصية الناجحة وفي تكوين الروابط الاجتماعية القوية البناءة وفي إظهار القدرات الإبداعية والفكرية، ولا وجود للطلاقة اللغوية دون ذخيرة لفظية وافية، بل إن الطلاقة اللغوية والطلاقة الفكرية معا قائمتان أساسا على ذخيرة لغوية وافرة، حيث إن اللغة وعاء الفكر وأداة الإرسال والاستقبال والأخذ والعطاء، وهذا ما يجعل الإنتاج أو الإبداع الفكري والفني المدون أو المنطوق للإنسان مرهونا بوجودها وقائما

في نموه وارتقائه ووفرته واتساعه على نموها واتساعها وعلى ما يكتسب من مهارات عالية فيها وما يستحصل من رصيد ثري من مفرداتها وصيغها.

وجلي أنه لا وجود لحضارة في أمة من الأمم ما لم تكن لها ذخيرة وافية من الأعمال الإبداعية والنتاجات الفكرية المتميزة المدونة، فالمقياس في حضارة الأمة ليس في عدد أفرادها ولا في مساحة أرضها وإنما فيما تبدعه عقول أبنائها وتنتجه أفكارهم بلغتهم وليس بلغة قوم آخرين. ومن هذا المنطلق نشأت أهمية البحث في قضية الحصيلة اللغوية اللفظية والكشف عن مصادرها والعوامل والأسباب التي تؤدي إلى ثرائها أو تنميتها، حيث تعد هذه القضية من القضايا الأساسية المرتبطة بالمصير الفكري والحضاري.

على الرغم من أهمية القضية وما يترتب على مناقشتها من إيجابيات فلم يخصص لدراستها -على حد علمي- بحث مستقل لكل جوانبها وملابساتها باللغة العربية، فهناك عدد كبير من الدراسات القيمة التي بحثت قضايا مثل: قضية اللفظ والمعنى أو دلالات الألفاظ، وموضوع الكلام، والكلمة، والسياق، والأسلوب والأسلوبية، وعدد آخر من الموضوعات اللغوية والبلاغية والأدبية المتعلقة، فإنه لم يكن من بين هذه الدراسات ما تناول قضية الحصيلة اللغوية بكل جوانبها وفروعها، وبحث النتائج المترتبة على ضعف الرصيد اللغوي اللفظي وبين الإيجابيات الناتجة عن قوة هذا الرصيد وثرائه وسعى للكشف بعمق ووفاء عن مصادر هذا الرصيد وعن عوامل أو وسائل تنميته وتطويره.

بين يدي القارئ الكريم محاولة لدراسة القضية في إطارها العام الذي لا يقتصر على اللغة العربية وإنما يجعل منها المحور الأساسي، ولا يتناول القضية من طرف أو بعد واحد، وإنما يتناولها من جوانب مختلفة ويتسع ليحيط بها من أبعاد متعددة، معتمدا على خلفية قوامها التجربة والعمل الإجرائي والفحص النظري والربط بين الواقع الفعلي المحسوس والجانب العقلي المنظور.

تسعى هذه الدراسة إلى معالجة الموضوع من جوانبه اللغوية وثيقة الصلة ومن جوانب أخرى أدبية وبلاغية ونفسية وتربوية واجتماعية مرتبطة به داخلة في حدوده معالجة نظرية تحليلية نقدية، تقوم في الأساس على تجربة عملية طويلة في تدريس اللغة والأدب وما يتعلق بهما من موضوعات وفروع، وعلى رصيد من الملاحظات الشخصية المتأملة والاستنتاجات القائمة على العمل الاستقرائي والبحث الميداني أو الإجرائي، شمل القيام بمجموعة من الاختبارات والمتابعات اللغوية، كما شمل مراقبة طائفة من البرامج الإذاعية والتلفزيونية وبرامج الحاسب الآلي التثقيفية والترفيهية، وشمل كذلك فحص مجموعة من المقررات الدراسية وكتب ومجلات الأطفال والنظر في مدى وكيفية تعامل الناشئة معها... هذه بالإضافة إلى ما استضاءت به هذه الدراسة من نظريات حديثة ذات صلة بالموضوع وما اعتمدت عليه من أعمال ودراسات سابقة جادة وافرة استمدت منها ما يغْنيها ويدعم كيانها.

تتناول هذه الدراسة موضوع اللغة بمفهومها العام ومفهومها الخاص المتمثل في لغة الكلام، ثم العناصر الأولى المكونة لهذه اللغة، مما يمهد للحديث عن الكلمة وعن طبيعة تكوينها وعن وظائفها ودورها في تكوين الكلام وارتباطها بعمليات التواصل العقلي أو الذهني وإبداع الفكر الإنساني... ومن هذا المنطلق تبدأ معالجة قضية الألفاظ اللغوية وأهميتها وارتباطها بدلالاتها ومعانيها وإيحاءاتها، ثم طرق نموها وعوامل تكاثرها وسبل اكتسابها وتطوير حصيلة الفرد منها. عبر هذا المدخل يبدأ الخوض في بحث القضية الأساسية وفي تناول محورها الرئيس وهو عملية الارتقاء بالحصيلة اللغوية اللفظية والعمل على تنميتها لدى الفرد، والفرد الناشىء بصورة أخص، تنمية تهيىء لطلاقة لغوية وفكرية وتمهد لعطاء فكري وإبداعي مثمر.

إن مما يبرز أهمية ثراء الحصيلة اللغوية اللفظية النتائج الإيجابية التي تترتب على وجود هذا الثراء ثم النتائج السلبية التي تنجم عن وجود العجز أو الضعف فيها، ولهذا كان من الضروري تتبع هذه النتائج وبحثها من جانبيها السلبي والإيجابي وعلى مستوياتها المختلفة، فذلك يشكل في اعتقادي جزءا من الهدف الأساسي الذي يرمي إلى توجيه الاهتمام بتنمية الحصيلة اللغوية وإلى التطلع نحو الكشف عن مصادر وطرق هذه التنمية.

إن مصادر تنمية الحصيلة اللغوية اللفظية كثيرة ومختلفة، وليس من غرضنا في هذا البحث استقصاؤها كلها والحديث عنها بكل فروعها وارتباطاتها على نحو مفصل، لأن ذلك يقتضي الاستطراد والتشعب، ومن ثم الخروج عما نسعى إليه من إيجاد التوازن بين أجزاء هذا البحث، لذلك سيكتفي بالحديث عن أبرز المصادر وأهمها أو أبعدها أثرا وأكثرها فاعلية: المصادر التي يمكن أن تندرج تحتها الروافد الأساسية التي تستقى منها مفردات اللغة.

إن المجتمع، بدءا من الأسرة والمحيط الخاص الذي يحتضن الفرد منذ بدايات نشوئه ويكبر معه كلما تقدمت به السن، ثم المجتمع الكبير بكل قطاعاته وطبقاته وطوائفه وأشكاله ووسائل وطرق الاتصال فيه، ذلك يعتبر بلا شك المورد الأول لمفردات اللغة وصيغها وتراكيبها وأساليبها، لاسيما في وقتنا الحاضر، حيث تحتل أجهزة الاتصال الحديثة مكانة بارزة في الربط بين طبقات المجتمع المتباعدة وقطاعاته المختلفة وتقوم بدور كبير في تطوير عمليات المقايضة اللغوية وطرق التلقين والاكتساب وفي نشر اللغة القومية بمستوياتها المختلفة بشكل عام.

وعلى الرغم من أن المدرسة في حقيقتها مجتمع صغير يدخل في كيان المجتمع الكبير فإن لها طبيعتها الخاصة ومعطياتها المتميزة، فهي مؤسسة تهدف إلى تكثيف وتطوير عملية التلقين والتثقيف الاجتماعي وإخضاعها لنظم مدروسة ترتقي بها عن العفوية أو العشوائية وقانون المصادفة الذي يخضع له

التعليم في المجتمع العام، فالناشيء يكتسب ما يكتسب من مهارات اللغة في هذه المؤسسة على نحو مكثف ومنتظم ومتوازن ومتدرج ومستمر، ويتوافر لديه من البواعث والحوافز لهذا الاكتساب ما لا يتوافر في المجتمع في إطاره العام، وهذا ما جعل المدرسة مصدرا أساسيا مستقلا لمفردات اللغة وصيغها وأساليبها جديرا بالاهتمام حريا بالدراسة .

وإذا لم يتسع مجال هذه الدراسة لمناقشة ومعالجة جميع الظاهرات اللغوية المرتبطة بالحياة الدراسية أو بعملية التعليم في إطارها العام ـ لأن ذلك يشكل بذاته موضوع بحث مستقل له فروعه وملابساته ـ فإنه لا غنى عن دراسة ظاهرة اللفظية، إذ إن الظاهرة تعد فيما أرى من الظاهرات اللغوية البارزة في مدارسنا ومن أخطرها وأكثرها أثرا في اكتساب الرصيد اللفظي غير الفاعل وأشدها ارتباطا بموضوع البحث. ومن هنا كان لابد من معالجتها والبحث عن سبل التخلص منها أو الحد من انتشارها، كإجراء للحد من تأثير عائق خطير يواجهه الناشئة في تنمية رصيدهم اللغوي الفاعل .

وكما تعتبر المادة المقروءة بمختلف أشكالها مصدرا رئيسا للمعرفة بكل صنوفها، يستمد منه الإنسان كل ما يمكن أن يرتقي بعقله وخياله، فإنها تعد منبعا ثراً واسعا يستقي منه هذا الإنسان كل ما يمكن أن ينمي به لغته وينطلق بلسانه وفكره. لأن كيان المادة المقروءة قائم في وجوده على ألفاظ اللغة وصيغها وتراكيبها، فهذه الألفاظ والصيغ والتراكيب هي الأوعية التي فيها تنقل المعارف والخبرات والتجارب وبها تدون وتسجل لتقرأ وتؤخذ. وإذا كان للغة المجتمع حدود زمانية ومكانية أو طبقية معينة وكان المستفاد منها ومما تعبر عنه أو تنقله محدودا بهذه الحدود؛ فإن اللغة في المادة المقروءة لاتعرف هذه الحدود، لأنها تعبر عن حياة الأمة في مختلف عصورها وبمختلف مستوياتها وتجسد كل ما ارتبط بحضارتها من معارف وخبرات وتجارب وأحاسيس ودقائق الفكر، وتنقل إلى الأجيال عبر كل ذلك جميع ما دخل تحت طوقها من ألفاظ ومعان

وصيغ وتراكيب ودلالات وأساليب ، وبهذا تصبح المادة المقروءة مصدرا رئيسا لمفردات اللغة في أرحب مستوياتها وأوسع أبعادها وأرقى صورها ، وموردا ثابتا مستمرا لابد من الكشف عن طبيعته وأبعاده المهمة ومدى فاعليته وطرق استغلاله في تكوين حصيلة لغوية نامية فعالة .

وإذا كانت المادة المقروءة تعد الميدان الرحب الذي تتجلى فيه اللغة بكل ما تحمل من طاقات وما تشتمل عليه من عناصر وما يدخل تحت طوقها من أساليب فإن المعاجم اللغوية تعتبر الخزائن التي تحتفظ بكل ما استخدم في هذه المادة من عناصر لفظية ، وترصدها رصدا متتابعا أمينا . وبرصدها وضمانها لهذه العناصر وغيرها من العناصر المستفادة من المصادر الأخرى يمكن ضمان استمرارية اللغة ، حيث تصبح هذه المعاجم موردا أساسيا يستمد منه أصحاب اللغة ما يكشف لهم عن أسرار تراثهم ويمكنهم من اكتساب ما يساعد على ارتقائهم الفكري من عناصر وطاقات هذا التراث ، كما يستمدون منه الأدوات التي تمكنهم من نقل ما اكتسبوه من خبرات وتجارب ومعارف إلى أجيالهم القادمة ومن إبقاء لغتهم حية فاعلة تصل الحاضر بالمستقبل وتشارك في ارتقاء المستوى الحضاري للأمة ، ومن هنا تنشأ أهمية الحديث عن المعاجم اللغوية وعن مناهجها ونظمها وأنواعها وفاعلية هذه الأنواع في تنمية الرصيد اللغوي اللفظي لمستخدم اللغة ثم سبل استغلالها وطرق الاستفادة منها .

أما ممارسة اللغة على كل مستوياتها وأشكالها فهي أساس مهم في تنمية الرصيد اللغوي ، لأنها الأساس في دعم الدور الذي تقوم به كل من المصادر السابقة في تنمية هذا الرصيد ، والأساس في حيوية ما يستمد من هذه المصادر من عناصر، بل إن الممارسة في الحقيقة تعتبر القاعدة الأولى في تكوين أو تطوير واستمرار فاعلية كل مصدر من مصادر الثقافة الفكرية والثقافة اللغوية ، لاسيما إذا كانت هذه الممارسة خاضعة لنظام مدروس وتوجيه سديد ، حيث لا جدوى مما يكتسب من هذه المصادر ما لم يمارس في الحياة الفعلية ،

ولا باعث للاستعانة بهذه المصادر ولا حافز يدعو لاستخدامها والاستمداد منها إلا الحاجة التي تدفع إليها الممارسة، ولا حياة لما يكتسب أو يستمد منها إلا إذا تجدد وتجسد بالممارسة.

وإذا كانت الممارسة أساسا في حياة وحيوية كل ما يكتسب من المعارف فهي بلا شك أساس ثابت مهم في حياة اللغة وحيويتها. فلتكون حصيلة الفرد من مفردات لغته حية واسعة ثرية طيعة مرنة لابد أن تستخدم ويتجدد حضورها في الذهن ودورانها في الذاكرة وترددها على الألسنة وتداولها في الاستخدام، ولا يمكن أن يتحقق ذلك بطبيعة الحال ما لم تكن هناك حوافز مستمرة دافعة لهذا الاستخدام، وإذا كانت هذه الحوافز رهينة المصادفات بالنسبة للفرد العادي مستخدم اللغة فلابد أن تكون مقصودة ومنظمة بالنسبة للناشىء المتعلم الذي ينتظر أن يكون القاعدة الصلبة في بناء مجتمع المستقبل وبناء حضارته. أي لابد أن توضع أو تعين وسائل عملية مدروسة تعمل على زيادة نشاط اللغة وفاعليتها وتُشعر الناشىء بلذة اكتساب المهارات فيها. وتبعثه على تنمية رصيده من الأدوات اللازمة لاكتساب هذه المهارات. من أجل ذلك خصص جزء من هذه الدراسة لبحث الوسائل الإجرائية التي تساعد على تنمية المحصول اللغوي اللفظي للناشىء وتعين على تحقيق الهدف المنشود، وبهذا الجزء تكتمل -حسب ما أرى- أهم جوانب القضية المطروحة في هذا البحث.

اعتمدت في هذه الدراسة ـ كما سيرى القارئ الكريم ـ على تحليل الوقائع والأحداث والقضايا المتعلقة بموضوع البحث والنظر إليها من زوايا مختلفة في ضوء النظريات والمقاييس المرتبطة بها، بهدف الوصول إلى الأسباب والنتائج وتشخيص المشاكل الناجمة عنها ثم طرح الحلول الجذرية المناسبة لها، كما اعتمدت أسلوب النقد والمقارنة للمواقف والآراء، ساعيا بقدر الإمكان للتوصل إلى الموقف الأمثل منها، معززا ما أتوصل إليه من نتائج وأتبناه من مواقف بالبراهين النظرية والمعطيات الفعلية والتجارب والآراء التي توصل إليها

المعنيون، وقد طرحت أثناء معالجتي لبعض الجوانب المتعلقة بموضوع البحث عددا من التوصيات أو المقترحات وخاصة فيما يتعلق بمناهج تعليم اللغة وطرق تدريسها وبظاهرة اللفظية ووسائل الإعلام السمعية والبصرية والحاسب الآلي، ثم مايتعلق بالقراءة وطرقها والحوافز الدافعة إليها، وما يتعلق بالمعاجم والصناعة المعجمية، وما يرتبط بممارسة النشاطات اللغوية والوسائل الإجرائية المتعلقة بها.

ولم أخاطب في ما تحدثت به وعرضته من نتائج وطرحته من آراء وأفكار وتوصيات فئة المتخصصين في مجالات اللغة فحسب، وإنما أردت أن تتسع دائرة الاستفادة مما يمكن أن تتضمن هذه الدراسة من مادة نافعة، وأن تصل الرسالة إلى كل معني بالأمر، ولذلك حرصت -بقدر ما أوتيت من طاقة وملكة- على أن تكون لغة البحث سلسة مفهومة دون ابتذال، خالية مما يمكن أن يبطىء في إيصال الغرض أو يحول دونه، بعيدة عما يوجب استثقال القارئ أو نفوره، قريبة من المتخصص في مجال اللغة وغير المتخصص، خالية من أي حاجز نفسي، ومستساغة لدى كل من يعنيه موضوع البحث أو يهمه فرع من فروعه وجانب من جوانبه، ولقد كان ذلك مما شجعني على ترك استخدام الألفاظ والتعبيرات الأجنبية ذات المفاهيم القطاعية الخاصة.

لا علاقة لاستخدام الألفاظ والتراكيب الأجنبية -كما أظن- برصانة البحث أو بقدرة الباحث أو سعة اطلاعه ولا بدقة التعبير أو صحة النقل والتفسير، مادامت لغة البحث الأساسية قادرة على تحديد المفاهيم وإيصال الأفكار والمعارف والتجارب التي يراد إيصالها إلى القارئ. والعبرة في لغة البحث العلمي أن تكون دقيقة رصينة سلسة ومفهومة لتكون الجسور مفتوحة بين الكاتب وقارئه ويكون الحوار بينهما حميا منطقيا مقنعا، وتكون الطريق ممهدة للتفاعل والتلاقح والإخصاب الفكري. أما استخدام الألفاظ أو المصطلحات الأجنبية الدخيلة فلا يكون إلا حينما لا يوجد بديل عنها..

ولربما احتجنا إلى ذكرها حينما تدق وتلتبس معـانيها فتصبح محتملة لأكثر من ترجمة أو تفسير، قابلـة في تحديد مفـاهيمها لأكثـر من اجتهـاد أو رأي . كما يحدث أحيانا في تـرجمة النصوص بالغة العمق والـدقة ، وحيث تقتضي الترجمة الأمانة التامة والدقة في النقل والتفسير والتعبير.

وبرغم ما كان من حرصي الشديد على استيفاء جميع عناصر الموضوع لست أزعم أنني استقصيت كل ما يرتبط أو يتصـل به . فهناك موضـوعات متعلقة أغنتنـي دراسات سـابقـة لها عن التفصيـل فيها ، مثـل الحديـث عن قـوائم الشيوع وقياس مستوى الحصيلة اللغوية عنـد طفل ما قبل المدرسـة ، وقياس ذلك بمستـواها عند طفـل المدرسة الابتدائيـة . . ومثل الحديث عـن الأخطاء اللغوية الشائعة ، وبحث المنهج التقابلي في تعليم اللغة أو في تحليل الأخطاء ، أو المقابلة بين اللهجات المحلية واللغـة الفصحى أو بين اللغة الأجنبية واللغة العـربيـة الفصحـى في اكتسـاب الألفـاظ أو في الخطـأ فيهـا ، ومثـل تعقـب واستقصاء التراكيب والتعابير السياقية .

وهناك موضوعات أخرى أشرت إليهـا في أماكنها قد اختصرت في الحديث عنها وتـركت التفصيـل فيها أيضـا ، إما لتشعبها وتـرامي أطـرافها واتسـاعها لدراسـات مستقلة ومسـح شامـل خاص بها ، أو لأن الاستطـراد والتوسـع في الحديث عنها يستدعي تجاوز حدود المحاور الأساسية للقضية المطروحة ويخرج بأجزاء البحث عن التوازن المطلوب . مثل موضوع الترجمات العلمية والترجمات الفوريـة وأثرهـا في اكتساب المفردات اللغـوية أو على تغيير وتطـوير المفـاهيم اللغويـة . وموضـوع كتب تعليم الأدب العـربي ونصوصه وفـروعه ومـدى ما يكتسبه النـاشيء مـن ألفاظ اللغـة الوظيفيـة . ومثل قيـاس مستوى اللغـة في البرامـج الإذاعية والتلفـزيـونية العـربيـة ، أو قيـاس مستوى اللغـة في مجلات الأطفال أو في كتبهم ، أو بحث وتقويـم أسـاليب تعليم اللغة ونقل مفرداتها في هذه المجلات وهذه الكتب .

مثل هذه الجوانب لا يمكن استيفاؤهـا في هذا المجال، وإلا تحولت هذه الدراسة إلى سلسلة من الدراسات، وأصبح الكتاب كتبا متعددة، وحسبي أن أقول «إن ما لا يدرك كله لا يترك جله»، وأن أضع المنطلقات الأولى لبحث هذه الجوانب وأن أشير إلى أهميتها وإلى ضرورة مناقشتها وأوجد الحوافز الدافعة لتقديم المزيد من الأعمال التي تثير الموضـوع وتشارك في معالجة القضية وتعمل على استمراريـة الإنتاج الفكري الخصـب وعلى بناء مستقبل أفضـل للغتنا ولما ينتج بها وفيها. وآمل أن أكون قد أصبت فيما قصدت ووفقت لتحقيق ما كنت أنشده وأصبو إليه من الإفادة والإضافة والخدمة للغتنا التي كرمها الله سبحانه وشاء لها البقاء.

لقد بذلـت الكثير من الوقت والجهـد في إعداد هذه الدراسـة: في البحث عن مصـادرها المتشعبـة المتفرقة، في جمع مـادتها وفي تمحيص وتحليـل ودراسة هذه المادة، ثم في استخـلاص الأسس ووضع الركائز التي تقـوم عليها معالجة القضية بكل جوانبها المطروحة، فإن أنجزت ما سعيت إلى إنجازه وأصبت فيما رأيت ووفقت فيما عملت ووفيت فيما قدمت فذلك من فضل ربي، وإن وهنت أو قصرت أو أخطأت فلي عبرة وسلوة فيما قاله العماد الأصفهاني:

«إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يـومه إلا قال في غده: لو غُير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسـن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هـذا لكان أجمل، وهذا من أعظـم العبر، وهو دليل على استيـلاء النقص على جملة البشر».

هذا والله سبحانه من وراء القصد.

د. أحمد محمد المعتوق

جامعة الملك فهد للبترول والمعادن

الظهران



الباب الأول

اللغة ومكانة الثروة اللفظية منها



الفصل الأول

تعريف اللغة

اختلف الباحثون القدامى والمحدثون في تعريف اللغة وتحديد مفهومها[1]، ولا يعنينا هنا تتبع الاختلاف في تعريفها أو مناقشة أسس هذا الاختلاف، وإنما الذي يهمنا أساسا هو الوقوف على تعريف يمكن أن يوفق بين أغلب هذه الآراء ويحدد طبيعة اللغة في إطار مقبول ويعكس حقيقة أبعادها وعناصرها المكونة وكيانها العضوي في تشكيله الدقيق.

عرفت اللغة بأنها[2] «قدرة ذهنية مكتسبة يمثلها نسق يتكون من رموز اعتباطية منطوقة يتواصل بها أفراد مجتمع ما». وهذا التعريف في واقعه يقرر مجموعة من الحقائق التي تنطوي عليها طبيعة اللغة في حقيقتها وكيانها الداخلي الدقيق، وهذه الحقائق هي:

١ - أن اللغة قدرة ذهنية تتكون من مجموع المعارف اللغوية، بما فيها المعاني والمفردات والأصوات والقواعد التي تنتظمها جميعا. تتولد وتنمو في ذهن الفرد ناطق اللغة أو مستعملها فتمكنه من إنتاج عبارات لغته كلاما أو كتابة، كما تمكنه من فهم مضامين ما ينتجه أفراد مجموعته من هذه العبارات، وبذلك توجد الصلة بين فكره وأفكار الآخرين، وتتداخل في تكوين هذه القدرة عوامل فسيولوجية تتمثل في تركيب الأذن والجهاز العصبي والمخ والجهاز الصوتي لدى الإنسان.

٢- أن هذه القدرة تكتسب، ولا يولد الإنسان بها، وإنما يولد ولديه الاستعداد الفطري لاكتسابها، ويدفعه لهذا الاكتساب في العادة شعوره

بالانتماء إلى مجموعته البشرية نفسيا واجتماعيا وحضاريا ورغبته في التعايش وتبادل المنافع والمصالح بينه وبين أفراد هذه المجموعة .

٣- أن هذه القدرة المكتسبة في طبيعتها تتمثل في نسق متفق أو متعارف عليه بين أفراد ما يطلق عليه الجماعة اللغوية ، الجماعة الناطقة بلغة ما . وتدخل في تكوين هذا النسق في العادة وحدات أو أنساق أخرى متفرعة يرتبط بعضها بالبعض الآخر، وهذه الوحدات أو الأنساق المتفرعة هي :

أ- **النسق الصوتي** : وهو الذي يحدد نطق الكلمات أو أجزاء الكلمات وفق الأنماط المقبولة أو المتعارف عليها لدى الجماعة اللغوية .

ب- **النسق الدلالي** : ويعني ترتيب الوحدات المعنوية وفق سماتها الدلالية المعروفة أو المقبولة في اللغة .

ج- **النسق الإعرابي أو النحوي** : ويعني ترتيب كلمات الجملة أو الجمل في أشكالها المقررة في اللغة .

د- **النسق الصرفي** : وهو النسق الذي تعالج فيه أو من خلاله بنيات الكلمات وأنواعها وتصريفاتها أو اشتقاقاتها .

هـ- **النسق المعجمي** : ويقصد به مجموع المفردات اللغوية المتاحة للتعبير عن المعاني والمواقف المختلفة في إطار اللغة .

٤- أن اللغة ليست غاية في ذاتها وإنما هي أداة يتواصل بها أفراد مجتمع معين لتستقيم علاقاتهم وتسير أمور حياتهم ، ولهذا كانت معرفة اللغة أو تعلمها ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية التي تستقر وتستقيم بها حياة الفرد .

أهمية اللغة

اللغة ، كما تقدم ، أساس مهم للحياة الاجتماعية أو ضرورة من أهم ضروراتها ، لأنها أساس لوجود التواصل في هذه الحياة وأساس لتوطيد سبل

التعايش فيها، فهي وسيلة الإنسان للتعبير عن حاجاته ورغباته وأحاسيسه ومواقفه، وطريقه إلى تصريف شؤون عيشه وإرضاء غريزة الاجتماع لديه. فمهما بلغ «ما يحصله الإنسان من مظاهر حضارية من علوم ومعارف وطرق ووسائل مادية، فإنه يشعر في قرارة نفسه بأنه يعتمد اعتمادا كليا على ما لديه من قدرة لغوية لتحقيق مآربه»(٣). واللغة كذلك أداة هذا الإنسان للتخاطب مع الآخرين والتفاهم وتبادل الأفكار والآراء والمشاعر معهم، وطريقه إلى فهمهم وتحسس أذواقهم، وسبيله إلى معرفة مذاهبهم ووسائل التأثير فيهم، وإيجاد العلاقات وبناء الروابط وتحقيق سبل التعاون والتكافل معهم، ومن ثم توفير كل ما يساعده على العيش بينهم في يسر وطمأنينة وسلام، وبالتالي فاللغة تصبح أساسا لتوفير الحماية والرعاية للإنسان بين أفراد مجموعته، وعاملا مهما به تتحقق منافعه ورغباته وتتسهل سبل تنشئته وتتيسر أمور عيشه في إطار هذه المجموعة. وربما كان هذا هو ما كان يعنيه «هيدجر» من قوله: «إن اللغة هي منزل الكائن البشري».

واللغة أيضا وسيلة الإنسان إلى تنمية أفكاره وتجاربه وإلى تهيئته للعطاء والإبداع والمشاركة في تحقيق حياة متحضرة، فبوساطتها يمتزج ويختلط بالآخرين ويقوي علاقاته مع أعضاء أسرته وأفراد مجتمعه، وعن طريق هذا الاختلاط والامتزاج وهذه العلاقات القوية يكتسب خبراته وينمي قدراته ومهاراته اللازمة لتطوير حياته، ويزداد اكتسابه لهذه الخبرات والمهارات كلما نمت لغته وتطورت وزادت علاقاته بالآخرين قوة واتساعا ونماء، وهذا ما يجعله أكثر وعيا وإدراكا وأكثر قابلية على الإبداع والإنتاج والمشاركة في تحقيق التطور الفكري، وهكذا بفضل اللغة تتصرف شؤون الفرد ويتأكد وجوده وانتماؤه لمجموعته البشرية، وبفضلها أيضا تنمو علاقات أعضاء الأمة وتتطور حياتهم وترتقي حضارتهم وتسير دفة الأمور في المجتمع الإنساني عامة. حيث يكون الفرد نواة في مجتمعه، ومجتمعه حلقة في كيان المجتمع البشري(٤).

اللغة والفكر

ولا تقتصر وظيفة اللغة على إمداد الفرد بالأفكار والمعلومات ونقل الأحاسيس إليه، بل إنها تعمل على إثارة أفكار وانفعالات ومواقف جديدة لديه، وتدفعه إلى الحركة والتفكير، وتوحي له بما يعمل على تفتيق ذهنه وتوسيع آفاق خياله وتنمية قدراته الإبداعية، وهذا ما دفع بعض الباحثين لأن يربط اللغة بالفكر الإنساني ويقرر بأن «إمكانية التفكير أولا وأخيرا تستند إلى اللغة التي تستخدم في إبراز عناصر الفكر، ففرض إنسان دون لغة معناه فرض إنسان دون فكر»(٥)، بل إن بعضا آخر مثل «وطسن» و«آرثر كيسلر» تجاوز ذلك فرأى أن اللغة هي التفكير نفسه.

يقول «كيسلر»: إن «التفكير ليس سوى الحركات اللاشعورية للأحبال الصوتية، وإنه نوع من الهمس غير المسموع الذي يدور بين المرء ونفسه»(٦)، أو بتعبير آخر أن التفكير ماهو إلا مجرد كلام باطن.

إن هذا الرأي بطبيعة الحال مبالغ فيه، إذ على الرغم من التسليم بأنه من الصعب الاحتفاظ بنتاج الفكر واستعادته ونقله للآخرين دون اللغة، فإن ذلك كما يقول وايتهيد A.N. Whitehead لا يعني أن اللغة هي جوهر الفكر وماهيته، فكثيرا ما تقصر اللغة مهما كانت سعتها وقدرتها عن التعبير عن أفكار الإنسان وخواطر ذهنه ونتاج قريحته(٧)، ثم إن اللغة لا توجد ولا تحيا إلا بالفكر، فالإنسان يوجد وتوجد لديه القدرة على التفكير، ويمارس عملية التفكير فعلا قبل أن تكون لديه القدرة على ممارسة اللغة، وهو كذلك يستطيع أن يطور اللغة أو يغير فيها: في أنماطها وفي رموزها وفي مدلولات ومفاهيم هذه الرموز بما أوتي من قدرات عقلية وملكات خاصة، أضف إلى ذلك «أن صفات لغة من اللغات تظل قائمة مادام أهلها يحتفظون بعاداتهم نفسها في التفكير، وإلا فهذه الصفات قابلة للفساد والاندثار والضياع، ومن الخطأ أن تعد اللغة كائنا مثاليا، تتطور مستقلة عن البشر، وتتبع أغراضها الخاصة بها.

إن اللغة لا توجد خارج أولئك الذين يفكرون ويتكلمون»[٨] . وإذن فاللغة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتفكير، غير أنها ليست شرطا ضروريا لحصوله، وليست هي التفكير نفسه، وإنما هي آلته وأداته أو المساعد الآلي له، كما يعبر العالم المنطقي وليم جفونز Willim Jevons[٩] .

ولا يتوقف إدراك الفرد للعالم أو تفكيره فيما حوله كليا على استخدام اللغة كما يزعم البعض[١٠] ، وإنما يمكن أن يعينه هذا الاستخدام على إدراك العالم وينمي قدرته على التفكير فيما حوله على نحو أكثر جدية وفاعلية، وبذلك تزداد معرفته بالأشياء ويرتقي مستوى فهمه لها ولما يرتبط بها من أحداث وملابسات معقدة.

إن أدوات اللغة ورموزها تعين الإنسان المفكر على تحديد تصورات عقله وخياله وكثير مما تضطرب به أحاسيسه، كما تعينه على تصوير ما ينتجه هذا العقل وهذا الخيال، وعلى التعبير عما تفيض به أحاسيسه من انفعالات، وما تتمخض عنه قريحته من خواطر وأفكار، وما يكتسبه من خلال تفاعله مع الحياة من تجارب ويتلقاه من معارف، وهكذا تعمل هذه الأدوات وهذه الرموز على تطوير قابليته على التفكير وعلى توضيح وتنظيم هذا التفكير والارتقاء به وبغيره[١١] .

اللغة والذكاء

يرى علماء التربية وعلماء النفس أن النمو العقلي للإنسان منوط بنموه اللغوي، وأنه كلما تطورت واتسعت لغة هذا الإنسان ارتقت قدراته العقلية، فنما ذكاؤه وقوي تفكيره[١٢] . لقد أكد الفيلسوف الفرنسي (إتين كونديالك) Etienne Condillac[١٣] على أن المعارف والمفاهيم والخبرات تستمد أساسا من الإحساسات أي من خلال التجارب الحسية، ولكن الواسطة الأولى لاكتساب هذه المعارف والمفاهيم والخبرات هي اللغة وبذلك تصبح

الأحاسيس واللغة معا أساسا لتكوين الأفكار الكلية وإنشاء العمليات النفسية وتطوير القدرات العقلية وأساسا للذكاء الذي يضحي بمنزلة المقطر أو المهذب والمصنف للمادة الخام التي تنقلها الأحاسيس، ومن هذا المنطلق أكد كونديياك ضرورة اكتساب المهارة اللغوية كأساس لارتقاء الذكاء.

أما بياجيه فقد رأى أن الأفكار والمفاهيم تكتسب من المجتمع، ولكنه أكد أن الوسيلة الأساسية لاكتساب هذه الأفكار والمفاهيم ونموها ونمو المخططات العقلية المنبثقة والمتطورة عنها في السياق الاجتماعي هي اللغة، واللغة تحدد وتميز الأشياء والأحداث وتجعل لكل منها هوية وتنقلها عن عالمها المحسوس إلى عالم ذهني مجرد، ولذلك فإن اللغة في رأي بياجيه تساعد الطفل على تصنيف إدراكاته وعلى تثبيتها في ذهنه وعلى التفكير المستمر في العلاقات الدقيقة بينها، كما أنها تدفعه بصورة مستمرة إلى الابتكار، لأن الإنسان عندما يعبر عن الأفكار والمعارف التي اكتسبها وبلورها في ذهنه يستخدم عناصر اللغة بطريقته الخاصة، ويركب جمله وينشىء عباراته ضمن عمليات ابتكارية ذهنية متميزة، وطبقا لذلك كله فإن من الصعب أن ينمو الذكاء دون نمو اللغة(١٤).

وبناء على ما سبق ذكره اعتبرت المهارات اللغوية مقياسا مهما لمعرفة نسبة الذكاء. يقول لويس تيرمان Lewis Terman معلقا على اختبارات الذكاء لاستانفورد ـ بينيه Binet: «إن الاختبار اللغوي له قيمة أعظم من أي اختبار آخر للذكاء»(١٥). ولهذا الرأي في الحقيقة عدة توجيهات يمكن أن نوجزها على النحو الآتي:

١ - هناك علاقة إيجابية طردية بين ذخيرة الفرد من الكلمات ونسبة ذكائه، فالأفراد الذين يفكرون تفكيرا عميقا ومنوعا مضطرون في الغالب للبحث الجبري عن المعلومات والمعارف، ونتيجة لذلك تجتمع لديهم حصيلة وافية من الأفكار، ولا شك أن جزءا من هذه الأفكار يشتمل على مجموعة

من المفاهيم والمعاني الحسية والمجردة التي تفد إلى أذهانهم مقترنة بالمفردات أو الرموز اللغوية الدالة عليها أو المشيرة إليها . إضافة إلى ذلك فإن مجموع الأفكار التي تفد إلى أذهان هؤلاء يستدعي البحث عن ألفاظ وصيغ لغوية تمكن من نقلها إلى الآخرين ومن التعبير عنها على نحو يتوافق مع العرف اللغوي العام، وبذلك فإن الذكاء يسوق إلى التفكير، والتفكير يسوق إلى اكتساب المادة المعرفية التي يعمل فيها الفكر، والمادة المعرفية المكتسبة تقود في العادة إلى البحث عن اللغة التي تنقلها وتعبر عنها وتقايض بها أفكار الآخرين ومعارفهم، وبهذا يتكون الرصيد اللغوي الغزير ليكون دليلا على الذكاء أو مشيرا إليه .

٢- من المعروف أنه كلما زادت نسبة الذكاء العقلي للفرد زادت قدرته على فهم ما يقرؤه أو يسمعه من الجمل والعبارات، ومن ثم اتضحت له العلاقات بين المفردات اللغوية ومدلولاتها، وبالتالي زادت حصيلته اللغوية، وعلى العكس من ذلك كلما قلت نسبة ذكاء هذا الفرد ضعف فهمه لما يقرؤه أو يسمعه، ومن ثم ضعف إدراكه للعلاقات اللغوية وقلت حصيلته من المفردات والمعاني، وبناء على ذلك يمكن أن تكون ذخيرة الفرد الوافية من مفردات اللغة ومهاراته اللغوية عامة دليلا على سعة تفكيره ونمو ذكائه(١٦) .

٣- مما لا شك فيه أن عملية اختزان المفردات اللغوية ومدى المرونة في البحث عنها في الذاكرة والاستجابة للمثيرات أو المنبهات التي تستدعيها أو تستحضرها في الذهن، ثم مدى القدرة على ربطها بما يتناسب معها من أفكار أو مفاهيم كلها أمور تدل على نسبة نمو التفكير وسرعته، وبالتالي فإن الثراء اللغوي لا يدل على ثراء ثقافي فحسب وإنما يدل أيضا على خصوبة في التفكير أو على مدى ما قام به الفكر من حركة وفاعلية في مجال الاختزان والتصنيف والتنبه والتأثر والاستجابة للمثيرات المختلفة والتصور والتجريد والتصنيف والاسترجاع والتحديد والربط .

وبهذا اعتبرت اللغة -ولغة الكلام بالخصوص- عاملا مهما مساعدا على نمو التفكير وإخصابه وتطويره كما اعتبرت مظهرا لتطوره ومقياسا لمعرفة مدى هذا التطور، وأصبح ضعف المهارة اللغوية في كثير من الأحيان دليلا على بطء أو تعثر الإدراك أو ضعف الذاكرة أو تبلد الذهن أو خموله، والعكس صحيح أيضا.

اللغة والمعرفة

واللغة كما يعبر أحد الدارسين: «مرآة الشعب ومستودع تراثه، وديوان أدبه، وسجل مطامحه وأحلامه، ومفتاح أفكاره وعواطفه، وهي فوق هذا وذاك رمز كيانه الروحي وعنوان وحدته وتقدمه وخزانة عاداته وتقاليده»(١٧). وبهذا فإن معرفة هذه اللغة تفتح للإنسان آفاقا بعيدة رحبة من التجارب والمعارف والأفكار وتمكنه من أن يطل على حياة الماضين بكل شعوبهم وأجيالهم وطبقاتهم ومذاهبهم، فيطلع على عاداتهم وتقاليدهم وأساليب عيشهم ويتحسس أذواقهم، ويطلع على تراث أمته الفكري والحضاري والاجتماعي وعلى تراث مجتمعات مختلفة مترامية الأطراف متباعدة الأماكن والأزمان، فيستفيد من خبراتهم وتجاربهم وأفكارهم، وبذلك يكون أكثر وعيا وأثرى فكرا وأوسع معرفة وأكثر قابلية على الإبداع والإنتاج.

يضم الإنسان بعد الاطلاع على تراث أمته المدون تجارب الماضين إلى التجارب والأفكار التي يكتسبها في حياته الحاضرة فتكون هذه كلها قاعدة أساسية لإبداعات جديدة نامية متطورة ينقلها بوساطة اللغة أيضا إلى أجيال المستقبل فيحافظ على أصالة ما ينتج ويبقي جذور تراثه ممتدة راسخة وفروعه مثمرة معطاء كما يشارك في تطوير النتاج الفكري الإنساني وفي استمرارية التقدم الحضاري البشري.

اللغة والحضارة

إن العلاقة الوثيقة بين اللغة والفكر وأثر اللغة البالغ في نمو ذهن الإنسان وتطويره وإخصابه وإمداده المستمر بالتجارب والأفكار والمعارف والخبرات هي الأساس الذي قامت عليه النظرية التي ربطت بين اللغة والحضارة، ورأت أن اللغة هي الوسيلة المهمة والرئيسة للتطور والتقدم الحضاري البشري. يقول د. «أشلي مونتاكو»: «إن الواسطة المهمة التي يتحضر بها الإنسان إن هي إلا نظام من الرموز يتوسط بين المؤثر والمتأثر، وهذا النظام هو اللغة، فاللغة تضيف بعدا جديدا إلى عالم الإنسان»(١٨). وهذه العلاقة بين اللغة والفكر وبين اللغة والمعرفة هي الأساس أيضا في اعتبار اللغة مرآة لشخصية الفرد وسجلا أو مظهرا لحضارة المجتمع، فهي مثلما تشترك في تشكيل سلوكيات الأفراد والشعوب على اختلافها تعكس هذه السلوكيات بكل أشكالها وجميع ملابساتها، كما أنها تتأثر بهذه السلوكيات. إننا كما نستطيع أن ندرك مقدار ذكاء الفرد من خلال استخدامه للغة. نستطيع أيضا أن نتعرف من خلال هذا الاستخدام طبيعة تفكيره وكيانه النفسي وسلوكه الوجداني وطابعه الشعوري ومعتقداته وعاداته وطريقة حياته، وهذه كلها أسس لاكتشاف انتمائه الحضاري، ومثلما نتعرف شخصية الفرد وكيانه الروحي والوجداني وانتماءه الحضاري من خلال ممارسة اللغة نتعرف أيضا شخصية المجتمع وحضارته من خلال ممارسة هذا المجتمع للغته، حيث تكون هذه اللغة هي العصب النابض لكل نشاط اجتماعي وهي المصدر الحي الوثيق لمعرفة القيم والمثل والمفاهيم الحضارية التي تميز مجتمعا معينا عن غيره من المجتمعات، وبهذا تصبح اللغة «فهرسا لحضارة كل مجتمع تتأثر بها وتؤثر فيها بحيث يصبح الفصل بينهما متعذرا»(١٩). ومن هذا المنطلق يمكن اعتبار اللغة جزءا من كيان المجتمع وكيان حضارته(٢٠).

أنواع اللغة

على الرغم مما أشرنا إليه في بداية حديثنا من أن اللغة عبارة عن «رموز منطوقة» أو أنها كما عرّفها بعض العلماء عبارة عن «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»(٢١)، فإن للغة بمفهومها العام مدلولا أوسع من ذلك. إن اللغة وسيلة للتفاهم والتواصل والتعبير عن العواطف والأفكار عامة لا يحدد مدلولها بالكلمات والعبارات التي تصطلح على معانيها أو دلالاتها أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات، إذ إنها في الحقيقة تشتمل على كل ما يمكن أن يعبر به الإنسان عن فكرة أو انفعال أو موقف أو رغبة معينة، فالصورة لغة، والأشكال المرسومة لغة، والأجسام والحركات الجسمية لغة، والإشارات البصرية والسمعية لغة، والألحان والنغمات الموسيقية لغة. إن «كل أعضاء الحواس يمكن استخدامها في خلق لغة، فهناك لغة الشم ولغة اللمس ولغة البصر ولغة السمع، وهناك لغة كلما قام شخصان فأضافا معنى من المعاني إلى فعل من الأفعال بطريق الاتفاق وأحدثا هذا الحدث بقصد التفاهم بينهما، فعطر ينشر على ثوب، أو منديل أحمر أو أخضر يطل من جيب سترة أو ضغطة على اليد يطول أمدها قليلا أو كثيرا، كل هذه تكون عناصر من لغة مادام هناك شخصان قد اتفقا على استعمال هذه العلامات في تبادل أمر أو رأي»(٢٢). وإذن فاللغة الوضعية التي يمكن أن يصطلح على دلالاتها وأدواتها وأشكالها يمكن أن تكون رموزا أو أصواتا وإشارات أو صورا وألوانا أو خطوطا وأشكالا وألفاظا ومقاطع صوتية وعبارات وما إلى ذلك مما يمكن الاتفاق على دلالته على معنى معين(٢٣).

وعلى الرغم من اتساع مفهوم اللغة فإن مدلولها الذي تنصرف إليه الأذهان عادة عند الحديث عن لغة الإنسان هو (مجموعة الأصوات التي تتركب منها الألفاظ والتي بدورها تتركب منها العبارات والجمل التي تنطق أو تكتب). فهذه ماتسمى بلغة الكلام، والثراء في هذه اللغة هو المقصود أساسا في هذه الدراسة.

لغة الكلام

إن اللغة بمفهومها العام كما رأينا تتضمن جميع صور التخاطب والاتصال سواء كان لفظيا أو غير لفظي، بينما لا تطلق لغة الكلام في الغالب الأصح إلا على صورة التخاطب اللفظي الإنساني، سواء كان هذا التخاطب منطوقا أو مكتوبا[٢٤]. وقد تستعمل لفظة (كلام) على نحو المجاز فيقال: «كلام الحيوانات» أو «كلام النحل» أو «كلام الأزهار» أو «كلام العيون»... غير أن لفظة (كلام) في مصطلح الألسنية تشير «إلى القدرة لدى الناس على التفاهم عن طريق علامات صوتية»[٢٥]. أما الاستعمالات الأخرى لهذه اللفظة فهي تشير إلى افتراضات ورموز تدخل ضمن الإطار أو المفهوم العام للغة.

والحقيقة أن هذه الصورة من التخاطب تجسد لغة الإنسان في إطارها المادي والعقلي الراقي، الذي يتناسب مع الإنسان في تكوينه الطبيعي، فالرموز المنطوقة التي أشرنا إليها في تعريفنا للغة هي في الأصل تلك الأصوات التي تتركب وفق نظام صرفي خاص والوحدات الصوتية التي تترتب في أنماط محددة فتكون الكلمات وتكون الكلام، وبذلك فالكلام هو النشاط الذي تتحول فيه تلك الرموز المذكورة بجميع أشكالها إلى حقيقة مادية فاعلة[٢٦]. ولهذه الرموز أو الأصوات والوحدات الصوتية التي يتألف منها الكلام خواص سمعية وعضوية ودلالات معنوية وسمات إيحائية وكفاءات خاصة في تجسيد نشاط الفكر الإنساني لا ترتقي إليها وسائل التواصل الأخرى. كما أن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يستطيع أن يصدر هذه الرموز أو الوحدات الصوتية بكل ما يكمن فيها من طاقات وإمكانات دلالية أو إيحائية.

إن لغة الكلام تعتبر أقوى مظاهر النمو العقلي والحسي والحركي، كما تعد وسيلة من وسائل التفكير والتخيل والتذكر اختص بها الإنسان دون سائر الفصائل الحيوانية، وعدت مظهرا من مظاهر تفوقه على سائر المخلوقات. فما الكلمة التي تنطق عن قصد ووعي وإدراك إلا مجموعة من الأصوات

أو الوحدات الصوتية الدالة بمجموعها على معنى محسوس أو مجرد، والإنسان هو الحيوان الوحيد الذي يدرك المحسوس المفرد والمعنى الكلي لما يتمتع به من نمو عقلي متميز(٢٧).

ورغم أن لغة الكلام لا تمتاز عن بقية أشكال اللغة من حيث كونها وضعية إرادية، فإنها تتميز عن الأشكال الوضعية الأخرى بتطورها ودقتها وقوة دلالاتها وسعتها وشمولها «وبتنوع وسائل التعبير التي في طوقها»(٢٨). فبهذه اللغة يستطيع الإنسان أن يعبر عن كل ما يجول في ذهنه ويدور في خاطره وتجيش به عواطفه على نطاق أوسع ومدى أطول وبشكل أكثر دقة وتفصيلا وشمولا وأبعد دلالة، وإنما يلجأ الإنسان إلى استعمال وسائل التعبير الأخرى كالإيماءات والإشارات والصور والحركات وغيرها في حالات وظروف معينة، وللسرعة التي لا مجال معها للتفصيل أو الشرح، أو يلجأ إليها ليؤكد أو يوضح ويثبت ما ينطق به أو يعبر به لفظا، أو ليعوض عما ينقصه أو يعجز عن استحضاره من تعبيرات وألفاظ، مع أنها قد لا تعوض عن الألفاظ وعن طابعها الصوتي المميز والمعقد في دلالاته وإيحاءاته. يقول «أندريه مارتينيه»: «يمكننا التحدث عن جمالية للكلام يصعب تحليلها، إذ ترتبط بدقة بوظائف التواصل والتعبير»(٢٩)، وهذا الارتباط الدقيق النابع أساسا من الصور الصوتية التي تميز الكلام، يصعب توافره في أي من أشكال التعبير ووسائل التواصل الأخرى، وبناء على ما تقدم فلغة الألفاظ والعبارات هي اللغة الأساسية بالنسبة للإنسان من دون منازع، ولذلك كانت هي اللغة الأولى التي دون بها هذا الإنسان تجاربه ونتاج عقله وكل ما صوره خياله واضطربت به عواطفه وأحاسيسه، وكانت اللغة الأولى التي يُنقل بوساطتها تراث الأمة إلى الأجيال جيلا بعد جيل(٣٠).

إن العناصر الأولى أو المادة الأساسية المكونة للغة الكلام كما سبقت الإشارة هي: الأصوات أو المقاطع الصوتية التي ينتجها جهاز النطق(٣١). فتتكون

منها الكلمات والتراكيب والعبارات وأخيرا السياق الذي توضع أو ترد فيه هذه الكلمات والتراكيب والعبارات[٣٢]، فالأصوات تجتمع وترتب على نحو معين لتؤلف المقاطع الصوتية والكلمات[٣٣]، والكلمات تركب في صيغ وعبارات وفق الأصول النحوية المقبولة والمتفق عليها في اللغة الواحدة لتكون جملا وعبارات، والجمل والعبارات تأتلف في سياقات خاصة يفرضها الموقف الذهني أو الشعوري للمتكلم، وهكذا تؤدي عملية الكلام وظيفتها على النحو السليم أو المعروف.

الكلمات

إن المادة الأولى للغة الكلام كما تبين هي الأصوات، غير أن اللغة كما رأينا لا تتكون من أصوات منعزلة منفردة، لأن الأصوات منفردة لا تتجاوز أن تكون في معظمها رموزا مبهمة، لا تؤدي وظيفتها إلا إذا ارتبط بعضها ببعض ارتباطا وثيقا وألفت وفق نظام معين في مجموعات أو وحدات صوتية متجانسة متلائمة، وهذه المجموعات أو الوحدات الصوتية هي الكلمات، فقيمة الأصوات إذن تكمن في وجودها كمجموعات، أي في الكلمات التي تتكون منها.

قد يصطلح مجموعة من الناس على دلالة بعض الأصوات المنفردة على معان معينة[٣٤]، لكن هذه الدلالة تبقى ناقصة في الغالب، وتحتاج إلى ما يدعمها أو يكملها من القرائن أو الوسائل الأخرى، وبذلك تكون الكلمة المتكونة من اجتماع الوحدات الصوتية هي أصغر وحدة لغوية تدل في حد ذاتها على معنى أو كما يعبر «ل. بالمار» «أصغر وحدة كلامية قادرة على القيام بدور نطق تام»[٣٥].

ترتبط كل مجموعة صوتية معينة فتكون كلمة أو عبارة، ويكون لهذه الكلمة أو العبارة معنى مستقل ويتمكن الناطق بها من أداء غرض محدد

أو يعبر عن موقف، حيث «إن كل مجموعة معينة من الأصوات يقابلها»، كما يقول فارتبورج «Walter V. Wartburg»: «حالة وعي أو إدراك خاصة»[٣٦]. فمجموعة الأصوات التي تكون كلمة ترتبط ارتباطا وثيقا بصورة معينة في الذهن، فإذا ما سمع أو قرأ صاحب اللغة هذه الكلمة انبعثت تلك الصورة في ذهنه، ومتى انبعثت تلك الصورة في ذهنه في وقت ما انبعثت معها المجموعة الصوتية، أو بتعبير آخر الكلمة الدالة عليها، ومن خلال تتابع الصور الذهنية والمعاني المجردة ودلالاتها وارتباطاتها يتكون جزء كبير من معلومات الفرد وأفكاره. وهذا من الأوجه التي تفسر ما قاله بعض المحققين من أن «معرفة مفردات اللغة نصف العلم لأن كل علم تتوقف إفادته واستفادته عليها»[٣٧]، وواضح أن ما يقصده من مفردات اللغة هو ألفاظها وتراكيبها.

إن الكلمة هي الوحدة اللغوية الأساسية التي تشارك مشاركة فعالة في تكوين معارف الإنسان وتجاربه وأفكاره وصوره الذهنية، كما أنها: «نقطة انطلاق الإبداع الكلامي» الذي يعد قوة أساسية يعتمد عليها الإنسان في تكوين شخصيته وتثبيت وجوده الاجتماعي، وفي تحقيق رغباته وطموحاته، وهي المنطلق الذي يسير عبره أو من خلاله ليبعث في حياته القدرة على البقاء والاستمرار ويحقق التقدم والرقي له وربما للبشرية جمعاء، وربما كان هذا هو ما قصده «مايكوفسكي» في حديثه الشاعري البليغ عن الكلمة حين شبهها بـ «قائد القوة البشرية». يقول «مايكوفسكي»: «الكلمة هي قائد القوة البشرية، أنا أعرف قوة الكلمات. أنا أعرف ناقوس الكلمات إنها ليست تلك التي تصفق لها المقصورات. بفعل تلك الكلمات تندفع التوابيت لتمشي على أرجلها الخشبية الأربع»[٣٨].

إن في الكلمات طاقة كامنة وقدرة خاصة لا تمتلكها وسائل التعبير الأخرى على إحياء وبعث ما همد من الماضي «كما في قدرتها على تجسيم صور

المستقبل، حتى لتصبح كالحقيقة في حيويتها واندفاعها والعبارة تمتلك القدرة نفسها، إذ توجد عوالم خيالية يتصورها الذهن. . . لقد تأثر الجنس البشري كله بخصائص الكلمات التي هي أدوات للسيطرة على الأشياء بعد أن أضفت عليها -عبر العصور- نوعا من القوى الخفية. . . »[٣٩].

الكلمة واللفظ

لقد فرق بعض الباحثين بين (الكلمة) و(اللفظ)، فقد ربط النحاة بين اللفظ وعملية النطق وإصدار الأصوات من مخارجها الطبيعية وما يستلزم من حركات اللسان والشفتين دون الارتباط بمعنى، وبذلك فاللفظ يصبح عندهم مجموعة من الأصوات المنطوقة، فإذا ما ارتبطت هذه المجموعة من الأصوات بمعنى محدد أصبحت كلمة، وبناء على هذا فإن الكلمة تعني اللفظ الدال على معنى أو «لفظ وضع لمعنى مفرد»، وتصبح أخص من اللفظ. وهذا على عكس ما يرى بعض الباحثين اللغويين، إذ يزعم هؤلاء أن الكلمة ماهي إلا صورة صوتية مفردة صامتة تتحول إلى (لفظ) حينما تستعمل للدلالة على معنى محدد، لأنها بذلك تتحول من الصورة إلى الحقيقة الحسية[٤٠]. غير أن المعاجم العربية «تكاد تجمع على أن (الألفاظ) ترادف (الكلمات) في الاستعمال الشائع المألوف فلا فرق بين أن يقال أحصينا ألفاظ اللغة، أو كلمات اللغة».

والحقيقة أنه يمكن الأخذ بالرأي القائل بأن (اللفظ) هو الصيغة الخارجية (للكلمة)[٤١]، فهذا الرأي يقرب من تصور النحاة للكلمة من ناحية، كما أنه من ناحية أخرى يجوز لنا اعتبار (اللفظ) مرادفا (للكلمة) على سبيل المجاز، وهذا التفسير لا يبعد عن المفهوم الشائع في المعاجم العربية، الذي يجيز استخدام (اللفظ) و(الكلمة) بمعنى واحد، وهو على نحو التحديد: مجموعة الأصوات التي تكوّن وحدة كاملة مستقلة دالة بمفردها على معنى محدد، أو كما يعبر عنه«بلومفيلد» Bloomfield بـ «الصيغة الحرة»[٤٢] المرتبطة في مبناها الكامل بمدلول معين ويمكن إفرادها بالنطق وحذفها من الكلام أو إقحامها

فيه، أو الاستعاضة عنها بأخرى. وبهذا تخرج الضمائر وأداة التعريف وحروف الجر وغير ذلك من الأدوات والحروف والمقاطع الصوتية الأخرى مما لا يمكن استقلاله بنفسه في الدلالة على معنى تام، أو لا يمكن استبداله بغيره أو لا يمكن إفراده(٤٣).

اكتساب اللغة

يتعلم الإنسان لغة الكلام القومية منذ طفولته، بعد أن يتوافر لديه الاستعداد الفطري التام لاكتسابها(٤٤)، ويلتقي عنده خطا اللغة والفكر، ثم يبدأ شيئا فشيئا بالكشف عن مميزات اللغة وإدراك غاياتها ووظائفها وارتباطها بما حوله(٤٥). يستهل حياته مع والديه وبقية أفراد أسرته وأهل محيطه «فيسمع» كما يصف ابن خلدون «استعمال المفردات في معانيها فيلقنها أولا، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك، ثم لا يزال سماعه لذلك يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة، ويكون كأحدهم، هكذا تسير الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتتعلمها العجم والأطفال»(٤٦).

وبهذا تصبح عملية اكتساب الإنسان للغة متطابقة أو متماشية مع قوانين اكتساب العادات والتقاليد الأسرية والاجتماعية، ضمن إطار العلاقات المثيرة والاستجابات، كما يرى السلوكيون أمثال (واطسون) Watson و(سكِنر) Skinner(٤٧). غير أن تحقق هذه العملية واستمرار حدوثها يبقى متوقفا على وجود القدرات الطبيعية الخاصة أو ماسمي بالملكة اللغوية، كما أن مدى نشاط هذه العملية وتطورها وفاعليتها وأثرها يظل متوقفا على ما يتاح من فرص التواصل والاحتكاك الاجتماعي على نطاقه الخاص والعام، وما يتأتى من فرص التعليم أو التلقين، وما يوجد من استعداد ذهني أيضا، وإذن فمجالات اكتساب اللغة متعددة رحبة، فهي تؤخذ كما يعبر ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) «اعتيادا كالصبي العربي يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم

على مر الأوقات، وتؤخذ تلقنا من ملقن، وتؤخذ سماعا من الرواة الثقات»(٤٨)، كما تكتسب من خلال المعايشة لأفراد المجموعة اللغوية على اختلافهم واختلاف طبقاتهم أيضا.

وتخضع عملية اكتساب اللغة لمراحل زمنية مختلفة، ففي ما يسمى بـ «مرحلة المناغاة»(٤٩) يبدأ الطفل في اكتساب خصائص تنغيم اللغة السائدة في بيئته من حيث ارتفاع طبقات الصوت في أثناء الكلام، ثم في الاستجابة إلى أصوات الآخرين وإصدار أصوات شبيهة بأصواتهم، ثم في إنتاج أصوات معينة يستخدمها بصورة متكررة للتعبير عن معان أو مواقف معينة. وفي المرحلة الثانية حيث يتجاوز الطفل شهوره السبعة الأولى تتحول مناغاته إلى مقاطع ثم كلمات، ويبدأ بعدها في التعبير عن جملة بأكملها في كلمة واحدة يمكن تمييزها وفهمها وإدراك دلالتها في إطاره الاجتماعي أو الأسري الخاص، فيعبر عن جملة (أريد ماء) مثلا بكلمة (ماء) وحدها، ويعبر عن رغبته في الركوب في السيارة مع والده مثلا بكلمة (سيارة) أو بلفظة تجمع بعض حروفها، وهكذا يستمر في التقاطه للكلمات والتعبير بها، تعينه في ذلك قدرته على التقليد والمحاكاة التي تبقى في تطور مستمر ويبقى أثرها متواصلا في تنمية لغته(٥٠).

وفي نهاية السنة الثانية من عمره يبدأ الطفل في تعلم العلاقات بين عناصر الجملة والصفات الدلالية لأجزائها المكونة، ويبدأ في تكوين الجملة ذات الكلمتين، ثم يتجاوز ذلك بعدها إلى تكوين الجمل ذات الكلمات الثلاث فالأربع فالخمس، وهكذا يأخذ في التطور حتى تقترب جمله وعباراته من جمل البالغين وعباراتهم. حيث تنمو لديه المعرفة الضمنية بقواعد اللغة وأصول التأليف بين الكلمات.

والقدرة على اكتساب اللغة تكون في أوج نشاطها -كما يرى بعض علماء اللغة- قبل السنة الخامسة، بينما تبدأ بالضعف والفتور بعد سن البلوغ حيث

يفقد الجزء المسؤول عن اللغة في الدماغ بعضا من مرونته(٥١). ولكن هذا لا يعني بحال من الأحوال أن عملية اكتساب اللغة يمكن أن تستكمل في مرحلة معينة من العمر أو أنها يمكن أن تتوقف أو تنقطع عند عمر محدد، فهي عملية مستمرة ونشاط دائم على مدى الحياة.

أما الكلمات فالطفل يبدأ في اكتسابها أو تحصيلها كجزء من اكتسابه العام للغة منذ طفولته، ولكنه يبدأ بإدراك وقع أصواتها قبل إدراك معانيها التي ترمز إليها، ثم بإدراك وفهم معانيها قبل التمكن من نطقها والتعبير بها عن حاجاته وأغراضه، فقد يتأخر نطق الطفل للكلمات أو يبقى حتى الشهر العاشر أو الثاني عشر في مرحلة الكلمة الواحدة أو في دور نطق المقاطع، رغم أنه يفهم كلمات عديدة(٥٢).

يبدأ الطفل عادة بالتقاط الكلمات وتعلمها بمعانيها العامة ومفهوماتها الكلية، ثم يتسع تفكيره شيئا فشيئا وتزداد ممارسته للغة وتتطور قدرته على التركيب، كما يتكرر سماعه للألفاظ التي اكتسبها مستعملة في عبارات وسياقات مختلفة من قبل الكبار فيتجه للتحليل والمقارنة وتتميز في ذهنه المفهومات العامة عن المفهومات الخاصة.

إن الأب عند الطفل في بدايات عمره أي رجل كان، أو كل من يماثل والده في الهيئة والشكل واللباس دون تمييز ثابت دقيق، والزهرة عنده كل ما ماثلها في الشكل والصورة، ولا فارق أن تكون هذه الزهرة صغيرة أو كبيرة، حمراء أو صفراء، عطرة أو غير عطرة، ولا فرق بين ورد الصحارى وورد البساتين، ولا بين زهرة القرنفل وزهرة البنفسج أو النرجس... ولكنه بعد أن يتقدم في العمر يدرك الفوارق بين والده والرجال الآخرين، ثم يتعرف مسمى الشاب والكهل والشيخ... كما أنه يتعرّف أنواعا كثيرة من الزهور والورد وما يطلق عليها من أسماء أو ألفاظ مختلفة.

وتدل بعض الأبحاث التي أجريت على الأطفال في المراحل الأولى من نموهم على أن اكتسابهم للألفاظ والتراكيب اللغوية عادة ما يبدأ في الظروف الطبيعية بطيئا ضعيفا، ثم ينمو هذا الاكتساب بسرعة فائقة، فبينما تتراوح حصيلة الطفل من ألفاظ اللغة في الثمانية عشر شهرا الأولى بين (٣ ــ ٥٠) كلمة، يصل متوسط عدد الكلمات التي يكتسبها إلى أربعمائة كلمة تقريبا عندما يبلغ سنتين ونصف السنة من العمر، حيث يضيف إلى حصيلته من المفردات بعد بلوغه سن الثانية كلمات جديدة في كل يوم، وببلوغه سن الثالثة يمكن أن يصل عدد الكلمات التي اكتسبها إلى ألف كلمة في المتوسط، ويظل هذا العدد في تنام وتطور مستمرين، بقدر ما يتاح له من عوامل النمو والتطور(٥٣).

ومن خلال ملاحظاتي المتبعة على ولدي «أمين» البالغ من العمر ستة عشر شهرا وابنتي «هناء» التي تجاوزت السنة الثانية والنصف، وجدت أن حصيلة «أمين» من ألفاظ اللغة المتداولة يمكن أن تزيد على الخمسين كلمة، إذا أخذنا بعين الاعتبار ما ينطقه وما يفهمه دون أن يتمكن من نطقه من الألفاظ، وينطق من هذه الكلمات بصورة متكررة مايقرب من إحدى وثلاثين كلمة، بشيء من التحريف في بعضها، وهي كما لاحظت: مما يتصل بأسماء أفراد العائلة: (بابا، ماما، هناء، جنان، حسن). ومما يشرب أو يؤكل (ماي شاي، بيبسي، تين، رطب (جح) = بطيخ أخضر، خوخ، بيضة). ومما حوله من الأثاث واللعب: (باب، كاس، ملعقة، بالون). ومن الصفات وغيرها: (أح) = حار، (وواوح)= الشيء المؤلم أو الموجع، تحت). ومن ألفاظ التحية (هاي، باي) ومن الأفعال: (بح)= انتهى، أمبه [أي أبغي= أريد]، طاح [سقط]، افتح، روح [اذهب]، قوم، نام). وفي المقابل، فإن «أمين» يفهم طائفة أخرى من الكلمات، دون أن يتمكن من نطقها. فهو ينفذ عددا من الأوامر أو النصائح التي تصدر إليه، مما يدل على أنه يفهم معاني الكلمات التي تشتمل عليها هذه الأوامر أو النصائح.

أما ابنتي «هناء» فإن حصيلتها من ألفاظ اللغة وعباراتها وصيغها قد بلغت بعد تجاوزها سن الثانية والنصف حدا جعلنا نتصور أحيانا أنها لا تجهل إلا القليل من الألفاظ العامة التي يتداولها أفراد الأسرة الآخرون في المنزل. فهي تفهم وتنطق الكثير من الألفاظ المتعلقة بالأطعمة والملابس واللعب وأدوات الكتابة والرسم، وأدوات الزينة ولوازم الطبخ والتنظيف والخياطة، ومرافق المنزل وما يتعلق بها وما يتصل بشؤون المدرسة والسفر وغيرها . . . كما أنها تفهم عددا كبيرا من الكلمات والتراكيب والعبارات اللغوية دون أن تنطقها نطقا كاملا على الوجه الصحيح. وهي تلتقط الكلمات وتتعلم نطقها وتختزن معانيها يوميا وبشكل سريع وتلقائي، لا يُحس أحيانا، كما أنها تركب من هذه الكلمات جملا صحيحة، وإذا فهم معنى ما تركبه من هذه الجمل على نحو لا يتطابق مع ما تقصده، ولا يتوافق مع مألوف الكلام فإنها ترفضه وتطلب تصحيحه.

وقد لاحظ بعض الدارسين(٥٤) -كما لاحظت أنا شخصيا من خلال متابعتي لولدي «أمين» وابنتي «هناء» منذ فترة مبكرة من سنهما- أن معظم الكلمات التي يكتسبها طفل ما قبل المدرسة، أو الطفل في بدايات نموه عامة، ذات مدلولات محسوسة، وبالأخص الكلمات التي تدل على أشياء أو مخلوقات متحركة أو قابلة للحركة مثل: كرة، كلب، قطة، سيارة، (سيكل)= دراجة، (بيبي)= طفل، هذا بالإضافة إلى أسماء المخلوقات والأشياء المرتبطة بالطفل ارتباطا وثيقا مثل بابا وماما وأسماء الإخوة والأخوات المرافقين للطفل في المنزل وأسماء الأشياء التي لها علاقة بتغذية الطفل أو احتياجاته الخاصة، مثل: حليب، عصير، بسكوت، (حلاوة)= حلوى، ماء، حمام، دواء، نعال، (جوتي/ صندل)= حذاء. . . وفي المقابل تكون الكلمات الدالة على الأفعال والأوصاف والأشياء الثابتة أقل عددا (كما هو ملاحظ في كلمات أمين). وبنحو عام فإن نوعية المفردات التي يكتسبها الأطفال ترتبط بصورة أساسية بالبيئة التي يعيشون فيها، وتعتمد على ما ينتشر

ويشيع استخدامه في هذه البيئة من مفردات وتراكيب وتعابير لغوية، كما تتوقف على ما يحيط بهؤلاء الأطفال ويشد انتباههم من أشياء، ثم على ما يتردد ذكره من أسماء وما يتكرر حدوثه من أفعال ونشاطات وما يرتبط بهذه الأحداث والنشاطات من مفردات. على أن هناك مفردات لغوية شائعة في أحاديث الأطفال وتعبيراتهم في مراحلهم المختلفة السابقة للمدرسة، وخاصة في البيئات الاجتماعية المتشابهة في ظروفها وطبيعة الحياة الجارية فيها، كالبيئات العربية الشرقية مثلا[٥٥].

تظل حصيلة الطفل من ألفاظ اللغة بمدلولاتها وبمستوياتها وأنواعها المختلفة تتنامى وتتسع، كما سبق القول، كلما تطور في العمر وتوسع نطاق اتصاله واختلاطه بالآخرين وكثر سماعه لما ينشئون من عبارات ويحكون من أقوال وينقلون من أحاديث ويتلفظون من صيغ وتراكيب. فهو يلتقط نماذج اللغة وعباراتها ومفرداتها كما سبقت الإشارة من أفراد أسرته في مبدأ حياته، ومن أقرانه وزملائه في اللعب عندما يكبر ويشتد، ثم من رفقائه في الدراسة ومدرسيه بعد أن يلتحق بالمدرسة، ثم مما يقرأه مكتوبا في كراس أو كتاب أو صحيفة عندما يكون قادرا على القراءة.

إن الدراسات التي أجريت على الأطفال في المراحل الدراسية الأولى[٥٦] أظهرت أن المفردات اللغوية لديهم تظل تتزايد سنة بعد أخرى رغم أن نسبة الزيادة في هذه المراحل تبدو أحيانا منخفضة إذا قورنت بالحد العالي من المفردات التي يكتسبونها قبل دخولهم المدرسة، كما أظهرت هذه الدراسات أن المفردات اللغوية التي يلفظها الطفل في هذه المراحل أكثر عددا من المفردات التي يكتبها وأن عدد الكلمات التي يميزها أكثر من المفردات التي يعرفها، وأن محصول الطفل من الكلمات ذات الأحرف الثلاثة في السنوات الأولى من المرحلة الابتدائية هو الأكثر. بينما تصبح الكلمات ذات الأحرف الأربعة هي السائدة في المرحلة التالية، كما أن الألفاظ والعبارات العامية المكتسبة بالنسبة

للطفل العربي تغلب على الألفاظ والعبارات الفصحى، ونتيجة للتطور الزمني والتطور العقلي للطفل بشكل عام، وزيادة محصوله من مفردات اللغة في هذه المراحل فإن التراكيب اللغوية تزداد تطورا وتعقيدا.

ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية في كمية المفردات المكتسبة في المراحل المذكورة بين الإناث والذكور في أغلب الدراسات المشار إليها. غير أن هناك دراسات أخرى للنمو اللغوي عند الأطفال أظهرت تفوق الإناث على الذكور في كل جوانب النمو اللغوي، بما فيها اكتساب المفردات[٥٧]، ولا شك في أن هذا التفوق من شأنه أن يؤدي إلى زيادة كمية الألفاظ المكتسبة لدى الإناث في مراحل النمو الأولى والتي تليها.

إن اكتساب الطفل السوي للغة ولمفرداتها في المراحل الأولى من نموه عامة ربما يكون كما يرى (نوام تشومسكي) Noam Chomsky[٥٨]، عفويا تلقائيا، لأن ذهن الطفل مهيأ بشكل من الأشكال لإتمام عملية التكلم واتجاهه لإثبات وجوده الاجتماعي اتجاه فطري. غير أن مستوى هذا الاكتساب يبقى متوقفا على مدى تفاعل الطفل نفسه مع محيطه، وعلى الظروف المحيطة به، والعوامل والمثيرات الدافعة لممارسته للغة والحوافز المشجعة على استخدامها، ثم على اتجاهه لإتقان اللغة وطموحه إلى البراعة فيها، وأخيرا على مدى ما يمتلك هذا الطفل من قدرة خاصة على إدراك معاني اللغة وتعلم نطق ألفاظها وما لديه من سرعة ودقة في ملاحظة أوجه ومجالات استخدام هذه الألفاظ. ويتوقف مستوى هذا الاكتساب أيضا على نوعية المفردات اللغوية أو الكلمات التي يسمعها الطفل أو تتردد في بيئته، وعلى أحجام هذه المفردات وأشكالها ووظائفها وأنماط استخدامها والسياقات التي تستعمل فيها ونسبة تكرارها ونوع وحجم المدلولات المرتبطة بها. كما تتوقف حصيلته من ألفاظ للغة من حيث محتواها الدلالي أيضا على المفاهيم والخبرات المعروفة أو المتداولة في محيطه وعلى مدى ما يلاحظه أو يكتسبه هو نفسه من هذه المفاهيم والخبرات[٥٩].

اتساع لغة الألفاظ

ومهما كان الاستعداد الفطري للإنسان وكانت العوامل مساعدة والأمور مهيأة لاكتساب اللغة فإن حصيلة اللغة القومية من الألفاظ تبقى أوسع من أن يحيط بها الفرد أو يتلقنها بمجرد التعايش مع أفراد أسرته والاختلاط بأهل محيطه.

إن الأسرة، بل المحيط الذي يعيش فيه الفرد بأكمله ماهو إلا جزء من المجتمع الكبير الذي تظهر وتنمو فيه اللغة القومية، وحياة هذا المحيط وإن تشابهت في بعض خصائصها مع حياة فئات المجتمع الأخرى فإن حياة المجتمع ككل تبقى متنوعة المستويات، متعددة الأشكال، مختلفة الاتجاهات، تبعا لاختلاف طبقات هذا المجتمع وطبائع الناس وأغراضهم وحاجاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وخلفياتهم التاريخية والعرقية والدينية أو المذهبية والثقافية، وتبعا لاختلاف مواطن سكناهم وجوارهم وتأثرهم بالحضارات الأخرى، وهذا التنوع والاختلاف بالطبع يؤدي إلى حدوث التباين في موروثاتهم اللغوية ولهجاتهم وأساليب تعبيرهم[٦٠]. إضافة إلى ذلك فإن أنماط الحياة نفسها وحاجاتها وأشكالها وأساليبها تختلف من زمان لآخر ومن جيل لجيل.

إن أنماط الحياة وأساليبها في تغير متواصل وتطور مستمر، ووفقا لذلك تتغير حاجات الناس وأغراضهم وأساليب تعبيرهم وتتطور لغاتهم ولهجاتهم وألفاظهم ومعانيهم، فتشتق كلمات جديدة من أصول قديمة، وتقترض ألفاظ غريبة من لغات أخرى مجاورة أو مؤثرة، وتتولد صيغ وتراكيب لغوية لم تكن موجودة للتعبير عن مفاهيم ومدلولات مستحدثة، كما قد تستبدل ألفاظ بألفاظ أخرى بدافع الرغبة في التغيير أو التجديد، أو بسبب تغير الزمن وتغير الأذواق، وهكذا نرى مرور المفردات القديمة، وقد تظهر في محيط اجتماعي دون آخر أو تظهر في عصر وتحل محلها أخرى في عصر غيره.

«إن الألفاظ تـابعة للحياة، إنها تتحـول بتحولها، فكما أن الحيـاة لا تثبت على طور مـن الأطوار، فكـذلك الألفـاظ لا تثبت على وجـه من الـوجوه على تراخي الأحقـاب، فالصلة بين الحياة والألفـاظ مستحكمة الأواصر»[٦١]. ومثلما تنشأ كلمات وصيـغ جديـدة للمدلولات القـديمة وتضـاف إلى مثيلاتها السابقـة وتتعدد وتتكـاثر المترادفات اللفظيـة، كذلك تنشـأ معان ومـدلولات جديدة لكلمات قديمة عن طريق التحويل أو النقل أو المجاز أو غير ذلك من الأسبـاب المذكورة أو أسبـاب وعوامـل أخـرى غيرها، وهكـذا تتعدد معـاني الكلمات وتنمو وتتكاثر على مرور الزمن وتوالي السنين[٦٢].

لقـد أضيفت في العـربية كلمـة (فوه) إلى كلمـة (فم) وكلمـة (مديـة) إلى سكين) وكلمــة (تلفـون) إلى (هــاتــف)، وكلمـة (مشرط) إلى (مبضــع)، و(البـوصلـة) إلى (بيت الإبـرة)، و(البرطيـل) إلى (الـرشوة)، و(الثـلاجـة) إلى (البرادة)، و(البرواز) الدخيلة إلى (الإطـار) . . . وكلمات أخرى كثيرة أصبح لها مرادفات، بعضها عـاش فترة من الزمان ثم تقهقر أو انـدثر، وبعضها عاش مع مـرادفه الأصلي وبقي مستعملا. وفي الـوقت نفسه اكتسبت كلمات عـربية قديمة أيضا دلالات جديدة وشاعت بكثرة التداول والاستعمال، فكلمة (دولة) كانت تعني تقلب الزمن وتغير الحال، ثم أضيف لها معنى جديد هو الملك أو السلطة الحاكمـة، وكلمة (قطـار) كانـت تعني «الصـف المقطور مـن الجمال» فأصبحـت تدل في عصرنا الحديث على «مـركبات السكة الحديديـة»، والمعنى الأصلي لكملـة (التوقيـع) هو «التـأثير»، ولكـن هذه الكلمـة أصبحت تعنـي «وضع اسـم الكاتـب على ما يكتبـه للدلالـة على أنه منسـوب إليه»، وهكـذا الكلمات: سيارة، جريدة، شقة، عمارة، جامعة، طائرة أو طيارة. . .[٦٣]

وعنـدمـا جـاء اللـه تعـالى بالإسـلام «نقلـت مـن اللغـة» -كما يقـول السيوطي- «ألفاظ من مواضع إلى مـواضع أخرى، بزيادة زيدت، وشرائع شرعــت، وشرائط شرطــت»[٦٤]، وكـان مـن هذه الألفـاظ: المؤمـن،

والمسلـم، والكـافـر، والمنـافـق، والفـاسـق، والصـلاة والصـوم والحج والزكـاة. . . ولهذه الكلمات كلها في اللغـة معان أصليـة غير المعاني التـي اصطلح عليها الناس بعد مجيء الإسلام.

وعندمـا اتسعت الفتـوحات العـربية بعـد مجيء الإسلام واختلـط العرب بغيرهم مـن أبناء الأمـم الأخرى وتـأثروا بحضـاراتهم وشاركـوهم الحيـاة اتسع قاموس المفـردات العربية، حيث تسربت عفوا أو أدخلـت قصدا أو اقترضت أو دخلت عنـوة مجموعـات كبيرة من الألفـاظ الأجنبية وأضيفـت إلى الألفاظ العربية الأصيلة وظل كثير منها يتوالد ويتنـاسل ويتكاثر عن طريق الاشتقاق أو النحت والتركيب والمزج على مرور الزمن على غرار ما نراه في عصرنا الحديث من دخول ألفاظ اللغات الأجنبية التي تأثرنا بها وبثقافاتها وحضاراتها. وهكذا «فاللغة ليست هامدة أو ساكنة بحـال من الأحوال، على الرغم من أن تقدمها قد يبـدو بطيئا في بعض الأحايين. فـالأصوات والتراكيب والعناصر النحـوية وصيغ الكلمات ومعـانيها معـرضة كلهـا للتغير والتطور. ولكـن سرعة الحركـة والتغير فقط هي التـي تختلف من فترة زمنية إلى أخرى ومن قطـاع إلى آخر من قطاعات اللغة»[٦٥]، وهذه هي سنة التطور اللغوي لدى كل أمة، ولاتختلف في ذلك اللغـة المكتوبة عن اللغـة المنطوقة، وإن كـانت اللغة المنطوقـة أكثر عرضـة للتغير والاختلاف مـن اللغة المكتـوبة[٦٦]. ومـن هنا تنشـأ صعوبـة الإحاطة بجميع مفردات اللغة وصيغها ومعانيها.

وعلى الرغـم من اتسـاع اللغة وصعـوبة الإحـاطة بكـل صيغها ومفـرداتها ومعانيها فـإن نمو الحصيلة اللغويـة أو ثراءها لدى الفـرد يبقى في اتجاه طردي مع الاتصال المباشر وغير المباشر بالآخـرين وبالموارد الأخرى لاكتساب اللغة: فكلما زادت نسبة هذا الاتصال زاد المحصول اللغوي. وفي الوقت نفسه، كلما زاد المحصول اللغـوي للفرد نما وعيـه وإدراكه، وزادت قـدرته على التخـاطب والتفاهم، الأمر الذي يقود في العادة إلى الانفتاح على فئات المجتمع المختلفة،

ويشجع على تكوين روابط أكثر وأوسع وأوثق مـع الآخرين، مما يؤدي بالتالي إلى الاستفادة مما تتيحه هـذه الروابط والعـلاقات من فـرص لزيـادة اكتساب اللغة وإرسـاء مفرداتها وصيغهـا في الذاكرة عـن طريـق الممارسة. وكلما زادت حصيلـة الفرد اللغـوية أيضـا تطورت قـدرتـه على استكناه معـاني ومدلـولات الألفـاظ والتراكيب والصيـغ اللغويـة المكتوبـة وإدراك مفاهيمهـا من خـلال سياقاتها المتنـوعة، وبالتالي تمكـن هذا الفرد من اختراق مجاهـل لغوية كثيرة، وهكذا تبقـى الحصيلة اللغوية في تنـام أو تطور مستمر، وسنـأتي للتفصيل في ذلك في الفصول القادمة.



الفصل الثاني

أهمية ثراء الحصيلة اللغوية

سبقت الإشارة إلى أن ثراء الحصيلة اللغوية وتنوع مستوياتها لدى الفرد يجعله أكثر فهما لما يُنطق أو يُكتب، فهو عندما يلتقط أو يتلقن اللغة وتراكيبها ويدرك مدلولات هذه المفردات والتراكيب يسهل عليه فهم واستيعاب معاني الجمل والعبارات التي تصاغ بها أو منها، كما يدرك ويحفظ من خلال سياق هذه الجمل والعبارات معاني كثير من المفردات والتراكيب الجديدة التي تتضمنها، وفي ذلك ما يساعد بدوره على مد حصيلته بالمزيد من المفردات والتراكيب، ومن ثم يوسع من مدى فهمه للآخرين وبالتالي يدفعه إلى توثيق علاقاته بهم كما يحث الآخرين أنفسهم على تقوية علاقاتهم به؛ لأن الإنسان عادة مدفوع لإنشاء العلاقات مع من يفهمه أو يستطيع التخاطب معه بيسر، ويمكن أن نجمل النتائج الإيجابية التي تترتب على ثراء أو تنامي الحصيلة اللغوية على النحو التالي:

١- زيادة الخبرات والتجارب والمعارف والمهارات التي يكتسبها الفرد، وبالتالي زيادة المحصول الفكري والثقافي والفني عامة. على أساس أن الكلمات والصيغ اللفظية عامة هي المادة اللغوية الأساسية التي تدون بها المعارف والثقافات فيتمكن الإنسان العارف بها من الاستمرار في التحصيل المعرفي وتزويد الفكر بالخبرات والمهارات والثقافات على اختلافها، وعلى أساس أن الكلمات هي الوسيلة الأولى التي يتخاطب بها الإنسان ويستخدمها لنقل تجاربه ومعارفه وخبراته إلى الآخرين وتبادل المشاعر والأفكار معهم، وقد

سبقت الإشارة إلى أن هذا التحصيل المعرفي أو الفكري يبقى في اتجاه طردي مع النمو اللغوي، ومع نمو محصول الفرد من مفردات لغته بالذات[1].

٢- آثار نفسية تتمثل في انفتاح الشخصية على ما يحيط بها ونمو غريزة الاجتماع لديها ومن ثم نمو روح الألفة والجرأة الأدبية والثقة بالنفس. فالإنسان الذي يقل محصوله من ألفاظ اللغة وصيغها يقل محصوله الفكري، كما تقل قدرته على التعبير وعلى التواصل مع الآخرين والتكيف معهم، وقلة المحصول الفكري وفقدان القدرة الكافية على التواصل والتكيف مع الآخرين قد يؤديان إلى الشعور بالنقص وعدم تقدير الذات، وعدم تقدير الذات يمكن أن يقود بدوره إلى نوع من الشعور بالاكتئاب وإلى رغبة في الانسحاب والعزلة وربما إلى الفصام أيضا[2]. وهذا على خلاف من يمتلك ناصية اللغة، فهو بالإضافة إلى أنه يستطيع تحقيق رغباته الحياتية وتلبية حاجاته من الآخرين بيسر يجد لذة في بناء الروابط مع الآخرين وفي تبادل المشاعر والأحاسيس معهم ويحس بنشوة في لقائه معهم، لأن لقاءه معهم يعطيه فرصة لإبداء مهارته وللتنفيس وإرضاء غريزة الاجتماع أيضا، إضافة إلى ذلك فإنه قد يجد في نفسه طموحا إلى اكتساب الخبرات والمعارف وإلى بناء الشخصية وتوسيع العلاقات الاجتماعية من أجل النفوذ. وهكذا فإن «معرفة الإنسان الحضاري لفنون لغته، وكيفية نطق الحروف والأصوات المكونة لبنيان اللغة، بما يلائم الموقف، ويناسب الحالة، وينسجم مع الذوق، يوفر له قفزة نوعية في بناء شخصيته الجديدة»[3].

٣- إن اتساع حصيلة الفرد من الألفاظ والتراكيب اللغوية التي يكتسبها بفضل علاقاته الاجتماعية الوثيقة الواسعة يساعده على فهم وإدراك كثير مما يقرأ -إذا كانت لديه القدرة على القراءة- لأن هناك توافقا وتقاربا بين لغة التخاطب أو لغة الجمهور العامة ولغة الكتابة أو اللغة الفصحى في كثير من الاستعمالات والتراكيب اللغوية؛ فكثيرا ما يتداول الناس -وخاصة المثقفين

منهم- في لغتهم اليومية مفردات وصيغا لفظية فصيحة(٤). ومن الواضح أنه كلما زادت نسبة فهم الفرد لما يقرأ كان اتجاهه إلى القراءة أكثر فأكثر، وهكذا تتضاعف الخبرات والمعارف والتجارب والمهارات اللغوية المكتسبة وتتنامى وتتسع وتتنوع.

٤- الثروة اللفظية المكتسبة عن طريق ممارسة قراءة اللغة المكتوبة بصورة خاصة تعين الفرد على فهم ما في التراث من نتاج فكري ومن نماذج ونصوص وإبداعات أدبية، فلغة الحاضر وإن طرأ عليها بعض التغير والتطور ماهي إلا امتداد للغة الأجداد ولغة التراث، والألفاظ والعبارات والصيغ المفهومة تقود إلى فهم غيرها كما تبين، وربما أعانت على إدراك مدلولاتها ومعانيها القديمة أو المهجورة وعلى إدراك معاني الاشتقاقات المتعددة المتفرعة عنها، وفي ذلك ما يشجع الفرد على مواصلة الاتصال بالتراث والبحث في نتاجات الأجيال الماضية، الأمر الذي يؤدي بالتالي إلى بناء ثقافة أصيلة ثابتة الأصول ممتدة الجذور، كما يؤدي إلى زيادة تعرُّف محتوياتها وأسرار التراث، ومن ثم يؤدي إلى زيادة الاعتزاز بهذا التراث وبلغته، وأخيرا إلى الاعتزاز بالأمة وتقوية روابط الانتماء إليها والإخلاص لها.

٥- الثراء اللغوي اللفظي يعين الفرد كما سبق القول على إدراك واستيعاب مايقرأ، وذلك يدفعه إلى الاستمرار في القراءة، ولا شك في أن الاستمرار في القراءة يكسبه ثقافة وعلما، كما يعينه على فهم واستيعاب قواعد اللغة وأصول نحوها وصرفها وبالتالي يعينه على توظيف هذه القواعد والأصول على الوجه الصحيح في التعبير عن أفكاره وأحاسيسه، إذ إن الدراسة النظرية لقواعد نحو اللغة لا تكفي لتحقيق القدرة على توظيفها للقيام بمهمتها في التعبير مهما طالت واتسعت وتعمقت هذه الدراسة، ولابد من رؤيتها في إطارها التطبيقي العملي على نحو مستمر، والمواظبة على القراءة تحقق ذلك.

٦- نتيجة لتكرار الاتصال بالآخرين واتساع رقعة هذا الاتصال وممارسة الاحتكاك، فإن المحصول اللفظي المتوافر يصبح أكثر تداولا، وذلك لا يؤدي إلى تكاثر هذا المحصول واتساعه وتنوعه فحسب، وإنما يؤدي أيضا إلى جعل المفردات والتراكيب والصيغ والأساليب المكتسبة أكثر حضورا في الذهن وأكثر بروزا وجلاء في الذاكرة، مما يجعلها أكثر انقيادا ويجعل صاحبها أكثر طلاقة وسلاسة في التعبير، وبالتالي أكثر تهيؤا للإبداع الفكري.

٧- إن زيادة القدرة على التفاهم مع الآخرين، إذا اقترنت بالقابلية على التكيف والقدرة على الإبداع وعلى الأداء والإلقاء الفني البليغ ساعدت على بناء الشخصية الاجتماعية النفاذة، وعملت على خلق الروح القيادية المؤثرة الفعالة لدى الفرد، وفي ذلك بلا شك تحقيق لكثير من المطامح والمنافع الشخصية والاجتماعية والحضارية أيضا.

يمكن القول على ضوء ما سبق إن لثراء الحصيلة اللغوية دورا كبيرا في جعل الفرد فعالا في محيطه وبين أفراد مجتمعه أو أمته، يمتلك زمام الأخذ والعطاء، الاستفادة والإفادة، الاكتساب والإبداع، النفوذ والتوجيه، متهيئا للمشاركة في بناء حضارة أمته والسير بهذه الأمة نحو حياة أفضل. ولئن كان ذلك مطمح كل فرد مخلص لنفسه ولأمته، مدرك لدوره ومهمته في الحياة، فإنه لابد أن يكون مطمحا أساسيا مهما لهذا الفرد عندما يكون رائد حضارة أو يكون متطلعا إلى تولي منصب اجتماعي بارز أو دور قيادي أو أي مهمة تشارك في تسيير دفة الأمة وتتصرف في مصير المجتمع.

إن القائد العسكري والزعيم السياسي والمرشد الديني والموجه التربوي والمصلح الاجتماعي والمعلم، وكل من يتولى قيادة أو إدارة(٥)، كلهم بلا شك محتاجون إلى البراعة في فن الإلقاء والتعبير، ليتمكنوا من إيضاح وجهات نظرهم وإبداء آرائهم وشرح الأهداف المراد تحقيقها والأفكار المراد إيصالها، بلغة بينة وأساليب مقنعة وعبارات سلسة دقيقة نفاذة من أجل كسب الاقتناع

والتأثـر وتحقيق التفـاعل بينهـم وبين جمهورهـم ، وبذلـك يتمكنون مـن أداء مسـؤولياتهم والقيـام بالمهـام التـي يتطلعون إليهـا على أحسن وجـه . وبما أن البراعة في الإلقاء والفصـاحة والسلاسة في التعبير والبلاغة في القـول عامـة لا تتم إلا مع قوة الملكة البيانية ، وأن وجود الملكة البيانية الراقيةالقوية متوقف أساسا على ثـراء الحصيلة اللغوية ، فـإن إغناء المخزون اللغوي لابـد أن يشكل مطمحا أساسيا بالنسبة لهؤلاء .

وواضح أن الكاتـب والشاعر أو الخطيب لا يبلغ مـا يروم من منزلـة عالية في الفصاحـة والبلاغة فيما يكتـب أو ينظم أو يقـول ما لم يمتلك زمـام اللغة ، فتتوافر لديـه حصيلة لغوية زاخرة متنوعة ، تمكنه مـن أن يختار لكل معنى أو فكرة أو خـاطرة أو انفعال أو موقـف ما يلائمـه من ألفاظ وأصوات وتـراكيب وصيغ لفظية . وكلما كـانت هذه الحصيلة ثـرة وافية طافحة في الـذاكرة ، جلية بارزة العناصر في الذهن ، سالت العبارات على لسانه أو قلمه في يسر ولطف ، وأصبحت «حينئذ تخرج» -كما يقول الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)- «غير مسترقة ولا مختلسة أو مغتصبة ولا دالة على فقر»(٦) .

يحدثنا الأستـاذ دايل كارنيجـي عن الكاتـب الأمـريكي مارك تـوين Mark Twain وعما كـان لـديـه مـن قدرة فـائقـة على استخـدام الكلمات وصيـاغـة العبارات بطريقة سهلة ممتعة وعن سر هـذه القدرة أو الملكة لديه فيقول(٧) : إن هذا الكاتب «كان يحمل معه قاموس وبستر الكبير في أثناء سفره في الممرات الجبلية ووسط صحراوات حارقة مليئة بالعصابات والهنود الحمر، كان يريد أن يملك عنـان الألفاظ ، وقـد استعان بشجاعتـه البارزة وبـديهته في إعـداد كل ماهـو ضروري للوصـول إلى هدفـه» . ويواصـل كارنيجـي حديثـه عن اهتمام الكتاب والخطباء الآخرين باللغة وحـرصهم على إغناء حصيلتهم من ألفاظها بغية التمكـن منها وإحراز المهـارة في استخدامهـا قائلا : «لقد درس كـل من (بت) و(لورد شاتـام) القاموس مرتين ، كل صفحة وكل كلمـة فيه ، وقد كان

(براونج) يقرؤها بإمعان يوميـا، ويجد في ذلك ترفيها وتثقيفا. وكان (لنكولن) يجلس في الشفق ليسجل أسماء كتاب السير، أمثـال (نيكولاي) و(هاي) ويقرأ القامـوس على قدر مـا يستطيع. وليـس هناك أمثلـة استثنائيـة، وكل كـاتب وخطيب كان يفعل ذلك».

والبلاغة في الكتابة أو القول لا تتطلـب إغناء الحصيلة اللغوية الفخمة أو الجزلة المنتقاة فحسب، وإنما تتطلب معرفـة ألفاظ اللغة بمستوياتها المختلفة، ليمكن استخدام ما يتطلبه كل ظرف أو يقتضيه كل موقف منها، إذ إن مدار الأمـر كما يقول الجاحـظ أيضا «على إفهـام كل قـوم بمقدار طـاقتهم والحمـل عليهـم على أقـدار منـازلهم»(٨). وأنـه «لكل ضرب مـن الحديث ضرب مـن اللفـظ، ولكـل نوع مـن المعـاني نـوع مـن الأسماء، فالسخيـف للسخيـف، والخفيف للخفيـف، والجزل للجزل، والإفصاح في موضـع الأوضاع»(٩)، والخطيب البليغ «لا يكلم سيد الأمة بكـلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة، ويكون في قوله فضـل التصرف في كل طبقة»(١٠). ولهذا السبب كـان من تمام آلات البلاغـة -كما يرى أبـوهلال العسكـري (ت ٣٩٥هـ): «العلـم بفاخـر الألفاظ وساقطها، ومتخيرهـا ورديئها، ومعرفة المقامات، ومـا يصلح في كل واحد منها من الكلام. . . »(١١).

اللفظ والمعنى

لقد عرف اللفظ كما سبق القول بأنه الصيغة الخارجية للكلمة، بينما عرف المدلول بـأنه الفكـرة التي يستدعيهـا اللفظ، وبهذا تكـون الأصوات المكـونة للكلمة بمنزلـة المحتوى الخارجي لها بينما يكون المدلـول أو الفكرة أو الصورة الذهنية التي تستـدعيها الكلمة بمنزلة المحتوى الـداخلي لها. أما العلاقة أو القـوة التي تـربط اللفـظ بمدلـولـه وتمكن كـل منهما استدعـاء الآخر فهـي (المعنـى)(١٢). وهذه العلاقـة التي سميت بـ (المعنى) هـي أساس عملية

وضـع الرمـوز اللغويـة بجميع أشكـالها ومستويـاتها، وإذا أخذ ذلـك بهذا الاعتبار فإنـه يمكن القول إن فقدان معنـى الكلمة يعني فقدان العـلاقة بين الكلمة ومدلولها، وإن فقـدان هذه العلاقة يعني أن الكلمة فقـدت محتواها الداخلي، أي تلـك الفكرة أو الصـورة الذهنية التـي يمكن أن تستـدعيها، وأصبحـت ظرفـا فـارغا لا قيمـة لـه. وبهذا التحليـل يصبح المعنـى عنصرا جوهريا في كيان الكلمة بمفهومها اللغوي الوظيفي الكامل، بل تصبح قيمة الكلمة كما يشير العـالم اللغوي جوزيف فنـدريس Vendryes، مـرهونـة بقيمتها المعنوية[١٣].

على ضـوء ما سبـق فـإن ما ذكـر عـن أهمية اللفـظ لايمكـن أن يفهم منـه التعظيم مـن شأن الألفـاظ أو المفردات اللغـوية وتـرجيحها أو تقـديمها على المعاني والأفكار والاهتمام بالشكل دون المحتـوى، لاسيما أنه قد تبين من قبل، أن عناصر الكـلام الأساسيـة هي الأصوات أو الـوحدات الصـوتية والكلمات المتكونـة من هذه الأصوات أو الـوحدات الصوتيـة، ثم الصيغ النحويـة التي تربـط وتؤلف بين الكلمات لتـؤدي هذه الكلمات وظيفتهـا في التعبير عما يدور في الذهن أو في النفس من خواطر وتصورات وأحاسيس وانفعالات.

إن الغـرض الأصلي من وضـع المفـردات لمسمياتها كما يقـول فخـر الديـن الرازي: «أن يضم بعضهـا إلى بعض ليحصل منها الفوائد المركبـة وهكذا جميع المفردات»[١٤]. ومن الواضح أن هذه المفردات لا يمكن أن يضم بعضها إلى بعض إلا بعد العلم بمعانيها -أي بمحتـوياتها الداخلية- وبعد وجود الإدراك الكامل لكـل أسرارها، وإلا تعذر تركيبهـا ونظمها وتأليف الكـلام منها، فلا «حـال للفظـة مـع صـاحبتها تعتبر»، كما يقـول عبدالقـاهـر الجرجـاني (ت ٤٧١هـ): «إذا أنت عزلت دلالاتها جـانبا، وأي مساغ للشك في أن الألفـاظ لا تستحق من حيـث هي ألفاظ أن تنظم على وجه دون وجه، ولـو فرضنا أن تنخلع من هـذه الألفاظ التي هي لغـات دلالتها لما كان شيء منهـا أحـق

من شيء، ولا يتصور أن يجب فيها ترتيب ونظم»[١٥]. وإذن فلا جدوى من لفظ بلا معنى ولا من اسم دون مسمى ولا من مصطلح دون مفهوم. لأن الكلمة تكون كالشيء الجامد المعتم ما لم تعبر عن موقف أو فكرة، وحتى لو كانت جميلة في ذاتها عذبة الجرس في نطقها، لا يكون لها شأن إلا بما تحمل من مضمون، «لأن اللفظ الحسن بغير معنى كامرأة ميتة حسنة الصورة»[١٦]، كما يعبر ابن أبي الحديد.

ولا تظهر أهمية الحصيلة من ألفاظ اللغة أيضا، مهما بلغت هذه الحصيلة من الثراء، ما لم تكن هناك قدرة على صياغة وتركيب وسبك وربط المفردات اللغوية المكتسبة على نحو سليم، وطبقا للمقاييس والقواعد اللغوية المتفق عليها في اللغة الواحدة، وما لم يرافق وجود كل ذلك ذوق فني صقيل وطبع صاف مهذب، يتمكن معه صاحب هذه الحصيلة من تحقيق التلاؤم والانسجام التام بين الأفكار والانفعالات التي يريد نقلها للآخرين وبين القوالب اللفظية التي يوصلها بها ويختارها لها. «إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة»، كما يقول الجرجاني، «وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة أو خلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها»[١٧].

يقول غيورغي غاتشف: «تكمن النزعة الأساسية في كون الكلمة تمتص الفعل، أي أنها تكف عن أن تكون مادة ظاهرية معتمة، بل إنها تشرع في الإضاءة من الداخل بوساطة الفكرة»[١٨]. وهذه الإضاءة هي التي تبعث الروح في الكلمة، بل هي الروح نفسها، وهي لا تتحقق إلا بعد أن تتركب الكلمة مع غيرها وتنضم إليها في انسجام واشتياق تام وتعانقها معانقة القرين لقرينه.

والثروة اللفظية لا تظهر أهميتها ولا تظهر البراعة في استخدامها ما لم تبرز معبرة عن ثروة فكرية أو عن حصيلة متميزة جيدة نافعة من المعاني؛ ومخزون

مؤثر فعال من العواطف وعن صور ذهنية متلائمة معها. «إن الألفاظ لا تدل على البلاغة ولا توصف بالفصاحة وحـدها وإنما المزية التي من أجلها استحق اللفظ الـوصف بأنه فصيـح»، كما يقرر الجرجاني أيضا «عـائدة في الحقيقة إلى معناه، ولـو قيل إنها تكون فيه دون معنـاه لكان ينبغي إذا قلنـا في اللفظة إنها فصيحـة أن تكـون تلك الفصـاحـة واجبـة لها بكـل حال، ومعلـوم أن الأمـر بخلاف ذلك، فإنا نرى اللفظة تكون في غاية الفصاحة في موضع ونراها بعينها فيما لا يحصى من المواضع وليس فيها مـن الفصاحة قليل ولا كثير، وإنما كان كذلك لأن المزية التي من أجلها نصف اللفظ في شـأننا هذا بأنه فصيح، مزية تحدث من بعد ألا تكون، وتظهر في الكلمة مـن بعد أن يدخلها النظم، وهذا شيء إن أنت طلبته فيها، وقد جئت فيها أفرادا لم ترم فيها نظما، ولم تحدث لها تأليفا، طلبت محالا. .»[١٩].

على الرغـم من كـل ما سبـق فإن الجانـب اللفظي يبقـى مستقلا محتفظـا بمكانته كأساس جوهري مهم في عملية التعبير وفي صياغة القول ملفوظا كان أو منطوقا؛ إذ إنه من المعلوم والبـدهي أن المعاني والأفكار لا تبين ولا تظهر إلا بـالألفاظ، فـلا سبيـل للمرتـب لهذه المعـاني «والجامـع لشملها»، كما يقـول الجرجاني نفسـه، «أن يعلمك ما صنع في تـرتيبها بفكره إلا بترتيـب الألفاظ في نطقـه»[٢٠]. وبذلك فلا قيمة للمعاني أو الأفكار دون الأدوات التي توصلها أو تحملها وهي الألفاظ، كما أنه لا قيمة للألفاظ إذا لم تكن تؤلف بعضها مع البعـض الآخر تـأليفـا حسنا، لتـدل على معـان أو أفكـار معينة، وتبين عـن الغرض الـذي استخـدمت من أجلـه. إن اللفظ على حـد تعبـير الهمذاني (ت ٣٢٠هـ): «زينـة المعنـى، والمعنـى عماد اللفظ، ولكـن مما يحمـد مـن التأليـف والنظم أن يكون كما قلت: تـزين معانيـه ألفاظه، وألفاظـه زائنات المعـاني، فإذا كـانـت الألفاظ مشـاكلـة للمعاني في حسنهـا والمعـاني موافقـة للألفـاظ في جمالها، وانضاف إلى ذلـك قوة مـن الصواب وصفـاء من الطبـع

ومادة من الأدب، وعلم بطرق البلاغات ومعرفة برسوم الرسائل والمكاتبات كان الكمال». وإذا كانت هذه أهمية الألفاظ فإن وفرتها وحضورها الدائم في الذهن يصبح أمرا لازما؛ إذ إن المقل من الألفاظ كما يضيف الهمذاني «يعجز عن تغيير معنى عن صورته ونقله عن حليته، ومن كان كذلك لم تكمل آلته ولم تجتمع أداته، وكان النقص لازما له»(٢١).

السلبيات الناجمة عن نقص الحصيلة اللغوية

وإذا تبينت أهمية الثروة اللفظية، وعرف الدور الأساسي المهم الذي تلعبه أو تؤديه في عملية التواصل والتعايش والترابط والتفاعل الاجتماعي وعرفت فاعليتها الكبيرة في اكتساب الخبرات وفي تنشيط عملية الإبداع والإنتاج الفكري ومن ثم في تحقيق التقدم الحضاري، إذا عرف كل ذلك أمكن إدراك ما يترتب على نقص هذه الحصيلة أو عجزها من سلبيات يعود أثرها في الفرد وفي المجتمع وحضارته عامة، ولا شك في أن معرفة هذه السلبيات والتأمل فيها وتحليلها بجدية يخلق الدوافع الفعالة للاهتمام بإغناء الحصيلة اللغوية ويقود إلى الحرص على تنميتها، لذلك كان لابد هنا من إبراز أهم وأخطر السلبيات التي قد تنجم عن نقص هذه الحصيلة اللغوية وتحليلها أو مناقشتها ولو بصورة موجزة.

١ - العزلة الاجتماعية: ويقصد بها تحديد الفرد لعلاقاته وروابطه الاجتماعية والميل نحو الانفراد والانطواء، فقد سبق أن أشير إلى أن القدرة على التعبير وعلى التفاهم وتبادل الآراء والأحاسيس تعد من أهم الدوافع لإنشاء العلاقات مع الآخرين، إذ إن الإنسان مدفوع بفطرته إلى الاجتماع وإلى إنشاء العلاقات مع أفراد مجموعته، ليلبي رغباته واحتياجاته، وليكتسب المهارات والخبرات التي تحقق له حياة أفضل، وليتبادل المشاعر والأفكار والآراء والمواقف، وأخيرا ليرضي غريزة الاجتماع لديه ويثبت انتماءه لمجتمعه. ووسيلته الأولى لإنشاء وتوطيد هذه العلاقات بلا شك هي اللغة، ولغة الكلام بالدرجة الأولى. فإذا

ما قل محصوله من ألفاظ هذه اللغة وصيغها وتراكيبها ضعفت عباراته وأساليبه وقلت قدرته على التواصل والتخاطب والتفاهم مع الآخرين، مما يؤدي إلى تقليل فرص الاختلاط بهم، وبالتالي إلى العجز عن تحقيق المصالح التي يطمح إلى تحقيقها، وقد يؤدي إلى الشعور بالفشل، وإلى تصور استحالة إيجاد روابط قوية وناجحة مع أفراد المجموعة أو إلى الشعور بالنقص والتخلف عن مستوى هؤلاء الأفراد وعدم جدوى المحاولة لإنشاء علاقات معهم.

ويضاعف الإحساسات والميول سابقة الذكر لدى الفرد تضاؤل الرصيد المعرفي أو الفكري الذي ينتج بدوره عن تضاؤل المحصول اللغوي؛ لأن الثقافة عادة ما تكسب صاحبها نوعا من المرونة، وتعينه على تبادل الأفكار والآراء مع الآخرين، وتجذبه إلى الاستزادة من التحصيل الفكري، كما تجذب الآخرين إليه. ومع الفقر الثقافي ربما يتضاءل هذا الانجذاب، فيكون ذلك سببا للميل إلى انعزال الفرد.

وربما كانت رغبة ضعيف اللغة في الانعزال ناتجة أيضا عن قلقه وخوفه من الوقوع في الخطأ في التعبير أو التعثر في الإفهام والتعرض لمواقف محرجة مع الآخرين، فالخوف كما يرى النفسانيون يولد نوعا من التوتر ويؤدي بالإنسان إلى تجنب المواقف التي يواجه فيها الموضوع الذي يخاف منه ويدفعه إلى الهرب(٢٢).

إضافة إلى ما سبق ذكره فإن ضعف القدرةعلى التفاعل والتفاهم والتكيف لدى الفرد والناتج عن عدم وجود الكفاءة اللغوية قد لا يشجع الآخرين على إنشاء الروابط الوثيقة مع هذ الفرد، حيث إن الإنسان في العادة مدفوع إلى إنشاء الروابط مع من يَفهمه ويُفهمه ويبادله المشاعر والأفكار ويشاركه المواقف ويستطيع التفاعل والتواصل معه بنجاح، ثم إن العلاقة الوثيقة لا يمكن أن تتم من جانب واحد، وهكذا فإن ضعيف اللغة يمكن أن يصبح في عزلة، إن لم يعتزل الناس عزلوه.

إن هذه الظاهرة وإن لم تكن عامة لأزمة الحدوث فإن التجربة الحياتية تثبت وجودها بين الأطفال والمراهقين الذين يعانون من بعض المشاكل النفسية، حيث تتآزر هذه المشاكل النفسية مع مشكلة الفقر اللغوي فتولد لدى المراهق نوعا من النفور والرغبة في الانعزال.

٢- اضطراب الشخصية. إن عجز الإنسان عن التعبير عن مشاعره وأفكاره بصورة طليقة، وعجزه عن التواصل أو التخاطب الاجتماعي بمرونة كافية قد يولد لديه على مرور الزمن -كما سبقت الإشارة- شعورا بالنقص أو الدونية، وربما يتركه في صراعات نفسية وإحباطات متكررة وأزمات لا يقوى تكوينه النفسي على تحملها، فيحس بعدم الانسجام الشخصي والاجتماعي، ويصاب باضطراب الشخصية وتظهر عليه بعض الانحرافات السلوكية[٢٣]. ويرى علماء النفس «أن العرض الرئيس عند مضطربي الشخصية هو عجزهم عن تحديد متاعبهم ومشاكلهم بالألفاظ»[٢٤].

قد يكون اضطراب الشخصية لدى الفرد ناتجا أيضا عن كبت الغريزة الاجتماعية؛ فالإنسان بفطرته كما تبين ميال إلى إثبات وجوده في المجتمع وإلى الاجتماع بالآخرين والتحدث إليهم. وهو باجتماعه بالآخرين والتحدث إليهم لا يكتسب التجارب والخبرات والمعلومات فقط، وإنما يخفف من شعوره بالوحدة ويجد مجالا للتنفيس عما قد يضطرب في داخله من أحاسيس، ويجد في ذلك ما يسليه ويذهب وحشته ويحل كثيرا من مشاكله ويشعره بالدفء والاطمئنان ويشبع كثيرا من حاجاته الاجتماعية والنفسية الأخرى، كما يبعث في نفسه النشاط ويهيئه للعمل وينمي لديه روح التعاون مع الغير. وفي المقابل فإن عدم قدرته على التواصل والتفاهم نتيجة لضعف لغته أو ضآلة محصوله من مفردات هذه اللغة يحرمه من إشباع غريزته الاجتماعية ومن تلبية رغباته النفسية من الآخرين كما يولد لديه نوعا من القلق والتوتر، وربما يشجعه على اللجوء إلى وسائل منحرفة للتخفيف من هذا القلق أو التوتر أو يولد لديه عادات سيئة شاذة ويجعل من شخصيته شخصية مضطربة[٢٥].

٣- ضيق الأفق الثقافي والفكري : سبق القول إن المفردات اللغوية والتراكيب اللفظية هي وسيلة الإنسان إلى نقل أفكاره وأحاسيسه وإيصالها إلى الآخرين، وبالتالي فهي الوسيلة الأساسية لنقل المعارف والعلوم التي تتولد وتتنامى وتتطور في أذهان الناس، لنقلها من شخص لآخر ومن شعب إلى شعب ومن جيل إلى جيل. ودون هذه الوسيلة لا تبقى سوى لغة الإشارة ووسائل التعبير الأخرى التي مضى الحديث عنها والتي تبين أنها قاصرة عن أداء المهام المذكورة أداء تاما، مهما بلغت من تطور واتساع. إن لغة الكلمات والأصوات هي بوابة الإنسان الرئيسية التي يصل من خلالها إلى عقول وأذهان وأحاسيس أبناء جنسه في كل زمان ومكان، ليغترف مما تفيض به هذه العقول والأذهان والأحاسيس، ويشكل بها يكتسبه منها ثقافته الخاصة ويطور مهاراته اللازمة، فعجزه عن امتلاك هذه الوسيلة أو عن السيطرة عليها يعني عجزه عن اكتساب المعارف والخبرات الكافية، وتعثره في فهم وهضم ما ينقل إليه من هذه المعارف والخبرات يعني عجزه عن التطوير لما يحتاج إليه من مهارات.

إن ضعف حصيلة الإنسان من مفردات لغته وتراكيبها وصيغها ومدلولاتها الواضحة يجعله يتعثر في فهم ما يسمع وما يقرأ، وتعثره المستمر في فهم ما يسمع قد يقوده إلى العزلة -كما تبين- وتعثره المتوالي عن إدراك وفهم ما يقرأ قد يصده عن القراءة، ومعلوم أن الاختلاط والقراءة مصدران أساسيان مهمان من مصادر المعرفة والثقافة لدى الإنسان، وأن انقطاع الفرد أو صدوده عن هذين المصدرين يؤدي به إلى التخلف الفكري والحضاري.

قد يقرأ الناشيء ما يقرأه فيصادف غموضا وصعوبة في استيعاب معنى أو في إدراك مضمون نص معين، وربما كان سبب هذا الغموض وهذه الصعوبة تعقيدا أو التواء في أسلوب الكاتب، وربما كان ذلك ناتجا عن قصور في فهم القارئ؛ لأن المعاني والأفكار التي يدور حولها النص المقروء

تتعدى مستواه الثقافي أو الإدراكي، من حيث عمقها أو من حيث طريقة التعبير عنها وعدم ألفة القارئ لهذه الطريقة، ولكن هذا الغموض وهذه الصعوبة قد يكون السبب فيهما عائدا إلى غرابة ألفاظ النص المقروء وعدم معرفة القارئ بهذه الألفاظ وبما ترمز إليه من معان وتشير إليه من مفاهيم أو توحي به من أفكار، وعجزه عن فهم السياق وإدراك مضمون النص، وربما أسعفه السياق في إدراك معاني بعض الألفاظ وتعثر في فهم بعضها الآخر فلم يدرك المضمون على النحو المطلوب، فيكون ذلك سببا في إحداث السأم والضجر في نفسه، ومن ثم التراجع والانسحاب، وقد يكون تكرار حدوث مثل ذلك سببا في إعراضه كلية عن القراءة التي تعتبر أهم مصدر للمعرفة، كما سيأتي التفصيل في ذلك.

ومن الواضح أن إعراض الفرد عن القراءة يزيد بدوره من عجز ونقص حصيلته اللغوية ويضاعف من الصعوبات التي يواجهها وبالتالي يقلص حصيلته الفكرية أو الثقافية، وربما أدى ذلك إلى فشله في حياته الدراسية إن كان دارسا، وإلى تعثره في حياته العامة بعد الدراسة أيضا.

وقد لا يمنع فقر الحصيلة اللغوية من القراءة بشكل تام ولكنه يُلجىء الفرد إلى الاقتصار على قراءة النماذج السهلة في لغتها، والتي لا تتحدى قدرته فتبعثها للتطوير والنمو ولا تتجاوز الحصيلة اللغوية المتوافرة، أو أنها تقترب من اللغة الدارجة أو المبتذلة التي لا تتشكل منها الحصيلة اللغوية الأساسية، كموضوعات الصحف اليومية والروايات والقصص الساذجة أو المبسطة؛ فمن المعلوم أن مثل هذه النماذج ليست كافية لإيجاد حصيلة ثقافية واسعة ومستوى فكري وإدراكي راق متطور.

لا شك في أن إعراض الناشىء أو الفرد عموما عن القراءة، أو اكتفاءه بقراءة النماذج السهلة أو المبتذلة في لغتها الضحلة في محتواها الفكري أو الثقافي من شأنه أن يحدد ثقافته، ويحرمه من الاستفادة من النتاج العقلي

والإبداعـي النافـع المثمر في إطاره الـواسع ، وربما يجعله بـذلك في معـزل عن التطورات الفكـرية والحضاريـة التي يشهدها عـالمه المحيط به ، كما يحرمـه من الاستفـادة مما في تـراث أمتـه العقلي والحضـاري ، ويؤدي إلى جهلـه بعنـاصر ومكونات هذا التراث ومن ثم إلى تضاؤل وانكماش روح الاعتزاز به ، وربما أدى ذلك إلى التنكر لما يرتبط بهذا التراث من مبادئ ومثل وقيم .

٤- ضعـف أو ضحالـة النتاج الفكـري أو الإبداعـي : إن الإبداع يعنـي الخلق والابتكار. إنه عملية ذهنية تنتهي بالكشف والتوليد والاهتداء إلى ماهو جديـد مثمر، وتؤدي إلى بلـورة أفكار معينة تتخـذ كيانا متميـزا . والإبداع في حقيقته أيضا «قـدرة التخيل التي تساعـد على الانفكاك من المنظومـة الفكرية السـابقة بغيـة بناء أفكـار جديـدة وضمهـا ومشاعـرها المرافقـة في ارتباطـات وعـلاقـات مبتكـرة»[٢٦] . ومن شروط فـاعلية هذه القـدرة الانفعال بالـواقع و«وعي الإنسان لما حـوله وعيا تجريديا رمـزيا قابلا للانتقـال إلى غيره ، وقدرته على الاحتفـاظ بالخبرات ونقلهـا إلى مواقـف جديـدة»[٢٧] . وقـــد تبين أن الانفعـال بالـواقع والتفـاعـل معه والـوعي التجـريـدي الرمـزي لهذا الواقـع والعمليات الفكريـة التي تولد فيه أو تتمخـض عنه كل ذلك يتـم نقله بصورة أساسية بوساطة اللغة ولغة الكلام وألفاظها بصورة خاصة .

إن القول بـأن الإبداع انفعال بـالواقع وبما يحويـه هذا الـواقع وأنه الـوعي التجريدي والقدرة على تحويل الخبرات إلى مواقـف جديدة يعني أن الإبداع ما هو إلا حصيلة تـأملات وأحاسيس وعناصر فكـرية وعاطفية وخياليـة ماضية وحاضرة تتفاعل في الذهن وتتبلور لتشكل كيانا مستقلا .

الإبداع الفكـري والفني لدى الإنسـان قائم أسـاسا على ما يجنيـه من ثمار عقول وتجارب الآخرين ، فذلك يصبـح القاعدة الأولى التي ينطلق منها لإيجاد إبداعاته وابتكاراته . إنها الخامات الأساسيـة التي يعمل فيها الفكر ويصهرها الإحساس وتصقلها الموهبة ويبلـورها الذهن فيوجد منها نتاجـا جديدا أصيلا

مطبوعا بطابع شخصية وروح وعقل وإحساس منتجها، وهذا هو ما يقصده علماء النفس من تعريفهم للجهد الإبداعي بأنه «إنتاج أفكار قديمة في ارتباطات جديدة»، ومن تعريفهم لعملية الإبداع «بأنها ظهور إنتاج ارتباطي جديد في العمل، نابع من وحدوية الفرد نفسه من جهة ومن المواد والحوادث والناس أو ظروف حياته من جهة أخرى[٢٨]، إذ لا شيء يوجد من الفراغ، وإن توافر الذكاء والاستعدادات الفطرية الأخرى.

لقد ثبت مثلا «أن الذكاء شرط لازم للإبداع ولكنه غير كاف، كما ثبت أنه بسبب كون روائز الذكاء تشير بصورة رئيسية إلى المعلومات التي يملكها الفرد فإن ذلك يقود إلى القول بأنه لابد للشخص المبدع من أن يملك القدر الكافي من المعلومات يختزنها في ذاكرته..»[٢٩]. وإذا كان الأمر كذلك فلا إنتاج ولا إبداع مع الفراغ الفكري، ولا رقي أو تطور في هذا الإنتاج أو الإبداع إن أصاب الحصيلة الفكرية أو الثقافية نقص أو فقر. يقول (بيرت) Burt: «إن الغزارة البسيطة في طلاقة الأفكار لا تكفي من أجل تكوين الروح الإبداعية، فإن الأفكار ينبغي أن تكون غزيرة جدا»[٣٠].

إذا كان الفراغ أو الضعف الفكري والثقافي ناتجا عن الفقر في الحصيلة والمهارة اللغوية فإن ضعف الإنتاج والإبداع أو ضحالته أو عدم وجوده يصبح عائدا أصلا إلى ضعف أو فقر الحصيلة اللغوية، إذ إن الإبداع متوقف على وجود حصيلة فكرية غزيرة، والحصيلة الفكرية الغزيرة متوقف وجودها على وجود حصيلة لغوية واسعة.

إضافة إلى ما سبق فإن ضعف المهارة اللغوية أو قلة المحصول اللغوي اللفظي لدى الفرد يقلص من قدرته على التواصل، وقد يقوده إلى العزلة كما تبين ذلك من قبل، وعدم التواصل مع الناس والانعزال عنهم معناه تقليص القدرات الذهنية وإضعاف الفكر، لأن الكلام والتفكير -كما يقرر علماء التربية وعلماء النفس- ينموان جنبا إلى جنب[٣١]، إذ إن أحدهما يساعد

على نمو الآخر، وإذا تحقق ذلك فإن ضعف الحصيلة اللغوية يعني -ولو على سبيل الظن- الضعف في الإنتاج الفكري أو التقليل من حجم هذا الإنتاج.

وحتى لو كان هناك فكر خصب وقدرة فائقة على الإبداع تكتفي بالقليل مما يرد إلى الفكر لتبدع الكثير، فالوسيلة لإبراز ما يخلقه الفكر وتبدعه الموهبة هي اللغة المتمثلة في الألفاظ والتراكيب والصيغ اللغوية المناسبة. إن اللغة هي الوعاء والأداة لنقل المعارف وتوصيل المعاني والأفكار والأحاسيس، وإذا كانت هذه قاصرة ضئيلة العناصر تعسر إيصال ونقل ما يخلقه الفكر وتبدعه القريحة، وحسب ما يقرر علماء النفس «أن الشخص الذي تكون لديه قدرة إبداعية كامنة، ولكنه لا يستطيع تحويل أفكاره الخيالية إلى حقيقة واقعة، وأن يوصلها إلى الآخرين فيتمكنوا من استخدامها، فإنه لا يمكن اعتباره خلاقا بأي معايير. إن أحسن ما يحدد الأشخاص المبتكرين موضوعيا هو أعمالهم»(٣٢).

ويقول علماء اللغة ورجال البلاغة والبيان العرب: إن العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والبيان ترجمان العلم»، بل إن حياة العلم البيان. وقال أحدهم: «ليس لعيي مروءة، ولا لمنقوص البيان بهاء، ولو حك بنافوخه عنان السماء»(٣٣). وإذن فلو قلت حصيلة المرء من مفردات اللغة وصيغها وتراكيبها والتي تعتبر أدوات البيان ووسائله الأولى تضاءلت قدرته على الإفصاح بما احتواه فكره من معارف، وعجز عن نقل مايمكن أن تبدعه مواهبه من معان وأفكار، وبالتالي تعذر أو تعثر إنتاجه وعطاؤه الفكري لمجتمعه، وتعذرت أو تعثرت قدرته على المشاركة في البناء الحضاري.

من الناس من يجد المعاني والأفكار حاضرة في ذهنه، أو أنه يحس بحاجته الماسة إلى التعبير عما تفيض به نفسه أو يضطرب في وجدانه من مشاعر، ولكنه لا يجد الألفاظ أو الصيغ والتراكيب اللغوية الملائمة لها حاضرة جاهزة في ذهنه، أو لا يجد ما ينقلها ويؤديها على الوجه الصحيح،

لضعف حصيلته من مفردات اللغة وصيغها وأساليبها، فتبقى الأفكار حبيسة في ذهنه والأحاسيس مكبوتة في نفسه جائشة حائرة لا تجد متنفسا. قد يحاول نقلها أو التعبير عنها بما أوتي من مقدرة وحصيلة لغوية ضئيلة فتخرج ناقصة أو غامضة مبهمة أو مثيرة للاستغراب والسخرية أحيانا، فيلوذ بالصمت ويلجأ إلى كبح لسانه أو قلمه والانسحاب عن الحديث بسلام.. ولا يخفى أن من هؤلاء الناس من يتوافر لديهم إمكان الإبداع ويمتلكون القدرة على المشاركة في الإنتاج الفكري، لأنهم يمتلكون حصيلة جيدة من التجارب والخبرات والمهارات المكتسبة عن طريق الملاحظة ودوام النظر والتبصر في أمور الحياة وسنن الطبيعة وما إلى ذلك من موارد، ولكنهم يحجمون عن تسجيل هذه التجارب وتدوين هذه الخبرات لأنهم لا يمتلكون القدرات اللغوية الكافية للتعبير عنها أو صياغتها وإخراجها في شكل منطوق أو مكتوب على الشكل المرضي، أو أنهم يجدون في ذلك صعوبة تكبح طموحهم لإبرازها. وبذلك يحرم أفراد هذه المجموعة من المشاركة في عملية الإنتاج أو الإبداع على مستوى ما يمتلكون من محصول فكري، ويحرم الآخرون من الاستفادة مما اكتسبوه من معارف وخبرات وتجارب.

إن بروز شخصية الفرد وظهور مكانته يقومان -حسب المقياس الحضاري- على أساس ما يساهم به من إنجازات مهمة وما يقدم أو يبدع من نتاج فكري أو فني نافع أصيل. وأن سيادة الأمة ومكانتها وعظمتها تعتمد على ما لديها من تراث عقلي وروحي، وتقوم في الأساس على ما يصنع أفراده من منجزات حضارية وما يظهر لهؤلاء الأفراد بلغتهم من نتاجات فكرية خصبة مثمرة نافعة، وما تتمخض عنه مواهبهم عامة من إبداعات تساهم مساهمة فعالة في التقدم الحضاري للإنسانية جمعاء، لذلك فإن تراجع أفراد الأمة عن الإنتاج الفكري وضعف مشاركتهم في حركة التأليف والتدوين بلغتهم القومية معناه الهبوط بمستوى مكانة أمتهم والتقليل من شأنها ومن شأن أهلها.

٥- هجران اللغة أو اتهامها بالعجز: كثير ممن ضعفت حصيلتهم من مفردات اللغة وصعب عليهم التعبير بلغتهم بطلاقة، أو عجزوا عن التأليف والإنتاج فيها، تميل بهم العاطفة أو يدفعهم الجهل أحيانا فلا يقرون بعجز قدراتهم أو ملكاتهم البيانية، ولا ينسبون الضعف إلى مهاراتهم اللغوية، ولا يعترفون بتقصيرهم تجاه اللغة وتقاعسهم عن الجد في اكتسابها، وإنما ينسبون العجز والضعف إلى اللغة نفسها فيتهمونها بالضيق والفقر، وينسبون مفرداتها إلى الثقل والغرابة والوحشية والقصور عن مجاراة تطورات الحياة، أو يدعون القلة في مصادرها وموارد تحصيلها، وما إلى ذلك من تهم وعلل عادة ما يتشبث بها العاجز أو الجاهل باللغة من أمثال هؤلاء. هذا إضافة إلى أولئك المصابين بعقدة الضعة، والذين ينتابهم شعور وهمي بالانتماء الفكري إلى مجتمع غير مجتمعهم(٣٤).

هناك على سبيل المثال طائفة من العرب الذين تلقوا تعليمهم في بلدان أجنبية أو كثر اختلاطهم بغير العرب فغلبت ثقافتهم الدخيلة على ثقافتهم الأصلية، أو ضعفت لغتهم القومية وانتابهم شعور بدونية هذه اللغة أو إحساس بعجزها وتفوق الأجنبية عليها. يسعى أفراد هذه الطائفة إلى اجتثاث أنفسهم من أمتهم، ويظهرون نوعا من التنصل من لغتهم أو التنكر لها أو التباهي بمعرفة غيرها فيستعملون الألفاظ الأجنبية في تعبيراتهم وأساليبهم بدلا من الألفاظ العربية المساوية لها، حتى مع علمهم بها وإمكان استخدامها، ظنا منهم أن ألفاظ لغتهم لم تعد مناسبة للعصر الذي يعيشونه، أو أنها لم تعد قادرة على التعبير عن حاجات هذا العصر وشؤونه المتطورة.

يقول عبدالله العلايلي واصفا العربية في نظر هذه الطائفة: «فهي مازالت عند نفر لغة شائخة منزوفة الطاقة والمائية، ولا تنهض بفكر ولاتجري في مضمار الحضارة إلى غايته حتى تلهث ويبطل فيها نبض الحرف... وهي عند آخرين لغة جاءت والصعوبة على موعد، فالقاعدة فيها عصية لا تلين والقانون

النحوي إدراكي مثقل»[٣٥]. إن لمثل هذا الموقف بلا شك عواقب سيئة؛ فجفاء مثل هؤلاء للغتهم القومية قد يقودهم إلى التقليل من شأنها ومن شأن تراثها، مما يؤدي إلى تضاؤل روح الاعتزاز بهذا التراث لديهم، وربما كان لذلك آثار سلبية في أفراد الجيل القادم من المجتمع أيضا، حيث تنتقل العدوى إليهم ممن سبقوهم.

٦- الازدواجية اللغوية: إن الشعور بقصور اللغة الأم أو الجهل بمكانتها وبما فيها من طاقات وإمكانات أو الإحساس بالضعف فيها والعجز عن استخدامها بمرونة أو مهارة كافية ربما يدفع إلى التشبث بلغة أخرى، لغة أجنبية أكثر إغراء، ويشجع على الاعتصام بهذه اللغة على أساس أنها الأنسب أو الأسهل أو الأهم وأعلى مستوى وأكبر مكانة وأكثر هيمنة وانتشارا ووجاهة وأجدر بالتقدير والتقليد[٣٦]، ومن هنا يزداد الاقتراض من هذه اللغة الأجنبية، ويكثر التداخل بينها وبين اللغة الأصلية فينشأ مايسمى بالازدواجية اللغوية أو مايسمى أحيانا بالثنائية اللغوية bilingualism[٣٧]، وقد ينجم عن هذه الازدواجية مع مرور الزمن انسحاب اللغة الأصلية أمام الغزو اللغوي الغريب أو اضطراب هذه اللغة وتغيرها، وهذا التغير في حد ذاته ليس خطيئة، «بيد أنه قد يكون في بعض الظروف أمرا غير مرغوب فيه من الناحية الاجتماعية، فالتنوعات الثانوية في النطق من منطقة إلى أخرى أمور غير مهمة، بيد أن التغيير الذي يحطم الفهم المتبادل في الجماعة يمكن أن يكون موضع إزعاج من الناحيتين الاجتماعية والسياسية»[٣٨]، بل يكون ذلك سببا لاضطراب الفرد نفسه من الناحية الثقافية ومن ثم سببا لتذبذبه من الناحية الفكرية والحضارية؛ إذ لا يصبح هناك توحد أو اتفاق بين لغة هذا الفرد التي تغيرت أو تشوهت وبين لغة عامة الناس التي يفترض أن يستمد بها الفرد نفسه جزءا كبيرا من خبراته الأساسية، ولا بين لغته المشوهة ولغة تراث أمته المدون الذي يعتبر مصدرا أساسيا لتكوين قاعدته الفكرية والحضارية.

إن مثل هـذا الاختلاف والاختـلاط اللغوي من شـأنه أن يجعـل الفرد في صراع نفسي وثقافي وحضاري دائم فهو «لا يـدري إلى أي شعب ينتمي ولا إلى أي ثقافة يـرجع . كما أنه يكون حائرا بين قيـم وثقافة اللغة الأولى وقيـم وثقافة اللغة الثـانية المتبناة . يحتـار في الصواب والخطـأ والحلال والحرام والمقبول وغير المقبول والجائز وغير الجائز والحسـن والقبيح»[٣٩] . وهكذا يصبح في ثنـائية ثقافية وحضارية محيرة .

مـن جانـب آخر فـإن الفـرد إذا كان ضعيفـا في لغتـه من أسـاسه ، قليـل الحصيلة من مفرداتها وصيغها وتراكيبها فإن مما يزيده ضعفا أن يطغى استعمال لغة أجنبيـة معينة في مجتمعـه وفي حياته العـامة ، سـواء كان هـذا الطغيان في الاستعمال ناتجا عن العلاقات الثقافية أو الاقتصـادية أو التجارية الوثيقة التي تربط مجتمعه بأصحاب هذه اللغة ، كما هي الحال في كثير من أوساط المجتمع العربي والخليجي بالذات ، أو كان ناتجا عن الشعور بتميز وتفوق متعلمي هذه اللغة الأجنبيـة . إن عدم الاهتمام بـاللغة الأصليـة لدى هـذا الفرد قـد يزداد ، فيزداد معـه ضعفه في هـذه اللغة ، في حين أن اللغـة الأجنبية التـي قد يمارس استخـدامها إلى جـانـب لغته ويبـدي رغبة في التعلـق بها تبقـى هي الأخـرى ضعيفة واهية القوى .

بعد أن اتضحت أهمية الثروة اللغويـة ، والنتائج الإيجابية التي تترتب على توسيعها وتنميتها ، ومـا ينجم عن ضعفها وضآلتها مـن سلبيات يبقى السؤال عن مصادر هذه الثـروة وطرق تنميتها . إن كل العوامل والـدوافع تؤكد ضرورة خلق وتطـوير المهارات اللغويـة والمهارات البيانيـة عن طريق إغنـاء الحصيلة اللغوية اللفظية ، مـن أجل تحقيق المطامح الشخصية والاجتماعيـة والقومية في الإنتاج والإبداع والتطوير ، ومن أجل تحقيق الاستقلال الفكري وإحراز المكانة المرمـوقة والتقـدم الحضاري المنشـود ، وكل ذلـك يفضي بلا شـك إلى ترسيـخ الشعور بضرورة البحث عن المصادر الأساسيـة التي تثير هذه الحصيلة وتمدها بأسباب البقاء والنماء .



الباب الثاني

مصادر الثروة اللغوية



الفصل الأول

الاتصال الاجتماعي

عرف الاتصال نظريا بأنه العملية التي تنتقل بها أو بوساطتها المعلومات والخبرات بين فرد وآخر أو بين مجموعة من الناس وفق نظام معين من الرموز، وخلال قناة أو قنوات أو طرق تربط بين المصدر أو المرسل والمتلقي أو فئة المتلقين، واعتبرت عملية الاتصال هذه طريقا للتعايش الاجتماعي وأساسا للمشاركة في المعرفة البشرية وسبيلا لاستمرارية الحضارة(١).

ونعني بالاتصال أو التفاعل الاجتماعي هنا جميع أشكال الاحتكاك والتواصل التي تفرضها العلاقات الاجتماعية الإنسانية وتدعو لها الأغراض الحياتية أو المعيشية للفرد والجماعة وتستدعي التخاطب واستخدام اللغة في إطارها اللفظي أو الرمزي العام، بما في ذلك الأغراض التربوية والتعليمية. كما تشمل أنواع الاتصال الاجتماعي والثقافي المباشر الذي يلتقي فيه الإنسان مع غيره وجهاً لوجه ويختلط به اختلاطا فعليا حياً ويبادله الحديث أوالحوار مشافهة. والاتصال غير المباشر الذي تتم فيه المشاهدة أو يتم التخاطب أو هما معاً، من طرف واحد، ولكن عن طريق واسطة معينة.

١ - الاتصال الاجتماعي المباشر

يبدأ الإنسان الاحتكاك والاختلاط بغيره من أبناء جنسه منذ المراحل الأولى من حياته كما تقدم القول، تدفعه لذلك طبيعته وحاجته إلى الدفاع عن نفسه وتوفير أسباب حياته وتلبية رغباته وإشباع طائفة من غرائزه. يبدأ بالاتصال الوثيق بأبويه وأفراد أسرته، ثم بأهل محيطه وأفراد مجتمعه بمختلف فئاتهم

ومستوياتهم وطبقاتهم الاجتماعية والثقافية وعلى اختلاف أعمارهم وأجناسهم. وتظل دائرة اتصاله تتسع شيئاً فشيئاً، مع مرور الزمن وتعدد أغراض الحياة وتعقدها واتساعها، وعن طريق الاتصال يكتسب لغته الأولى إذا توافر لديه الاستعداد الفطري لاكتسابها(٢).

إن أفراد المجتمع الواحد، كما يقول ابن جني في معرض حديثه عن انتقال لغة العربي الفصيح: «بتجاورهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة، فبعضهم يلاحظ صاحبه، ويراعي أمر لغته، كما يراعي ذلك من مهم أمره»(٣). وبهذه الملاحظة وهذه المراعاة يكتسب أو ينمي الفرد الناشىء منهم عند اتصاله واختلاطه بهم «سليقته اللغوية» كما يكتسب أو يطور أي عادة في مجتمعه. إنه يكتسب منهم مفردات لغته، ويتعلم قواعد تركيب هذه المفردات وطرق تأليفها للتعبير عن المعاني والمقاصد والمواقف المختلفة، كما يتعلم كيفية استخدامها في سياقاتها وأنساقها المقبولة، ويتعرف كل مايتواطأ أفراد المجموعة اللغوية ويتعارفون عليه من اختصارات أو أنماط في تركيبها وفي طرق نطقها(٤).

وتظل لغة هذا الإنسان في تنام وتطور مستمرين، مادام اتصاله بأفراد مجتمعه مستمراً متطوراً نشطاً مرناً. فكلما زادت وتوثقت وتنوعت وتعددت علاقاته الاجتماعية كانت مساحة اللغة التي يكتسبها أوسع وأكبر. بينما تضيق هذه المساحة كلما مال إلى العزلة أو قل نشاطه الاجتماعي، حيث تصبح العناصر اللغوية التي يكتسبها أقل عددا، كما تصبح العناصر اللغوية التي اختزنتها ذاكرته خلال مراحل نموه أقل تداولا واستعمالا، مما يجعلها أو يجعل طائفة منها تترسب في قاع الذاكرة وتتراجع تدريجيا حتى تضمر وتنسى أو تكون فاعليتها ضئيلة أو قاصرة أو متعثرة. ولذلك فإن عملية الانفتاح على المجتمع وإنشاء وتوثيق العلاقات مع أفراده بمختلف طبقاتهم وفئاتهم ومستوياتهم وأعمارهم وأجناسهم تصبح ذات أثر كبير في تنمية المهارات اللغوية وإغناء حصيلة الفرد من مفردات اللغة وصيغها وتراكيبها وأساليبها المتنوعة.

بالإضـافة إلى ما سبق فـإن نسبة اكتساب المهـارات اللغوية ونوعيـة ما يلتقطه الفرد من مفـردات وصيغ وتراكيب عن طريق الاحتكـاك بالآخرين تتوقف على جنس الفرد وعلى تكـوينه العصبي والنفسي ومستواه العقلي وما لديه من ملكة في اكتساب اللغة ومـن موهبة في التقاط مفرداتها والاحتفاظ بها في ذاكرتـه وتصور وتمثل مـدلولاتها ، كما تعتمـد هذه النسبة على نـوعية الفئـات الاجتماعية التـي يختلط الفـرد بها ومدى اختـلاطه بهذه الفئـات ، ومدى ما يتاح من فرص لتداول المفردات وممارسة المهارات المكتسبة منهـم ، وتعتمد أخيرا على موقف الفرد نفسه من اللغـة وعلى ما يتوافر له من دوافع وحوافز لاكتساب مهارتها .

سبق أن أشير إلى أنـه أصبح من الثابـت أن المحصول اللغوي للفرد يـرتبط ارتباطـاً وثيقا بنسبة ذكائه ، فكلما ازداد ذكـاؤه واتسع فهمه ازدادت قـدرته على إدراك العلاقـات اللغويـة وتصورها وبـالتالي زاد محصـوله اللفظـي والمعنوي ، ولذلك اتخذ علماء النفس المحصـول اللغوي أساساً لقياس الذكـاء . وقد ثبت أيضا أن الإناث أسرع في اكتساب اللغة وحفظ مفـرداتها من الذكور، وأنه كلما تعـددت خبرة الفرد واتسـع نطـاق بيئتـه ازداد نموه اللغـوي ، وأن المحصـول اللغوي للطفل يتـأثر بمدى اختلاطـه بالبالغين الراشـدين ، لاعتماد اكتساب اللغة ونموها على المحاكاة والتقليـد ، كما رأى بعض الباحثين أن الأعمى يميل في الغالب إلى الحوار بينه وبين الآخرين وإلى الإكثار مـن الأسئلة ، ولذلك فإنه يسارع إلى اكتساب المهارات اللغوية الممكنة عـن طريق الاختلاط بالآخرين ، بينما يعزف الأصم عن الحوار الطويل وعن مجاذبـة الحديث مع الآخرين حرصاً منه على تجنب الوقوع في المآزق أو تجنبا للكشف عن صممه(٥) . مما يؤدي إلى قلة حصيلته من اللغة وضعف مهارته فيها .

وقد تقدم القول بأن الفرد الذي يعيـش في مجتمع تتجاذبه لغتان أو أكثر أو يختلـط بفئة مـن النـاس يمارسون لغـة أخـرى إلى جانـب اللغـة الأم يتأخـر في

اكتسابه للغة، لأنه سيمارس الازدواج اللغوي، ويتأثر بلغتين تختلف إحداهما عن الأخرى في طبيعتها وتتميز بتراكيبها وعباراتها الخاصة، ويداخل بين ألفاظ وعبارات هاتين اللغتين، ويمارس كلا منهما على حساب الأخرى، ونتيجة لذلك يصيبه الضعف في اللغتين معاً.

ولقد أصبح من المعروف أنه بكثرة اختلاط الإنسان بفئة المتكلمين والخطباء وذوي الفصاحة والطلاقة والمنطق السليم و«بطول الاختلاف إلى العلماء ومدارسة كتب الحكماء يجود لفظه ويحسن أدبه» كما يقول الجاحظ(٦). وخاصة عندما تتاح له فرص جيدة للسماع والنقاش والجدل والحوار مع من يختلط بهم ويختلف إليهم ويسمع منهم، وبناء على ذلك يصبح من أهم العوامل التي تساعد على إنماء وتطوير حصيلة الناشىء اللغوية، وتوفير البيئة الثقافية أو العلمية التي تشجعه على اكتساب المعرفة واكتساب اللغة، وممارستها بفعالية ونشاط، وبشكل يكفل له تنميتها والارتقاء بمستواها، كما يساعد على توسيع مداركه وآفاق وعيه.

الاتصال الاجتماعي غير المباشر

وسائل الاتصال الحديثة ودورها في تنمية المحصول اللغوية

إذا كان الإنسان في الماضي يتصل بأناسه في محيطه الذي يعيش فيه، ويختلط بهم في وقت لقياه معهم وفي أماكن خاصة أو مرافق عامة يرتادونها أو يردون إليها ولا يتجاوز ذلك، فإنه في الحاضر يستطيع أن يلتقي بمن يشاركه في اللغة أنى شاء، ويتصل بفئات من فصحاء قومه أو متكلميهم كلما أراد، إن لم يقصدهم قصدوه، وإن لم يطرق أبوابهم طرقوا بابه.

لقد تم اختراع الحاكي (الجرامفون)وجهاز تسجيل الصوت والمذياع أو الراديو والتلفاز و(الفيديو) والسينما والتلفون والتلفون التلفزيوني ثم الحاسب الآلي بكل أشكاله وأنواعه، وهذه كلها أدوات تصل الإنسان بالإنسان عن بعد

وعن قرب، بـل يمكن اعتبار جميع الأجهزة والأدوات السمعيـة والبصرية التي اخترعهـا الإنسان حتـى وقتنـا الحاضر ومن ضمنهـا وسـائل الإعلام الـداخلي والخارجي (أجهزة الاتصـال عبر الأقمار الصناعية) وأجهزة التعليـم والتقنيات التربـوية التقليـديـة والإلكترونية الحديثـة كلهـا وسائل لـلاتصـال والتعامـل والاختلاط الاجتماعي غير المباشر.

عـن طـريـق الأجهـزة والأدوات المذكـورة يتخـاطـب الأفـراد والجماعـات ويتبادلون الآراء والخبرات وينقـل بعضهم إلى البعض الآخر المعـارف والأفكار وتلتقـي ألسنتهـم وعقـولهم وثقـافاتهم وحضـاراتهم على اختـلافهـا وتبـاعـد أماكنهـم، فبواسطـة الشاشة التلفـزيونيـة أو الإلكترونية الصغيرة أو الشـاشة السينمائيـة الكبيرة مثـلا يـرى ويسمـع الإنسان مجمـوعـات مـن أبنـاء جنسـه ويتفـاعل معهـم: ينفعـل ويتجاوب ويتـأثـر بما يقـولون أو يفعلـون، وإن لم يشاهـدهم أو يختلط بهم حقيقـة، وإذا لم يكن هناك تحاور فعلي وفـوري من الطـرفين بالنسبـة للتلفزيـون والفيديـو و(الفيديـو ديسك) والـراديو والحاكـي (الجرامفون) فـإن التحاور الفعلي الفوري يمكن أن يحصـل عن طريـق التلفون والتلفـون التلفزيـوني (أو الهاتف الـرائي) والهاتف التعليمـي(٧) والشـاشـة الإلكترونية أيضـا، وهكذا فـإن الاختلاط الاجتماعـي يحدث بشكل أو بـآخر بواسطـة هذه الأدوات، ومن خلال هـذا الاختلاط يكتسب الإنسان مـن أبناء جنسه ومن غيرهـم المعارف والفنون، كما يكتسب الصيـغ والألفاظ والتراكيب ويطور مهاراته اللغوية عامة.

يلتقي الإنسان عن طـريق هذه الأجهزة بغيره أو بفئة متميزة مـن أبناء قومه ويسمع حوارهم ويصغي لأحاديثهم أنى طلب أو رغب، فيلتقط ذهنه وتختزن ذاكرته من تراكيبه وألفاظ لغتهم على قدر إصغائه إليهم وبمقدار ما يمتلك من فطنة ونباهـة ومقدرة على الربط والتمييـز والحفظ وعلى المحاكاة والتقليـد، ثم على مقدار مـا يتمتع بـه المتحدثـون أنفسهم مـن فصاحـة وطلاقـة في التفكير

والتعبير، وما لديهم من قدرة على التوصيل والتلقين، وما يصاحب سياق كلامهم من شرح وتفسير وتصوير تجسد به عباراتهم فتجعلها قريبة من النفوس عالقة في الأذهان.

ومع أن الإنسان لا يتصل بأبناء جنسه عن طريق هذه الأجهزة اتصالا مباشرا، ولا يكتسب ألفاظ اللغة مثلما يكتسبها من الناس عن طريق اختلاطه بهم وملاقاته لهم وجها لوجه، أو لا يسمع إلا أصواتا تتردد دون أن تستجيب، وألسنة تنطلق ولا تحاور، ولا يجد في الغالب مجالا للرد ولا نصيبا من الحوار، ولا يمارس ما يكتسبه من ألفاظ وصيغ وعبارات بالقدر الذي يكفل له استقرارها في ذاكرته، هذا إذا استثنينا ما يمارسه من تخاطب محدود خلال جهازي التلفون والتلفون التلفزيوني. مع كل ذلك فإن لهذه الأجهزة في عصرنا الحاضر الدور الكبير في عملية اكتساب مفردات وتراكيبها وصيغها وفي تعلم المهارات اللغوية عامة.

يصل بعض هذه الأجهزة إن لم يكن أغلبها إلى الداني والقاصي والغني والفقير والقادر والعاجز، ويأنس إليها الكبير والصغير، الأعمى والبصير، القارىء والأمي، بل لا يكاد يكون لأحد في يومنا الحاضر عنها أو عن بعضها غنى ولا على هجرانها طاقة، ولربما حل بعض منها بين طائفة من الناس محل العشير أو القرين الذي لا يكاد يفارق أو يبتعد، وهكذا فإن اتصال الإنسان المعاصر بأفراد مجتمعه عن طريق هذه الأجهزة يبدو في تزايد مستمر، حتى ليكاد اتصاله عن طريق بعضها بأبناء جنسه يطغى في كثير من نواحي حياته على اتصاله المباشر بهم. وفي ذلك كله ما يكسب هذه الأدوات قدراً كبيراً من الأهمية والقوة في عملية اكتساب اللغة ويجعلها في الوقت نفسه أدوات لا تخلو من الخطورة.

يقول مصطفى مندور(٨): «يلحظ اللغويون عودة القيادة المؤثرة إلى اللفظ المنطوق، وذلك منذ عرف الإنسان أجهزة الاتصال الصوتي كالتلفون والراديو

وأجهزة الإعلام المماثلة . ومن جديد يقف الإنسان متوجسا أمام الطاقة التي تمتلكها تلك الأجهزة لتحويل أحاسيس الناس، بل ولتحويل مواقفهم السلبية إلى طاقات إيجابية : بانية أو مخربة » . لقد مكنت وسائل الاتصال هذه لنفوذ اللغة وأصبح الإنسان يستمع من خلالها إلى جلجلة الكلمة تهز حياته هزاً وتنفذ بمعناها بقوة إلى وجدانه . وفي ذلك ما يوجب الحذر ويدعو إلى تحليل الدور الذي تقوم به هذه الأجهزة في توصيل اللغة، بغية التعرف على ما لها من إيجابيات في تلقين اللغة أو في نشرها، وما قد ينشأ أو يطرأ من آثار سلبية على اللغة من جراء سوء استخدامها، ومن ثم السعي لتطوير الإيجابيات والنظر فيما يمكن أن يعمل لتفادي الآثار السلبية ، وبعبارة أخرى البحث عما يمكن أن يسهل نفاذ اللغة خلال هذه الأجهزة ويغْني حصيلة الجمهور من مفرداتها وصيغها وتراكيبها وأساليبها ، وعما يمكن أن يجعل من اللغة النافذة من خلال هذه الأجهزة أيضا قوة إيجابية فاعلة تمكن أهلها من بناء صرح حضاري أصيل ثابت راسخ .

إن أجهزة الاتصال بالمعنى العام تشمل كل ما يتخذ لإرسال واستقبال الرسائل والمعلومات والخبرات عبر مسافات بواسطة الإشارات الضوئية والصوتية ، غير أن من هذه الأجهزة ما هو محدود الفاعلية كأداة للاتصال، إما لخصوصيته ومحدودية انتشاره، كالتلفون التلفزيوني أو التلفون التعليمي والحاكي (الجرامفون) gramophone مثلا ، أو لأنه قليل العدد نسبيا محدود الأدوار، وأن نسبة انتشاره وفاعليته تختلف بين بلد وآخر، وأن الاستفادة مما يقدم من خلاله تقتضي توقيتا محكماً وسياقاً زمنياً معيناً ، كالسينما والشاشة الإلكترونية الكبيرة ، أو أن أثره في التعليم وفي تلقين اللغة على الأخص محدود ، كالتلفون العادي (الهاتف) ، أو لأن استعماله محدود بأغراض معينة ويسخر لخدمة أجهزة أخرى ، مثل جهاز التسجيل ، أو أنه صامت أو ناطق بغير لغة الألفاظ ، كآلة التصوير (الكاميرا) .

ومن هـذه الأجهزة ما هـو واسع الانتشار، كبير الأثـر، متعدد الأدوار، كثير الفاعلية، ويحتل قـاعدة جماهيرية واسعة، كالتلفاز بـدائرتيه المفتوحة والمغلقة[٩]، والمذياع (الراديو) وربما جهاز (الفيديو) والحاسب الآلي أيضا. والوسيلـة الأخيرة يمكن اعتبارهـا أهم الـوسائل للاتصـال الاجتماعي غير المباشر وأجدرهـا بالدراسة والبحـث. علما بأن عمل (الفيديـو) يعتبر نوعا مـن (التلفـزة)، وبنـاء على ذلـك فـإن دوره يمكـن أن ينـدرج تحت دور التلفاز، والحديث عن التلفاز يمكن أن يشمله. كما أن المذياع يكاد يقترب في كثير من خصائصه ووظـائفه وأهدافه من التلفاز. لـذلك فإن التركيز في هذا المجال سيكون بصورة أساسية على التلفاز والحاسب الآلي (الكومبيوتر) كوسيلتين رئيسيتين من وسائل الاتصال الحديثة.

المذياع (الراديو)

قبل مـا يزيد قليـلا على الخمسين عامـاً تحدث أحد اللغويين العـرب وهو المرحوم عبـدالقادر المغربي عـن الراديو مشيـدا بدور هذا الجهـاز في نشر اللغة قائلا: «إن (الراديو) أصبـح اليوم أعظم تلك الوسائل أثـراً في نشر اللغة: فإن إصغاء الجمهـور إليه، واهتمامهـم بتفهم أخباره وتـداول تلك الأخبـار بينهم، يحكيها بعضهـم إلى بعـض ويرويها بعضهم عن بعض، كل ذلـك يجعل صورة كلمات اللغة ترسخ في أذهانهم على الوجه الذي سمعوه: فإن سمعوا الكلمات صوابا حفظوها ورووها صوابا وإلا وعوها وأدوها خطأ»[١٠].

لاشـك في أن المغـربي قد أصـاب فيما قـال: فلـم تكن وسـائل الاتصـال الأخـرى قـد ظهرت وانتشرت في عهـده على النحـو الـذي هي عليـه في وقتنـا الحاضر. وقد كـان الراديو لحداثة عهـد الناس به أو لعدم تـوافر ماينافسـه من وسائل التثقيـف والإعلام آنذاك أداة مهمة بالغة الأثر في نشر اللغة.

وعلى الرغم من توافر الوسائل الإعلامية والتثقيفية في الوقت الحاضر مايزال (الراديو) يحتـل مكانة بارزة ويقـول بدور مهم في التواصـل الاجتماعي وفي نشر

الثقافة ونشر اللغة و إمـداد خاصة الناس وعامتهم بما يزيد مـن حصائلهم من ألفاط اللغة، قديمهـا وحديثها، فصيحها وعاميها، خاصهـا وعامها. وهذه الأهمية ناتجة عن تنافس الشركات في تصنيعه وتطويره، ثم رخص ثمنه وسرعة توزيعه وانتشاره، بالإضافة إلى سهولة حمله ونقله وتعدد برامجه ومواده المسموعة وامتداد فترات البث فيه، بحيث يتمكن الإنسـان من استغلاله والاستفادة مما يقدم من خلاله أنى شاء، هذا قياساً إلى الوسائل الأخرى.

إذا كان التلفـاز يصعب نقله أو حملـه أحيانـا، أو يصعب شراؤه، أو تعز وسائل تشغيلـه أو تقوية بثه أو استقبـال برامجه، فإن (الراديـو) ليس كذلك، ولذلـك أمكن اقتناء هذا الجهاز من قبـل الغني والفقير، الداني والقاصي، القـريب والبعيـد، القوي والعـاجز، الكبير والصغير، المقيـم والراحـل. هذه أمور بـلا شك تعزز من دور هـذا الجهاز في توصيـل لغة الكلام ونشرها وتعميمها.

و إذا كان لوسائل الإعلام والاتصال عموماً من آثار سلبية في نقل ألفاظ اللغة وتراكيبهـا وعباراتها بصورة خاطئـة فلاشك أن هذه الآثـار يمكن أن تكون أشد خطورة بالنسبة للراديـو، لذلك كان من الضروري الاهتمام بنوع ما يقـدم للجمهور عبر هـذا الجهاز، والتشديـد في انتقاء الطـاقم البشري الذي يديره ويعـد وينفذ برامجه ويقدم مواده والتأكيد على تـوصيل ما يقدم من خلاله بلغـة فصيحة نقية ثرية وسلسة عذبة مـلائمة للجمهور بجميع مستوياته وطبقاته وأصنافه.

التلفاز

إذا أصبح لــ «الراديو» في عصرنـا الحاضر هذه الأهمية الكبيرة وهـذا الدور الخطير في نشر اللغة أو في إمداد مـن تتوافر له الفرص لسماعـه بحصيلة لفظية وافرة، فإن للتلفاز الدور الأهم في ذلك، وخاصة بالنسبة للأقطار التي يغلب

فيها استخدام هذا الجهاز كالأقطار العربية، ودول الخليج منها بصورة أخص وذلك للأسباب التالية :

١- لقد دلت كثير من البحوث الميدانية التي أجريت في عدد من الدول العربية على أن التلفاز أصبح المصدر الأول للإعلام وللثقافة العامة بالإضافة إلى كونه أداة للإمتاع والترفيه، متفوقا بذلك على وسائل الاتصال الأخرى(١١). وهذا بالطبع يعني اتساع رقعة انتشاره وسعة نفوذه ومن ثم تأثيره في مجال تنمية اللغة على أساس أنها الوسيلة الأولى التي يتم بها توصيل المواد الإعلامية والثقافية وربما المواد الترفيهية أيضا من خلال هذه الأداة.

٢- أصبح مجال البث التلفزيوني في الأقطار العربية وفي دول الخليج العربي بصورة أخص واسعاً في عصر الفضاء الحالي، بفضل الأقمار الصناعية متوسطة القوة وأقمار البث المباشر غزيرة الإشعاع، بحيث أضحى بالإمكان استقبال قنوات تلفزيونية متعددة من عدة جهات أو من عدة أقطار، وهذا يعني إعطاء فرص كثيرة للمشاهد للتنويع والتنقل وبالتالي شده للمشاهدة مددا أطول، ومن ثم إعطاء مساحات زمانية أوسع للتأثير والاتصال اللغوي، هذا بالإضافة إلى اتساع إمكان استغلاله كوسيلة للتثقيف اللغوي على المستوى الإقليمي وليس على المستوى المحلي فقط.

٣- أنه في التلفاز تشترك الصورة والصوت والنغم والحركة في توصيل المعلومات ويشترك سمع المشاهد وبصره في التقاط هذه المعلومات، وعن طريق المشاهدة قد يتضاعف اكتساب المعارف واكتساب اللغة وتلقن أو التقاط ألفاظها وتراكيبها المختلفة، كنوع أو جزء من هذه المعارف، إذ «إن العين البشرية قادرة على التقاط قدر كبير من المعلومات بحيث يعجز الدماغ أحيانا عن هضمها وتحليلها كلها»(١٢).

إن الألفاظ وأساليب القول المختلفة تتردد وتتكرر خلال التلفاز مقترنة في الغالب بالصور الملونة والمشاهد والحركات أو الأصوات المسموعة والطرق

الأخرى الموحية المؤثرة، وبذلك تتجسد وتبرز حية في إطار عملي فعلي جاذب، مما يجعلها تعلق في الذهن وتثبت في الذاكرة وترسخ مدلولاتها أو معانيها في تصور المشاهد والسامع المنصت، ومما يزيد من أهمية هذا الجهاز وفاعلية دوره في تنمية المهارة اللغوية جنبا إلى جنب مع تنمية الحصيلة الثقافية، أنه قابل للنقل، سهل الاستخدام أيضا، هذا بالإضافة إلى أنه مصدر متعة للكبار والصغار، يشد إليه الناس على مختلف طبقاتهم وأصنافهم وأعمارهم وأذواقهم ومستوياتهم العقلية والثقافية.

ومع أن المكتبة العربية ــ على حد علمي ــ تفتقر إلى وجود إحصائية تبين نسبة المفردات اللغوية العربية الفصيحة التي يكتسبها طفل ما قبل المدرسة ثم طفل المدرسة من خلال مشاهدته لبرامج التلفاز، فإن من المؤكد أن التلفاز يشارك مشاركة فعالة في تنمية محصول الطفل من الكلمات والتعبيرات العربية الفصيحة، سواء ببرامج الأطفال التي تقدم باللغة الفصحى كبرنامج «افتح ياسمسم» وبعض الأغاني والأناشيد والتمثيليات العربية أو المترجمة والمسابقات وأفلام (كارتون) والإعلانات التجارية[١٣]، أو بالبرامج التي تقدم باللغة الفصحى للكبار ويشاهدها الأطفال عرضاً، مثل المحاضرات والبرامج الإخبارية وبعض البرامج العلمية والثقافية العامة. هذه بلا شك تعود على الأطفال بمحصول لغوي جيد، لاسيما إذا تهيأ لهم من يساعدهم على فهم العبارات أو يفسر لهم الكلمات والتراكيب الغامضة التي تشتمل عليها من الراشدين أو ممن يكبرهم سناً من أفراد أسرهم بنحو عام.

جوانب قصور وسائل الاتصال المستخدمة في مجال تنمية اللغة

رغم كل ما تقدم فإن للأجهزة المذكورة جوانب قصور في تنمية الحصيلة اللغوية، ولا يخلو استخدامها من محاذير وسلبيات يفترض تشخيصها أو التنبيه إليها في هذا المجال بغية الإشارة فيما بعد إلى طرق معالجتها أو تفاديها أو الحد من آثارها.

١ - إن اللغـة المستخدمـة خلال هـذه الأجهـزة تكون في الغـالب لغـة مبسطة، وربما كانت عامية فقيرة ضعيفة المستوى[١٤]. لأن هذه الأجهزة (باستثنـاء التلفزيون التعليمي) أجهـزة إعلامية بالـدرجة الأولى تهدف كما سبقـت الإشارة إلى إيصـال الخبر والإعلان الـرسمـي والمعلومـة السياسيـة والثقافية الخفيفة السريعة، هذا بالإضـافة إلى كونها ترفيهية عامة تهدف إلى الإمتاع والتسلية. وهي كبقية الوسـائل الإعلامية الأخرى تخاطب الجمهور بكل فئاتـه ومستوياته، وربما تـدعي أنها مضطرة لأن تجعل لغتهـا مبسطة مـألوفـة لدى هـذا الجمهور ليفهمهـا كل أفـراده: المثقف وغير المثقـف، المتعلـم والأمي، الخاص والعـام، الكبير والصغير، وبذلـك تتمكن مـن تحقيق الأهداف التي وضعت من أجلها، فلو ارتقت بمستوى لغتها فلربما عجز الكثيرون من ذوي المستـويات اللغوية أو الثقافية الـواطئة عن إدراك واستيعاب مـا تقدمه مـن مواد أو موضـوعات، وإذن فمستوى اللغـة من حيث المفـردات والصيغ وعـددها ونـوعيتها أن يكـون أقل ممـا يحتاج إليـه المثقف الطامح للمشاركة في عملية الإبداع والإنتاج بفعالية جيدة.

٢- من الملاحظ أن طـائفة كبيرة من العبارات والصيغ والتراكيـب اللغوية كثيرا مـا تتكرر في لغـة هذه الأجهـزة وخاصـة في البرامج الثـابتة مثـل: «نشرة الأخبار»، «جريـدة المساء»، «مايطلبه المستمعون أو المشـاهدون»، وعدد غير قليل من البرامج الـرياضية والترفيهية التلفزيونية المألـوفة في العالم العربي. كما أن بعضاً آخـر من البرامـج تتكرر فيهـا مجموعـات كبيرة من المفـردات لتشابـه الموضوعـات، أو تكون الكلمات والعبارات المستخـدمة فيهـا قريبة مـن اللغة المألوفـة أو الدارجة، ولا تستبدل بها مـرادفات لها جديدة فصيحـة، ربما كان ذلك خوفـا من أن تكون غريبـة صعبة الفهم على عامـة المستمعين. وخلاصة القول أن نسبة مفردات اللغة وصيغها الجديدة التي يمكن أن يحصل عليها من يستخدم هذه الأجهزة في الغالب تكون أقل من النسبة المطلوبة لتكوين طلاقة لغوية عالية.

وقد تشمل محدودية اللغة وضيق مداهـا حتى البرامج التلفزيونية التعليمية التي تهدف أسـاسا إلى تطـوير المهارات اللغـوية ، فقـد أخذ على البرنـامج أو المسلسل العربي «المنـاهل» أنه يربـط تعليمه للقراءة والذي يعتبر هـدفه الأول «بالطبخ والموسيقـى ونحو ذلك مما لا ينسجـم مع التطلعات المنوطـة بالتعليم والتربية في البـلاد العربيـة» ، بحجة «أن في ذينك مـا هو أقـرب إلى اهتمامات الأطفال ، وأن المسلسل مقصور على تعليم القراءة وحسب»[١٥] .

٣- يتلقن الفرد من خلال هذه الأجهزة الكثير من المعاني والألفاظ والصيغ الدالة عليهـا ، ولكنه لا يمارس ما يتلقنه أو يتلقـاه منها ممارسة فعليـة مباشرة ، لأنـه لا يتجاوز أن يكـون متلقيـا منصتاً صـامتـاً ، وأن الحديـث خلال هـذه الأجهزة مـن جانـب واحد[١٦] . وهذا مـا يجعل عددا مـن النماذج والمفردات اللغويـة التي يستفيدهـا من خـلال ما تقدمـه من برامـج عرضـة للنسيان أو الاختفاء والترسب . وبنـاء على هذا التقدير فإن الحصول اللغـوي المستفاد من خلال هذه الأجهزة ربما يكون قليل الفعالية أو محدودها .

٤- قد تستحوذ المشاهـد والصور المتحركة التي تعرض على شـاشة التلفاز أو جهاز الفيـديو على لب النـاشىء وتشده إليها ، بما تحويـه من صور ملـونة مبهجة ومنـاظر متحركة أخـاذة ومشاهد مثيرة وما يـرافق هذه الصور والمنـاظر والمشاهـد عادة من أصـوات جميلة يتفاعل معهـا بشدة ، ونتيجة لهذا التفـاعل يغفل الناشىء عن متابعة ما يـرد في سياق الكلام المنقول عبر هذين الجهازين من مفردات لغوية ومعان جديدة فلا يكتسب منها إلا اليسير.

٥- الأغاني والألحان الموسيقية التي يسمعها الإنسان ، سواء عبر الراديو أو التلفاز أو عبر أفلام الفيـديو الغنائية ، هذه قد يكـون لها أثرها الكبير في إمتاعـه وتهذيب ذوقه أو شحـذ مواهبه الفنيـة ، ولكنها قد تكـون ذات أثر سلبي عليه أيضا ، أو تكون عديمة التأثير من الناحية اللغوية ، لا سيما إذا كانت كلمات الأغاني واطئة المستوى عاميـة أو مبتذلة ، لا تشكل إضافات

للحصيلة اللغوية، كما هو الحال بالنسبة لبعض الأغاني العربية التي تقدم من خلال هذه الأجهزة(١٧). هذا بالإضافة إلى أن هذه الأغاني والألحان قد تستهوي السامع فيلذ له الدندنة والترنم بها وترديدها، مما يلهيه عن متابعة فقرات أخرى أو يصرفه عن القيام بنشاطات أخرى قد تعود عليه بفوائد لغوية أكثر من حيث الكم والنوع، وبذلك تصبح مهمة هذه الأجهزة بالنسبة له هي الإمتاع بالدرجة الأولى.

٦- إن انشداد المشاهد للمناظر والحلقات والأفلام التلفزيونية المثيرة قد يصرفه عن المخالطة والحديث مع الغير، ويحرمه بصورة عامة من الاتصال الاجتماعي الفعلي المباشر، سواء مع أفراد أسرته أو مع أصدقائه وزملائه وجلسائه، ومن ثم يحرمه مما يمكن أن يعود عليه من هذا الاتصال من محصول لغوي ربما يكون أكثر إيجابية مما يكتسبه من الأجهزة المذكورة، لتوافر عنصر الممارسة والمقايضة اللغوية فيها. وهذا الاحتمال يزداد إذا كان المستخدم لهذه الأجهزة ناشئاً غرا، لا يمتلك كامل إرادته ولا تتوافر الرقابة الكافية على تصرفاته، ولم تكن أعماله تخضع لجدول معين سديد مرسوم من قبل الأبوين أو من قبل من يتولون رعايته على وجه العموم.

٧- يقدَم من خلال التلفاز العربي على سبيل المثال عدد من البرامج والأفلام الأجنبية والمسرحيات، وكثيرا ما تجتذب هذه البرامج والأفلام المشاهد، لحسن إخراجها وجمال مشاهدها، فتوجد لديه نوعا من الانبهار وتجعله يأنس إليها ويستمر في مشاهدتها، ولذلك مساوىء ومحاسن، إذ إن متابعة الناشىء لمثل هذه البرامج والأفلام قد يعرفه على لغتها الغريبة أو يعينه على تنمية مهاراته في هذه اللغة، وهذا في حد ذاته مكسب جيد نافع لمن قصد تعلم هذه اللغة، غير أن هذه المتابعة قد تؤدي أيضا إلى تسرب مجموعة كبيرة من ألفاظ وصيغ وعبارات هذه اللغة الأجنبية إلى لغته الأصلية، وبذلك تعرضه مع مرور الزمن لخطر الخلط والتداخل اللغوي أو الازدواجية اللغوية التي سبق الحديث عنها وعن سلبياتها، وبالتالي فإن التلفاز عبر البرامج والأفلام والمسرحيات

الأجنبية قد يـؤدي إلى تقليص حصيلة الناشـىء من مفردات لغته بـدلا من أن يغْنيها، ويضعف قدرته على الإفصاح في التعبير بها بدلاً من أن ينميها.

٨- كثرة المشاهدة للصور الصغيرة المتحركة على شاشة التلفزيون من شأنها أن ترهق الأعصاب البصرية وتتعب العين وربما تؤدي بالناشىء في المستقبل إلى أن يجد صعـوبة في القـراءة، وبذلـك تقل فـرص الاستفادة مـن مورد فكـري ولغوي مهم.

تتساءل البـاحثة «ماري وين» في استنكـار واستغراب عن التلفـاز في حياة الطفل فتقول:

«هل هذا تلفاز حقيقة أو مخدرات؟»، وتنتهي إلى أن التلفاز مع ما يعود به على الطفل من فوائد ومـع ماله من إيجابيات بوجه عام هـو أشبه بالمخدرات، (لأنـه يسلب الطفـل المشاهـد إرادتـه ويعوده الاسترخـاء العقلي ويبعده عـن التركيز ويقلـل من قدرتـه على الفهم، وهذه أمـور لا تضيع عليه فـرص تنمية لغتـه وحسب، وإنما تنعكـس على تحصيله المدرسي والـذي يحتاج إلى التركيـز والفهم واليقظة وحيويـة الفكر، وبالتالي فإنها تؤثـر على تحصيله الفكري وعلى نمو شخصيته[١٨].

٩- تتسرب عبر التلفاز أو (الـراديو) في كثير مـن الأحيان ألفـاظ وعبارات وتراكيـب لغوية غير سليمـة في نطقها أو غير صحيحـة في تركيبها وصيـاغتها وتختلط بمفـردات اللغة، ويلتقطهـا أفراد الجمهـور دون وعي منهـم، وتشيع بينهـم دون إدراك لعـدم صلاحها أو سـلامتها. ويحدث ذلك في العـادة نتيجة لسـوء ترجمة بعـض البرامج الإذاعيـة والتلفـزيونيـة العـربية، أو لتـأثر بعـض المذيعين بلغة أجنبيـة معينة أو بأخـرى أو نتيجة لعـدم وجود الكفاءة اللغـوية لدى بعض آخـر منهم، أو لعدم تلقي هـؤلاء المذيعين عامة التدريـب الكافي وعدم اهتمامهم باللغة على النحو المطلوب. ومهما كـانت أسباب هذه الظاهرة فإن لها بـلاشك نتائج سلبية خطيرة على اللغـة وعلى مستخدمي هـذه اللغة، ولاسيما الناشئة منهم[١٩].

كتب نجيب محفـوظ في زاوية «وجهة نظر» في جريدة الأهـرام بعنوان «لغتنا والإذاعة» يقول[٢٠] : «من حين لآخر تثار مشكلة اللغة العربية في التلفزيون، كيف تلقى على النـاس متعثرة بأخطاء النحو والنطـق، وكيف تعمل على نشر الخطأ على أوسع نطاق بقوة التلفزيون وهيمنته على الحواس والأذواق».

وكتـب محمود عبـدالمنعم مـراد في مجلة «أكتـوبر» بعنـوان «لغتنا المسكينـة» فقال: «كتبـت كما كتب كثيرون غيري عـن جرائم انتهـاك لغتنا العـربية، في صحفنـا ووسائل إعـلامنا المسمـوعة والمرئيـة. . . وقد يـرى البعض أن هـذه مسائل شكلية غير ذات أهمية، وهنا تكمـن المصيبة الكبرى، إن إهدار اللغة هو إهـدار لشخصيتنا وتـراثنا وثقافتنـا ولواحـد من أهم مقـومات أمتنـا. إنه استهانة وعبث خطير لا يمكن أن نمل الكتابة عنه، ولفت النظر إليه».

إضافة إلى كل ما سبق ذكره مـن نواحي القصور في أجهزة الاتصال الحديثة المستخدمة في عالمنا العربي في الوقت الراهـن عامة، ومن سلبيات تعود بالآثار السيئة على اللغة، فإن للتلفـزيون بصورة خاصة آثارا سلبيـة على الناشيء من الناحيـة الصحية والسلـوكية والثقافيـة لا يمكن تجاهلهـا. فهذا الجهـاز يشد الناشـيء ويجذبه إليه بما يعـرض من خلالـه من مشـاهد وصور متحـركة مثيرة ووسائل إغراء أخرى، ولكنه قد يجره إلى الإدمـان على المشاهدة، إذا توافر لهذا الناشـيء الوقت ولم يتـوافر التوجيه الـلازم، والإدمان على المشاهـدة عبر هذا الجهاز له نتائج وخيمة العاقبة منها:

أ- أن الأشعـة الصادرة مـن شاشـة التلفزيـون وحـركة المشـاهد والصـور السريعة قـد تؤثر مـع مرور الزمن على الظـلال والأعصاب البصرية للنـاشيء وتنقص قدرته على التركيز وقد تقلل من قابليته على الفهم أيضا.

ب- كثافة العرض والسرعة في حركـة المشاهد قد تحول دون معالجة وهضم أو استيعاب الناشـيء للمعلومات المقدمـة من خلال هذا الجهـاز على النحو المطلوب، خـاصة عنـدما يكـون هذا الناشـيء المشاهـد محدود الذكـاء بطيء الإدراك أو الملاحظة.

ج- إن إدمان مشـاهدة التلفزيون يـولد لدى المشـاهد عامة ولـدى الطفل الناشيء بنحو خاص نوعا من السلبية والـلامبالاة بمجريات الأمور من حوله وينسيه كثيرا من التـزاماته ومسؤولياتـه . كما أن جلوسه فترة طويلة أمـام شاشة التلفزيون يولد لديه الخمول والكسل وعدم الميل إلى الحركة وإلى ممارسة التمارين الرياضية ، وقد يؤدي ذلك إلى فقدانه للياقته البدنية وإلى تعرضه لأضرار نفسية وجسدية وعقلية أيضا ، وربما تؤثر هـذه الأضرار بدورها في علاقاته الاجتماعية فتقلل مـن رغبته في الاتصـال بالآخـرين . ولذلـك تحرمه مما قد يكتسـب من خلال هذا الاتصال من مهارات لغوية .

د- كثيرا ما ينجذب النـاشيء إلى المشاهد المثيرة التي يكثـر فيها العنف وحـوادث الإجـرام والأعمال البهلوانيـة ، والإدمـان على متـابعة مثـل هـذه المشاهد كثيرا مايؤدي إلى إثارة الأعصاب وإيجاد نـوع من التشنج ويزيد من حدة الانفعال ويقود إلى العنف والخشونة في التصرف ، كما أنه قد يفضي إلى تبلد العـواطف وإضعاف أحـاسيس الشفقة والـرحمة ، هذا إضافـة إلى ما يؤديه من نفور من القراءة التي تقتضي في العادة سكون النفس وهدوء البال وراحة الأعصـاب لتؤدي دورها في عمليـة التثقيف والتطويـر اللغوي على الوجـه السليم[٢١] . ولا يخفى أن خشونة الطبع وسرعـة الانفعال أو حدته من شأنها أن تخلق نـوعا من التنافر، وتقلص من فرص الاتصـال بالآخرين أو من توثيـق الارتباط الحميم بهم ، وبذلك تكون سببـا في تقليل المحصول اللغوي المستفاد منهم .

رغـم وجود السلبيـات المذكورة فـإن مـن الممكن أن يكـون جهاز التلفـاز وجهاز (الـراديو) معاً أكثر فـاعلية في تنمية المهـارات اللغوية لدى النـاشيء ، وخـاصة النـاشيء الصغير المؤهـل لتلقـن اللغة ، إذا كـان هناك اهتمام كـاف بالدور التثقيفـي الذي يؤديه كل مـن هذين الجهازين ، وأمكـن استغلال كل منهما بوعي وحرص كأداتين لنشر اللغة القومية وتنمية حصيلة الناشئة والمتلقين

عامة من مفـرداتها وصيغها وتراكيبها السليمة المنتقاة، وممـا يساعد على تحقيق ذلك ـ وعلى مستوى العالم العربي بصورة أخص ـ ملاحظة الأمور التالية[٢٢] :

١- زيادة البرامـج التعليمية التي تـولي اهتماما خاصـا بالمفردات اللغـوية وبطرق نطقها وبيان معانيها وطـرق تركيبها وكيفيات وحالات استعمالها، مثل برنامج (شارع السمسم) المشهور وبرنـامج (المناهل). وكذلك زيادة حلقات مثـل هذه البرامـج، ومضـاعفـة فترات بثها، واختيـار الفترات الملائمـة لهذا البث، كفترات العطل الرسمية والمناسبات التـي يكون الناشئة فيها حاضرين في منازلهم وتتاح لهم فرص المشاهدة.

٢- متابعـة ما يحصـل للبرامج الأجنبيـة المترجمة من تطـورات في الأصول، والسعي لتطويـر ما يترجم من هـذه البرامج، وكذلك العمـل بحرص تام على ربطها بـالواقع الفعلي والبيئـة المحيطة بالجمهـور، واستيحاء الصور والمشـاهد المشوقـة والحركات أو الفعاليات المثيرة التـي تجسد الألفاظ وتجسد معـانيها في أذهان الناشئة، أو تقربها إليهم وتثبتها في ذاكرة كل منهم من هذا الواقع وهذا المحيط. لا أن تترجم المشاهد والمناظر والشخصيات من الأصل الأجنبي ترجمة حرفية بعيدة عن النظر إلى المحيط أو الوسط الاجتماعي الذي تعرض فيه.

إن انتزاع المشاهد والصور من محيط المشاهد نفسه ومن واقعه الاجتماعي الـذي يعيشه، واختيـار المشخصـات والشخصيات الحيـة التـي يراهـا أو يتصور وجـودها في هذا المحيـط وفي هذا الـواقع، يجعلها أقـرب إلى نفسه ويجعله أكثر تفاعلا معها، ويجعل أفعـالها وحركاتها ألصق بفكره وخياله، كما يجعل الألفاظ والصيغ والتراكيب اللغـوية التي تنطقها أو تعبر عنها أو ترتبط بها أعلق بذهنه وبذاكرته.

٣- انتقـاء الألفـاظ وتقـديمهـا عبر البرامـج المذكـورة في سيـاقـات وارتباطات ملائمة، وعلى نحو مرحلي تدريجي، تراعى فيه قدرات الناشئة العقلية وقـابلياتهم على التصـور والحفظ والإدراك والفهـم، كما يراعـى فيه

عدم التكرار الممل للصيغ والتراكيب اللغوية . ويمكن أن تقدم مجموعات كبيرة من المفـردات اللغويـة على سبيل التمثيل عبر بـرامج أدبيـة تتضمن الفقرات التالية :

أ- قراءة بعـض النصوص القرآنيـة أو نصوص الحديث النبـوي الشريف . (هذا بـالنسبة للمسلمين) وبيان ما تشتمـل عليه هذه النصـوص من جمال تعبيري أو لغوي .

ب- قراءة بعض النصوص الأدبية الجذابة المتميـزة بموسيقى عباراتها وجرس ألفاظها ، بالإضافة إلى حسن مضامينها ، ثم التنبيه على الألفاظ الجديدة أو الجميلة والمعاني السامية التي تشتمل عليها هذه النصوص .

ج- حكاية القصص القصيرة المشوقـة المثيرة والطرائف الممتعة المسلية التي يمكن أن تستغل الصـور المتحركة والعمليات الفنية المتـاحة في سردها وعرض أحداثها .

د- تقديـم دروس منظمة ترتبـط بصورة أو بـأخرى بالمقـررات المدرسية وبمقـررات اللغة والأدب والبـلاغـة بنحـو خاص ، على أن يعلـن بصورة مستمرة عن هذه الدروس وعن أوقات تقديمها أو بثها وعن مدى أهميتها .

٤ – تقديم مسلسلات الأطفال كالقصص والمغامرات باللغة الفصحى المبسطة ، أو كما يسميها البعض بـ «اللغـة المخففة» ، أي اللغة التي تكون وسطاً بين العـامية المنقحة المهـذبة والفصحى العـالية[٢٣] ، مـع مـراعـاة إدخال المفـردات اللغويـة الجديدة فيها بشكـل تدريجي ومستمـر ، وتجنب تـرجمة المسلسلات الأجنبيـة منهـا ترجمة حـرفيـة ، لأن ذلـك قد يـؤدي إلى صعوبة فهـم العبارات أو الألفاظ المستخدمة فيهـا على النحو المطلوب أو إلى التعود على التعبير اللغوي غير المقبول في الوسط الثقافي الذي يعيشه أو سيعيشه الناشىء .

إن البرامج والمسلسلات التي تقدم للطفل باللغة الفصحى السليمة تجعل اللغة القومية محببة إلى الطفل، قريبة منه، مألوفة مأنوسة لديه، سهلة المنال يمكن إتقانها. وليس هناك ما يدعو إلى اللجوء إلى لغة عامية إقليمية تحدد الاكتساب اللغوي والفكري للطفل وتضيق عليه آفاقه الثقافية، وتظهر له اللغة الأم وكأنها لغات شتى متفرقة مختلفة يصعب التمكن منها.

لقد اختير في أثناء إعداد مؤسسة الخليج لبرنامج «افتح ياسمسم» أطفال من الكويت وعمان والقاهرة وتونس، «وأجريت عليهم تجارب لغوية بين عامي ١٩٧٧-١٩٧٨، خرج الدارسون منها بنتيجة مهمة مفادها أن الأطفال العرب يفهمون الفصيحة لأنها محيطة بهم، على الرغم من ضعف مقدرتهم على التحدث بها، وقد أثبتت هذه الدراسات أن مهارة الفهم اللغوي تختلف كثيرا عن مهارة الإنتاج اللغوي، وفي ضوء هذه الدراسات اختيرت الفصيحة لغة للبرنامج، وحققت أهدافها بعد أن تم تنفيذه وعرضه في الأقطار العربية. حتى أن العاملين في حقل ثقافة الطفل لم يجتمعوا على جودة برنامج تلفازي للأطفال كاجتماعهم على جودة «افتح ياسمسم»، والأطفال أنفسهم لم يكونوا أقل شأنا من الكبار في اجتماعهم على هذا البرنامج وترديدهم عباراته وألفاظه وأغنياته ومواقفه»(٢٤).

٥- زيادة عدد البرامج العلمية أو الثقافية التي تقدم باللغة الفصحى (بالنسبة للعربية)، والتي تكون في الغالب محببة إلى المشاهدين ومن ضمنهم الناشئة، سواء كانت هذه البرامج منتجة محليا أو مترجمة مثل برامج «عبر التلفزيون» ـ «ترانس تيل TRANSTELL» التي يتولى إصدار بعضها صندوق رعاية الطفولة التابع لهيئة الأمم المتحدة UNICEF، «الأرض كما يراها العلماء»، «الماء هو الحياة»، «عالم المعرفة»، «عالم الطبيعة»، «عالم الغد»، «سباق نحو القمة»، «ما بعد الألفين»، وأرجو أن يكون البرنامج الأخير قد ترجم إلى اللغة العربية... على أن يقدم وينفذ هذه البرامج كلها أناس

متمكنـون، أي ممن يمتلكـون ثقافـة لغويـة وافيـة ويتميزون بطـلاقة تعبيريـة جيدة، ونطق سليم، وأصوات رخيمة ملائمة، فذلك له أثر كبير على جذب المشاهـدين والمستمعين صغارا وكبارا وشـدهـم إلى هذه البرامج ونقـل مفردات اللغة إليهـم على الوجه السليم وتشجيعهـم بطريق مبـاشر أو غير مباشر على التقاط نسبة كبيرة من المفردات بنطقها السليم ومعانيها الصحيحة.

٦- إن للمذيعين ومعدي ومقدمي البرامج الدائمة في المذياع والتلفزيون معاً دوراً كبيراً في نقل مفردات اللغة، لاستمرارية تواصلهم مع الجمهور، وربما يكون لهذا الدور سلبياتـه على لغة هذا الجمهور إذا لم يتمتـع هؤلاء بالكفاءات اللغـوية والصوتية والإلقائية اللازمة، ولهذا كان لابد من انتقاء طائفة ممن يتمتعون بطلاقة فكريـة وطلاقة وثقافـة لغوية عـالية وقدرات متميزة على الإلقـاء والأداء الصوتي والنطقي السليـم لتـولي الوظائف المشار إليهـا، ومواصلة تدريبهـم وإعدادهم، ليس فنيا وثقافياً فحسب بل لغويا أيضا، أي العمل على تقوية مهاراتهم اللغوية وقدراتهم الخطـابية(٢٥). ثم إلزامهم أو حثهم على الالتزام بأصول وقواعد اللغة في كل ما يتولون من مهام مرتبطـة بها، وحثهم كذلك على متابعة ما سيحدث أو يوضـع من قبل المؤسسـات اللغوية من مصطلحـات وتراكيب وصيـغ وألفاظ، وعلى تحكيم الـذوق الفني ومراعاة المعـايير الحضارية الملائمة للعصر ومقـاييس اللغة السليمة في انتقاء المفردات والتراكيب اللغـوية التي يستخدمونها في التعبير عما يراد نقله من أخبار ومعلومات وأفكار ومعان ومشاعر. . .

٧- يستحب أن يتـولى تنفيذ أو تقديم بـرامج ومسلسلات الأطفال نـاشئة ممن يتمتعون بمهارات لغوية متميزة وطـلاقة فائقة في التعبير، فمن الملاحظ أن الأطفال يميلـون في الغالب إلى تقليـد الكبار في كثير من التصرفـات، ولكنهم يتأثرون أيضـا بأندادهم في الســن بشكل سريع ولا إرادي أحيانـاً، وخاصة في مجال اللغة، فالطفل يسارع إلى التقاط الكلمة من طفل مثله، ولربما اندفع إلى ذلك بدافع التقليد والمحاكاة، أو بروح التحدي أو المنافسة، أو بدافع الطموح إلى بلوغ مستوى من يفوقه في مهارة معينة.

٨- إن الأفلام والتمثيليات المناسبة تشارك بلاشك في تنمية المهارة اللغوية لدى الناشيء، غير أن الملاحظ أن الطفل ينشد إلى المشاهد والأحداث في هذه الأفلام والتمثيليات ويتابع تطوراتها، دون التفات إلى الجانب اللغوي. هذا مضاف إلى أن اللغة التي تستخدم في عرض مثل هذه المواد عادة ما تكون ضيقة الأفق محدودة العناصر، حيث إن المشاهد والصور هي التي تتولى في الغالب تجسيد الأحداث والأفكار والمعاني والمشاعر وليس الكلمات، كما أن اللغة المستخدمة فيها غالبا ما تكون العامية المبتذلة العناصر، القاصرة عن اللغة الفصحى في الكم والنوع وسعة التأثير وفي القيمة الإبداعية كما سيتبين ذلك، لذلك كان من المقترح أن تثري لغة الأفلام والمسرحيات والمسلسلات التلفزيونية، وأن تخضع المفردات المستخدمة فيها لعملية انتقاء متأن مدروس دون أن يؤثر ذلك في عفوية العرض وسلاسة الأسلوب، وأن تستخدم في تأليفها وإخراجها اللغة الفصحى المبسطة، أو ما يطلق عليها أحيانا باللغة الوسطى التي ترتقي بلغة العامة دون أن تكون غريبة عليهم ودون أن تهبط بلغة الخاصة، وبهذا تكون مشاركة التلفزيون في تنمية الحصيلة اللغوية للمشاهد بهذه الفقرات أو المواد أكثر إيجابية.

٩- يسعى مسلسل (المناهل) المذكور آنفا إلى إغناء الحصيلة اللغوية لدى الناشئين، وذلك من خلال عدد من الفقرات ذات المشاهد والصور المتحركة والنصوص المقروءة مثل: «مطبخ فرحان»، و«دكان كل شيء» و«قصص للذكرى» و«شجرة المفردات» وغيرها. غير أن الحصيلة اللغوية التي يمكن أن تستفاد من مثل هذه الفقرات وغيرها ماتزال ضعيفة محدودة، لأن البرنامج يركز على تعليم الأطفال القراءة في مراحلهم الدراسية الأولى، بينما يمكن أن يستغل البرنامج لتنمية المهارات اللغوية الأخرى أيضا، وخاصة مهارة التعبير، وذلك عن طريق الارتقاء التدريجي في مستويات النصوص والمفردات والموضوعات التي تقدم، وعن طريق عمليات بناء الجمل وتكوين العبارات منها، بالإضافة إلى توسيع المعجم الناطق والمصور، فبهذه الإجراءات يمكن

أن يرتقي البرنامـج في مادته اللغوية والثقافية إلى مستويـات تتجاوز مستويات مراحل الدراسة الأولى ويكون أبعد أثرا وأعم نفعاً.

١٠- بعض البرامـج التعليمية كبرنـامج (المنـاهل) السـابق الـذكر تقـدم مجموعات مـن الكلمات المنتقاة وتبين طرق نطق هـذه الكلمات، ولكن دون أن توضـح أو تجسد وتصـور ما تـدل عليه أو تـوحي بـه هذه الكلمات مـن معان وأفكار ومواقف، ولاشك في أنه من الضروري ربط الكلمات والصيغ الكلامية التي تقـدم ربطاً فعلياً مباشراً بمعـانيها أو مسمياتها والمواقـف المثيرة لها. فقد سبق القـول إنه لا فـائدة من معرفـة أو حفظ الألفاظ دون معـرفة مـدلولاتها، إضافـة إلى أنه قد يكـون من الصعـب على الناشيء حفـظ الكلمات مجردة من مدلولاتها أو تذكـر هذه الكلمات في الوقت المناسب دون أن يكـون قد ارتبطت في ذهنه مـن قبل بسيـاقات أو مواقـف معينة بينما يصبـح من السهـل حفظها واستحضـارها عنـدما تقترن بما يجسـد أو يوحـي بمعـانيها مـن صور ورسـوم ومثيرات خاصة.

١١- لقد ثبـت من البحـوث الميدانية التـي أجريـت في عدد مـن البلدان الأوروبية بشأن التعـرض للقنوات الوافدة أن المواطـن يميل إلى أن يقضي وقت فراغـه في مشاهدة البرامـج الوطنية ـ إذا كـانت هذه البرامـج تلبي احتياجـاته الثقافيـة وميولـه الفنية وتتماشـى مع ذوقـه، وكانـت مقدمـة بلغته القـومية أو الـوطنية، حتـى مع إجـادته لإحـدى اللغات الأجنبيـة التي تقـدم بها برامـج أخرى[٢٦]. وأعتقد أن ذلك يمكن أن ينطبق على كثير من الدول العربية إذا لم يكن كلها. وبناء عليه فإنه يمكن استغـلال هذا الميل بالارتقاء بالمستوى الفني ومستوى المادة والأداء للبرامج التلفزيونية المحلية، بحيث تتناسب هذه البرامج مـع أذواق المواطنين على مختلـف طبقـاتهم وميـولهم ومستـويـاتهم العقليـة والعلمية، وتلبي حاجاتهم الإعلامية والاجتماعية والثقافية وتتسم بدرجة عالية من الجودة تنافس بها البرامج الوافدة المقدمة بلغاتها الأجنبية الأصلية، وبذلك

يمكن للمواطنين أن يستغنوا بمشاهدتها عـن مشاهدة البرامج الأجنبية وتقوى صلتهم بلغتهم وتثري حصيلتهم من هذه اللغـة ومن مفرداتها عن طريق هذه المشاهدة، كما يمتنع أو يقل الخطر من تعـرضهم للازدواجية اللغوية أو تسرب الألفاظ والعبارات والمصطلحات اللغوية الأجنبية إلى لغتهم(٢٧).

١٢- متـابعة الأخطـاء اللغـوية التـي تتسرب مـن خـلال الأجهزة المذكـورة، والعمل بحـرص ودأب على تصحيحها والتنبيه عليها للحـد من شيوعها وتـأثيرها على اللغـة. ويفترض أن يتم ذلـك بتعـاون الجهات المسـؤولـة عـن هذه الأجهـزة والمباشرة لها مع المؤسسات اللغوية والجهات العلمية ذات العلاقة(٢٨).

١٣- يمكن تفادي بعـض الأخطار أو الأضرار الناجمة عن إدمـان الناشئة على مشاهدة التلفزيون وتوجيههم إلى الاستفادة لغوياً وثقافياً مما يشاهدونه من برامج عن طريق الإجراءات التالية:

أ- تـوجيه النـاشـىء من قبـل أبـويه أو مـن قبـل المشرفين على تربيتـه إلى مشاهدة البرامج التعليمية الثقافية والبرامج والأفلام المسلية الخالية من مشاهد العنف والتـي تتناسـب مع مستواه العقلي وتتحـدى قدراته اللغـوية لتطـورها وتنميها. ولا يترك له الاختيـار دائما، لأنه قد يختار منها مـا يضره أو ما لا يعود عليه بالنفع الكثير.

ب- تحديد فترات المشاهـدة للناشىء، وتشجيعه على وضـع جدول زمني يومي متوازن لأوقات فراغه، يجمع فيـه بين مشاهدة بعض البرامج التلفزيونية وبين القراءة الحرة واللعب أو زيـارة الأصدقاء والجلوس مـع أفراد الأسرة وقت مجلسهم، كما يتضمن المساعدة في أداء بعـض الواجبات والأعمال التي تختص بإدارة وتصريف شؤون المنزل. (هذا بعد أداء الواجبات المدرسية بالطبع).

ج- متابعة ما يشاهده الناشىء من برامج وفقرات وأفلام، وتصحيح ما قد يبدو فيهـا من أخطـاء لغويـة وتفسير ما قد يـرد ضمنها مـن مفردات لغـوية غامضة أو غريبة على الناشىء، وتبسيط ما قد يصعب عليه استيعابه وإدراكه

من مفاهيم ثقافية أو حضارية، إضافة إلى تنبيهه على الجوانب السلوكية المرضية والجوانب المرفوضة ومساعدته على التفريق بين ما يتناسب معه وما يختص بالراشدين، (هذا مع افتراض أن من يتولى تربية الناشيء ورعايته قادر على القيام بالمهام المذكورة).

د- إتاحة الفرصة للناشيء لإبداء وجهة نظره الخاصة فيما يشاهده ولطرح بعض الموضوعات التي يطلع عليها للمناقشة بينه وبين بقية أفراد الأسرة، فذلك يهيء الفرص لاستخدام ما استفاده خلال مشاهدته من ألفاظ وعناصر لغوية جديدة ويحفزه على استحضارها ويدعوه لممارسة اللغة وإنعاش مخزونه اللفظي بنحو عام. هذا بالإضافةإلى إنعاش مخزونه الفكري[٢٩].

الحاسب الآلي واللغة

للحاسب الآلي في عصرنا الحاضر ـ كما هو مشهود ـ دور مهم وفعال في مجال البحث العلمي والإحصاء والفهرسة وتخزين وتصنيف وتوصيل المعلومات والبيانات على اختلاف أنواعها، ولقد اتسع مجال استخدام الحاسب الآلي في عالمنا الحاضر ليصبح وسيلة للاتصال الاجتماعي، وأداة لتنظيم وتنسيق كثير من شؤون الحياة، وواسطة للتثقيف والتعليم وتنمية المهارات بمختلف أشكالها، ومن بينها المهارات اللغوية، هذا بالإضافة إلى كونه وسيلة للمتعة والتسلية وإزجاء وقت الفراغ[٣٠]. وقد اتخذ الحاسب الآلي كوسيلة للتعلم عن بعد، بالإضافة إلى اتخاذه وسيلة للتعلم عن قرب. يقول أحد الباحثين: «إن هناك تقنيات تربوية متنوعة وفعالة الاستخدام في التعلم عن بعد، ويتوقع أن تتطور كثيرا حتى عام ٢٠٠٠، غير أنه يعتقد أن أفضلها حاليا هي أجهزة (الميكرو كمبيوتر Micro Computer) والتلفزيون بدائرتيه المفتوحة والمغلقة، وأجهزة الحاسوب ذات الشاشات المستقبلة للرسومات والكتابة المدعمة بوسيلة الاتصال السمعية، وأخيرا الفيديو ديسك التفاعلي»[٣١].

ولقد بلغ الحاسب الآلي من التطور في الاستخدام لتخزين ونشر المعلومات وإيصال المعارف والخبرات درجة جعلت البعض يعتقد بأنه أصبح منافسا قويا للكتاب، وخاصة بعد تطور مراصد المعلومات وظهور النشرات والدوريات العلمية والثقافية الإلكترونية(٣٢).

استطاع هذا الجهاز فعلا أن يجتذب إليه طائفة كبيرة من الجمهور وأن ينفذ إلى كثير من طبقات المجتمع وطوائفه. ولاشك في أن لانتشاره واتساع مجالات استخدامه أثرا كبيرا في تطوير عمليات التعليم، وذلك ما جعله موضع اهتمام الباحثين في كل مجالات المعرفة ومن بينهم الباحثون اللغويون العرب، حيث تنبهوا منذ بدايات انتشاره لما يمكن أن يقوم به من دور فعال في مجال تعليم اللغة ونشرها وبحث الموضوعات المتعلقة بها.

يقول الدكتور إبراهيم أنيس في مقالته التي كتبها قبل عشرين عاما بعنوان: «دور الكمبيوتر في البحث اللغوي»: «إن فكرة استخدام الكمبيوتر في البحوث اللغوية قد ظلت تداعب خيالي منذ سمعت عن مجالات تطبيقه، ولكني لم أجرؤ على مصارحة أحد بذلك إلى أن حدثني في هذا الشأن الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين متسائلا: لماذا لا نستخدم الكومبيوتر في بحوث لغتنا العربية؟ وكأني بعد هذا القول قد صحوت من غفوة وقد غمرني قدر كبير من الحماس»(٣٣). لقد تحقق ما تخيله أو تأمله الدكتور أنيس فعلا واستخدم الحاسب الآلي في البحوث اللغوية لدى عدد من المؤسسات اللغوية العربية ومن جملتها مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي.

اتخذ مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي الحاسب الآلي وسيلة لخدمة أهدافه في تعليم اللغة العربية ونشرها وتنمية وتطوير مفرداتها وصيغها، والسعي لجعلها وافية بمطالب الحياة الجديدة مستوعبة لما يستحدث من علوم وفنون ومعارف، فاستخدمه في معالجة المصطلحات العلمية وفي عمليات التعريب والترجمة وتصنيف مجموعات من المفردات اللغوية وتأليف المعاجم وغير ذلك مما يتصل بموضوعات اللغة(٣٤).

ولقد تطور استخدام الحاسب الآلي لدى عدد من الدول المتقدمة، من قبل المؤسسات اللغوية فيها، كالمجامع اللغوية ومراكز تعليم اللغة والدوائر المهتمة باللغويات وما يتعلق بها، هذا بالإضافة إلى المؤسسات التعليمية الأخرى الرسمية منها وغير الرسمية، فلم يعد استخدامه لدى هذه المؤسسات مقتصرا على البحث اللغوي وأعمال الترجمة وتصنيف المعاجم اللغوية الأحادية أو الثنائية اللغة ومعالجة المصطلحات العلمية، وإنما شمل عددا كبيراً من الأنشطة التي تؤدي إلى تطوير المهارات اللغوية لدى الناشئة وإلى تنمية حصائلهم اللفظية، فقد عملت أو أشرفت هذه المؤسسات على تصميم وإنشاء عدد كبير من البرامج التعليمية المقروءة والمسموعة وإعداد المسابقات المنظمة والألعاب المسلية التي تهدف إلى تلقين المفردات اللغوية وتعليم كيفية نطقها والتعرف على مدلولاتها وإيحاءاتها واستخداماتها المختلفة، هذا بالإضافة إلى البرامج العلمية أو التثقيفية العامة التي تقدمها بعض المؤسسات التعليمية عن طريق الحاسب الآلي الكبير Main Frame أو الحاسب (الميكرو كمبيوتر) وبرامجه المسجلة على أسطوانات، والتي من شأنها أن تعمل على إغناء الحصائل الفكرية للناشئة، وتطوير مهاراتهم اللغوية والفنية وتنمية قدراتهم الإبداعية في آن واحد وتثقيف الناس عامة عن قرب وعن بعد(٣٥).

وأثر الحاسب الآلي الفعال في تعليم اللغة وتلقين الكلمات يكمن في الطريقة المنهجية التي تعد وتعرض وتستخدم بها البرامج، وفي الشكل الحركي الذي تتخذه اللغة، وتفاعل الإنسان واستجابته للمثيرات والحوافز السمعية والبصرية التي تصاحب عمليات تعليم اللغة فتجسد له اللغة في إطار مرئي جميل أو مسموع مؤثر أو هما معا، أو تستحثه على المنافسة والتحدي وتستدرجه فيواصل أو يعاود النشاط ويكرر المجابهة والتحدي من دون سأم أو ملل، هذا بالإضافة إلى ما توافر له من قدرة على الانتقال والاختيار لما يتناسب مع قابلياته الطبيعية الخاصة وإمكاناته المادية والزمانية وما يتلاءم مع حاجاته ويلبي رغباته.

إذا كان الإنسان يتعلم اللغة في المدرسة أو يعيشها من خلال مشاهدته لبرامج التلفزيون أو سماعه لبرامج الراديو من دون أن تكون له قدرة على الاختيار أو التحكم، فهو هنا ينتقي ما يود مشاهدته أو سماعه، ويشاهد ويسمع أنى شاء، ويعاود المشاهدة والسماع أنى طابت له المعاودة، وقد يشارك في إعداد أو تطوير ما يشاهد أو يسمع.

إن قدرة الإنسان على انتقاء مايرغب من مواد أو برامج أو مهارات تبعثه على الانشداد لما ينتقي، وتشجعه على التعلم الطوعي، وتمكنه من اكتساب ما يرغب في اكتسابه ويلبي حاجته من مفردات اللغة أو مهاراتها. وقدرته على اختيار زمان ومكان ما يشاهده أو يسمعه تزيد من تقبله واستيعابه لما يعرض أو يسمع ومن ثم تضاعف من فائدته. وقدرته على تكرار ما يشاهد أو يسمع تزيد المعارف اللغوية التي يكتسبها رسوخاً وثباتاً فيجعلها أكثر حيوية في ذهنه وفاعلية في حياته. ومشاركته في إعداد وتطوير ما يشاهد أو يسمع تضاعف من رغبته في الاكتساب، وتطور قابلياته اللغوية والفكرية والفنية في آن واحد. ولقد أثبتت التجارب العملية فاعلية الحاسب الآلي في تعليم اللغة وتلقين مفرداتها وتفوقه في هذا المجال على الوسائل الأخرى التقليدية[٣٦].

على الرغم مما للحاسب الآلي من دور مهم في عملية التعليم عامة، ومن أثر وفاعلية كبيرة في تنمية المهارات اللغوية وإمكانيات واسعة لاستخدامه كوسيلة لإغناء حصيلة الإنسان من مفردات لغته بصورة خاصة فإن له سلبياته التي لا يمكن تجاهلها، وله اعتبارات يجدر الإشارة هنا إليها أو إلى المهم منها على الأقل.

١ - على الرغم من كثرة تصنيع الحاسب الآلي في الوقت الراهن وتنافس الشركات الصناعية والتجارية على تسويقه فإنه مايزال باهظ الثمن كثير التكلفة بالنسبة لذوي الدخل المتوسط، ناهيك عن ذوي الدخل الواطىء أو الضعيف، لذلك فإن انتشاره مايزال محدوداً نسبياً، محصوراً بين الطبقات أو

الأوساط الاجتماعية الأرستقراطية، أو التي تتمتع بأوضاع ومستويات اقتصادية مشجعة، أو بين المؤسسات الثقافية التي قد تخصصه وتوقفه على استعمالات محدودة وعلى برامج نفعية معينة.

٢- إن منفعة الحاسب الآلي ماتزال محصورة ليس فيمن يتمكن من اقتنائه أو توفيره فحسب بل فيمن يحسن استخدامه أيضا، فإذا كانت القراءة تتطلب القدرة على تهجي الكلمات والعبارات وإدراك مدلولاتها فإن الحاسب الآلي يتطلب بالاضافة إلى ذلك مهارات معينة تحتاج في اكتسابها إلى الدراسة أو التدريب أو هما معا، ربما لفترات طويلة، علاوة على ذلك فإن كثيرا من برامجه تأتي بلغة صانعيها أو مخترعيها أو مصدريها، وهذا ما يحوج من يستخدمها إلى تعلم تلك اللغة، من أجل تحقيق أكبر قدر ممكن من الفائدة، إلا أن تترجم هذه البرامج إلى اللغة الأم أو تعد وتخرج أساساً بها.

٣- مع توافر الحاسب الآلي فإن نقله ليس بالأمر اليسير أحيانا، نظرا لكبر حجمه وحاجته الدائمة إلى الخدمة والصيانة الكهربائية كأساس لتشغيله واستعماله وإلى قطع الغيار التي قد لا تتوافر في بلدان عديدة، وربما صعب الحصول عليها حتى في بعض الأوساط المصنعة لها.

٤- إن برامج الحاسب الآلي العلمية أو التثقيفية رغم ما بلغته من تطور واتساع لاتزال محدودة، من حيث مستوياتها ومن حيث أنواعها ومجالاتها؛ فبرامج تعليم الناشئة مثلا ماتزال محصورة في مجالات علمية أو فنية ترفيهية معينة أو مقصورة على تعليم مهارات مبدئية، هذا بالإضافة إلى ارتفاع أسعار بعض هذه البرامج إلى حد باهظ.

٥- معظم الناشئة تستهويهم برامج الحاسب الآلي المسلية وألعابه المثيرة أكثر من البرامج التعليمية. ومما يدل على ذلك زيادة أسعار هذه البرامج وشدة اهتمام الشركات المصنعة والمسوقة لها بتصنيعها ونشرها لجني أكبر قدر ممكن من الأرباح.

٦- من الملاحظ أنه كلما زاد عنصر الإثارة وشد الأعصاب في ألعاب الحاسب الآلي زاد إقبال الناشئة عليها، إذ إن الناشيء يندفع بقدر ماتستفزه هذه الألعاب أو تتلاعب بأعصابه، ويكرر القيام بها على قدر ماتشتد إثارتها، وهذا في حد ذاته يشكل خطراً كبيراً على جهازه العصبي، لما ينتج عنه من توتر وشدة انفعال مستمر، ولربما كان لذلك أثر وانعكاس على سلوكه العام وعلى تصرفاته الحياتية.

٧- إن ذبذبات وترددات الضوء المتكررة على شاشة جهاز الحاسب الآلي قد تؤدي إلى إحداث أضرار على أعصاب البصر، خاصة في حالة استخدام الحاسب الآلي لفترات طويلة، أو في حالة الاقتراب الكثير من شاشته، بالنسبة لمن يعانون من قصر النظر أو لمن تعودوا على الاقتراب من المادة المقروءة كشيء ألفوه خارج عن إرادتهم. وواضح أن هذه النتيجة السلبية يمكن أن تترتب على مشاهدة البرامج التلفزيونية أو غيرها من الوسائل التعليمية أو التثقيفية البصرية، إلا أنها ربما تكون مضاعفة بالنسبة للحاسب الآلي الذي يقتضي اقترابا أكثر، نظرا لصغر حجم شاشته وحجم ما يظهر مرسوماً عليها، بالقياس إلى شاشة التلفاز مثلا.

٨- إن استخدام الحاسب الآلي يقتضي الجلوس المستقر في مكان معين وفي وضع معين ثابت من قبل المستخدم، وقد يعود هذا الجلوس المستقر ـ إذا طال أمده ولم تتخلله حركات عضلية كافية ـ بنتائج سلبية على صحة المستخدم مثل السمنة والترهل وركود أو هبوط في الدورة الدموية، مما قد يتسبب في نتائج ومضاعفات خطيرة على الصحة أو على اللياقة البدنية وأخيرا على شخصية الفرد ونفسيته وعقليته.

٩- بالنسبة للبرامج التعليمية العربية التي تقدم من خلال الحاسب الآلي، هناك عدد كبير منها مترجم إلى العربية ترجمة حرفية سقيمة، تكثر فيها المفردات الدخيلة والغريبة، والتعبيرات غير المألوفة مما يجعلها صعبة الفهم

ومنفرة أحيانا، أو يؤدي إلى نقل اللغة ومفرداتها إلى أذهان الناشئة في صورة محرفة أو مشوشة أو غير سليمة.

١٠- إن كثيرا من برامج الحاسب الآلي المستوردة تعكس في الغالب المعايير والعادات والتقاليد الاجتماعية والدينية والاتجاهات الفكرية والأعراف اللغوية لمجتمعات الدول المصنعة والمصدرة لها، وقد يؤدي استخدام هذه البرامج إلى تسرب هذه المعايير والتقاليد والأفكار إلى من يستخدمها في المجتمعات المستوردة لها أو تؤثر فيه نوعا من التأثير، وقد تتسبب على المدى البعيد في إحداث صراع فكري واضطراب في القيم، أو فقدان الهوية الحضارية وتذبذب روح الانتماء.

يتضح مما سبق أن الكمبيوتر أو الحاسب الآلي على الرغم مما ذكرنا من إيجابياته، فهو مايزال محدود النفع كوسيلة تثقيف، وكوسيلة لتعليم اللغة وتلقين مفرداتها، قياساً إلى القراءة والاتصال الاجتماعي المباشر مثلا، وأن فاعليته في التعلم ماتزال أقل من فاعلية هذه الوسائل، خصوصا لدى المجتمعات الفقيرة أو الأوساط الشعبية التي لا تتوافر فيها الظروف المساعدة على انتشار هذا الجهاز. كما أنه وإن ارتقت وتطورت فاعليته في التعليم والتثقيف تبقى له آثاره الصحية والاقتصادية السلبية على من يستخدمه، لاسيما إذا لم يتوافر الإرشاد السديد والتوجيه السليم. علما بأن الحاسب الآلي في معظم أوضاعه وأشكاله يمكن اعتباره كإحدى الوسائل التثقيفية المقروءة، لأنه يقوم بدوره في عملية التعليم في الغالب عن طريق الكلام المكتوب أو اللغة المدونة التي تظهر على شاشته أو تنسخ على الورق.

على الرغم مما سبق فإنه يمكن زيادة أو تطوير فاعلية الحاسب الآلي وتدعيم دوره كوسيلة لتعليم اللغة وإغناء الحصيلة اللفظية وكأداة عامة للتثقيف وجهاز للتسلية البريئة النافعة، والتقليل من السلبيات التي تحصل من جراء سوء استخدامه، وذلك عن طريق تطبيق الإجراءات أو المقترحات التالية:

١- يمكن للمؤسسات التعليمية بصورة عامة والمؤسسات اللغوية من بينها، أن تعمل على توفير ما يمكن توفيره من أجهزة الحاسب الآلي، وبرامجه التعليمية النافعة، في مراكز خاصة، يستطيع فيها أفراد المجتمع من المتعلمين والهواة استخدامه والإفادة من برامجه في المجالات التعليمية وفي تطوير المهارات اللغوية، لا سيما أولئك الذين لا يمكنهم الحصول على الحاسب الآلي الشخصي، وحبذا لو تساهم الدولة في تحقيق ذلك وفي منع احتكار الحاسب الآلي ومنع الاستغلال في تسويقه من قبل المؤسسات لتنخفض أثمانه وأثمان برامجه فيزداد الإقبال عليه ويعم الانتفاع به.

٢- أن تقوم المؤسسات التعليمية الرسمية ومراكز تعليم اللغة والجهات المهتمة بنشر اللغة القومية وحمايتها بنحو عام، وذلك بإقامة دورات خاصة مستمرة مجانية أو بأسعار رمزية أو مخفضة للتدريب على كيفية استخدامه في مجال تعلم اللغة وتعليمها وفي مجالات البحث اللغوية بكل أشكالها ويمكن أن تستفيد هذه المؤسسات مما بلغته الشاشة الإلكترونية من تطور تقني ملحوظ في الكتابة وفي نقل الرسوم على الشاشة عن طريق الأقلام الإلكترونية المشعة والتعلم عن بعد[٣٧]. في زيادة فاعلية الحاسب الآلي في تعليم اللغة وفي توسيع مدى هذه الفاعلية.

٣- ينبغي ألا تترك ترجمة برامج الحاسب الآلي التعليمية والثقافية عامة للهواة وغير المتخصصين أو للشركات التجارية التي لا هم لها إلا توفير الأرباح المادية، كما ينبغي ألا يكتفى في ترجمة هذه البرامج بالجهود الفردية والاجتهادات الشخصية. فالأجدر أن تباشر المؤسسات اللغوية والمؤسسات التعليمية عامة والمؤسسات والدوائر الرسمية معها في إعداد لجان وهيئات متخصصة لترجمة هذه البرامج ونقلها إلى اللغة القومية، تحت إشراف وتوجيه حثيث خاص من هذه المؤسسات، ليتم نقل المواد العلمية والثقافية إلى الناشئة وفق منهج مدروس وبلغة صافية ومفردات فصيحة ويمنع تسرب الكلمات

الغربيـة أو المرتجلة التـي لا تقرهـا قوانين وأصـول اللغة، ويتـم التخلص مـن الترجمات المضطربة التي تشوه وتدعو إلى البلبلة في تلقي وإدراك ألفاظها.

٤- يمكن أن تشرف المؤسسـات اللغويـة والمؤسسات التعليميـة الرسميـة بـدعم مـن الـدولـة أيضا على عمليـة إنتـاج وإخـراج برامـج الحاسـب الآلي التعليميـة. وأن توصي بـإنتاج عـدد من هـذه البرامج على نحـو منظم متقـن مدروس، بحيث يكون لهذه البرامج دور بـارز في تعليم اللغة وتلقين المفردات وفق منهج متدرج مع المراحل التعليمية والمستويات العقلية المختلفة[٣٨].

٥- أن تراقب البرامج من قبل الجهات المسؤولة، من أجل منع ما يتنافى أو يتعارض منها مع المثـل والقيم الدينية والاجتماعية والقوميـة والحقائق التاريخية والاتجاهات الفكـرية المتعارف عليها أو المعترف بها، ومنـع كل ما فيه تشـويه للغة ولمفـرداتها وصيغها وخـروج عن أصولها وقـواعدهـا النحويّـة والصرفية، وينبغي أن يتم ذلك بالتنسيق بين سلطات الدولة المسؤولة والمؤسسات اللغوية المتخصصة.

٦- أن تعمل المؤسسات اللغـوية بالتعاون مـع المراكز المتخصصة في مجال الحاسب الآلي على إصدار معاجم لغوية مرحلية خاصة بهذا الجهاز وبكيفيات استخـدامه والاستفـادة مـن برامجه، مـواكبـة للتطـورات والتغييرات اللغويـة المستمـرة، يمكن أن يـرجـع إليهـا الناشـىء المستخـدم لهذا الجهـاز في حالـة احتياجه، وحبذا لو تكون هذه المعاجم مسموعة مقروءة مرئية ليتعلم الناشىء كتابة الكلمات، كما يتعرف على معانيها أو مدلولاتها وطرق تلفظها.

٧- تقوم بعض الشركات ودور النشر بإصدار بعض القصص أو المغامرات القصصية التي يحتاج فيها القارىء إلى استخـدام الحاسب الآلي، كالذي تقوم به الشركة المدرسية SCHOLASTIC INC الأمريكية، حيث تصدر سلسلة من قصص الأطفـال تحت عنوان Micro Adventure أو مغامـرات صغيرة، لعدد من الكتـاب، يكون القارىء ـ الذي يفترض أن يكون مجربـاً فطناً ماهـراً

في استخدام الحاسب الآلي ــ يكون فيها هو البطل أو أحد الأبطال البارزين. وتعترض سبيل هذا القارىء (البطل) في هذه القصص والمغامرات مشاكل وعقبات لا يستطيع تجاوزها ومواصلة مغامرته المثيرة أو الاستماع بها إلا بالقيام بعمل ما، أو بتطبيق برنامج خاص على الحاسب الآلي، ليجد مخرجا من المأزق الذي وقع فيه أو حلاً للمشكلة التي واجهها أو جواباً للغز الذي وقع عقبة أمام طريقه(٣٩).

إن مثل هذه المغامرات القصصية تفيد الناشىء من جوانب عديدة، فهي تزيد من مهارته في استخدام الحاسب الآلي وتكسبه براعة ذهنية وتصقل موهبته الفكرية وقدراته الإبداعية، حيث يندفع متحمسا لاستخدام تفكيره بمساعدة الحاسب الآلي في تحدي الصعوبات وحل المشاكل التي تعترضه في مغامراته المثيرة. كما أنها تشده إلى مواصلة القراءة، لما تحتويه من عناصر ومواقف مثيرة تدعوه للمتابعة، وعن طريق هذه القراءة يكتسب العديد من المفردات اللغوية اللفظية.

إن بعض المشاكل التي تعترض القارىء (البطل) في هذه القصص قد تكون متمثلة في عبارات لفظية يحتاج إلى أن يعيد صياغتها بمساعدة الحاسب الآلي ليجد الحل، وهذا الإجراء يزيد بلاشك من براعته في التعبير وفي استخدام ألفاظ اللغة ومن محصوله اللفظي أيضا. وبالطبع تزداد فائدة الناشىء في هذا المجال إذا مازاد حرص كاتب القصة نفسه على استغلال هذا الإجراء في إدخال مفردات وصيغ وتعبيرات لغوية جديدة بشكل مدروس ومتدرج.

لا توجد في الوقت الحاضر، على حد علمي ــ قصص للأطفال كالقصص المذكورة باللغة العربية، فحبذا لو عملت المؤسسات اللغوية العربية بالمشاركة مع الهيئات والمراكز المتخصصة في مجال الحاسب الآلي على تكوين لجان أو اختيار مجموعة من القصاصين العرب وتكليفهم بتأليف مثل هذه القصص

أو بترجمة مجموعة مما وجد منها باللغات الأجنبية إلى العربية ، كوسيلة للمشاركة في إغناء حصيلة الناشىء العربي من مفردات لغته وفي تدعيم مهاراته في استخدام الحاسب الآلي وتنمية قدراته الفكرية عامة ، خصوصا أن الحاسب الآلي أخذ في الانتشار في كثير من الأوساط العربية ، سواء في مجالات التعليم أو مستوى الاستعمال الشخصي .

٨- يمكن أن تشارك الأسرة في ترشيد استخدام الحاسب الآلي وفي تقليل الأضرار الناجمة عن الإفراط في استخدامه أو سوء هذا الاستخدام من قبل الناشىء، وذلك بإرشاد هذا الناشىء إلى الوضع السليم في الاستخدام، ووضع جدول خاص له يتضمن تحديد أوقات مقبولة لهذا الاستخدام، واختيار البرامج والألعاب التي تعود عليه بالفائدة الثقافية والفكرية واللغوية، وحثه على الابتعاد عن البرامج والألعاب التي تزداد فيها الإثارة حدة وعنفا، وتنبيهه إلى ما قد يتخلل بعض البرامج أو الألعاب من أفكار ومفاهيم وفعاليات وصور تتنافى مع قيمه الروحية وتقاليد مجتمعه، وأخيرا تصحيح مايمكن تصحيحه من تعبيرات وصياغات لغوية وكلمات دخيلة تعمل على تشويه لغته أو الإساءة إليها نوعا من الإساءة، هذا إن كانت الأسرة قادرة على القيام بذلك .

من خلال كل ما سبق ذكره في هذا الفصل يمكن إدراك ما للاتصال والاحتكاك الاجتماعي المرن المستمر المباشر وغير المباشر من دور فعال وأثر إيجابي مهم في إغناء الحصيلة اللغوية، وخاصة إذا توافر التوجيه السديد للفرد، وتهيأت له الفرص والأجواء المناسبة للانفتاح على المجتمع بجميع طبقاته ومستويات لغته، وتمكن من توثيق الارتباط والاختلاط بالطبقات الاجتماعية ذات المستوى الثقافي واللغوي المتميز، وأتيحت له الفرص الكافية لممارسة المحصول اللغوي المكتسب ممارسة فعلية مستمرة، بحيث يبقى هذا المحصول مرناً فعلاً حاضراً في الذاكرة مهيأ للاستخدام .

مع كل ما سبق ذكره يبقى مجال للتساؤل عن مدى كفاية ما يستمده الفرد من محصول لغوي من خلال الاتصال الاجتماعي بجميع أشكاله ومستوياته. وبتعبير آخر: هل مايستمده الفرد عن طريق الاختلاط بالآخرين من مفردات اللغة وتراكيبها وصيغها كاف لتكوين لغة نامية متطورة واسعة ثرية، يتمكن معها هذا الفرد من التعبير عن أحاسيسه ومن إبراز إبداعاته وأفكاره ومفاهيمه الخاصة وكل مايكتسبه من معارف وخبرات بمرونة وقدرة كافية؟ هل هذه اللغة التي يكتسبها من هذا المصدر تمكنه من إدراك وفهم كل مايكتب أو يقال، ويكون بها قادراً على الاستفادة مما تضمنه تراث أمته من أعمال وإبداعات بمرونة كافية؟ وأخيرا هل هذه اللغة التي يكتسبها عن هذا الطريق تمثل اللغة في جميع أطوارها ومراحلها وأبعادها وما يفترض أن يتعرف عليه مستخدمها المتمدن منها؟

إن المواد اللغوية التي يكتسبها الفرد عن طريق التخاطب أو الاختلاط بالآخرين - وخاصة العوام منهم - كثيرا ما تكون مبتذلة متكررة، مضطربةخاضعةللتغيروالتبدلوالتحريف،نتيجة لاختلاف اللهجات في نطقها وفي مدلولاتها وطريقة تركيبها وصياغتها وأساليب استعمالها، لهذا فإن عدداً كبيراً منها يبتعد عن أصله الصحيح وعن اللغة الفصيحة، لغة الكتابة السليمة. مما يجعلها قليلة الفائدة أو عديمتها على الإطلاق في مجال التأليف والتعبير الراقي الانتقائي الفصيح، على أن هذا لا يعني خلو اللغة العامية من الألفاظ الفصيحة الأصل السليمة الاشتقاق أو المحرفة تحريفا لا يبعدها كثيرا عن الأصل(٤٠). أضف إلى ذلك فإن اللغة التي يستفيدها الإنسان عبر أجهزة الإعلام المذكورة - كما تبين - لغة مبسطة أو مخففة في غالبها، مفرداتها وتراكيبها وصيغها إن لم تكن مبتذلة قريبة من العامية فهي محدودة من حيث النوع والكم، وبذلك فإن المحصول اللغوي اللفظي والتعبيري المكتسب منها لا يرقى في مستواه إلى مستوى اللغة الفصحى الغزيرة المادة، الواسعة الأفق السليمة التكوين إلا في أحوال قليلة(٤١).

والحصيلة اللغوية لا تنمو وتثري وتصبح ممتدة الأبعاد وافية بحاجة الإنسان للتعبير عن كل ما يود التعبير عنه، مالم تتباعد وتتسع حدود الاختلاط والاحتكاك والامتزاج بمن يمارس اللغة القومية على مستوياتها المختلفة، ولا يتم ذلك إلا حين يحل المجتمع بكل طبقاته وفئاته ومستوياته محل الأسرة، ثم تتباعد البيئة التي يعيش فيها الفرد لتشمل بيئات متعددة واسعة من حيث المساحة الجغرافية والزمنية، لتشمل بيئات المجتمع في حاضره وفي ماضيه، بل تشمل المجتمعات المنتسبة إلى الأمة الواحدة على اختلاف مواطنها وأزمانها وحضاراتها، وهذا لا يمكن أن يتحقق بشكل واقعي فعلي، لأن حياة الإنسان مهما طالت ومهما اختلفت تبقى محدودة بحدود زمانية ومكانية معينة، ولكنه يمكن أن يتحقق عن طريق الاتصال باللغة المكتوبة التي تصل الماضي بالحاضر وتجتمع فيها أطراف وأبعاد حياة الأمة مهما اختلفت، وتحقيق هذا الاتصال يتم بالاطلاع على ما دوِّن من أعمال وإبداعات أفراد الأمة على مختلف عصورهم وأجيالهم ومستوياتهم عن طريق القراءة.





الفصل الثاني

المـادة المقـروءة

يقصد بالمادة المقروءة هنا معناها الـواسع الذي يشمل المواد المقروءة المقررة ضمـن مناهـج التعليم في مـراحله المختلفـة، كما يشمل المواد التـي تفرضهـا وظيفة أو مهنة معينة أو يدعو إليها غرض من الأغراض، هذا إلى جانب المواد التي تختار طوعاً وتقرأ بدافع ميل حر خاص في النفس. ويقصد بالمادة المقروءة كذلك النتـاجات المكتوبة أو المدونة بجميـع أشكالها وطرقها وفي كـل مواردها وبكل موضوعاتها، وإن كان الكتـاب يعتبر المورد الرئيس والرمز الأساسي لهذه المادة[1]. وكان لكل شكل أو طريقة أو موضوع من موضوعات القراءة أهميته الخاصة وآثاره المختلفـة في مجال إغناء الحصيلة اللغوية، ممـا سنتطرق إلى ذكره في فقرات لاحقة من هذا الفصل.

إن القراءة بمفهـومها الـواسع أو الشـامل عـامة وقـراءة الكتب على نحـو خاص تعـد وسيلة مـن الوسـائل التي لابد منهـا ومن وجـودها لإمـداد الفكر الإنساني بأسـس الإبداع، وإذا كان الفكر الخلاق يحيا حيـاته العقلية الحاضرة ويستمد من تجاربها وحوادثهـا وأهلها بعض مقومات إبداعاته، فـإنه بالقراءة يعيش حياة الحاضر والماضي معا، يعيش عصوراً وأزمـاناً بعيدة ممتدة، يشارك أهلها معارفهم وخبراتهم وتجاربهم ويستوحي منها ومما أبدعته عقولهم إبداعاته الجديـدة، إذ إن «صـور ذكـاء البشر ومعـارفهـم» ـ كما يقـول فـرانسيـس بيكون Francis Bacon ـ «تبقى في الكتب بمنجاة من عنكبوت الزمن، وهي قـادرة على التجـدد الـدائم»[2]. وإذا كان الإنسـان بالقـراءة يستمد أسـس الإبـداع من ثقـافات ومعـارف وخبرات وتجارب يعمـل فيها فكـره وتصهرهـا

موهبته بحسب ما أوتيت من سعة وقدرة على العطاء، فإنه يستمد بها أيضاً عناصر اللغة على اختلاف مستوياتها وأنواعها ومراحلها وأبعادها: يستمد حصيلته اللفظية الوافرة المرنة التي تمكنه من إبراز ما استفاده من معارف وما اكتسبه من خبرات، كما تمكنه من التعبير عما قد تفيض به قريحته ويتفتق عنه ذهنه من أفكار، وما تنعكس وتنصهر في وجدانه من مشاعر وأحاسيس.

يتصل الإنسان بالماضين من أبناء أمته عن طريق الاطلاع على نتاجهم المكتوب وآثارهم المدونة فيتعرف على أساليبهم المختلفة في التعبير وعلى ما استخدموه من ألفاظ وتراكيب واصطلاحات بمدلولاتها المختلفة، يطلع على اللغة بكل ما طرأ عليها من تغيرات وخضعت له من تطورات. فيضم إلى حصيلته من مفرداتها وصيغها حصيلة أخرى واسعة، كما يتصل هذا الإنسان بمن يعاصرهم على مختلف مواطنهم وبيئاتهم من خلال ما يقرأه من نتاجاتهم المدونة، فيتعرف على اللغة في حاضرها وعلى ما تجدد وتغير من ألفاظ وتراكيب وأساليب وما تبدل أو تطور من مدلولات فيها، فتزيد حصيلته اللغوية سعة وإحاطة، ويصبح مدركاً لما يتناسب مع عصره من أساليب وطرق للتعبير. وهكذا يبقى ثراء الحصيلة اللغوية مرهونا بالتوسع في القراءة للنتاج المكتوب وكثرة الاطلاع على تراث اللغة المدون في إطاره الزمني والمكاني الرحب. خصوصاً أن للمادة المقروءة، وللكتاب الذي يعد موردها الرئيس على نحو أخص ميزات لا تتوافر في مصادر الثقافة ووسائل الاتصال الأخرى، ومن هذه الميزات:

١ ـ إذا كانت وسائل التثقيف ووسائل الاتصال الأخرى تصل الفرد بما يجري من حوله وتطلعه على معارف وخبرات أهل عصره وحضارة ولغة أهل زمانه، فإن الكتاب يصل الإنسان بحاضره، كما يصله بماضيه في أبعد عصوره، وبالحضارات الإنسانية المختلفة على اختلاف مواطنها. ، وباللغة في كل مراحلها وأطوارها وتغيراتها التي طرأت عليها.

٢ــ إن الكتاب يسهـل نقلـه وتوزيعـه ونشره والحصـول عليه، كما يمكـن استخدامـه في كل مكان وزمـان، وكلما دعت الحاجة إليـه، إذ لا يتحدد بفترة بث معينة، ولا ينحصر في قناة محددة، ولا يحتاج استخدامه إلى طاقة كهربائية أو ضوئية معينة، كما هو عليـه الحال في التلفاز أو المذياع أو الحاسوب أو غيره من أجهزة الاتصال الحديثة الأخرى.

٣ـ أنه رخيـص السعر قليل التكلفة بـالقياس إلى الوسائل الأخـرى، قابل لـلاستنسـاخ والتعـدد حسـب الحاجـة والطلـب وبتكلفـة يسيرة في معظـم الأحيان.

٤ـ لا يحتاج في استخدامه والاستفادة منه إلى مهارات فنية معينة، إذ يكفي مستخدمه التمكن من القراءة والقدرة على الفهم. كما أنه لا يحتاج إلى معدات وأجهزة عرض خاصة، فاستخدامه ميسر ومباشر.

٥ـ يعتبر مصدراً أسـاسياً تعتمد عليه غـالب الخدمات التي تـؤديها أجهزة الاتصال الأخرى[٣].

رغم أهمية القـراءة وأهمية دورها في تنمية المهـارة اللغوية، ورغم أن فـاعلية هذا الـدور تزداد بتوسيع نطـاق القراء وتجاوزها للحدود الـزمانية والمكانيـة فإن هنـاك أموراً عـديدة أخـرى تتـدخل في تحديـد نسبـة تأثيرهـا وتشكيل دورهـا كمصدر من مصادر تنمية الحصيلة اللغوية.

العوامل المؤثرة في دور المادة المقروء كمصدر من مصادر الثروة اللغوية

إذا كانت نسبة إغناء المحصول اللغـوي تتوقف على كمية القراءة، فهي أيضاً تتوقف على نـوعية النتاج المقروء وأسلوبه وقيمته من النـاحية الفكرية واللغوية والشكـل أو الإطار الذي يخرج فيه، وكذلـك على أسلوب القراءة نفسها وطريقة استغلالها كوسيلة لتنمية الحصيلة اللغوية، ثم على خلفيات

القارىء الثقافية، ومدى قدرته على القراءة والفهم والاستيعاب والتذكر، هذا بالإضافة إلى ظروفه النفسية والاجتماعية، ونوعية الحوافز والأهداف التي تدفعه إلى القراءة.

إن النماذج المكتوبة تختلف في مستواها اللغوي بحسب اختلاف موضوعاتها، واختلاف منشئيها في ثقافاتهم وأذواقهم ونفسياتهم ثم قدراتهم البيانية، وكذلك بحسب اختلاف الأغراض التي أوجدت من أجلها هذه النماذج. ومن ناحية أخرى فإن أساليب القراءة وطرقها تختلف أيضاً بحسب اختلاف مستوى القارىء ومقصده، وبحسب ثقافته ومزاجه وميوله الشخصية وعادته في القراءة وما يتاح من الوقت وما يحظى به من توجيه ورعاية.

من الواضح أنه كلما كان النموذج المقروء عالياً ثرياً في لغته جميلاً في أسلوبه جلياً في صياغة أفكاره ومعانيه كانت فعاليته في إنماء الحصيلة اللغوية أكثر. وثراء اللغة وجمال الأسلوب وإن كان يعتمد على ثقافة الكاتب وقدراته اللغوية والبيانية والبلاغية، غير أنه يعتمد أيضا على طبيعة الموضوع وما يقتضيه من طريقة في التعبير وما يتطلبه من تراكيب أو يفرضه من صياغات لغوية معينة، وما يهدف إليه الكاتب ويريد تحقيقه من وراء كتابته لموضوعه.

إن الموضوعات العلمية مثلاً، تخاطب عقل القارىء، وتهدف إلى إقناعه بفكرة معينة أو إيصال هذه الفكرة إليه بأسهل وأقرب الطرق، لذلك فإن الكاتب في هذه الموضوعات يعمد إلى الأسلوب المنطقي ليقنع، وإلى الاقتصاد في استعمال الألفاظ، ليسارع إلى الإفهام، ويتحرى التعبير المبسط السهل الخالي من التكرار وربما القريب من لغته إلى اللغة المبتذلة أو المألوفة العامة، وإن كانت الفصحى، ليوضح مقصده، لأن الوضوح طريق إلى الإفهام، والإفهام طريق إلى الإقناع. ولهذه الأسباب فإن المحصول اللغوي الناتج عن قراءة هذه الموضوعات يكون في الغالب زهيدا.

الأدب واللغة

إن كان الرصيد اللغوي المكتسب من قراءة الموضوعات العلمية قليلاً أو محدوداً فإن المحصول اللغوي المكتسب من قراءة الموضوعات الأدبية يفترض أن يكون وفيرا.

إن «اللغة مادة الأدب كما أن الحجر أو البرونز مادة النحت، والألوان مادة الرسم، والأصوات مادة الموسيقى»[٤]، وليست اللغة على عمومها، وإنما لغة الألفاظ والحروف والمقاطع الصوتية المتكونة منها بصورة خاصة. يقول غيورغي غاتشف: «إن الإبداع الأدبي نوع راق من أنواع العمل الاجتماعي، ومادة البناء في الأثر الأدبي هي الكلمة، أي الشكل المتميز للوعي[٥]، إن الكلمات وما تتركب منه من مقاطع صوتية وحروف وما تكمن فيها من طاقات دلالية مختلفة هي المادة الأولى التي تتجلى فيها وفي انتقائها واستخدامها أو استغلالها موهبة الأديب المبدع، وتظهر بها براعته في التعبير عن مشاعره وأخيلته وأفكاره ومعانيه ومواقفه الإنسانية المترامية الأبعاد وكل ما يجيش في نفسه ويتبلور في ذهنه. وهي المرآة الحقيقية التي نرى فيها ومن خلالها إبداعه الفني ونشهد تميزه ونرى شخصيته بكل ما لهذه الشخصية من نوازع وسمات، ولذلك كان الأدب الحقل الأوسع الذي تمارس فيه اللغة بمختلف ألفاظها وتراكيبها وصيغها وبكل ما يكمن فيها من أسرار وما تحمله من صفات أصيلة ومن طابع فكري ووجداني قومي متميز.

يظل الأديب المبدع يسير باللغة ويحملها من جيل إلى جيل عاكساً ما خضعت له من تطورات، ومحافظاً في الوقت نفسه على أصالتها وطبيعتها الفطرية وشخصيتها أو هويتها الخاصة. وهذا هو ما دفع رواة العرب القدامى لبذل العناية الفائقة في جمع واستقصاء نماذج الأدب الرفيع من الشعر وغيره، وبعث علماء اللغة وعلماء النحو والصرف على الاهتمام بهذه النماذج والحرص على الاطلاع عليها والدقة في تتبعها ودراستها واستقاء اللغة الصافية منها،

أو الاستشهاد بها والقياس عليها واعتبارها حجة يعتمد عليها في استخدام اللغة على الوجه السليم(٦).

لا يعمل الأديب بما يبدع من فن على نقل اللغة بوعي ودقة وأمانة أو على تجسيدها في نقاء وصفاء فحسب، وإنما يضفي عليها من روحه ما يغْنيها ويجعلها أكثر حيوية ومرونة، ويكسبها أبعاداً جديدة واسعة، وهكذا يمدها بعناصر البقاء والخلود.

إن اللغة ليست محض وسيلة يتخذها الأديب لبناء عمله الأدبي، وإنما هي لديه غاية: إنها جزء مهم من عمله الإبداعي، يسعى إليه ويعمل على تحقيقه. وهو لا يستخدم اللغة على النحو المألوف لدى الآخرين وإنما هو يخدمها(٧). ولكنه في الوقت نفسه لا يدعها تستعبده أو تحكمه بقيودها وتفرض عليه نطاقاً محدداً، وإنما يسعى لأن يخضعها لسلطانه، ويسير بها قدماً إلى عالم أرحب، وينمي ويطور مفرداتها وصيغها، متخذاً في ذلك جميع وسائل أو طرائف النمو الممكنة(٨).

ومادامت كلمات اللغة هي مادة الأديب المبدع الأولى التي يصوغ منها نتاجه الإبداعي ويشيد بها عمله الفني فإنه لا يستغني أبداً عن تسخيرها، بكل إمكاناتها وطاقاتها المتاحة له، من أجل تحقيق غرضه، ولكنه عندما يستخدمها يطوعها لفنه وبفنه، ويكسبها بدوره طاقات جديدة، وبذلك يرتقي بها أو يطورها، حتى لتصبح وكأنها لغة جديدة. إن الخطاب الأدبي الذي يبدعه يعني «خلق لغة من لغة، أي أن صانع الأدب ينطلق من لغة موجودة فيبعث فيها لغة وليدة هي لغة الأثر الفني». ومن هذا المنطلق اعتبرت عملية الإبداع الإنشائي لدى بعض النقاد «مرتبطة بقدرة الإنسان على تخليص الكلم من القيود التي يكبلها بها الاستعمال وتطهيرها مما يتراكم عليها من ضبابية الممارسة، فالإبداع إحياء للكلمة بعد نضوبها، وفي إحياء الكلمة بعث جديد للتجربة المعيشة في الذات والزمن»(٩).

وعملية توليد اللغة الجديدة في الخطاب الأدبي، أو عملية تطهير الكلم فيه لا تعني النسخ للغـة القديمة المولد منهـا، أي لا يعني أن الخطاب الأدبي يحل لغة مكان لغة، وإنما يضيف اللغة الجديدة التي يولدها إلى اللغة التي يخصبها ويولـد منها، ولـذلك كان الخطـاب الأدبي الفني «مزدوج الـوظيفة والغـاية: يؤدي ما يـؤديه الكلام عادة، وهو إبلاغ الـرسالة الدلالية، ويسلـط مع ذلك على المتقبل تأثيراً ضاغطاً، به ينفعل للرسالة المبلغة انفعالاً ما»[١٠]، وهذا هو الخلق والتطوير ذاته.

وبالإضـافة إلى الخلفية الدلاليـة، أو الدلالات الإيحائية أو السيـاقية أو التأثيريـة الضـاغطـة التي تتركها الشحنـات العاطفيـة في الخطاب الأدبي، والنشاط اللغوي التجـريدي الذي ينشأ ويتبلور في الحوار الـوجداني هناك الخلق اللغوي التصريحي المبـاشر، وهناك التجدد الدلالي الـذاتي المحسوس للكلمات نفسها.

إن الأديب المبدع يضع الكلمات في إطار شعوري جمالي خاص، ويشحنها بطاقات هـائلة من المعاني أو يلبسها حلـلاً جديدة من الدلالات، عـن طريق المجـاز، أو عن طـريق الصعـود بها من معـانيها الحسيـة إلى دلالاتها المعنويـة ونقلها من مجالاتها المعنوية إلى مجالات ماديـة محسوسة لتصبح أوسع في دلالاتها وأغنى في معـانيها[١١]. وهو يبث في هذه الكلمات من روحه المتألقة الصافية روحاً أخـرى جديـدة فتصبح لها نكهتها المتميـزة وأنماطها التعبيريـة الجميلة، ويختـار لها ذوقـه الـرفيـع وإحسـاسـه المرهـف إطـاراً فنيـاً منغماً يجعـل لها أو لأصواتها، وتراكيبها إيحاءات وإيماءات لغوية مختلفة، ويبعث فيها حياة أرقى وأسمى من حياتها المألوفة شكلاً ومضمـوناً، وهكذا تصبح الكلمات في نتاجه الإبداعي أكثر تبلوراً وجلاء في أشكالها وأكثـر إشعاعاً وثراء في معانيها وأوسع مدى في إيحاءاتها وأبعـد أثراً في استعمالاتها. أما الكلمات «البـاهتة الخاليـة من الإشعاع والإيحاء خلـواً تاماً في السياقـات العملية المحضة فربما تكشـف فجأة عن مصادر غير متوقعـة من الإيحاء وقوة التعبير»[١٢]. وهكذا يكـون الـثراء

في اللغة الانفعالية أو الشاعرة، وهكذا يخلق المعجم اللغوي الشعري الفني الجديد الذي يضاف إلى المعجم الدلالي المألوف .

ولغة الأدب بالإضافة إلى كونها لغة ثرية مكثفة ـ إن صح التعبير ـ ومتجددة فهي لغة انتقائية . إن الموضوعات الأدبية كما سبقت الإشارة تخاطب عقل القارىء وعاطفته ، وتهدف إلى التأثير في نفسه وشد أحاسيسه وهز مشاعره وإيقاظ فكره بكل ما يمكن من وسائل التعبير وأساليب القول ، لذلك فإن الكاتب هنا يعمد إلى انتقاء الألفاظ والصيغ والتعابير الموحية أو المشيرة بأصواتها وتراكيبها . المتميزة بثرائها المعنوي وجرسها المؤثر ووقعها على أذن القارىء وأحاسيسه .

الاهتمام في هذه الموضوعات مركز بصورة أساسية على الألفاظ والصيغ ، وعلى أشكالها ومدلولاتها وإيقاعاتها المتنوعة ونوعياتها المتميزة ، وخاصة النماذج التي تتسامى فيها العاطفة والتي يتخذ المبدع فيها الألفاظ وحروفها وأشكالها وأصواتها وتراكيبها وصياغاتها وسيلة مهمة لتجسيد أخيلته ومعانيه وخواطره ، ورسم صوره الجميلة المؤثرة ، ، ويجعل اللغة فيها موحية رحبة متعددة الأبعاد ، تتجاوز الكلمات فيها دلالاتها المعجمية ودلالاتها السياقية والانفعالية المألوفة ، وتتحدى كل المظاهر اللغوية المتعارف عليها ، وتظل تنمو وتتسع بلا حدود في هذه الأساليب الأدبية الراقية(١٣) . وأبرز ما يكون ذلك في الشعر والتعبيرات الذاتية الوجدانية الخالصة التي تقترب في لغتها وطابعها العام من الشعر.

على الرغم من وجازة العبارة الشعرية فإن التراكيب والألفاظ التي تتكون منها هذه العبارة عادة ما تكون منتقاة صافية جزلة قوية بعيدة الأثر. إن «الشاعر ينتقي من الألفاظ ويتخير، ويفاضل بينها ويميز بعضها عن بعض ، متخذاً في نظمه البيت من الشعر لفظاً خاصاً يأبى غيره ، لأن أصواته توحي إليه ما لا توحي أصوات غيره ، فهو كصاحب الجوهر، ينثر تحت مجهرة الفاحص لينتقي منها ما يلائم حلية بعينها ، وهو في عمله حريص على كل

جـواهره شـديد الاعتـزاز بها»(١٤). لذلـك كان الشعر الحقيقـي مصدراً ثـرياً للكلمات والتراكيب اللغوية في أرقى مستويـاتها. يقول أبو هلال العسكري: «ومـن أفضل فضـائل الشعر.. أن ألفـاظ اللغـة إنما يؤخـذ جزلها وفصيحهـا وفحلها وغريبها من الشعر..»(١٥).

لقد بلـغ من عنايـة اللغويين العـرب الأوائل بالشعر كنمـط أعلى للكلام وكمصدر أساسي مهم من مصادر اللغـة إلى درجة اعتباره الحجة التي لا تقبل النـزاع، والمعيار الـذي يعتد بـه ويركـن إليه، سـواء ذلك في قيـاس فصاحـة الكلمات ونقائها أم في معرفة سلامة ونصاعة تركيبها وصياغة الجمل والعبارات منها، فكـان يكفي في التـدليل على صحـة لفظ في صيـاغته أو في تـركيبه أو استخـدام معنـاه في أسلـوب معين مـن أسـاليـب القـول أن يستشهـد بقـول الشاعـر(١٦). ولئن تحفظ بعض اللغويين العـرب في الاحتجاج بأقوال بعض الشعراء أو اشترطوا التأكد مـن معرفة اسم الشاعر عندما يـردهم شعره، مخافة أن يكون هـذا الشعر مصنوعـاً أو يكون لمولد لا يعتد بـه أو من راوية لا يـوثق بكلامه، «فقـدكان أصحاب المعجمات واللغويـون الأوائل عامة كالخليـل بن أحمد والكسائي وأبو عمـر الشيباني والبغدادي وحتى سيبويـه يسمعون الشعر من أفواه الشعراء فيحتجون به في اللغة. (١٧) على أن بعض من كان يتحفظ ويتحرج من الاحتجاج بشعر المولدين تراجـع عن تحرجه أو عن المبالغة في هذا التحرج فيما بعد(١٨).

ولقد كان الشعراء في تلك الفترات يدركون هذه المكانة لشعرهم ويعتبرونها مصـدر فخـر واعتـزاز إلى درجـة تقودهـم أحيـانـاً إلى التعـالي على اللغـويين والنحـويين الذيـن يسعون إلى فـرض قواعـدهم التـي يضعونها، فقـد روي أن عبدالله بن أبي إسحق النحوي سمع قول الفرزدق:

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع　　　من المال إلا مسحتا أو مجانف

فجاء إليه يسألـه: علام رفعت «مجانف»؟ فأجاب الفـرزدق في أنفة وعزة: على مـا يسـوءك وينـوءك. علينـا أن نقول وعليكـم أن تتـأولـوا!! ثـم هجـاه الفرزدق[١٩].

على أن ما سبق ذكره لا يعني خلو الشعر تماماً من الشاذ أو الغريب أو غير الفصيح من الألفـاظ، وغير الصحيح من العبارات والأساليـب، فقد يضطر الشاعر أحياناً إلى أن يغير في نطق كلمة أو في تركيبها أو صياغتها أو يخترع جمعاً أو مصدراً خاصاً لها أو يقحم معنى جديـداً عليها من أجل استقامة الوزن أو القافية فيخرج بذلك عن الأصول والقواعـد اللغوية المعروفة، وقد يكون ذلك مقبولا منه غير مباح لغيره، مثلما ورد قول الشاعر:

لو كان في قلبي كقدر قلامة　　　من حب غيرك قد أتاها أرسُلي

فقد جمع الشـاعر هنـا (رسول) على (أرسـل) ليستقيم الـوزن، بينما الجمع الصحيح المألوف هو (رسل)، وإن تمحل البعض لذلك تبريراً فجعل (أرسل) جمعاً للمؤنث من رسول. ومثل ذلك قول النابغة الجعدي:

مـوالي حلـف لا مـوالي قـرابـة　　　ولكـــن قطينـا يحلبـون الأتـاويـا

لقد جمع (أتـاوة) ـ وهـي الجزية أو الخراج ـ على (أتـاوي) باليـاء لتستقيم قافية البيت فخالف الجمع الفصيح المألوف باعتراف ابن جني، إذ إن الأصح أن يقال (أتاوى) بالألف المقصورة[٢٠].

إن ما قيل عـن اضطرار الشاعر العـربي القديم لتغيير كلمة أو عبـارة عن صيغتها المألوفة أو استعمالها في نسق أو معنى جديـد يبتكره قد يكون له أثره في تطويـع وتنويع أساليـب التعبير، كما أن ارتجاله أو توليـده للكلمات أو لبعض تصاريفها واشتقاقاتها له أثره الملحوظ في زيادة مفردات اللغة، وكل ذلك يزيد من أهمية الشعر كمصدر مهم لألفاظ اللغة وأساليبها ومعانيها ويضاعف من دوره في إغناء الحصيلة اللفظية لقارئه.

لقد كـان الشاعر العـربي يشتق أو يقيس أو يرتجل أو يولـد كلمات وصيغاً لفظية جـديدة، ويبتدع معاني أو مفـاهيم لألفاظ قـديمة، أو يوجد تـراكيب ومصادر وجموع غير مألـوفة، ويستخدم ما يـرتجله أو يولده ويـوجده في شعره فيضيفه إلى حصيلـة اللغة القـومية، لأن الألفـاظ والصيغ والمعـاني والتراكيب الجديدة التي يبتكـرها ويستخدمها في شعره عـادة ما كانت تأخـذ طريقها إلى الانتشار والشيـوع، لما كان للشعر مـن مكانـة في النفوس وقابليـة على التأثير والنفوذ والحفظ والتداول والانتشار والبقاء، أو أنها تبقـى محمولة في إطارها أو قالبهـا الشعري الجميـل جنباً إلى جنـب مع المفـردات الأخرى المقـررة في اللغة لتنتقل إلى من يتلقى هذا الشعر وينفعل ويتأثر به[٢١]. وهذا هو دأب الشاعر في كل زمان ولدى كل أمة.

إن الشاعر كما يقول (هربرت ريد) H. Read «ينطلق إلى العمل من وحدة عـاطفيـة، وهـذه الـوحـدة تكتسي بما يمكن أن يسمـى بـالصـورة اللغـويـة الداخلية، ولكي يظـل الشاعر مخلصاً لهذه الصورة اللغوية الداخليـة فلابد له من أن يخترع الكلمات وأن يبـدع الصور وأن يتلاعـب بمعاني الألفاظ ويـوسع في نطاقها»[٢٢].

ومن جهـة أخرى فإن معـاني الشعر تعتمد بصـورة كبيرة على السياق، فإذا كانت الكلمة في النص الأدبي على عمومـه تحمل بالإضافة إلى معناها المعجمي معـاني ودلالات سياقية وإيحائيـة مختلفة، فإن الكلمـة في النص الأدبي الشعـري «تحمـل هالة من المتـرادفات والمتجـانسات، والكلمات لا تكتفـي بأن يكـون لها معنـى فقط، بـل تثير معـاني كلمات تتصل فيهـا بـالصـوت أو بـالمعنـى أو بـالاشتقـاق ــ أو حتـى كلمات تعـارضهـا أو تنفيهـا»[٢٣]. كما أنه مثلما يقول غراهام «غـالبا ما تستعمل الكلمات في الشعـر لتستدعـي استعمالاتها الشعريـة السابقـة»[٢٤]. وبفضـل هـذا الاستدعاء أو الاسترجاع الذي يفرضه السياق الشعري لا تترسخ المدلولات

الجديـدة للكلمات في ذهـن المتلقـي فحسـب وإنما تترسـخ معهـا المعـاني القديمة لهذه الكلمات وتزيد ثباتاً في الذاكرة وحضوراً في الذهن .

والشاعـر لا يفصح في شعـره عن المدلـولات المعجمية أو المعـاني الظاهـرة والعـلاقـات المنطقيـة للكلمات فحسـب ، ولا يكتفـي بـاستخـدام الكلمات بمعانيهـا المجازيـة أو الانفعالية القـريبة ، وإنما يسخر قـدراته الفنيـة الخاصة للكشف عـن كل مـدلولات ومعاني هـذه الكلمات وكل عـلاقاتها البـاطنة أو النفسية والـروحية العميقة وكل إيحاءاتها القـريبة والبعيدة ، عن المعـاني وظلال المعاني التـي لا تعرف الحدود[٢٥] . فالشاعر عندمـا يشبه النهر بالسيف على سبيل المثـال قد لا يهدف فقط إلى الكشـف عن العـلاقات الظاهـرة بين النهر والسيـف ، كـاللمعـان والإشراق أو الانحناء أو البيـاض أو الطـول ، وإنما قـد يهدف إلى الكشـف عـن عـلاقـة أخرى أيضـاً ، وهـي أن النهـر رمـز للحيـاة والانتصار على الفناء أو وسيلة إليهما ، أو أنه وسيلة للدمار والقهر والموت ، كما هو الحال بالنسبة للسيف ، وبذلك يعطي الشاعر لكلا اللفظين أبعاداً معنوية جـديدة ربما تتبرعـم وتتفرع وتتشعـب إلى مـا لا نهاية ، وعلى هـذا النحو يمـد الشعر قارئه بمدلولات وارتباطات معنوية وافرة للكلمات والتراكيب اللغوية مما يجعل هذه الكلمات والتراكيـب مرنة لديـه ثرية في معانيهـا وإيحاءاتها ، كما أنه يهيىء للغة عوامل النماء والاتساع والثراء .

ولقـد تميزت اللغـة العربيـة بغزارة مـادتها بفضل مـرونة أصـواتها وطواعيـة مفرداتها وتعدد طرائق نموها وتوسعها وعراقة الأدب والشعر فيها ، فأصبحت طوائف كثيرة مـن ألفاظها ذات معان ومـدلولات وافرة ، تستعمـل للتعبير عن المواقف الشعـورية بشكل دقـائق وعن النـزعات والحركات الحسيـة والأغراض والأفعال المادية الحقيقية بكل أشكالها ، كما تستعمل للتعبير عن أغراض مجازية مختلفة ومتعـددة وحركات أو خلجـات نفسية دقيقـة ، فالعظمة في هـذه اللغة على سبيل المثال (صفة للعظيم ، والعظيـم هو كبير العظام أو الكبير الأخلاق

والمزايا، والأنفة هي حركة الأنف في حالـة الترفع والاشمئزاز، وهي حركة تشبه الإشاحة بالأنف أو ضمه لاتقاء رائحـة تعاف. والعزة يوصف بها المكان المنيع والرجـل المنيع، فـالعزيز في الحالين غير السهـل المباح. والنبـل ما ارتفـع من مكان أو شأن، وكذلك الشرف، وهما وصفان للخلـق الرفيع والمرتبة الرفيعة. والرحمة هـي عاطفـة ذوي الأرحام، وتـدخل العـاطفة مثلهـا في هذا القيـاس فيقال: عطف على المكان كما يقال: عطف على الإنسان...)[٢٦]. وهكذا نجد هذه اللغة غـزيرة المادة مرنة رحبة، (لم تكن مجرد طـوائف ثرة من الألفاظ وإنما كـانت فيضـا متدفقـا من المعـاني والعواطـف وثورة مـن حقائق النفـس وهجسـات الضمير ومنـازع الهوى. ولم تكن أداة للتعبير فحسـب، ولكنهـا كانـت ثروة من الفكـر ودفقة من العـواطف، ونبعـة من الأحاسيـس، ملأت نفوس الشعـراء فعبروا بها عن أحـاسيسهم، وفـاضت في أذهـان الكتاب فصاغوا بها أدبهم)[٢٧]، وتمكنوا بذلك من أن يقوموا بدورهم في عملية التوليد والاشتقاق والنقل والمزج والتركيب والمصاهرة والإغناء بكل طرقه وأساليبه، وأن يجعلوا اللغة أكثر غزارة وأكثر خصوبة وقابلية للتطور والنماء.

وحسب القارىء أن يرجع إلى معاجـم هذه اللغة ليتبين حقيقة هذا النماء، وأن يرجع إلى معجم «أساس البلاغة» لمؤلفـه جارالله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ليطلع على بعض ما كان للأدب العربي من آثار في تحقيق هذا النماء عن طـريق المجاز، أو يقـرأ ما أُثر عن أدبـاء العرب وكتابهم مـن رسائل ومقامـات، بله ما أُثـر عن شعرائهم مـن أعمال، ليطلع على الرصيـد اللغوي الضخم في إطاره التطبيقي الفاعل الحي، وليتبين مدى تفاعل الأدب مع اللغة وقدرة الأديب على استغلال إمكانات اللغة وطاقاتها وعلى إبراز هذه الإمكانات والطاقات أو إنعاشها وإنمائها وتطويرها.

لقد حملت إلينـا الرسائل الديوانيـة والإخوانية والمقامات التـي ورثها العرب كجزء مهـم من تراثهم الأدبي ثـروة فنية ولغوية راقيـة، أظهرت جانباً ممـا تحقق

للعربية من رصيد لفظي ضخم، كما أظهرت براعة الأديب العربي في استخدام هذا الرصيد وفي تنمية الارتقاء به. يقول آدم متز: «رسائل القرن الرابع الهجري هي أدق آية من ازدهار الفن الإسلامي، ومادتها هي أنفس ما عالجته يد فنان، وهي اللغة، ولو لم تصل إلينا آيات الفن الجميلة التي صنعتها أيدي الفنانين في ذلك العهد من الزجاج والمعادن لاستطعنا أن نرى في هذه الرسائل مبلغ تقدير المسلمين للرشاقة الرقيقة، وامتلاكهم لناصية البيان في صورته الصعبة وتلاعبهم بذلك تلاعبا، وليس من محض الاتفاق أن كثيراً من الوزراء في ذلك العهد كانوا من أساتذة البيان وأعلامه، ولذلك استطاعت رسائلهم أن تنال من التقرير ما جعلها خليقة أن تنشر كتباً للناس»[٢٨].

ولقد شكلت الأسجاع التي زخرت بها الرسائل المذكورة ظاهرة لغوية بلاغية كانت لها أهميتها، وكان لها دورها في إبراز جانب من الترف الفكري والترف الفني واللغوي الذي وصل إليه المسلمون العرب إبان ازدهار حضارتهم ودولتهم. فقد أرتنا هذه الظاهرة ما بلغه العقل العربي في هذه الفترة من قدرة على التفنن في استخدام اللغة بنبرات حروفها وإيقاعات كلماتها وأنغام تراكيبها وجميع إمكاناتها المعنوية وطاقاتها الصوتية والإيجابية كأدوات للتعبير عن الفكر وعن الإحساس معا. وكما اشترك فن السجع في هذه الرسائل وغيرها مع الشعر في إظهار شاعرية اللغة وحيويتها وثرائها، كذلك اشترك معه في إبراز شاعرية الإحساس العربي والطبيعة الموسيقية التي تميز بها هذا الإحساس[٢٩].

وإذا كان الأدب ونوعه الراقي المتمثل في الشعر وفي تلك الرسائل الأدبية الفنية المؤثرة على الأخص ثري اللغة في ذاته فإنه شديد الفاعلية في نقله لهذه اللغة وفي تمكينها من النفوس وترسيخ عناصرها في الأذهان، فلجمال العبارة وفنية الصياغة اللفظية وإيقاع اللفظ وحلاوة جرسه في الأشكال أو الصور الأدبية الراقية كالشعر والأسجاع العفوية الجميلة مثلاً أثر ظاهر متميز في الإيحاء بمعاني التراكيب اللفظية المجهولة أو المنسية. «إن اللفظ المستعذب» كما يقول

القرطاجني «وإن كان لا يعرفه جميع الجمهور مستحسن إيراده في الشعر لأنه مع استعذابه قد يفسر معناه، لمن لا يفهمه، ما يتصل به من سائر العبارة»[٣٠].

إن لغة الشعر لغة تصويرية موسيقية، وكل كلمة فيها منغمة ملحنة، تشع صوتاً موسيقياً بجانب معناها أو مدلولها اللغوي، وهو معنى مزيد يتلافى به الشاعر ما يحسه من قصور في أدائه للمعاني العاطفية أو يزيد في بعد هذه المعاني ويعمقها أو يصورها ويجسدها، وبذلك يستكمل أداء انفعاله الوجداني، ويربطنا بهذا الانفعال ربطاً محكماً، وهو بهذا الربط يشدنا إلى كل كلمة احتوتها لغته. إن كلماته تتوالى في وحدات موسيقية إيقاعية، تحرك فينا الشجى والطرب، فنحس بها وكأنها رحيق خالص مؤنق من النغم الحلو الصافي[٣١]. وهكذا تنفذ إلى نفوسنا وتعلق في أذهاننا، بكل ماتحمل من معان وظلال، وبكل ما كمن فيها من أسرار.

وإذا كان الأدب الرفيع عامة قادرا على أن يبعث إلى الوجود كثيراً مما هجر أو نُسي أو حُرِّف أو غُيِّر أو تراجع استخدامه من الألفاظ والمعاني، ويقربها في صورها النقية إلى الأذهان، ويبرزها في سياقات جديدة وعبارات جميلة وإيقاعات متميزة، فتألفها القلوب وتأنس إليها النفوس فإن للشعر بفضل ما تميز به من خصائص فنية عن بقية الأنواع الأدبية الدور الأكبر في ذلك. يقول (ستيفن أولمان) S. UIlmann[٣٢]: «وقد يجدد الشعراء في الصور القديمة للمعاني ويعيدون إليها الحياة التي فقدتها بالتدريج، وذلك بالرجوع إلى أصولها التاريخية الأولى»، فعندما يقول الشاعر على سبيل المثال عبارة «طويل اللسان فصيح البيان»... ويضعها في إطارها الشعري المنغم تبرز العبارة «طويل اللسان» فجأة إلى الأذهان ويتضح معناها القديم وضوحاً لا خفاء فيه، وهذا المعنى القديم هو الوصف باللسن والبلاغة. ولاشك في أن هذا المعنى القديم الجديد للعبارة سيتركز في الذهن بفضل السياق الجميل جنباً إلى جنب مع معناها الدارج المألوف وهو «السلاطة والبذاءة».

من خلال كل ما تقدم يتضح معنى ما أردنـا من تطويع الشاعر المبدع للغة أو ترويضـه لها وسعيه لتنميتهـا وتطويـرها وهو ينحـت منها أدواتـه ويصوغ عبـاراته ويبتكر أساليبه ويخصب الألفاظ والمعاني لتتوالد وتنمو وتتكاثر، ويبعث إلى الحياة ما هجـر أو نسي منها لتبقى وتستقر، ويتبين بعـد ذلك مدى ما يلعبـه من دور في إغناء الأذهـان من الألفاظ والمعـاني والتراكيب والأساليـب اللغوية المختلفـة وهو يرسم صورة الفاتنة ويجسد أحاسيسـه ومواقفه المؤثرة. إنه يستخدم اللغة ويخدمها في آن واحد، بل إن استخدامه إياها في حد ذاته يعد خدمة لها.

يقول سـارتر: «إن الشـاعر لا يستخـدم الكلمات بحال، ولكنـه يخدمها، وهو أبعد ما يكون عن استخدام اللغة أداة، وقد اختار طريقه اختياراً لا رجعة فيـه، وهو طـريق فـرضه عليـه مسلكه الشعـري في اعتبار الكلمات أشيـاء في ذاتها، وليسـت بعـلامـات لمعان.. والكلمات للمتحـدث خـادمـة طيعـة، وللشاعر عصبيـة أبية المراس، لم تستأنس بعـد، فهي على حالتها الـوحشية، والكلمات للمتحـدث اصطلاحـات ذات جـدوى، وأدوات تبلى قليلاً قليـلاً باستخدامها، يطـرحها حين لا تعود صالحة للاستعمال، وهي للشـاعر أشياء طبيعية، تنمو طبيعية في مهدها كالعشب والأشجار»(٣٣).

ومهما كان نـوع الأدب شعراً كان أو نثـراً فإن قـارىء النصوص الراقيـة منه تجذبه الألفاظ والعبارات بإيقاعـاتها الجميلة وجرسها المؤثر، وتلمس الكلمات أحاسيسه بـأصواتها الموحية وصياغـاتها المصورة، فتعلق في ذهنه مـع ما تحمل من معان وإيحاءات وما تعكسه من انفعالات، وتلقى صدى في نفسه وتجاوباً في شعوره، وبهذا تكـون حصيلته اللغوية مـن قراءته لهذه النماذج أوفـر وأغنى من حيـث الكم، وأسمـى من حيـث النوع أو المستـوى، إذ تشمل المفـردات اللغـوية، بمعـانيها الفكـريـة أو الذهنيـة والمعجميـة، وبمعانيهـا المجازيـة والعاطفية أو الانفعالية(٣٤) ومعانيها الخيالية الباطنة والظاهرة... بينما قد يجد قـارىء الموضوعـات العلمية مـا يشد إحسـاسـه من صـور وأخيلة وأصـوات وإيقاعات وأنغام(٣٥).

إن الخطاب في الموضوعـات العلمية في العادة موجه لعقله وليـس لعاطفته وروحه، ولـذلك فإن القـارىء يتجه بعقله أو ذهنـه إلى الأفكار الطافيـة فيها ويتابع عرضها أو سردها ويتتبع تسلسلها، وربما شغله ذلك عن الالتفات إلى القوالب اللفظية التي تحملها ونوعية هذه القوالب وشكلها وأثرها.

والموضوعات الأدبيـة التي نتحدث هنا عنهـا وعن أثرها في تنميـة الحصيلة اللغوية لا تقتصر على تلك النتاجات ذات الطابع الأدبي التخصصي البحت، أو النتاجات المتمثلة في الأنواع التقليديـة للأدب، كالشعر والقصة والمسرحية والمقالة الـذاتية والرسائل وغيرهـا من الكتابات المشحـونة بالعواطـف والصور والمجازات والتخييل والتمثيل والتشكيل، وإنما نعني بالموضوعات الأدبية كل الأعمال أو النتاجات التي تتناول الجوانب الإنسانيـة، وتعالج المشاكل المتعلقة بالحياة والعلاقات الناشئة بين المخلوقات في هذا الكون، ويتجه فيها الخطاب إلى النفـس البشرية أو الـروح والعقل معـاً، ويقصد بها التـأثير في أحاسيـس المتلقي أو في أحاسيسـه وفكره معاً، ويسعى إلى تغيير مـواقفه في إطار تعبيري فني جميـل، يتعانـق فيه الخيال مـع الفكر، وتترقـرق الأفكار فيـه في ذوب من العاطفة، وتتضح فيه رهافة الحس وأناقة الذوق ورقة الطبع وثراء اللغة. وعلى نحو مختصر نعني، «كل الأعمال التي تغلب فيها الوظيفة الجمالية»[٣٦]. وإن تفـاوتت هـذه الأعمال في مـدى خصـوبتها وثـرائهـا اللغـوي وبعدهـا الجمالي والتـأثيري، واختلف تبعـاً لذلـك مقدار مـا يمكن أن يكتسبـه القارىء مـن محصول لغوي منها.

والموضوعات الأدبية مهما كان طابعها أو كانت قيمتها فإن العائد من لغتها لا يفـي بحاجـة الفرد للتعبير في مجالاتـه أو نشاطـاتـه المختلفة، لـذلك فـإن المفاضلـة بين هذه الموضوعـات والموضوعات العلمية وبيـان أهمية ما تعـود به قراءة الموضوعات الأدبية على لغة الناشـىء لا يعني بحال من الأحوال التقليل من شأن الموضـوعات العلمية أو القول بـأن قراءة هذه الموضوعـات لا تعــود

على الفرد بحصيلة لغوية جيدة، فالموضوعات العلمية الراقية يفترض أن تكون غنية بالمصطلحات والمعاني الدقيقة والألفاظ والعبارات المحددة المفاهيم، ولها أهميتها في مجالاتها الخاصة.

إن الألفاظ والمعاني والصيغ والتراكيب المكتسبة من الموضوعات تمكن الفرد من تذوق الفن، وتكسبه القدرة على التفاعل مع ما تفيض به العواطف والقرائح من نتاجات إبداعية، فيصقل بذلك ذوقه وتهذب موهبته ويرقق إحساسه وتسمو قدراته الفنية وقابليته على التعبير عن انفعالاته الخاصة وآرائه وتصوراته الذاتية ومواقفه الوجدانية على اختلافها وفي أدق صورها وأشدها تعقيداً. وفي المقابل فإن المصطلحات الوافرة والمعاني الدقيقة والألفاظ والعبارات المحددة المفاهيم التي يضيفها هذا الفرد إلى رصيده اللغوي من خلال قراءته للموضوعات العلمية لها أهميتها الكبيرة في مجال التعبير عما ينتجه عقله ويفيض به فكره وتخصبه أو توحي به معارفه وخبراته، كما أن لها أهميتها في زيادة رصيده العلمي وتنمية محصوله المعرفي الذي يغذي به عقله ويشحذ به ذهنه ويرتقي بقدرته على التفكير المبدع.

إذا كان ما يكتسبه الفرد من قراءة الموضوعات الأدبية من مفردات وتراكيب وصيغ لغوية يعينه في نظم قصيدة شعر أو كتابة قصة أو رواية أو مسرحية، أو كان ذلك يهيئه لكتابة مقالة ذاتية مؤثرة لقول خطبة مثيرة مقنعة، فإن ما يكتسبه من مفردات لغوية من خلال قراءته للموضوعات العلمية يعينه بلا ريب على كتابة البحوث والتقارير العلمية والإدارية والسياسية والاقتصادية وغيرها التي قد يمليها عليه اختصاصه أو تفرضها متطلبات حياته. . ومع ذلك فإن اللغة في الموضوعات تبقى محافظة على مكانتها وعلى تفوقها من حيث السعة والغزارة أو الثراء. فمهما كان من غنى اللغة في الموضوعات العلمية فإنها تبقى على محدوديتها، لأن هناك أصولا وقوانين تحكمها ومواصفات لابد من مراعاتها فيها. ولنا أن ندعم هذا الرأي بما وضعه

الدكتور عبد الصبور شاهدين من ضوابط للغة العلمية أو (عربية الأعمال ولغة الرسائل والتقـريرات العلمية) كما يعبر، حيث أوجب أن تتوافـر في هذه اللغة المواصفات التالية :

١ ـ استخدام الألفاظ الحسية دون التجريدية .

٢ـ تفضيل الجمل القصيرة دون الطويلة .

٣ـ لا يستخدم من الألفاظ غير الضروري .

٤ـ تفضيل المأنوس من الألفاظ

٥ـ استعمال الأفعال المتعدية .

٦ـ عدم الإسراف في الصفات .

٧ـ تفضيل البناء للمعلوم على البناء للمجهول .

٨ـ ألا يستعمل من الألفاظ ما كان ذا معنيين لأنه غامض الدلالة(٣٧) .

يمكننا أن نتصور من خلال تأملنـا في هذه المواصفات إلى أي مدى تضيق دائرة اللغـة في الموضوعـات العلمية ، أو إلى أي مـدى تقل العنـاصر اللغويـة المكتسبـة منها حينما يتجنـب في هذه اللغـة استخـدام الألفاظ التجـريديـة ، والأفعال الـلازمة ، والأضـداد أو الألفاظ المشتركـة المعاني والألفـاظ المنتقاة أو الخاصة الـراقية أو البعيـدة عما ألفه عامـة الناس أو عـامة المثقفين وابتـذلوه ، حيث يقل فيهـا استخدام الصفات ، وصيغ الفعل المبنـي للمجهول ، ويصل فيها استخدام الألفاظ إلى الحد الأدنى الذي تفرضه الضرورة .

وإذا كـانت هـذه المواصفـات تراعـى في اللغة العلميـة مـن أجل تحقيـق الوضـوح اللازم للتحـديد والتعليم ونقـل المعلومـات ومخاطبة العقـل في هذه اللغة ، فليس في اللغة الأدبية ما يـدعو إلى التقيد دائماً بهذه المواصفات ، حيث تعمـل الصـور الخيـاليـة والإيقاعـات الموسيقيـة للعبـارات وجـرس الكلمات والحروف جنباً إلى جنـب مع السياق بكـل أبعاده على الإيحاء بالمعـاني والأفكار

في هذه اللغـة ، حيث تعمـل الكلمات والتراكيب اللفظيـة نفسها على تجسيـد مـواقف وجـدانيـة مـؤثرة وعلى خلـق أجـواء مثيرة حـافزة على كشـف المعـاني واستيحاء الأفكار، وإن أصبحت هذه الكلمات والتراكيـب غامضة أو ملتبسة أحياناً، لا تدل على معانيها أو مـدلولاتها بصيغتها وأشكالها في النماذج الأدبية الراقية فـإنما لكونها جعلت رموزاً وأدوات تهيـىء أو تدعو لاكتشاف عـالم ثري من المعاني والأفكار والأخيلة، كما أنها قد تكون ألفاظـاً وتراكيب فردية خاصة بالأديـب وبعوالمه الممتدة الغنية تصبـح عن طريق التفـاعل والتأثر الـوجداني مشتركة بينه وبين من يقرأ نتاجه من مستخدمي اللغة.

أسلوب القراءة وأثره في اكتساب المفردات

سواء كانت الموضوعات المقروءة علمية أو أدبية فإن نسبة المحصول اللغوي الـذي يستفاد منهـا تتـوقـف كما سبق القـول على نـُوعيـة القراءة وأسلـوبها أو طريقتهـا، وأسلوب القراءة يختلف مـن شخص لآخر، وهذا الاختـلاف يعود في الغالب إلى مستوى القارىء وثقافته وطبيعة مـزاجه وعادته والوقت المتاح له والهدف الذي يقصـده من القراءة، كما يعود إلى طبيعـة هذا القارىء وتكـوينه ومدى وعيه وإدراكه.

هناك مـن يقرأ وقصده ممـا يقرأ معرفة محتـوى النموذج المقروء والإحـاطة بما يتضمن هـذا النموذج من معان وأفكـار أو معلومات جـديدة. دون الاهتمام بالشكل، ودون التفات إلى نوعية وطريقة نظم القوالب التي أدت ونقلت تلك المعاني والأفكار أو المعلومات، فهو كما يعبر ابن رشيق القيرواني لا يبالي «حيث وقع مـن هجنة اللفظ وقبحه وخشـونته»(٣٨). وعـدم التفات هـذا القـارىء للألفاظ وشكلها، وعدم تذوقه لها ولصيـاغتها وإيقاعات أصواتها تجعل نسبة العالق منها في ذهنـه والمستقرمنها في ذاكرته قليلا. وهناك من جـانب آخر من يقرأ كحـاطب ليل أو جـامع لزبـد البحر، يمـر بموضوعـه عجلاً عابـراً، إما لضيق وقته أو لعـادة في القراءة ألفها، أو لعدم اكتراث كبير بما يقـرأ، وبذلك

فلا يعلق في ذهنه من المعاني والألفاظ والأفكار إلا ما كان متكرراً أو طافياً على السطح . كما أن هناك من يقرأ متعثرا ضجراً متملـلا ، إما لضحالة ثقافته ، أو لعجز لغته أو لقلـة إدراكه وفهمه ، أو لغموض وتعقيد في أسلـوب ما يقرأ ، أو لعدم وجـود حافز يدفعـه أو يشده إلى موضوعـه وإحساسه بأنـه كالمجبر على قراءة ما يقرأ ، ومثـل هذا القارىء لا يستفيد إلا على قدر ما يستـوعب ويهضم من أفكار ومعان وما عسى أن يعلق في ذهنه من الألفاظ والتراكيب المعبرة عنها وهو لا يعدو أن يكون قليلاً ضحلا في الغـالب ، والألفاظ والتراكيب تسحب بمعانيها إلى ذاكرته في بطء وملل وفتور.

من جهة أخرى نجد أن هناك من يقرأ بأناة وحرص متتبعاً المعاني والأفكار، ومتذوقاً في الوقت نفسه التراكيب والألفاظ والصيغ التي تنقل هذه المعاني وهذه الأفكـار أو تعبر عنها ، يتحسـس الكلمة الـرقيقة والصـوت الجميل والعبـارة الموحيـة والتركيـب الأنيـق واللفـظ الجزل ، يـرددهـا على لسـانـه أو في ذهنـه ويتصورها في مخيلته ، يقارن بينها وبين ما تعبر عنه وتوحي به وتشير إليه وينظر إليها وكأنـه يلمسها بعينيه ، ويسمع نبرات أصـواتها بأذنيه ، وبذلـك يعلق في فكره ويثبت في ذاكرته قسط واف منها .

ولطـريقة القـراءة من حيـث الجهـربها أو الإخفات فيهـا أثر في اكتسـاب مفردات اللغـة أيضاً. فمـع أن القراءة الصـامتة لها إيجابيـات وفوائد في زيـادة وسرعة استيعـاب القارىء لما يقـرأ ، وفي توفير جهـده ووقته ، وتـوفير الهدوء له ولمن يحيط به أو يجالسـه ، وفي تخيل المعاني التجريـدية والعبارات وما تـوحي به من صور ، فـإن للقراءة الجهرية إيجابيـاتها وفوائدها الكثيرة من حيـث اكتساب المهارات اللغـوية بنحـو خاص . فعند القـراءة جهراً يتعـرّف القارىء نـواحي الانسجام والتواؤم الصوتي والموسيقي للألفـاظ والتراكيب ، فيتذوقها ويتمثلها ويتمثل معـانيها . ومما يزيـد من تصوره لها ولمدلولاتها ومعـانيها أنه يراهـا هنا ببصره وينطقها بلسانه ويسمعها وهو ينطقهـا بأذنه فتتجسد في ذهنه أو مخيلته

فيسهل عليه تصورها واسترجاعها . هذا إضافة إلى أن للقراءة الجهرية آثارا إيجابية ملحوظة في تحسين النطق وتدريب أعضائه وبالتالي تنمية الملكة اللغوية والبيانية لدى القارىء ، لا سيما إذا كان ناشئا .

ولراحة بال القارىء ونشاط جسمه وهدوء نفسه ووجود الرغبة لديه إلى القراءة أثر إيجابي كبير في الاستفادة مما يقرأ ، وفي زيادة ما يكتسب من المعاني والأفكار وما يلتقط من التراكيب والألفاظ ، إذ إن هناك فرقا عظيما كما يقول الكاتب والشاعر الإنجليزي (جلبرت كيث تشسترتون) Gilbert K. Chesterton «بين شخص متشوق يريد أن يقرأ كتاباً ، وشخص متعب يريد كتاباً ليقرأه»(٣٩) . فعندما يتعب جسم الإنسان وتضطرب نفسه ويصبح مكدود البال يتعكر مزاجه ، وتختلط الأمور في ذهنه ، ويتعثر إدراكه وفهمه لما قد يقرأ ، وبذلك يقل استيعابه لمحتوى ما يقرأ ويقل محصوله منه فكراً ولغة . وإذا ما زال تعبه وهدأت نفسه وارتاح باله صفا ذهنه وتفتح ، وصفت مخيلته واتسعت ، وإذا ما صحب ذلك رغبة واتجاها ذاتياً لقراءة نص أو موضوع أو كتاب ما ، سهل عليه حينئذ استيعاب وهضم مضمون ما يقرأ ، وأسرع ذهنه إلى تمثل الأفكار والمعاني وتمثل الأشكال والصور والألفاظ والعبارات التي تنقلها أو توحي بها أو ترتبط بها ، وبذلك تزداد حصيلته من الجميع .

وقد أشار بشر بن المعتمر البغدادي (ت ٢١٠هـ) في صحيفته المشهورة إلى ضرورة مراعاة الجانب النفسي في الكتابة تصريحاً وفي القراءة ضمناً فقال : «خذ من نفسك ساعة نشاطك ، وفراغ بالك وإجابتها إياك ، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهراً ، وأشرف حسباً وأحسن في الأسماع ، وأحلى في الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع ، واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمطاولة والمجاهدة وبالتكلف والمعاودة ، ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولاً قصداً وخفيفاً على اللسان سهلاً ، وكما خرج من ينبوعه ، ونجم

من معـدنه»[٤٠]. فهذا القول وإن كان ابن المعتمر يعني به الكاتب الناشيء نراه ينطبق على القاريء الناشيء أيضا.

وقد ثبت علمياً أثر الراحة النفسية والجسدية والحالة الانفعالية المستقرة في الاحتفاظ بالخبرات ـ ومنها الخبرات اللغوية ـ التي يكتسبها الإنسان، وفي سرعة تذكر هذه الخبرات واستدعائها إلى الذهن وقت الحاجة إليها[٤١].

ومهما كان نوع القراءة وشكلها وحجمها وهدفها ومرجعها وموضوعها فإنها تعد بلا شك مصدراً أساسياً ووسيلة من أهم الوسائل لاكتساب اللغة بجميع صيغها وتراكيبها ومفرداتها، كما أنها تعتبر عاملاً رئيساً من عوامل الارتباط الوثيق باللغة القومية وجميع مراحلها وأطوارها، وبتراث هذه اللغة في مختلف أشكاله وصوره المدونة الموروثة. إن القراءة تجسيد حقيقي للغة ولحياتها وحياة أبنائها في كل عصورهم وأزمانهم وبمختلف أذواقهم وأمزجتهم وأفكارهم وأحاسيسهم وظروفهم ومواقفهم وعاداتهم وتقاليدهم. . لهذا كانت الدعوة إلى القراءة والتشجيع عليها ضرورة حتمية تفرضها المطامح التربوية والقومية والاجتماعية.

وسائل مقترحة للتشجيع على القراءة

من الواضح أن الدعوة إلى القراءة، مهما كان الهدف منها، لابد أن تقترن بادىء ذي بدء بوجود القدوة، التي يمكن أن تتمثل في المدرس أو الأستاذ والأب والأخ الكبير وفي كل فرد راشد في الأسرة وكل مرب أو داع للمعرفة، كما ينبغي أن تقترن أيضاً بكل ما من شأنه أن يبرز أهمية الثقافة والمعرفة وأهمية اللغة كوسيلة أساسية لهذه المعرفة وهذه الثقافة. وبكل ما من شأنه أن يجتذب القاريء إلى الكتاب ويشده إلى القراءة شداً طوعياً ذاتياً مستمرا، وأن يصاحب ذلك كله القيام بأنشطة مستمرة تهدف إلى إيصال الكتاب والمادة المقروءة إلى عموم أفراد المجتمع.

إن ارتباط أفـراد المجتمع بالمادة المقروءة النـافعة المثمرة ارتباطـاً وثيقاً حميماً، يعني الارتقـاء بالمستوى الثقافي لهؤلاء الأفـراد، والارتقاء الثقافي يعني بـلا ريب الارتقـاء بالفكـر واللغة على صعيـد واحد، والميراث الفكـري واللغوي الثـري للمجتمع ينتقل بطبيعة الحال إلى أبنائه أو ناشئتـه ليكون القاعدة الأولى للرقي والازدهار الحضـاري، وهكذا فـإن حديثنا عـن وسائل التشجيـع على القراءة يعني الحديـث عن وسائل الارتقـاء باللغة ووسـائل إغناء حصيلة هـذه اللغة وتنميـة محصول أبنـائهـا منها. كما يعنـي الحديث عـن أهـم وسائل النهـوض الفكري والتقدم الحضاري.

إن الحديث عن الوسائل والإجـراءات التي تهدف إلى التشجيع على القراءة وإلى توثيق الارتباط بالمادة المقروءة يمكن أن يتخذ عدداً من المحاور، فيتناول ما يمكن أن يتخذ من إجراءات على صعيد الأسرة، وما يمكـن أن تتخذه المدرسة من وسـائل، ثم ما يمكن أن يتخـذ من سبل على الصعيد الاجتماعـي العام، وهذا الأخير قابل لأن يتفرع ويتشعب، تبعاً لتعدد وتفرع المؤسسات الاجتماعية التـي يعنيها أمـر الثقافـة والكتاب بشكـل مباشر أو غير مبـاشر، وهكذا فـإن التبسيط والتفصيـل أو الاستطراد في هذا الحديـث قد يخرج بنـا إلى البحث فيما يتصـل بعالم الثقـافة وقضـايـا التثقيف، ومـوضوع القـراءة ومـا يرتبـط به مـن مشـاكل، والكتـاب العـربي وما يـواجهه مـن عقبـات، وغير ذلك ممـا يخرج البحـث عن إطـاره الموضوعـي المحدد، ويخل بـالتوازن المنشـود بين فصولـه. لذلـك سنقتصر هنا على ذكر أهـم الأنشطة أو الإجراءات التـي يمكن أن تثير الاهتمام بالقراءة وتشجع على الارتباط بالكتاب عامة، على أن نعود لذكر بعض آخر منها في مجالات أخرى مرتبطة في فصول قادمة من هذا البحث:

١ ـ إنشاء أو زيادة أعداد المكتبات العـامة، بحيث تشمل المدن والقرى والأرياف والمناطق المأهـولة بالسكان، لتكون الكتب قريبـة من عموم أفراد المجتمع، ثـم تزويد هـذه المكتبات بالإصدارات النـافعة المتنوعـة، وتهيئة

الأجواء المشجعة على القراءة والبحث فيها، وتعريف روادها بنظم التصنيف والاستخدام المتبعة فيها وعلى طرق استغلال مواردها بكل الوسائل الممكنة.

وقد اتخذت المكتبات المركزية ومكتبات الجامعات المتطورة في البلدان المتقدمة بعض الأجهزة السمعية والبصرية الحديثة كوسيلة للتشجيع على استعارة الكتب وعلى القراءة عامة. فقد اتخذ كل من «الفيديو» والتلفزيون التعليمي بقنواته المغلقة والكمبيوتر، كأدوات للتعريف بالمكتبة وبمقتنياتها من الكتب والدوريات والأفلام وغيرها من المواد المقروءة، وكوسائل لتوضيح نظم الفهرسة والتصنيف والإعارة والحجز المتبعة فيها، وإرشاد الزائرين إلى مواضع المعلومات وأقسام المكتبة المختلفة، وإطلاعهم على كيفية استخدام المراجع وعلى كل ما يحتاجونه لتسهيل مهمة الإطلاع(٤٢).

ومما يمكن أن يقترح في هذا المجال أن تكون في الجوامع والمساجد وأماكن العبادة عامة مكتبات مناسبة، أو أن يكون في كل منها ركن خاص توضع فيه مجموعات من الكتب الدينية والأدبية والثقافية المناسبة في مستوياتها وموضوعاتها، فذلك قد يشجع من يؤم هذه الأماكن على القراءة وخاصة الناشئة منهم، نتيجة للصفاء الروحي والتوجه الشعوري الذي عادة ما يحدث لمن يؤم هذه الأماكن فيغلب معه الاتجاه للكسب المعنوي الذي يعد الكسب المعرفي شكلاً من أشكاله.

٢ـ إقامة علاقة حميمة بين الناشىء والكتاب داخل نطاق الأسرة، وتنشئة الطفل منذ عهد مبكر على حب القراءة والاستئناس بالكتاب، وإقناعه بأهمية الثقافة ومنافع القراءة، وتهيئته نفسياً للاتجاه الطوعي إلى التعلم الذاتي، والعمل على تنمية مهارات التذوق الأدبي لديه، وتشجيعه على الاهتمام بالشعر، لما يحتويه الشعر من مؤثرات فنية، ولما للشعر من آثار إيجابية في حياة الطفل وفي تنمية رصيده اللغوي وفي إيقاظ شعوره وتطوير

قدراته على التذوق الفني وعلى التخيـل والحفظ والإلقاء الجيد، ولما للشعر أيضا مـن أثر في تنميـة شعور هـذا الطفل بـأهمية جمال الصيـاغة اللفظيـة وبقيمة الكلمة من الناحية التعبيرية(٤٣).

لاشـك في أن من أهـم العـوامل المسـاعـدة على توثيـق ارتبـاط الناشـىء بالكتاب وتشجيعه على القراءة إنشاء مكتبة خـاصة بأفراد الأسرة، تضم عدداً مـن المعجمات اللغـويـة والموسـوعــات الثقـافيـة أو دوائر المعـارف الخاصـة بالنـاشئين، كما تضم مـن الكتب الثقـافية العـامة والخاصـة ما يسـد حاجـة الناشىء ويرضي ميوله ويوفر له المتعة النفسية والذهنية، وما يثير في نفسه حب الاستطلاع والفضـول العلمي ويحثـه على البحث والتفتيش عـن المعرفـة، وما يشبع في نفسـه هوايـة خاصة لها أثـر إيجابي في حياتـه أو في سلوكـه أو تحصيله الدراسي وثقـافته بنحو عام. ويحبـذ أن تضم هذه المكتبـة كذلك مجموعـة من القصص والدواوين الشعرية الملائمة لمستـويات ناشئة الأسرة، المتميزة بلغتها الجميلة وبإيقاعاتها الموسيقية المؤثرة وصورها الخيالية الجاذبة.

ويفترض أن تكون الكتب التي تشتمل عليها مكتبة الأسرة عامة مبسطة في موضوعاتها وفي أسـاليبها، وأن تكون مختلفة في مستوياتها الثقـافية والأسلوبية بحسب اختلاف المستويات العقليـة والتعليمية لأعضاء الأسرة نفسها، ليجد كل فرد من أفراد هذه الأسرة فيها ما ينـاسبه ويلبي رغبته ويمكنه من الاستفادة دونما صعوبة. كما يفترض أن تكون هذه الكتب متنـوعة الموضوعات، تتماشى مع تخصصات واتجاهـات وميول معظم أفراد الأسرة إن لم يكـن كلهم. وبما أننا هنا في صدد الحديث عن إغناء المحصول اللغـوي فلابد من التأكيد على أهمية الكتب التي تمتـاز بأساليبها الـراقية وثرائها اللغـوي الذي تفرضه مـوضوعاتها الأدبية الفنية والثقافية أو العلمية المنتقاة.

ويستحب أن يخصـص لهذه المكتبة جزء ولـو يسيرا من ميـزانية الأسرة، أو يشع جميـع أفراد الأسرة القادرين على المشـاركة في تطـويرها وتخصيص جـــزء

من دخل كل منهم لزيادة محتوياتها، ليزداد حرصهم عليها والعناية بمحتوياتها ولتظل هذه المحتويات في تنوع وتجدد مستمرين، الأمر الذي يؤدي في العادة إلى زيادة ارتباط الناشئة بها.

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد اقتراح أحد الدارسين إهداء مجموعات من الكتب إلى المتزوجين الجدد لتكون لهم بمنزلة نواة لمكتبات عائلية[٤٤]. وهذا المقترح ربما يكون وجيهاً، ويمكن أن ينطبق على المتزوجين المتعلمين بصورة أخص، حيث تنتقى مجموعات من الكتب تتناسب مع تخصصاتهم أو مستويات تعليمهم وتهدى لهم من قبل أقاربهم وأصدقائهم أو المؤسسات التي يعملون فيها إن كانوا يعملون في مؤسسات. ولاشك أن مثل هذا الإجراء يشكل إيحاء من قبل أفراد المجتمع المحيطين بأهمية الثقافة ودافعاً للمتزوجين الجدد لرعاية هذا الاهتمام وغرسه في نفوس نشئهما القادم.

ومن الإجراءات التي يمكن أن تتخذها الأسرة لتوطيد علاقة الناشىء بالكتاب بالإضافة إلى ما ذكر اصطحابه بين آونة وأخرى إلى المكتبات العامة وتعريفه على نظم الاستعارة فيها وطرق تصنيف الكتب وطرق الرجوع إليها.. وكذلك اصطحابه إلى محلات بيع الكتب وتشجيعه على شراء ما يتناسب مع مستواه العقلي أو المعرفي منها، لتكون مكتبته الخاصة به.

ومما يمكن أن يساعد الأسرة على تأدية دورها في حث الناشئة على القراءة توثيق الارتباط بالمادة المقروءة أو يشجعها على القيام بهذا الدور ما يلي:

أ ـ تشجيع المؤلفين على الاهتمام بكتب وقصص الأطفال، ورصد المكافآت العينية وتخصيص الجوائز المادية والمعنوية للمتميزين في مجال التأليف والنشر للأطفال، والعمل على تطوير فن الكتابة للأطفال، عن طريق إنشاء فروع خاصة لدى المؤسسات الثقافية والمؤسسات اللغوية المعنية بهذا الفن وتقديم الدعم المادي والمعنوي اللازم لهذه الفروع[٤٥]، سواء من قبل الجهات الرسمية أو غير الرسمية، لتسهيل مهمات التأليف في هذا

المجـال للمساعـدة على نشر وتوزيـع ما يصـدر من نتـاجات نـافعة. هـذا بالإضافـة إلى الاهتمام بأدب الأطفال والتشجيع على التأليـف فيه وعلى وضع تصانيف تشتمـل على مجموعات شعرية مختـارة ملائمة من حيـث مضامينها ولغتها للأطفال بمختلف مستوياتها العقلية والتعليمية.

ب ـ تخصيـص زوايـا أو صفحـات في الدوريـات والمجـلات الثقـافيـة والصحـف المحلية خـاصـة بالأطفـال تقدم فيهـا المواد أو الموضـوعات التـي تتناسب مع مستوياتهم العقلية وميولهم وهواياتهم الثقافية، وترتقي بمعارفهم، وتنمي لديهم الإحساس الفني والقدرة على التذوق الأدبي والشعور بجمال اللغة وأهميتها وأهميـة التمكن منهـا. وينبغي أن يهتم في هـذه الزوايـا أيضاً بقضـايا الأطفال ومشاكلهم الدراسية والأسرية وشؤونهم الخاصة وبكل ما من شأنه أن يجتـذبهم للقراءة وللتعـود عليهـا بنحو عـام. إن الـزوايـا أو الصفحات التـي تخصص للصغار في مجلات الكبـار تشجع الكبار من قـراء هذه المجلات على المساهمة في إبـداء المقترحات حول مـا يقدم لصغارهـم من مضامين ثقـافية أو لغوية أو حول مـا يطرح ويعالج من مشاكل متعلقـة بهم، كما أنها من جانب آخر تـربي في أنفس الأطفـال الفضول العلمـي وحب الاستطـلاع والتطلع إلى تجاوز مستوياتهم المعرفية وتحدي قدراتهم العقلية وقراءة الموضوعات المخصصة للكبار ومن ثم النهوض السريع بمستوياتهم الفكرية واللغوية.

ج ـ العمل المتـواصل على تطوير مجلات الأطفال من حيـث المحتوى ومن حيث الشكل، والسعي لإبعاد السمات التجارية أو النفعية عنها، وذلك بعدم الاقتصار فيها على مـا يضحك ويبهر ويسلي ويستهلك وقـت الفراغ من دون مردود فكري ثقافي. وتضمينها جزءا وافيا من الموضوعات التثقيفية والتعليمية التي تـرتقي بعقليـة الطفل وبسلـوكه وبحصيلتـه اللغويـة والفكريـة وترتقـي بقدراته الإبداعية، كما تنمي فيه روح الاعتزاز بتراثه وبلغته وتقوي ثقته بنفسه وتسليه وتمتع نفسه وتروض ذهنه وتشده للقراءة في آن واحد.

د ـ إنشاء المزيد من دور النشر الخاصة بكتب الأطفال وشؤون ثقافتهم والموضوعات الخاصة بهم عامة على غرار «دار الفتى العربي» التي تأسست عام ١٩٧٤م في لبنان، لأن هذه الدور كما يفترض يمكن أن تعمل كخلايا متخصصة وبتكريس متواصل على توفير كتب الأطفال وعلى رفع مستويات هذه الكتب(٤٦).

بالإضافة إلى الأنشطة المذكورة هناك أنشطة أخرى أصبح وجودها مألوفاً في كثير من البلدان المتقدمة، مثل إقامة جمعيات خاصة بثقافة الأطفال، ومؤسسات أدب الأطفال، والمكتبات العامة ومكتبات الأطفال، ونوادي القراءة الصيفية . . . (٤٧)، كما أن هناك أنشطة أخرى سيرد ذكرها ضمن الإجراءات العامة التي يقترح اتخاذها أو التركيز في الاهتمام بها في إطار التشجيع على القراءة.

٣ـ إقامة نوادي الكتب التي تهدف إلى توزيع وترويج الكتب الجيدة النافعة على اختلافها واختلاف مستوياتها وإلى زيادة القدرات الشرائية وإمكان الإعارة لهذه الكتب. ومما يفترض أن تعمل عليه هذه النوادي في إطار ذلك: التعريف المستمر بالأدباء والمؤلفين وبكتبهم، والإعلام المتواصل عن كل ما يصدر من كتب أو نتاجات فكرية مطبوعة جديدة عن طريق إصدار نشرات خاصة بها، وتوصيل الكتب أو المطبوعات عامة إلى من يرغب في شرائها أو الاطلاع عليها بكل الوسائل الممكنة والسريعة أينما كانوا وبأسعار معقولة . . . وينبغي أن يكون اهتمام هذه النوادي شاملاً للكتب بمختلف موضوعاتها، وأن تكون خدماتها ومتوافرة للناس على اختلاف أعمارهم، ومن ضمنهم الأطفال، أو أن تكون هناك نواد مستقلة خاصة بكتب ثقافة الأطفال.

ويفترض أن يكون اهتمام هذه النوادي إما بالكتب على اختلاف موضوعاتها وتخصصاتها ومستوياتها كما سبق القول. أو أن يكون هناك اهتمام

خاص لكل منها بفرع معين من فروع المعـرفة بالإصدارات المرتبطة بهذا الفرع، ويكون بعض منها خاصا بالأطفال أو بالناشئة على اختلاف فئاتهم ومراحلهم التعليمية والبعض الآخر خاصا بالكبار على اختلاف طبقاتهم.

٤ـ إقامة معـارض ومهرجانات أسبوعية أو شهـرية للكتب تهدف إلى دعوة الناس إلى عـالم الكتب وعـالم القراءة وإثـارة الاهتمام بحركـة التأليـف والنشر، تشـارك فيها وفي الإعـداد والـدعايـة لها والإعـلان عنها دور النشر والمكتبـات ووسائل الإعـلام وجميع المؤسسات الثقافيـة الرسمية وغير الرسميـة وينبغي أن تكون في هـذه المعارض أركـان خاصـة بكتب ومجلات الأطفـال، أو أن تكون هناك معارض مستقلة خاصة بهذه الكتب وحدها.

ونظـراً لانبهار معظـم الناشئـة في هـذا العصر بالعلـوم والتقنيات الحديثـة وانشغالهم بها عن الأدب وجهلهم أو تجاهلهم لدوره وأثره في الحياة، لذلك فإن من المقترح أن يتم التركيز المعارض أو المهرجـانات المذكورة على إبراز النتاجات الأدبية المتميـزة، ويتم التنبيه إلى أهمية الأدب وإلى أثـره الإيجابي الكبير في تنمية اللغة وفي تنمية الخيـال العلمي والقدرات الإبداعية وفي تطويـر المجتمع ورقيه الحضاري. . . ويعمـل على إظهار إمكـان أن يجتمع العلـم مع الأدب، وأن يجتمع التفكير العلمي الـدقيق مع الإحساس الأدبي والـذوق الفني الجميل في شخص واحد، فينشأ الشاعر الطبيب والمهندس القصاص والعالم الفنان.

٥ـ إقامة ندوات تهدف إلى التعريـف بالمؤلفين والكتاب والشعراء البارزين أو المغمورين الجيدين منهم، أو دعوتهم ليتحـدثوا عن مؤلفاتهم ونتائجهم أو عن مؤلفـات ونتاجات أخرى تثير اهتمام الجمهـور والناشئة من هـذا الجمهور على نحو خاص. ويمكن أن تتناول هذه النـدوات الحديث عن أهمية القراءة وعن دورها في إرساء التطور الحضاري وعن أهميـة التدوين باللغة القومية، كما يمكن أن تناقش فيها مشاكل القراءة ومشاكل الكتب والقراء، بغرض الوصول إلى حلول منـاسبة تضمن استمـرارية المطـالعة ويفترض أن تتولى القيـام بمثل

هذه الندوات أو المؤتمرات اللغوية والمؤسسات الثقافية الوطنية والمؤسسات التعليمية الرسمية، بما فيها الجامعات والمدارس على مستوياتها المختلفة، أو أن تعقد على هامش مهرجانات ومعارض الكتب والمواسم والمناسبات الثقافية والاجتماعية عامة.

٦ـ دعم وتمويل برامج إذاعية أو تلفزيونية تهدف إلى إثارة الاهتمام بالقراءة وباقتناء الكتب وإلى إبراز أهمية إنشاء المكتبات الخاصة والمكتبات الأسرية. ويمكن أن تكون هذه البرامج على شكل إعلانات عن بعض الكتب وقراءة مقتطفات منها والتعريف بمضامينها وبمؤلفيها، على نحو يؤدي إلى اجتذاب السامعين أو المشاهدين ويشجعهم على اقتناء هذه الكتب أو على الاطلاع عليها ويشجعهم على القراءة بنحو عام.

٧ـ إنشاء المجالس الوطنية أو القومية التي تهدف إلى تسهيل مهمة تصنيع الكتاب ونشره وتوزيعه وتمكين الكتاب من نشر نتاجاتهم الفكرية بلغتهم القومية بكل الوسائل الممكنة. ومما يلحق بأعمال هذه المجالس في إطار دعمها للكتاب: إقامة مؤتمرات وعقد ندوات ثقافية وعلمية، وتنظيم حلقات نقاش وأمسيات أدبية، وإجراء مسابقات خاصة بإنشاء البحوث والدراسات والنتاجات الإبداعية والفنية. إن مثل هذه الإجراءات تنهض بلا شك بالحركة الفكرية في البلاد وتشجع على التأليف، كما تعمل ضمن ذلك على زيادة التمكن من اللغة القومية وعلى إخصاب هذه اللغة وإغنائها وتمكينها بالتالي من النفوذ والانتشار. ومن المفترض أن تعمل هذه المجالس على تحقيق أهدافها المذكورة بالتعاون مع المؤسسات المعنية بالشؤون الثقافية واللغوية. وأن تلقى الدعم المادي والمعنوي الكافي من قبل هذه المؤسسات ومن قبل الجهات الحكومية المسؤولة.

٨ـ قيام محلات بيع وتوزيع الكتب بين آونة وأخرى بتزويد المؤسسات العلمية كالمدارس والجامعات والمعاهد والنوادي الأدبية والثقافية وحتى رياض

الأطفال بقوائم مفصلة بالكتب والمطبوعات الجديدة التي ترد إليها، فذلك يتيح للمسؤولين فرصة التعرف على ما يحتاجونه من الكتب، ويشجعهم على شرائها أو التوصية بها وإرشاد الناشئين إلى ما يصلح لهم منها وإلى أماكن وجودها، كما يعين الأساتذة والباحثين على معرفة ما يلزمهم منها، ويشجعهم ويشجع غيرهم من أعضاء المؤسسات الأخرى على زيادة المكتبات التي ترد منها القوائم، وينمي فيهم رغبة الاطلاع، وبالتالي يحثهم على شراء الكتب وقراءتها وجني المحصول الفكري واللغوي منها.

٩ـ تنظيم مسابقات أدبية وثقافية عامة تهدف إلى توثيق ارتباط الناشئة بمصادر القراءة وبالكتاب بصورة خاصة، سواء من قبل النوادي والجمعيات الثقافية والأدبية الخاصة أو من قبل المؤسسات التعليمية والرابطات الاجتماعية، ويمكن تنظيم هذه المسابقات على مستويات مختلفة وأشكال متنوعة مثل: كتابة تلخيص لبعض الكتب، وكتابة مقالات أو بحوث تعتمد الدراسة النظرية، والتعليق على بعض الإصدارات الجديدة، وقراءات تقويمية لمجلات ثقافية معينة أو رصد الأخطاء اللغوية أو النحوية فيه، ودراسات نقدية لبعض المؤلفات توضع تحت عنوان «كتاب الشهر» أو «كتاب الأسبوع».. وينبغي تخصيص جوائز أو مكافآت مالية أو عينية وجوائز معنوية على الأعمال المذكورة بحيث تثير الاهتمام وتبعث على التنافس وتشجع على المزيد من القراءة والدرس ومن ثم على المزيد من الاكتساب الفكري واللغوي لكل من المنتجين والقراء أو المتلقين على حد سواء.

١٠ـ التشجيع على إيجاد أو تطوير المكتبات المتجولة بالإضافة إلى محلات بيع الكتب الثابتة: فكثير من البلدان المتقدمة تقوم فيها مؤسسات حكومية أو أهلية برعاية ما يسمى بمشروع المكتبة المتجولة والذي يتضمن في العادة تأمين مخزن ضخم للكتب تتجدد محتوياته بصورة مستمرة، وشاحنة أو شاحنات كبيرة تنقل هذه الكتب بمختلف أشكالها وموضوعاتها ومستوياتها، وتتجول

بها في المدن والقرى والأحياء وجميع الأماكن التي يوجد الناس فيها. وتباع الكتب في هذه الشاحنات في العادة بأسعار زهيدة، بالمفرد وبالجملة أو على شكل مجموعات تربطها موضوعات معينة. وهكذا يقصد الكتاب من لا يقصده، ويدعو إلى الصحبة من لا يدعوه، وينبه من غفل عنه والتهى بشؤون الحياة العامة عن الثقافة.

ويفترض أن يكون هناك نوع من الرقابة المتخصصة على هذه المكتبات تهدف إلى منع الاستغلال والاحتكار في بيع الكتب، كما تهدف إلى التوجيه لانتقاء ما يمكن أن يعود على الناشئة أو على القراء جميعاً بالمحصول الفكري واللغوي الوافر. والحد من المتاجرة بالإصدارات الهابطة أو المليئة بالحشو وبكل ما من شأنه أن يزهد الناس في المادة المقروءة أو يلهيهم بما يقتل أوقات فراغهم دون كسب إيجابي فعال في حياتهم.

١١ـ دعم وتطوير المجلات التي تعنى بشؤون النشر وقضايا الكتاب مثل «الناشر العربي» التي يصدرها اتحاد الناشرين العرب، و«عالم الكتاب» التي تصدرها الهيئة المصرية العامة للكتاب، و«عالم الكتب» التي تصدرها دار ثقيف للنشر والتأليف في المملكة العربية السعودية، ومجلة «الفهرست» التي تصدر في لبنان، وتتبع ما ينشر في الدوريات العربية من موضوعات في شتى مجالات الفكر. لهذه المجلات دور كبير في إطلاع الجمهور على ما يصدر أو يتجدد نشره من الأعمال العلمية والأدبية والثقافية عامة، ومن ثم في جذب هذا الجمهور إلى عالم الكتب والقراءة، هذا إضافة إلى مد المتخصصين في مجالات المعرفة المختلفة ومجالات اللغة من ضمنها بما يزيد من حصولهم الفكري ومن توجيههم للعمل على خدمة اللغة وعلى نشرها وإغنائها والارتقاء بها.

١٢ـ الاهتمام بالمضمون والشكل في نشر الكتب وطباعتها. فإذا كان للمضمون الأثر الكبير في إشعار القارىء بالفائدة وفي حثه على الاطلاع وعلى الاتجاه للقراءة لاكتساب هذه الفائدة فإن للشكل الذي تبرز به المادة

المقروءة أثرا بارزا في اجتذاب القارىء إلى هذه المادة وتشويقه لقراءتها وشده نفسياً وذهنيا إلى محتواهات و إلى لغتها، وقد لاحظ الأخصائيون في شؤون الثقافة ذلك ونبهوا إليه (٤٨). لذلك ينبغي الاهتمام بإبراز المادة المقروءة في أطر فنية مغرية تشترك في تشكيلها: الموضوعات الشائقة المحكمة النافعة، والطباعة الحديثة السليمة الأنيقة، والحروف البارزة الجميلة، والورق الصقيل المحبب إلى النفس.

إن المواد المقروءة المشوشة التي تكتب على عجل أو دون عناية وتطبع في أوراق صفراء أو سمراء شفافة يختلط ظاهرها المكتوب بباطنها، أو تبرز في طباعة قديمة سيئة تكثر فيها الأخطاء وتتراكب فيها الحروف وتتزاحم الكلمات وتتقارب الأسطر وتضطرب في قراءتها الأبصار وتتشتت الأذهان، هذه لا تجتذب القراء مهما كانت موضوعاتها، بل إنها قد تنفرهم، وربما قلصت لديهم الاتجاه للقراء على نحو عام، وبذلك تصبح اللغة التي دونت بها هذه المؤلفات هي الخاسر الأول.

هذا بعض ما يمكن أن يقترح للتشجيع على القراءة على الصعيد الاجتماعي العام، وهناك طائفة أخرى جاءت مرتبطة بالوسائل الإجرائية التي تساعد على تنمية حصيلة الناشئة من المفردات والتراكيب اللغوية اللفظية ذكرت في الفصل الخاص بها، كما أن طائفة ثانية من هذه المقترحات ذكرت في إطار الحديث عن دور المدرسة في تشجيع الطلبة على التعلم الذاتي وتوثيق ارتباطهم بالمادة المقروءة، ضمن الإجراءات أو النشاطات العامة التي يمكن أن تقوم بها المدرسة لتنمية وتطوير الحصيلة اللغوية لدى الطلبة، ولاشك في أن هذه المجموعات بعضها يكمل بعضها الآخر، وإن جاء كل منها في إطاره الخاص. على أن هناك طائفة من العوامل المقترحة للتشجيع على القراءة في إطار الأسرة طرحت ضمن دراسة مستقلة لكاتب هذا البحث يتوقع أن تصدر قريباً.

الفصل الثالث

المدرسة

لقد تطورت وسائل وطرق وعمليات تلقين اللغة كأحد المعارف الضرورية التي يتعلمها الناشئة في سبيل تطوير قدراتهم الإبداعية ونشاطاتهم الفكرية والاجتماعية، وأخيراً تحقيق المصالح الدينية والقومية والحياتية عامة، فقد تجاوزت أشكالها البسيطة والمجهودات الفردية التي كان يقوم بها المؤدبون والمعلمون وأصبحت ذات أشكال متعددة متطورة معقدة، كما أصبح الاعتماد فيها على مجهودات جماعية متضافرة مدربة ومنظمة تمثلت فيما أطلق عليه اسم المدرسة.

والمدرسة بوصفها مكانا تلقن فيه المعلومات أو يتم فيه التدريب على عادات ومهارات معينة وفق تنظيم خاص وتحت إشراف جهود مشتركة ليست شيئاً من ابتكارات العصر الحديث، فقد عرف قدماء المصريين المدرسة، كما عرفها المسلمون، ولا سيما في عصور ازدهار الحضارة الإسلامية العربية، فقد عرف الناس في تلك العصور مدارس متطورة منظمة مثل: المدرسة المستنصرية التي أسسها الخليفة المستنصر بالله العباسي القائم بأمر الله ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م في بغداد أيضاً وغير ذلك من المدارس[(١)].

لقد شهدت مثل هذه المدارس آنذاك تقدماً كبيراً في مناهجها ونظم التعليم فيها، غير أن وجهات نظر علماء التربية المعاصرين في المدرسة وفي دورها والوظائف التي يمكن أن تؤديها للمجتمع قد تطورت وتغيرت، وعلى ضوء ذلك تطورت المدرسة الحديثة على الصعيد العملي وتنوعت نظمها واتسعت وتعقدت مناهجها وتفرعت وظائفها وتعددت نشاطاتها ومجالات ومراحل

التعليم فيها، وتبعاً لذلك عظم دورها واتسع نطاق فعلها وأثرها في تنمية اللغة، إذ أصبحت من أهم المصادر التي يمكن أن يستمد منها ناشئة المجتمع على اختلاف مستوياتهم العناصر المكونة للغتهم أو المطورة لها وللمهارات المرتبطة بها، وبناء على ذلك أضحت تعتبر من أهم المؤسسات التي يمكن أن تلعب دوراً كبيراً في نشر اللغة القومية وفي ترسيخها وجعلها دعامة أساسية قوية للارتقاء بثقافة الأمة وبوعي أفرادها.

لا تعتبر المدرسة الحديثة بمفهومها العام في نظر علماء التربية المعاصرين مكاناً لتلقين المعارف ونقل المعلومات بقدر ما تعتبر صورة مصغرة مكثفة للحياة الاجتماعية المنظمة التي يكتسب الناشيء من خلال معايشته لها المعارف والخبرات والعادات السلوكية، عبر اتصاله وتفاعله مع عناصر وفئات اجتماعية ذات خبرات متنوعة ومتفاوتة. إن المدرسة على اختلاف مراحلها ومستوياتها كما يقول (جون ديوي) John Dewey «مؤسسة اجتماعية.. وهي صورة للحياة الجماعية التي تتركز فيها جميع تلك الوسائط التي تهيىء الطفل للمشاركة في ميراث الجنس، وإلى استخدام قواه الخاصة لتحقيق الغايات الاجتماعية»[٢]. وواضح أن من أهم الوسائط التي تعتمد عليها هذه المؤسسة في أداء مهمتها ومن أهم القوى التي تنميها وتهيىء الطفل لاستخدامها لتحقيق الغايات الاجتماعية التي تهدف إلى تحقيقها هي اللغة. ومن هنا اعتبرت «مشكلة زيادة الثروة اللغوية هي أول مشكلة تقابل المدرسة عند التحاق الطفل بها»[٣]. وكان إغناء لغة هذا الطفل أو الناشيء عامة من أهم الأهداف التي يفترض أن تسعى جاهدة لتحقيقها، وبناء على ذلك افترض أن تكون المدرسة من أهم الموارد التي يكتسب الناشيء منها لغته أو ينميها ويغني حصيلته من مفرداتها وتراكيبها وأساليبها.

إن الناشيء كعضو في المدرسة، هذا المجتمع الصغير، لا يلقنه اللغة مدرس اللغة وحده ولها يتعلمها من خلال دراسته للمقررات الدراسية

فحسب، وإنما يكتسبها ويتعلم مفرداتها وصيغتها وكثيراً مما يرتبط بها من أعراف وأصول وقواعد وأساليب من مدرس اللغة ومن المقررات الخاصة بتدريس اللغة، كما يكتسبها من مصادر أخرى ومن خلال نشاطات عديدة متنوعة تجري في المدرسة، وإن اختلفت هذه المصادر وهذه النشاطات في نوعيتها وأهميتها ومدى تأثيرها واختلف مدى تعامل الناشىء معها.

يتلقن الناشىء اللغة في رحاب مدرسته من كل مدرسيه أو أساتذته المؤهلين الذين يكبرونه في السن ويفوقونه ـ كما هو مفترض ـ في التجربة والخبرة وفي الطلاقة وسعة الإحاطة باللغة وألفاظها وصيغها. إنه يتصل بهم ويأخذ من علمهم ويتحدث إليهم ويتحدثون إليه، وفي تعليمهم له وحديثهم معه يمارسون اللغة بمستوياتها المختلفة المرتبطة بأنواع عديدة من المعارف والخبرات والنشاطات فيكتسب اللغة منهم بطريق التعلم، كما يكتسبها عن طريق التقليد أو المحاكاة لهم ولغيرهم من الأعضاء في هذه المؤسسة.

وإذا كان اتصال الناشىء بمدرسيه في المدرسة له إيجابياته الكثيرة في تعلم اللغة، من حيث إنه يتلقى من هؤلاء المدرسين اللغة بمستواها المتميز، وأن للمدرسين كما يفترض تأثيراتهم النفسية المباشرة على هذا الناشىء في تلقيه للغة والتقاطه لمفرداتها وتراكيبها، نتيجة لمكانة هؤلاء المدرسين في نفسه ولأثر شخصياتهم المهيمنة، عليه ولقدرتهم على توجيهه وإرشاده لإصلاح لغته. إذا كان لاتصال التلميذ بمدرسيه هذه الإيجابيات فإن لاتصاله بزملائه في الدراسة إيجابياته العديدة أيضاً، فالتلميذ يأخذ ويعطي مع زملائه: يحاورهم ويصغي إليهم ويتحدث معهم، يسألهم ويجيب عن أسئلتهم، يناقشهم ويجادلهم، يقبل ويتحدى، ويمارس معهم النشاطات اللغوية المختلفة في مجالات متعددة ومتكررة، وعن طريق سماعه إياهم وممارسة اللغة معهم ومحاكاته لما ينطقون يلتقط الكثير من المفردات والتراكيب والأساليب والمعاني التي اكتسبوها من موارد اللغة المختلفة والبيئات الخاصة التي ينتمون إليها، كل بحسب أسرته ومحيطه ونشأته وموهبته.

إن الطفل كما يبين (فريدريك هربرت) Friedrich Herbert في نظريته التربوية «عندما يدخل المدرسة يحمل معه ثروة فكرية ناتجة عن احتكاكه بالبيئة»(٤). وهو بلا شك يحمل معه أيضاً ثروة لغوية مكتسبة من هذه البيئة، مستمدة من أسرته ومن محيطه الخاص، يحمل هذه الثروة ليطورها ويقايض بها زملاءه فيزيدها سعة ونموا. وهكذا فالناشىء يختلط بمجتمع المدرسة ويستمد جزءاً كبيراً من ثروته اللغوية من خلال اتصاله بهذا المجتمع.

وكما أن المدرسة ميدان رحب للاتصال الاجتماعي الفعال في إغناء الحصيلة اللغوية فإنه أيضاً ميدان واسع للقراءة التي تفتح آفاق اللغة في أطرها الحاضرة والماضية والقاصية والدانية، وفي جميع أجيالها ومراحلها وأزمانها. فالمقررات الدراسية التي تحمل في طياتها جزءاً من التراث العلمي والأدبي للأجيال الماضية وآثار ونتاجات الإبداعات الحاضرة، والكتب والمجلات التي تحويها مكتبة المدرسة، والنشرات والمجلات الجدارية ووسائل القراءة الأخرى، هذه كلها تنقل المعارف إلى الناشىء، كما تنقل إليه اللغة الفصحى الصافية في ماضيها وحاضرها، وتنقلها بكل ما مرت به مفرداتها من تغيرات وتطورات، وتطلعه على أساليب وتعبيرات وكلمات ومعان جمة مختلفة، يكتسب منها على قدر ما يتاح له من فرص ويتوافر له من حوافز ويوجد لديه من طموحات ويتهيأ له من أجواء ويسدى إليه من توجيهات سديدة.

على ضوء ما سبق ذكره يمكن القول إن الناشىء في المدرسة يعيش لغته في مجالها النظري ومجالها التطبيقي، ويعيشها بمختلف مظاهرها ومستوياتها وأشكالها: الفصحى المنتقاة والعامية الدارجة، القديمة والحديثة، العلمية والأدبية... ومن خلال هذه المعايشة التي تستمر في العادة فترات طويلة من الزمن يتعلمها ويكتسب مجموعة كبيرة من كلماتها وصيغها وتراكيبها مما يغني حصيلته اللغوية اللفظة أو يزيدها ثراء وينمي مهاراته اللغوية بجميع أشكالها.

لا شك في أن دور المدرسة في تنمية اللغة وتطوير المهارات فيها مهما كانت قيمته أو أهميته يعتمد وبشكل أساسي على طبيعة النظام المتبع في التدريس وعلى نوعية المناهج المقررة وملاءمتها لمستويات الناشئين العقلية وتلبيتها لحاجاتهم العملية وارتباطها بواقعهم المعيش، كما يعتمد على كفاءة وإخلاص من يتولى تنسيق وتطبيق المناهج المقررة، وهذا يرتبط بطبيعة الحال بمدى ما يمتلك المدرسون أو الأساتذة من مؤهلات علمية ومن براعة في أداء عملهم. ولا ريب في أن لتوافر الإمكانات والظروف والأسباب المشجعة في المدرسة وتوافر التقنيات اللازمة لعملية التدريس دخلا كبيرا في تحديد نسبة الاكتساب المعرفي من المدرسة عامة.

وكما سبقت الإشارة إلى أن الدور الذي تلعبه المدرسة في إغناء لغة الناشىء وتطوير مهاراته اللغوية عامة يعتمد بصورة كبيرة في نشاطه وحيويته على مدى ما يمتلك الناشىء نفسه من استعدادت فطرية لتلقي اللغة أو تعلمها، ثم ما لديه من بواعث نفسية وطموحات شخصية حافزة على التعلم وعلى المشاركة والاختلاط بالآخرين، كما يعتمد على طرق تعامل هذا الناشىء مع المناهج المقررة وتفاعله مع الموضوعات التي يدرسها والمعلومات التي يتلقاها، ثم ما لديه من عادات خاصة في المذاكرة والحفظ والمناقشة والحديث، وأخيراً على نوعية الأفراد الذين يختلط بهم الناشىء ويمارس اللغة معهم ويتأثر بهم وبلغتهم داخل إطار المدرسة: طبقاتهم الاجتماعية، مستوياتهم العقلية والثقافية، ومقدار ما يمتلكونه من وعي ومن مرونة في التعامل والتعايش والمشاركة. . .

إن معظم الإمكانات والظروف والأسباب اللازمة لنجاح عملية التدريس متوافرة لدى المدرسة في حياتنا الحاضرة في البلدان العربية، ولا سيما دول الخليج العربي. والعوائق التي تواجهها المدرسة في هذه البلدان قليلة، والحوافز والأسباب المشجعة كثيرة، فقد أضحت هذه الدول أكثر حرصاً على

بناء مجتمع متعلـم، ولذلك رصدت المبـالغ الطائلة وجنـدت الطاقات الكبيرة لتشييد المدارس على اختـلاف مراحلهـا ومستويـاتها وأحجامهـا، وسعت إلى تعميم التعليم وتطـويره وتهيئة التقنيات الحديثـة اللازمة للارتقـاء به، في إطار السعي لتحقيـق التنمية الثقافية الشـاملة(٥)، كما أصبح المجتمـع أكثر وعيـاً وأشد حـرصاً على التعلـم، حتى أضحـى دخول الطفـل المدرسة يشكـل الهم الأول للأسرة، وأصبح إنهاء مـراحل الدراسة والتفـوق فيها هو المطمح لغـالبية النـاشئين، أو لفئة كبيرة منهـم على الأقل، وأصبحنـا نشهـد أفواجـاً تدخـل المدرسة وأفواجاً تتخرج منها في كل عـام. غير أننا مع ذلك كله لا نشهد دور المدرسة في تنميـة اللغة القوميـة وفي تطويرهـا سائداً بين الدارسين ومـدرسيهم عامة، ونـرى بعضهم وكأنهم غرباء على لغتهم أو أنها غـريبة عليهم، لا سيما اللغة الفصحى.

إن ظاهرة الضعـف في التعبير باللغة العربية الفصحـى والضعف في اللغة عامة ظاهرة ملموسـة بين عامة المتعلمين في البلاد العربية(٦). وربما كان مـن مظاهر هذا الضعف قلة الإنتاج الفكـري أو الثقافي الرصين الأمر الذي نلمس آثاره واضحة(٧). ثم تداخل العامية مع الفصحى والعربية مع الأجنبية الذي نشهده في أحاديـث ومناقشات كثير من المدرسين وأساتذة الجامعـات وطائفة كبيرة من المثقفين، والخلط اللغـوي الفج والكلام المهجن الـذي يظهر بصورة بارزة على ألسنـة الأساتذة وطلبتهم في الكليـات والمعاهد العلمية وفي ميـادين كثيرة من حياتنا، على نحو ما تبين في الفصل السابق.

إن مـن الأسباب الـرئيسيـة الملحوظـة لهذا الضعـف ضـآلة المحصـول اللفظي والجهل بمصادر مفردات اللغة وبطرق استغلال أو استخدام هذه المصادر على النحـو الذي أشرنا إليه في مقـدمة هذا البحـث. كما أن منها عدم إتقان أصول اللغـة وقواعدها أو عدم إدراك الوظـائف الأساسية لهذه الأصول في الحيـاة العلمية، ومنها أيضاً الهبـوط الثقافي العام وعـدم وجود

ارتباط وثيـق بمصادر التثقيف الرئيسـة أو الغنية، وخاصـة المواد المقروءة، هـذا بالإضـافـة إلى أسباب أخـرى مختلفـة المحاور تتعلـق بـالحياة الماديـة القائمة، وبالصراع الفكري والتذبذب الثقافي الذي يعيشه المجتمع العربي والنقلات والتغيرات الحضاريـة التي يشهدها، وثمة أمـور أخرى لا يتسع مثل هذا المجال لذكرها والتفصيل فيها.

قد يتباين مدى وجود هذه الظاهرة، وتختلف نسبة انتشارها بين قطر عربي وآخر، تبعاً للاتجاه الثقافي ونسبة الوعي الفكري والقومي والمستوى التعليمي، وتبعاً للظـروف الاجتماعية والاقتصـادية والتغيرات الحضـارية التـي تخضع لها البلاد أو يتفـاعل معهـا المجتمع، غير أن لـوجودهـا ولانتشارهـا بشكل عـام سلبيات خطيرة تعود آثارها على مستوى التحصيل الثقافي أو العلمي للناشئة، الذين يشكلون بلا شك العصب المهم في مجتمع المستقبل.

من الواضح أن التعلـم ـ مهما كان نوعه أو مصدره ــ قائم أساساً على وجـود ملكة الفهـم وتـوافر القـدرة على الإدراك، وأن اتسـاع ملكة الفهـم وتطور القدرة على الإدراك لهما ارتباط وثيق بـالنمو اللغوي كما تبين في فصل سابق من هذا البحث(٨). فعلماء النفس وعلماء التربية يؤكدون كما رأينا أن النمو العقلي لـلإنسان منـوط بنموه اللغـوي، وأنه كلما تطـورت واتسعت لغتـه ارتقت قـدراته العقليـة ونما ذكاؤه وقـوي تفكيره وإدراكه، والعكـس بالعكـس(٩). وبناء على ذلك فإن مما يترتـب على ضآلة المحصول اللغوي قلة الذكاء أو ضعف مستوى التفكير، وإن قلـة الذكاء أو ضعف مستوى التفكير يعني ضعف ملكـة الفهم والاستيعاب، وأن ضعف ملكـة الفهم والاستيعـاب يعنـي تعثر القـدرة على اكتسـاب المعـارف والخبرات مـن مصادرها المختلفة وأولها المواد المدونة المقروءة.

المدرسة ليست بطبيعة الحال المسؤول الوحيـد عن ضعف الناشئة في لغتهم أو غربـة اللغة في بيئتهـا ومجتمعها، ولا عن كـل الأسباب التـي أدت إلى هذا الضعـف اللغوي أو هـذه الغـربة، ولكـن وجـود هـذا الضعف وتفشيـه بين

الناشئين وفي البيئات الدراسية بالخصوص يدل فعلاً على تقصير المدرسة لدينا، أو يدل على قصورها وفشلها في القيام بدورها تجاه اللغة على النحو المطلوب، ومن هنا نشأت ضرورة مناقشة الدور الذي تقوم به المدرسة في تلقين اللغة وتنمية حصيلة الناشيء من مفرداتها، وضرورة تقصي العوائق وبحث المشاكل التي تواجهها في تأديتها لهذا الدور أو تضعف من فاعليتها أو تقلل من أثرها فيه، ومن ثم تلمس الطرق الناجعة والعوامل والوسائل التي تمكن المدرسة من أداء مهمتها على النحو الأكمل، أو تزيد من فاعليتها في القيام بهذه المهمة.

إن لقصور المدرسة أو تقصيرها عن أداء مهمتها في تنمية حصيلة الناشئة من مفردات اللغة وتراكيبها وأساليبها وفي تطوير مهاراتهم فيها على نحو عام أسباباً متعددة متشعبة، بعضها يعود إلى طبيعة البيئة التي تنشأ فيها المدرسة والظروف والأوضاع التي تحيط بها، كما أن بعضاً آخر منها يعود إلى ما قد تلاقيه المدرسة نفسها من عوائق مادية أو معنوية. ثم أسباب رئيسة أخرى تعود بصورة مباشرة إلى أساليب ونظم التعليم المتبعة فيها وإلى الكتب والمناهج الدراسية التي تفرضها على طلابها. وتقصي ودراسة مثل هذه الأسباب الكثيرة المتشعبة يحتاجان إلى بحث مستقل، لذلك سنكتفي بطرح ما يتسع له مجال هذا البحث ويحفظ التوازن المنشود في أجزائه من مقترحات تعالج أهم الوسائل أو العوامل التي تساعد المدرسة العربية خاصة على تحقيق مهمتها في تنمية حصيلة طلبتها من مفردات لغتهم الأم ومن تنمية مهاراتهم في هذه اللغة، على أمل أن نعود في مستقبل قريب لبحث المشاكل والحلول معاً، وبشكل تحليلي مفصل، مرتبط بكل المحاور التي ذكرت آنفاً في دراسة مستقلة.

عوامل تساعد على دعم المدرسة في تنمية الحصيلة اللغوية

١ ـ تقدم الحديث في فصل سابق عن التداخل اللغوي، وعن أثره في إضعاف اللغتين المتداخلتين وتقليص الكفاءة اللغوية اللازمة فيهما[١٠].

والتعليم بلغة أجنبية إلى جانب اللغة الأم على نحو تتنافس وتتصارع فيه اللغتان وتتجاذبان فرص النشاط اللغوي ـ كما هو الحال في مراحل التعليم الثانوي في المغرب العربي وفي عدد كبير من المعاهد والكليات العلمية والعربية ـ من شأنه أن يحدث هذا التداخل، ويؤدي بالتالي إلى حصول اضطراب في فهم أو تمثل الخصائص اللغوية للغتين المتنافستين، أو يؤدي إلى ما يسمى بالنقل السلبي للعناصر اللغوية منهما ومن ثم إلى حصول التشويه أو التحريف في كثير من التراكيب والأساليب اللغوية المكتسبة من كلتا اللغتين، لا سيما إذا كان هناك تباين بين اللغتين واختلاف في الأنماط الصوتية وقواعد تركيبها وفي الصيغ اللغوية وأساليب استخدامها(١١).

من جانب آخر فإن وجود لغة أجنبية مزاحمة للغة الأم أو منافسة لها قد يخلق نوعاً من التذبذب أو الحيرة ويمنع من التركيز في الاهتمام باللغة الأصلية ومن التمكن منها. إن جهد الطالب ازدواجي اللغة ووقته يصبحان موزعين بين لغتين، وهذا يقلل من فرص تعلم لغته الأولى ومن فرص تلقي واستيعاب عناصرها اللفظية والمعنوية أو من فرص استخدام هذه العناصر، مما يؤدي إلى قلة ما يكتسب من هذه العناصر، أو إلى ركود طوائف منها وصعوبة استحضارها في الذهن وقت الحاجة إليها، ومن ثم عدم وجود أي فاعلية لها في مجالات التعبير المختلفة، الأمر الذي يؤدي بالتالي إلى ضعف مستوى هذه المجالات بنحو عام.

ومن الجدير هنا أن نفرق بين تأثير تعلم اللغة الأجنبية كمقرر من المقررات الدراسية على اللغة الأصلية وبين تأثير اللغة الأجنبية كلغة تدريس منافسة للغة الأصلية. فقد لا تكون هناك آثار سلبية على اللغة الأم من جراء تعلم اللغة الأجنبية كمادة من المواد المقررة، كما تؤيد ذلك نتائج بعض الدراسات التي أجريت على التلاميذ في عدد من المراحل الدراسية(١٢). كما أنه قد لا يكون هناك أي خطر يذكر على اللغة الأم في حالة تدريس عدد قليل من

المواد العلمية في مراحل التعليم الإعدادي أو الجامعي باللغة الأجنبية، لأن الوضع في هذا الحال يختلف عما ذكر فيما سبق، إذ إن التداخل والتنافس والصراع المتكافىء غير حاصل.

إن احتمال الضعف في اللغة الأم وتضاؤل المحصول من مفرداتها يبرز كما سبق القول في حالة وجود التنافس أو الصراع المتكافىء بينها وبين لغة أخرى أجنبية في ميدان التعليم بجميع مجالاته وحقوله، لا سيما إذا كان جانب اللغة الأم هشاً في أساسه، وكان هناك ما يمهد لهذا الضعف من عوامل شخصية أو اجتماعيةأخرى(١٣).

بناء على ما تقدم يمكن القول إنه ليس من الصالح أن تدخل اللغة الأجنبية في التدريس كلغة مشاركة للغة الأم إلا بعد أن يتحقق للناشئة نوع من الكفاءة في اللغة الأخيرة، أي أن يتجاوز كل منهم فترات الضعف في هذه اللغة ويصبح متمكناً من فهم وإدراك أساسياتها ومستوعباً لنظامها ولديه ذخيرة من مفرداتها تمكنه من ممارسة التعبير بها أنى شاء. على ألا تكون مشاركة اللغة الأجنبية مما يستدعي هجران اللغة الأصلية أو انتزاع حقها في الاهتمام ونصيبها من الاستخدام لفترات طويلة.

لقد دلت بعض الدراسات على «أن إتقان الفرد للغته الأولى يسهل عليه تعلم اللغة الثانية، لأنه يكتسب خبرة في تعلم اللغة بشكل عام. ولقد تبين أن الأطفال الذين يتعلمون اللغة الثانية قبل إتقان اللغة الأولى يعانون من اللغة الأولى واللغة الثانية على السواء ويضعفون في اللغتين معاً، ولهذا فإن تعليم اللغة الثانية بعد إتقان اللغة الأولى قرار في صالح اللغتين في آن واحد»(١٤). وبناء على ذلك فإن ما سبق اقتراحه بشأن اللغة الأولى يؤدي إلى أن يكون المجال مهيأً لإتقان اللغة الأجنبية ولممارسة التعلم بها بنجاح، دون أن يكون هناك خطر على اللغة الأم نفسها أو خوف من ضعفها أو تقلص محصول الطالب من مفرداتها ما دامت قيد الممارسة.

ولا مشاحة في أن يمارس التدريس باللغة الأجنبية إلى جانب اللغة الأم على نحـو تدريجي يتناسـب مع تـدرج السلم التعليمـي، بحيـث لا يضيق أمـام الناشىء مجال الاهتمام بلغته الأم ومجال استعمالها والعمل على تقوية مهاراته فيها وترسيخ العنـاصر المكتسبة منها في ذهنه وإنعاشهـا في ذاكرته وإبقائهـا صافية نقية سليمة مؤاتية عند الحاجة إليها.

ومن أهم ما يفترض أن يتحقق في حالة التدريس باللغة الأجنبية إلى جانب اللغة الأم، مهما كانت نسبة هذا التدريس ومهما كانت مادته أو فتراته، أن تُهيأ في اللغة الأم المقابلات الصحيحة للمصطلحـات والألفاظ الحضارية الجديدة الموجودة في اللغـة الأجنبية. يفترض أن تهيأ هـذه المقابـلات لواضعي المنـاهج ليتمكنوا مـن استخدامها فيما يضعون مـن مقررات، وللمدرسين ليتمكنـوا من استعمالها والتعبير بها فيما يـدرسـون مـن مـوضوعـات أو مـواد ومـن نقلهـا إلى تلاميذهم في سياقاتها الملائمة، بل ينبغـي أن توفر لكل الدارسين ليتسنى للغة الأم أن تستوعـب كل المستجـدات الحضارية والمفـاهيم الجديـدة عليها وتعبر بعناصرها اللغوية الخاصة، فبذلك تبقى اللغة الأولى في غنى عن الافتراض أو عن الإكثار منه وفي مأمن من النقل السلبي الذي سبقت الإشارة إليه، وهكذا يقل التداخـل بينها وبين اللغة الثانيـة، فتبقى قوية منتعشـة متطورة خصبة في أذهان أصحـابها من الناشئة وغيرهـم، ويسهل في النهاية على المعلـم والمتعلـم استخدامها في مجادلات التعبير وفي نقل المعارف على اختلافها.

٢ ـ إن ما قصد باللغـة الأم التي افترض أن يكون لها أولوية الاهتمام في مجال التدريس ليتمكن التلميذ الناشىء منهـا ولتعيش مفرداتها حية وافرة خصبة في ذهنه ليست اللغـة بمستواها العامـي الدارج، وإن كان البعض يعتبر العـامية بمنزلة اللغة الأم للفرد، على اعتبار أنها «تشكـل لديه النموذج اللغوي الأول، وتترسخ ملكتها فيـه فتصبح منه بمنزلـة السليقة»(١٥). ويمارس المحـادثـة أو التخاطب بها في البيت والشارع والسوق طوال سنيه الست الأولى دون منازع،

إن ما يقصـد باللغـة الأم هنا اللغـة الأصلية أو الأولى على المستـوى القومـي، كاللغة الفصحى بالنسبة للعربية.

إن اللهجات المحلية أو الإقليمية العاميـة العربية الحاضرة على سبيل المثال لا يمكن اعتبـار أي منها أماً على المستوى القـومي، لأنها لاحقـة أو طارئة أو منبثقة متفـرعة عن اللغة الأصليـة، ولا يمكن أن يتحقق للفرد داخـل الجماعة اللغوية في إطارها الشامل الارتباط الكامل بقوميته وبتراث أمته العقلي والثقافي بأي منها، وإنما يتحقق بـالرجوع إلى اللغة الأصل الراسخـة التي تمثل الشجرة الأولى بجذورهـا وأصولها الثـابتة، وبناء على ذلـك فإن اللغـة التي يفترض أن تعتمد في التـدريس كلغـة أولى لا تنازعهـا لغة أخـرى على مكانتهـا وأولويـة الاهتمام بها في الفصحى أو ما يسميه «فيرجسون» C. Ferguson بالنمط العالي أو المرتفـع للغـة[١٦]. وليست العـامية المحلية التـي تمثل النمط الـواطىء أو الضعيف المحدود للغة.

العاميـة وإن كان بينهـا وبين الفصحى ظواهـر عديـدة مشتركة تبقـى لغة قاصرة، لا تفـي مفرداتها مهما كثرت وتنـوعت وتفـرعت بحاجـة الفرد للتعبير اللفظي في مجالاته وأشكاله وموضوعـاته ونوازعه ودوافعه المختلفة، وعلى نحو مقبول فعال لدى أفراد الجماعة اللغوية بمختلف مستوياتهم ولهجاتهم، قياساً إلى الفصحـى التـي تعتبر المنبـع الـرئيـس أو المورد الأسـاسي، والتـي تخضـع قواعدهـا الصرفية في العادة لعمليات إخصـاب وتكاثر منظمة متطـورة وثابتة تغْني رصيـدها اللفظـي، والتي تشكـل في العادة أيضـاً القاعـدة الأولى التي تستطيع أن تـوحد بين مختلـف المستويـات والقاسـم المشترك الذي يـوحد بين مختلف اللهجات ومختلف الطبقات الاجتماعية.

يقـول «والتر. أونج»: «واللهجـة المكتـوبة لغـة تتجـاوز اللغة المحكيـة، تكونت من خلال وجودها الكامل في الكتابة. والكتابة تعطي اللهجة قوة تند عن تلـك التي تكـون لأي لهجة شفاهيـة خالصة. وتمتلـك اللهجة المكتـوبة

المعروفة باللغة الإنكليزية الفصحى Standard English مفردات مسجلة تربو على المليون ونصف المليون على الأقل من الكلمات في متناول الاستعمال، ونحن لا نعرف المعاني الحالية لهذه الكلمات فحسب، بل نعرف كذلك عشرات الآلاف من المعاني الماضية. هذا في حين لا تمتلك أي لهجة شفاهية من الإمكانات اللغوية ما يمكنها من الحصول على ما يزيد على عدة آلاف، فضلاً عن أنه ليس لمستعمليها معرفة حقة بالتاريخ الدلالي لأي منها»(١٧).

ولو افترض أن العامية وافية بحاجات التخاطب الاجتماعي العادي، فإن هذا الوفاء محدود بحدود جغرافية ضيقة، هي حدود البيئة المحلية التي يعيش فيها الفرد، وإن تجاوزت ذلك فإلى حدود الإقليم الواحد. ولو تجاوزت فرضاً حدود بيئتها الخاصة فإن تلقيها واستيعابها سيكون محدوداً بمجال التخاطب المنطوق فقط، أما في مجال التخاطب المكتوب فلا تكون مقبولة إلا في حالات نادرة، وفي البيئات المتخلفة فكرياً وثقافياً في الغالب. وحتى لو قبلت فإن استخدامها لا يتجاوز التعبير عن مواقف أو نوازع عاطفية محددة، أما في مجال التعبير عن الأمور الثقافية أو الفكرية أو الفلسفية فإنها تقصر وتضيق، وتحوج المتحدث بها إلى اللجوء إلى الفصحى ـ إذا كان عارفاً بها ـ والاستعارة من مفرداتها وصيغها وتراكيبها للوفاء بمراده.

علاوة على ما تقدم فإن التعبير بالعامية لا يبقى ثابتاً لأمد طويل، لأن العامية خاضعة دائماً للتغيرات السريعة التي لا تحكمها قواعد أو قيود في أغلب الأحيان، سواء من حيث ألفاظها ومعانيها أو من حيث صيغها وتراكيبها وأساليبها. لذلك فإن التراث المدون بها، إذا صح أنه كان هناك تراث مدون بها فعلاً، فإنه في العادة يكون ضيق الأفق، محدود الذيوع والانتشار والتأثير. وهكذا فإن العامية لا ترضي طموح أمة متحضرة تحرص على أن تنمي لدى ناشئتها لغة ثابتة الأصول راسخة القواعد مرنة وذات ذخيرة لفظية ومعنوية وافرة خصبة. وبناء على ذلك ينبغي أن يكون الاتجاه نحو

الأصل وتأكيده بدلاً من تأصيـل الفروع والوقوف عندها والتشبث بها»[١٨]. نحو الفصحى التـي لا تتحدد صلاحية استخـدامها بحدود مكانيـة أو زمانية ضيقة، وإنما تشمل صلاحيتهـا جميع أقاليم حدود الجماعة اللغـوية الواحدة، وتساير المراحل الزمنية والتطورات التاريخية التي تخضع لها هذه الجماعة، وتمكن مكتسبيها أو متعلميها في النهاية من الإبداع ومن المشاركة في عمليات التطوير في مراحل حياتهم المختلفة.

إضافـة إلى ما سبق فـإن التدريـس بالعاميـة يجعل الناشـىء يعيش حـالة ازدواجية أو فصاما لغـويا ويعاني من لغة تتصارع مع مـولود لها معقد التركيب أو مولـود (غير شرعي) لابـد أن يوهنهـا صراعه، لأنـه يحتل مـواقع مهمـة في المجتمع وجوانب مختلفة من حياة الفرد[١٩].

إن المقـررات التي يـدرسها النـاشىء كما هـو مـألوف كلهـا مدونـة باللغـة الفصحى، والنصوص التي يحفظها والموضوعات التـي يقرأها ويدرسها داخل نطـاق المدرسة فـرضـاً أو تطـوعاً واختيـاراً كلهـا بـالغة الفصحـى، بينما لغـة التخـاطب أو الحديـث التي يسمعهـا من مـدرسـه ويمارسها مـع زملائه هـي العامية. وعلى الرغـم من أن في العامية كما سبقت الإشارة في فصـل سابق من هذا البحـث عناصر لفظية ومعنويـة كثيرة فصيحة أو ذات أصول سليمـة فإن من هذه العناصر أيضاً ما هـو مشوه أو مغير أو محرف أو بعيد تماماً عن الأصل السليم، كما أن في العـامية عناصر مهجنة وعنـاصر دخيلة تسربت مـن لغات أخـرى بطرق عشـوائية أو ارتجاليـة. فهي غير معترف بها مـن قبل المؤسسـات اللغـوية القـوميـة، ولا تصلـح للاستخـدام في مجالات التعبير المدون المقبـول رسميـاً في المدرسة. هـذه العناصر كلهـا تظـل في تنازع مستمـر مع العنـاصر الأصلية السليمـة على احتلال المواقع في النشـاطات اللغويـة المختلفة، وربما أزاحت العناصر الأصلية من الذاكرة أو نفرت إلى الأذهان وغلبت على الألسن أثناء التعبير لكثـرة تداولها في الحيـاة العاديـة، وبما أن هذه العنـاصر عادة مـا

تكون غير صالحة أو غير مقبولة في مجال التعبير المكتوب في المدرسة كما سبق القول فإن الناشىء يبقى بين أن يستخدمها فيصبح تعبيره شاذاً أو مشوهاً غير مقبول أو أن يمتنع عن التعبير مقتصراً على الحد الأدنى منه .

لا شك أن قلة ذخيرة الناشىء من المفردات الفصيحة تؤدي إلى تدني محصوله الدلالي الذي يساعده على فهم واستيعاب ما يقرأ، وعدم قدرته على فهم واستيعاب ما يقرأ على النحو المطلوب يفضي إلى تدني اكتسابه المعنوي ومحصوله الفكري والثقافي، وهذا كله إلى جانب قلة الممارسة لاستخدام اللغة يؤدي بطبيعة الحال إلى فقدان الطلاقة اللغوية أو ضعف القدرة على التعبير والإنتاج الفكري المكتوب .

على ضوء ما تقدم يمكن القول إن تنمية قدرة الناشىء على التعبير المقبول في مجالات الإبداع والإنتاج الفكري المدون تتطلب اتخاذ الفصحى وسيلة للتدريس في جميع مراحله وليس العامية الضيقة الأفق، ولتكن الفصحى المخففة التي سبق ذكرها والتفصيل فيها أثناء الحديث عن لغة الإعلام الحديثة، اللغة البعيدة عن الإغراب والتعقيد، الخالية من الألفاظ والصيغ الشاذة أو النادرة أو التي لا تتناسب مع حياة الإنسان الحاضر عامة، اللغة التي تجسد روح العصر وحاجات الفرد وتساير متطلبات الحياة وتعكس تطوراتها في جوانبها ومجالاتها المختلفة دون أن تقطع أي صلة بتراث الأمة الفكري والحضاري أو بفئات وطوائف هذه الأمة على اختلاف أقاليمهم .

اعتماد الفصحى في التدريس وفي كل أوجه التخاطب داخل إطار المدرسة إلى جانب اعتمادها في وضع المقررات الدراسية، يدعم وجودها ويقوي نفوذها ويزيد من رسوخ عناصرها وأصولها في أذهان الناشئة، لأنه يمنع الفصام والتداخل الذي يفضي إلى الضعف اللغوي، ويمنع الحيرة والتذبذب في مجال استخدام المفردات اللغوية وتشتت الجهد والوقت وتبديدهما بين اتجاهين لغويين مختلفين في جوانب كثيرة كما يمنع القطرية أو

الإقليمية الثقـافية أو التعليميـة التي قد تـؤدي إذا ما استمـرت إلى تفتيت الكيان القومي والحضاري .

إن التركيز في التعلـم والتلقي والتواصل داخـل إطار المدرسة عندمـا يكون مـوجهاً إلى لغـة واحدة هـي اللغة الفصحـى يصبح المحصـول المكتسب مـن مفردات هذه اللغة وصيغها وأساليبها ومعانيها أوفر وأخصب كما يصبح إتقانها أو إحكام نظـامها العـام أكثر احتمالاً، وإذا ما تـوافر الاستعـداد الفطري لهذا الإتقان وهـذا الإحكام وتوافـرت طرق التدريس والتلقين النـاجحة تأكـد هذا الاحتمال وأصبح حقيقة .

ومن الواضـح أن سعة محصول الناشـيء من مفردات الفصحى ومعـانيها وإحكامـه لنظامها العام سيهيئـه ويشجعه على مواصلة الاتصـال بتراث أمته الأدبي والفكري المدون أسـاساً بـالفصحى واستمداد ما يزيد مـن ثرائه الفكري واللغوي ويرتقي بطلاقته في التعبير. يقول المستشرق (كاشيا) P. j. Cachia في حـديثه عـن فصحى العـربية : «إن الفصحـى هـي مفتـاح تلك الكنـوز الضخمـة من الماضي العـريق، ثبـاتها لا يوازيـه ثبات أي لغـة، وفي الحاضر يستطيع الناشيء العربي في المرحلة الثانوية من تعليمه أن يَعْبُر بها إن كان قادراً وطموحـاً وبجهد قليل إلى السجـل الكامل لـلألف والثلاثمائة عـام الماضية، ويكون هذا السجل في متناوله»(٢٠) . بكل ما يحفل به هـذا السجل من علوم وآداب وفنون وعناصر أساسية لعملية الإبداع الأصيل .

وربما يعد من بين المداخـل السهلة المثمرة التي يمكـن أن يتخذها المدرس لتهذيب التعبير والتحول من العاميـة إلى الفصحى على نحو متدرج ما اقترحه عبدالقادر المغربي في أوائل القرن جواباً عـن سؤال رئاسة المعارف في الشام عن أقـرب الطـرق إلى نشر الفصحـى وهو «أن تطـرح بـدائل فصحـى للعبـارات النمطية العـامية التـي يكثر تواتـرها في الكـلام كما في : ليش، بعـدين، زي، بدي، كمان. . . »(٢١) . وهذا يتفق مع ما اقترحه الدكتور محمد كامل حسين

في حديثه عن «المنهج المقترح لتعليم اللغة العربية» من تنقيح للغة التلاميذ العامية وتنقيتها من الشوائب وتعديل صيغها وتراكيبها اللفظية وأساليبها على نحو مبسط ميسر لتتلاءم وتنسجم مع الفصحى[٢٢]. كما يمكن أن يكون من هذه المداخل التنبيه على الألفاظ الفصيحة المستخدمة في العامية والألفاظ التي طرأ عليها بعض التحريف (والموازنة بين الألفاظ العامية المصحفة وبين أصولها الصحيحة من اللغة الفصحى، وتكليف التلاميذ حفظ الصواب والنطق به وهجر المحرف وتدريبهم على ذلك)[٢٣]. وفي العربية على سبيل المثال كلمات كثيرة لها أصولها الصحيحة في الفصحى كما تشهد بذلك كثير من المعاجم اللغوية ذات الصلة[٢٤].

٣ ـ إن لشخصية المدرس في المدرسة ـ كما سبقت الإشارة ـ أثراً كبيراً ومباشراً في الناشيء سواء من الناحية السلوكية أو من الناحية العلمية، فالغالب أن التلميذ يحاكي مدرسه ويقلده في كثير من تصرفاته لأنه يعتبره قدوة ويتخذه مثالاً، وربما حاكاه وقلده في لغته، فالناس عامة كما يقول ابن خلدون «مولعون بالاقتداء، فهم يقتدون بمن هم أعلى منهم مكانة وثقافة ومرتبة، ويلتقطون تعبيراتهم ومفرداتهم التي يستعملونها ويتأثرون ببيانهم الذي يسمعونه أو يقرؤونه»[٢٥]. وعلى الرغم من أن هناك في عصرنا من يقلل من أهمية الاقتداء والمحاكاة ومن أثرها في تعلم اللغة[٢٦]. فإن واقع الحياة والأبحاث النظرية التي أجريت في هذا الشأن تثبت أهمية المحاكاة.

هناك من أصحاب النظريات اللغوية الحديثة المتطورة من يؤكد «أن الأطفال ينتهون بالفعل إلى الكلام بطريقة تشبه إلى حد بعيد كلام أولئك الذين يحيطون بهم فيما يتعلق بالتفاصيل الدقيقة من حيث الاستعمال الصوتي والنحوي فضلاً عن استعمال المفردات»[٢٧]. بل إن منهم من يقرر بأنه[٢٨] «لا توجد فترة في تاريخ البشرية على الإطلاق لم يعترف فيها بأهمية المحاكاة في اكتساب اللغة بالتعلم. . . . وإن أي نظرية من نظريات علم النفس البشري

لا تجعل للمحاكاة مكاناً بارزاً فيها تدمغ بأنها غير مكتملة»، وإن أثر المحاكاة والاقتداء في تعلـم اللغة لا يقتصر على مـرحلة معينة مـن حياة النـاشىء وإنما يشمل جميع مـراحل نمو اللغة عنده. وإذا كـان الأمر كذلك فإنـه يصبح من الضروري أن يراعى في اختيار المدرس، ليـس الكفاءة العلمية والنضج العقلي والسمو الخلقـي فحسب[٢٩]، وإنما تراعى البراعة أو الطلاقـة اللغوية (التي تفترض بصورة رئيسـة المهارة العـالية في استخـدام مفردات اللغـة وأساليبهـا) أيضاً. لأنه يصبح لهذه الطلاقة مهمتان أساسيتان في عملية التعلم هما:

أ ـ أن الطلاقـة اللغـويـة أساس مهـم في تـوظيـف المحصلة العلميـة والخبرات والكفاءات الأخـرى للمدرس ونقلهـا بسهولـة ويسر إلى أذهان ومدارك الناشئة.

ب ـ إن النـاشئة أنفسهـم يتـأثـرون بطـرق مبـاشرة وغير مباشرة بطـلاقـة مدرسيهم ويكتسبون منهـا عن طريق التأثر أو التقليـد والمحاكاة التي سبق الحديـث عنها ما يرتقـي بقدراتهم اللغوية، وربما كـان اكتسابهم مما لديه من مهارات ومفردات لغـوية أكثر من استفادتهم من المقررات الدراسية التي يجبرون عادة على قراءتها أو دراستها.

ولئن كانت الطلاقة اللغوية لازمة أو مفروضة بالنسبة لمدرسي اللغة بصورة خاصة فـإن ذلك لا يعني بأي حال مـن الأحوال عدم اعتبارهـا من المؤهلات الضرورية لدى مدرسي المواد الأخرى.

إن مما يشجع التلاميذ على الاهتمام باللغـة وعلى متابعة الجديد من مفرداتها وتراكيبهـا وصيغها أو التنبيه لما يطرح ويستعمـل من هذه المفـردات والتراكيب والصيغ شعورهم بتمكـن أستاذهم منها وإعجابهم بطلاقتـه وبراعته فيها وفي استخدامهـا، فإن قدرة المدرس على تقديـم المعلومات والأفكار في صيـاغات وتـراكيب لفظيـة سلسـة وسياقـات متجـددة متنوعـة منسجمـة من المواقـف والظـروف النفسية والمستـويـات العقلية والثقـافية المختلفـة ومسـايرة للحيـاة

العملية وتطوراتها، هذه تشعر التلاميذ بحيوية وطرافة اللغة وفاعليتها، فتشدهم إليها وتجذب اهتمامهم بها وتبعث في أنفسهم الطموح إلى تنمية قدراتهم فيها وإغناء حصيلتهم من مفرداتها وتراكيبها.

٤ ـ من المفترض أن توضع المناهج الدراسية على أساس دراسات ميدانية دقيقة متفحصة، تستقرىء وتتحسس أذواق التلاميذ وميولهم واتجاهاتهم ومستوياتهم العقلية والثقافية، وتتعرف على حاجاتهم وظروف حياتهم الفعلية وطموحاتهم الخاصة، ويختار من الموضوعات أو المقررات ما يتناسب مع هذه الأذواق والمستويات وهذه الميول والظروف والحاجات والطموحات، بمنأى عن النزعات الإقليمية والرغبات الفردية والمجاملات الشخصية. والواقع أن من المفترض أن يستعان بالمدرسين أنفسهم، ويستفاد من آرائهم وملاحظاتهم في وضع المناهج أو الكتب الدراسية وفي اختيار موضوعاتها، إن لم يشركوا في ذلك، لأنهم أقرب إلى حياة طلبتهم وأدرى بميولهم وأذواقهم، وقد يكونون أعرف بما يلائمهم من مناهج وسبل. وحبذا لو توضع استبانات خاصة لهذا الغرض توزع على المدرسين بين آونة وأخرى أو في نهاية كل عام أو فصل دراسي.

إن هذا الإجراء من شأنه أن يؤدي إلى توثيق ارتباط الطلبة بمناهجهم وإلى شدهم إلى كتبهم الدراسية وإلى الموضوعات المقررة فيها، ومن ثم تنمية حصيلتهم الفكرية واللغوية عن طريق قراءة هذه الموضوعات. وما دام الحديث هنا عن الحصيلة اللغوية فلا بد من التأكيد بصورة خاصة على ضرورة تطبيق الإجراء السابق على كل ما يتعلق بمناهج اللغة مثل كتب ومقررات النصوص الأدبية والمطالعة ومقررات النقد والبلاغة الصرف.

٥ ـ لقد تبين من خلال الحديث عن اللغة والذكاء في الفصل الأول من هذا البحث أن العلاقة بين النمو اللغوي والعمر العقلي أشد ارتباطاً وأكثر وثاقة من العلاقة بينه وبين العمر الزمني، وبناء على ذلك يفترض أن تختار

الموضوعات الدراسية عامة والموضوعات المتعلقة باللغة والأدب بصور خاصة لا على أساس العمر الزمني أو السلم المرحلي، وإنما على أساس ما يمتلك الطلبة من طاقات عقلية أو ذهنية: أي على أساس تناسب هذه الموضوعات مع نضجهم الفكري وقدراتهم على الاستيعاب والفهم والحفظ والتذكر والتخيل والتمثيل، كما يفترض أن تساق هذه الموضوعات في كتبها وتنسق على نحو متدرج، منسجم مع محصول الطلبة اللغوي ومع ما يمكن أن يتوافر لهم من الوقت والجهد الفكري وما يتاح لهم من فرص التأمل والتبصر في أساليب النصوص المختلفة والتمييز بينها وملاحظة طرق التعبير والتركيب اللغوي فيها، ليتم لهم إدراك مضامين هذه الموضوعات أو هذه النصوص واستيعاب معاني المفردات اللغوية الجديدة التي تشتمل عليها، ويتم لهم بعد ذلك تخيل هذه المضامين وهذه المعاني وتمثلها واختزانها في الذهن على نحو يمكنهم من استحضارها واستغلالها في نشاطاتهم اللغوية بشكل ملائم وسليم.

٦ ـ إن إعطاء التلميذ الموضوعات أو النصوص الطويلة التي تتزاحم فيها العبارات الغامضة والكلمات والتراكيب اللغوية الغريبة أو النادرة الاستعمال والمفاهيم التي تتجاوز طاقاته الذهنية وتفوق مستواه اللغوي وتحمل عقله من عبء التفكير والحفظ والتذكر ما لا يطيق، هذه قد تؤدي إلى تبرمه ويأسه ونفوره من القراءة والدراسة، أو تؤدي إلى التقليل من استفادته مما تقرر عليه أن يقرأ أو يدرس فكراً ولغة، لا سيما إذا كانت سياقات الموضوعات أو النصوص المذكورة لا تساعده على إدراك المعاني الغامضة ومدلولات الألفاظ والتراكيب الغريبة على نحو واف حتى مع التفكير المجهد.

إن من بين ما تشكو منه بعض المناهج التعليمية العربية على سبيل المثال طغيان الماضي على الحاضر في تدريس كثير من مقررات الأدب والبلاغة، وغلبة التركيز على النصوص القديمة التي تزخر بالكلمات الغامضة والتراكيب اللغوية التي عفت معانيها وندر أو انقطع استعمالها مثل: القصائد المعلقات

والطرديات والمقامات والنماذج البلاغية التقليدية القديمة . . . لمثل هذه النصوص أو النماذج سلبيات عديدة : فهي تربك أو ترهق أذهان التلاميذ أو تشعرهم بالإحباط أو الملل لتزاحم معانيها وتداخلها وصعوبة تصورها ، وقد تفضي إلى تنفيرهم من دروس الأدب والبلاغة عامة ، لأنها تشعرهم بعدم فاعلية هذه الدروس وبعد التجارب فيها عن روح العصر وعن مستجدات الحياة وتطوراتها وحقائقها وأحداثها الملموسة ولانفصال لغتها عن الواقع المعيش ، وبذلك تقل دوافعهم الذاتية لاكتساب اللغة من هذه الدروس ومن الموضوعات المقررة فيها .

يضاف إلى ما سبق ذكره من سلبيات أن كثرة المفردات وتزاحم التراكيب اللغوية الغامضة في النماذج المذكورة يؤدي إلى صعوبة تعلم هذه المفردات ، لأن (عبء تعلم اللغة يصبح أكبر كلما كان عدد الرموز أكثر) كما يصرح بعض علماء اللغة[٣٠] . ولأن كثرة هذه الكلمات قد تؤدي إلى صعوبة تمييز التراكيب والأنماط الصوتية التي تتألف منها ، وبناء على ذلك فإن العائد اللغوي الذي يكتسبه التلاميذ من هذه النصوص يتوقع في غالب الأحوال أن يكون يسيراً .

للاقتناع النفسي بأهمية اللغة وبفاعليتها وحيويتها وجدارتها بالعناية أثر كبير في تقوية الارتباط بها وتنمية المهارات فيها ، لذلك يفترض أن تضمن المناهج الدراسية عامة والمتعلقة منها باللغة والأدب خاصة نماذج قريبة في لغتها من لغة العصر وروحه ، تظهر فيها فاعلية اللغة ومرونتها وحيويتها وقدرتها على استيعاب جميع مستجدات الحياة الحاضرة وتلبيتها لجميع متطلبات هذه الحياة ، وتبرهن للناشىء على أن لغته لغة حضارة متطورة متجددة ، وليست لغة حضارة قديمة سادت ثم بادت .

من المفترض أن يطلع الناشىء على نصوص أو موضوعات يتجسد فيها ثراء اللغة واكتمالها وغناها بالمفردات اللغوية المرنة الثرية ومصطلحات

العلوم والفنون والتقنيات الحديثة، ويتمثل فيها طابع العصر المتطور وتغيراته الإيجابية ومشاهده الحية المتجددة، ويتجلى في مضامينها ما يوثق ارتباطه بالماضي المزدهر وبتراثه الخصب المتجدد وأدبه الجميل المؤثر ولغته الثرة الحية المرنة وحضارته المجيدة. وتظهر في عباراتها وأساليبها فنية استخدام اللغة. ويبرز في كل عناصرها الشكلية والمعنوية ما يربي في نفسه الطموح والتطلع إلى المزيد من المعرفة والمزيد من مقومات الإبداع ويدفعه إلى التحدي والمنافسة من التضلع في العلم والتمكن من اللغة. وبذلك تهيىء المدرسة للناشىء مورداً عذباً نافعاً ميسراً محبباً، يشعر معه بالاعتزاز بأدبه وبلغته، وتكون لديه القناعة بأهمية ما تقررت عليه دراسته وينجذب إلى القراءة راضياً متحمساً أوجه الفائدة وهكذا يتعمق فكره وتنمو لغته وتنمو وتتسع معها قدراته على التعبير.

٧ ـ ينبغي أن تشتمل الكتب الدراسية والكتب المرتبطة باللغة والأدب والبلاغة بنحو عام على كل ما يمكن أن يحفز الناشىء أو يدفعه إلى ممارسة اللغة الفصحى الملائمة لروح العصر، وكل ما يتيح له الفرص المتعددة للحوار والمناقشة والخطابة والكتابة، ويقوده إلى استغلال ما من شأنه أن يمرن لسانه وينمي طلاقته اللغوية والفكرية ويرتقي بقدراته على الإنشاء والإبداع الفكري والفني، ويشعره بضرورة التمكن من لغته وضرورة التنافس على إظهار البراعة فيها واتخاذ الوسائل المتاحة أو الممكنة لتحقيق ذلك.

إن الموضوعات التقريرية السردية التي تجعل الناشىء متلقياً وتتركه منصتاً، يأخذ ولا يعطي، يسمع ولا يتكلم، يحشو فكره بالمعلومات دون أن يعالجها بفكره أو يمارس الحديث عنها ويعبر عن آرائه فيها ومواقفه منها ويسعى لتطبيقها خارج جدران الفصل، والتمارين النمطية التي تتضمن مواقف مصطنعة لا صلة لها بواقعه المعيش وتجاربه الفعلية المحسوسة واللغة الاتصالية الفعلية، كل هذه لا تطور لغة الناشىء وإنما تبلد ذهنه وتحد من طلاقته

ومن قـدرته على الإبـداع الفكري واللغـوي، وتشعره بشكـل أو بآخـر بجمود اللغة وبمحدودية فاعليتها وضآلة أثرها في حياته، وقد توحي له بعدم الجدوى من الاهتمام بها.

٨ ـ ينبغي أن تتضمن المقـررات الدراسية موضوعات تشجـع الناشىء على التعلم الذاتي، وتنمـي لديه حب الاستطـلاع والفضول العلمي، وتربي لـديه الطموح والتطلع إلى آفاق فكرية وثقافيـة رحبة يتسع فيها مجال استخدام اللغة وتتنوع مستوياتها، ليتضاعف محصوله من مفردات هذه اللغة وتراكيبها ويزداد معرفـة بأسـاليبها، وتـزداد أصولها وقـواعدهـا رسوخـاً في ذهنه، ويسلـس له قيادها، ويزداد تمسكه واعتزازه بها. ولربما كان اكتسابه للمهارات اللغوية من خلال تعلمه الذاتي واتجاهه الطوعي أوفر وأقـوى وأشد أثراً مما يكتسبه منها من خلال دراسته للمقررات الدراسية المفروضة عليه.

إن التعلم الذاتي يعتبر (مـن أهـم وسائل التربية المستمرة التي تتيـح للأفراد تعليم أنفسهم بأنفسهم واكتساب المعلـومات والمهارات على اختلافها، وتنمية التذوق الفني وإدراك الأساليب المبدعة في التفكير وتكوين الاتجاهات والقيم، والعمل الـدائم للحصول على المعـرفة واستخـدامها على أحسـن وجه. . . إن هذا التعلم هو الأسلوب الذي يمكن عن طريقه ضمان استمرارية التعليم، بل هو الوسيلة التي يمكن بواسطتها مواجهة ومسايرة عصر التفجر المعرفي والتغير السريع)[٣١]. لذلك يوصي علماء التربية وعلماء النفس (بصياغة برامج تربوية تثير اهتمامات المتعلـم وتجعل منه عضـواً فعالاً يتجاوب مـع البيئة من حـوله، ومع الظـواهر المختلفة التي تـدفعه إلى حب الاستطلاع والاستكشـاف ومحاولة إيجاد الحلـول للمشكـلات المختلفـة، كما تـؤكـد على أهميـة تنميـة التفكير الإبداعـي، وعلى توظيف مفهوم الـذات، وتحقيق تعليم يهدف إلى تحريـر هذا المتعلـم مـن سلطـة المعلـم، وينظـر إلى المتعلمين عـامـة على أنهم أشخـاص إيجابيون وليس على أنهم أهداف سلبية تستقبل فقط)[٣٢]. ومن هـذا المنطلق

يفترض تدريب المتعلم على تحمل مسؤولية تعليم نفسه إلى جانب اعتماده على مُدرسه، وتعويده تسخير قدراته الخاصة، والاعتماد على ذاته في التفكير والبحث وفي اكتساب مهارة جمع المعلومات وتفسيرها أو تحليلها والاستفادة منها، وتدريبه على متابعة ما يستجد في حياته من علوم وفنون وما يستحدث من ألفاظ ومصطلحات وأساليب وتراكيب وصياغات لغوية، ليساير بذلك تطورات الحياة المستمرة وتطورات المعرفة وتغيرات اللغة أو تطوراتها، وإلا فالمدة التي يقضيها الطالب في المدرسة أو في مراحل التعليم المختلفة كلها ليست كافية لمسايرة التطورات الحياتية والعلمية واللغوية المستمرة(٣٣).

وتعد النشاطات اللاصفية كالقراءة الحرة، والمشاركة في الكتابة في مجلة المدرسة، والمساهمة في إعداد البرامج الإذاعية، وكتابة الخواطر والمذكرات اليومية، هذه تعد من بين مجالات التعلم الذاتي الذي يخدم لغة التلاميذ وينميها ويطورها، لذلك ينبغي أن تسعى المدرسة بصورة أساسية ومستمرة من خلال المناهج التي تعتمدها إلى تشجيع التلاميذ على مثل هذه النشاطات، وعلى القراءة الحرة بصورة أخص، وتعمل في الوقت ذاته على تهيئة المواد المقروءة المتنوعة وتسهيل الوصول إليها. ولا ريب في أن لوجود المكتبة الغنية بالموسوعات والمعاجم والكتب والمجلات على اختلاف موضوعاتها أثراً كبيرا في اجتذاب الناشئة وتحفيزهم على القراة والبحث ومن ثم تنمية رصيدهم اللغوي عن طريق هذه القراءة وهذا البحث.

٩ ـ يمكن أن يرفق كل موضوع من موضوعات الكتب الدراسية المقررة بقائمة من الكلمات الغريبة والعبارات الجديدة التي يمكن أن يتضمنها، ويذكر أمام كل كلمة أو عبارة ما يرادفها أو يوضح معناها، أو يطلب من التلميذ أن يسأل مدرسه فيها، على أن يخصص المدرس وقتاً للإجابة عما يسأل عنه تلاميذه، ويكون على استعداد تام للإجابة عنها. ومن الأفضل ألا يقتصر في ذلك على كتب اللغة والأدب والثقافة الإسلامية كما هو

الحال في كثير من الأوساط لدينا، وإنما يشمل كل الكتب الدراسية للمواد الأخرى المقررة، إذ لابد أن تشتمل موضوعات هذه الدروس على كلمات وصيغ لغوية غير مؤلفة أو جديدة مبهمة المعاني وغير واضحة في أذهان بعض التلاميذ إن لم يكن غالبيتهم، بل يفترض أن يعمد واضعو المقررات ومعدو الكتب الدراسية إلى إدخال صيغ وألفاظ جديدة متنوعة بشكل تدريجي ومدروس، لتنمو معارف وأفكار التلاميذ جنباً إلى جنب مع المستويات أو الآفاق اللغوية لهذه المعارف والأفكار.

إن الاقتصار على الصيغ والمفردات المألوفة أو المبتذلة بحجة تقديم المعارف بأسلوب مألوف مبسط يسهل فهمه من شأنه أن يؤدي إلى عجز في الحصيلة اللغوية للتلميذ، كما أنه قد يؤدي إلى ملل التلميذ وقلة انجذابه لقراءة ما تحتويه كتبه الدراسية من موضوعات، هذا بالإضافة إلى أن ذلك قد يمنعه من تجاوز حدود المقررات الدراسية ومن قراءة ما يتصل بهذه الموضوعات من كتابات خارجية، لعدم فهمه لما يرد فيها من ألفاظ ومصطلحات غير مألوفة لديه، وبالتالي فإن ذلك يمكن أن يحد من قدرته على الاستفادة من القراءة الحرة، مما يؤثر سلباً في إمكاناته واستعداداته في التعبير اللفظي.

١٠ ـ يمكن أن تعقد المدرسة على مستوى المرحلة الدراسية أو على مستوى الصف الواحد وتحت إشراف مدرسي اللغة صلات وثيقة بين التلاميذ الذين يتمتعون بطلاقة لغوية أو حصيلة لفظية واسعة ظاهرة وبين زملائهم الآخرين الذين لا يمتلكون هذه الميزات، فيقسم تلاميذ المرحلة الدراسية الواحدة أو الفصل الواحد على سبيل المثال إلى مجموعات كل مجموعة تضم عدداً من التلاميذ الذين يتميزون بطلاقة ومهارة لغوية بارزة وبروح قيادية تمكنهم من إثارة المناقشات وإدارة الأحاديث، ثم تختار موضوعات معينة لكل مجموعة صالحة للمناقشة، يمكن أن تكون على هامش المقررات الدراسية (ولا مانع من أن يختار أفراد المجموعة أنفسهم هذه الموضوعات)، ويسعى المدرس بعد

ذلك إلى حث كل أفراد المجموعة على الاشتراك فيما يثار من نقاشات وأحاديث وبتشجيعهم على التعليق وإبداء الرأي .

إن أفراد المجموعة المنظمين وفق الكيفية السابقة يمارسون اللغة بصورة أوسع وبشكل أكثر حرية وأكثر انفتاحاً ، لأن الفرصة للحديث تتاح لكل عضو في المجموعة الواحدة هنا ربما أكثر مما تتاح له كعضو في الفصل ، كما أن العضو في المجموعة لا يجد حرجاً في الحديث والمناقشة أو الجدل في دائرته الصغيرة الخاصة كما لو كان في الفصل أمام المدرس وأمام جميع زملائه . بل إنه ربما يكون أكثر اندفاعاً للتنافس والتحدي وإظهار قدرته الخطابية . والتلاميذ المتميزين بطلاقتهم في المجموعة ينعشون ثرواتهم اللغوية اللفظية فيزدادون طلاقة وبراعة ، أما التلاميذ الأقل طلاقة وأقل سعة ومهارة في لغتهم فإنهم يكتسبون من زملائهم ما يطور حصيلتهم اللغوية ويجعلها أكثر سعة أو أكثر تطوراً ، خاصة إن الناشيء غالباً ما ينساق بطبيعته البريئة الأليفة وميله إلى محاكاة الغير إلى التقاط المفردات والصيغ اللغوية من زميله أو قرينه ، بوعي أو دون وعي . وقد أثبتت بعض التجارب العملية من جانب آخر أن الأطفال الأكثر نضجاً يؤثرون في تفكير الأطفال الأقل منهم نضجاً ، إذا كان هؤلاء الأطفال الأكثر نضجاً يتميزون أيضاً بالسيطرة الاجتماعية ، وأن هذا التأثير يعتبر عاملاً مهماً في تنمية المهارات على اختلافها وتحسين الأداء لدى أفراد المجموعة الواحدة(٣٤) ، وقد ثبت كما سبق القول في فصل سابق أن طلاقة التعبير دليلاً على نضج التفكير، وأن هذه الطلاقة قد تكون عاملاً رئيسياً في تقوية الشخصية ودعم القدرة على السيطرة الاجتماعية ، كما أن هذه الطلاقة أيضاً تعتبر من أول ما يمكن أن يتأثر به الآخرون(٣٥) .

إضافة إلى ما سبق ذكره فإن الطالب الخجول أو البطيء التعلم أو القليل الكلام عادة ما تتولد لديه الثقة بالنفس والطمأنينة وينشأ لديه الإحساس بالأمان والميل إلى المساهمة في المناقشة والحديث من خلال انضمامه إلى مجموعته

الصغيرة، لأن مـن يصغي إليـه في مجموعتـه هـذه أقل ممـن تضمهم الجماعـة الكبيرة في صفه، وإذا ما استمـر في مجموعته فترة من الزمن ألفهـا ونمت عنده الثقة وتولدت في نفسه الشجاعة ونما لـديه الإحساس بالنجاح، فلا يجد حينها مشـاحة مـن المشاركـة في المناقشـات الصفية الـواسعة النطـاق أو الأحاديـث أوالمسـاهمة في الندوات العـامة، فـالمرء «الذي يستطيـع التعبير عن آرائه أمـام الجماعة يقوده إحساسه بالاطمئنان إلى القيام بمثل هذا الدور في حياته العملية وفي الوضعيـات الاجتماعية والمدنية وفي الوصـف أيضاً»(٣٦). وهكـذا تـزداد مهاراته اللغوية وتنمو ثروته اللفظية عن طريق الممارسة.

لقد أكد عدد من المربين على أهمية أسلوب الجماعة في الصف وعلى أسلوب المناقشة الجماعية ضمـن إطار الصف الواحد أو ضمن مجمـوعات معينة مختارة من عدد من الفصول، ونوهوا بما يعود بـه هذا الأسلوب على الطالب من المتعة والفائدة، وعلى ما يبعثه في نفسه من شعور بالجد والأمان والاستقلال والنجاح والثقة بالنفس وحب الاختلاط والتعاون والتواصل الاجتماعي والتعلق بالمدرسة والدراسة، هذا بـالإضافة إلى الدور الفعال الذي يؤديـه هذا الأسلوب في حل مشاكل الطالب الـدراسية وفي تنمية وتطوير قدراته الذهنيـة ومهاراته اللغوية وتنشيط قابلياته على التعبير والإنشاء والكلام عامة(٣٧).

١١ ـ يمكن أن تقوم المدرسة ـ وتحت إشراف مدرس اللغة ومدرس الأدب والبلاغة أيضـاً ـ بعقد المسابقات الثقـافية والأنشطة التي تظهـر فيها البراعات اللغوية مثل الخطابة والإلقاء بـاللغة الفصحى (أو اللغة السليمة) والكتابات الإنشائية وتفسير النصوص الأدبية والدينية والأداء المسرحي.

ويمكن أن تجرى مثل هذه المسابقات وهـذه الأنشطة في إطار المجموعات السابقـة الذكـر أو أن تقام على مستـوى المراحل الـدراسية المختلفـة ومستوى المدرسة عـامة. إن كثيراً من الفعاليـات المذكورة مثل الخطابـة والأداء المسرحي تستدعي من الطالب ترديـد النصوص المقررة ودرسها وتفسيرها وإجادة قراءتها

ونطـق كلماتها، وقـد تقود بعـض الطـلاب الطمـوحين إلى الاستماع إلى ممثلين وخطباء ومتكلمين لاكتسـاب الخبرة منهم أو تدفعهم إلى محاكـاة المدرسين من ذوي القدرات المتميزة في التعبير أو الأداء والاقتداء بهم، وهـذه كلها أمور من شـأنها أن تقود إلى تعلـم كثير مـن المفردات والتراكيـب اللغـوية والتمـرن على استخدامها في تكوين الصيغ اللغوية المختلفة.

ويرتبط بما تقدم إقامة المناظرات والموائد المستديرة والمساجلات الشعرية أو الأدبية والندوات الثقافية الأسبوعية أو الشهرية التي يمكن أن يشترك في إدارتها وإحيـائها عـدد من المدرسين، كما يشترك في إدارتها ذوو القـابليـات اللغويـة والروح الاجتماعية المتميزة من التلاميذ.

إن مـا تقدم ذكـره في الفقرتين (١٠) و (١١) هـو مـن صميم الممارسـة اللغوية التي سبق أن أشير إلى فاعليتها في تنمية الرصيد اللفظي وإلى أثرها في تطويـر المهارات اللغـوية وفي الارتقاء بـالطلاقـة الفكريـة. إن الممارسة تعتبر في نظر علماء التربية أسـاسـاً في التعلم عامة، وفي تعلـم اللغة بصورة أخص[٣٨]. فهي تعمل على تسهيل عملية التعلم، وعلى تجسيد وترسيخ ما يتـم تعلمه، كما تعمل على تطـوير عملية الإدراك والفهـم والاستيعاب ومن ثـم على زيادة المعرفة واتساعها.

وبالنسبة لتعلـم اللغة فإن ممارستهـا نطقاً أو كتابة وقـراءة تعمل على زيادة فاعلية المخزون اللفظي لدى المتعلم، وعلى ربـط التراكيب اللغوية بمدلولاتها ومعانيها ومن ثـم حضورها في ذهنه بشكل دائم. إن مدلولات الألفاظ لا تبقى فعالة نشطة في الـذهن دون أن يرتبط بعضها بالبعـض الآخر في جمل وعبارات ذات معنى وذات أهميـة في التعبير والأفكار ونقـل المعارف والخبرات. لـذلك كان من المهم أن يشجع الناشيء بصورة متواصلة على التعبير الحر، مستخدماً ما يتلقنه من عبارات وألفاظ بمدلـولاتها. إن المفردات اللغوية ليست وحدات ولا قـوائم مستقلة لا رابـط يجمعها، بـل هي كما يعبر أحـد الباحثين «شبكـة

مترابطة من العلاقات المتجانسة، ولا يمكن أن يتم تعلم أي مفردات بصورة فعالة ومفيدة إلا ضمن إطار هذه الشبكة العامة والعلاقات المتبادلة»(٣٩). وهذه الشبكة العامة والعلاقات المتبادلة لا تتجسد ولا تظهر بصورة جلية واضحة إلا عن طريق الممارسة الفعلية المستمرة.

١٢ ـ يمكن للمدرس أن يصحب تلاميذه في رحلات علمية إلى بعض المستشفيات أو المصانع أو الأسواق والمعارض والمؤسسات الخاصة، ويقوم بالإضافة إلى إطلاعهم على بعض ما يجب أن يطلعوا عليه من معدات أو أدوات أو أجهزة أو مصنوعات وتعريفهم على بعض المعلومات بشكل عملي، يقوم بتنبيههم إلى معاني الكلمات وخاصة الأسماء والأفعال والصفات المحسوسة التي قد تتجسد أمامهم. فإذا ما رافق المدرس تلاميذه في زيارة لأحد المستشفيات مثلاً ليريهم بعض أجهزته ومعداته وأدوات الطبيب وآلاته، عرفهم على أسماء هذه الأجهزة والمعدات والأدوات والآلات أثناء رؤيتهم لها، وأطلعهم على الألفاظ الفصيحة التي ترتبط بها أو بما فيها من صفات وما لها من وظائف واستعمالات وإذا ما رافقهم في زيارة لأحد المصانع ليريهم أجهزته ومعداته ومواده ومصنوعاته التي لا تتهيأ لهم رؤيتها في المدرسة أو في مكان آخر مثله، عرفهم بأسماء هذه الأجهزة وهذه المعدات وهذه المواد والمصنوعات وذكر لهم كل ما يرتبط بها من وظائف واستعمالات ومعان ومدلولات بألفاظها الصحيحة الفصيحة في لغتهم... وهكذا تتحول الأشياء من مجرد صور خيالية أو معان تجريدية إلى أشياء محسوسة يسهل على التلميذ تصورها وربطها بأسمائها وصفاتها وأفعالها ورموزها الدالة عليها، ومن ثم يسهل عليه استحضار أو استدعاء هذه الأسماء والصفات والأفعال مع ما يعبر عنها من رموز عند الحاجة إليها في عملية التعبير.

من خلال الاتصال المباشر بالأشياء والمعالجة الحسية لها وتوثيق اللغة بالحياة وما تتخللها من مواقف حية وواقع حركي ومواد ترتبط بهذا الواقع

عامة، تتسنى للناشيء الفرص للمقارنة والموازنة وملاحظة أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينها، ويتاح له تمثل الأفعال والأشياء على حقيقتها وإدراك الصفات العامة التي تربط بعضها ببعضها الآخر، وانتزاع الصفات الأساسية المشتركة وتمييزها عن الصفات العرضية أو الخاصة، وذلك وعن طريق عمليات التجسيد والتجريد هذه يتم إراكه العقلي للمعاني العامة وتصور ما يسمى بالمعاني الكلية للمفردات اللغوية وتمثل مدلولات الألفاظ على نحو دقيق.[٤٠] هذا وقد افترض عدد من علماء النفس أن الصورة التي يمكن أن يكونها المتعلم عن الشيء الذي تشير إليه الكلمة تعلم الكلمة من خلال المعالجة الحسية والملاحظة المباشرة للأشياء المادية هي السبب السيكولوجي الذي يؤدي إلى سهولة تعلم الكلمة واستيعاب وفهم معناها، ومن ثم ثبات هذه الكلمة مع معناها في الذاكرة وسهولة استرجاعها من مخزون هذه الذاكرة[٤١]. وكما يقول الصينيون «إن ما أسمعه بأذني فقط فإنني أنساه، وما أراه بعيني أتذكره، وما أصنعه بنفسي فأنا أعرفه»[٤٢].

١٣ ـ إن لإذاعة المدرسة كما هو معروف دوراً مهماً في تثقيف التلاميذ ونقل المعلومات والخبرات إليهم وتقوية الجرأة الأدبية لديهم وتطوير قدراتهم الخطابية وصقلها وإبرازها، ولها أهميتها الكبيرة من حيث كونها منبراً يعبر التلاميذ من خلاله عن مشاعرهم وخبراتهم وينقلون ما يختارونه من معلومات وأفكار ومشاهدات في معزل عن المناهج المفروضة والواجبات اليومية الرتيبة، ولا شك أن هذه الحرية النسبية تشجع التلاميذ وخاصة الطموحين إلى الظهور منهم على المشاركة في إعداد برامجها والبروز من خلالها، كما تشجع بقية التلاميذ على الانتباه إلى ما تقدمه الإذاعة من موضوعات أو معلومات أو فقرات عامة، وخاصة في فتراتها الصباحية التي تبدأ بالطابور، حيث تكون أذهان التلاميذ صافية لم تثقل بعد بما تفرضه المناهج المدرسية المقررة من التزامات، وبهذا تكون المعلومات المقدمة هنا في غالب الاحتمالات أكثر التصاقاً بأذهانهم وأكثر ثباتاً فيها.

وإذا كانت إذاعة المدرسة لها دورها الفعال على النحو المذكور، فمن الممكن أن يضاعف استغلالها لتنمية أو إغناء حصائل التلاميذ اللغوية، فتقدم من خلالها المحاضرات الأدبية أو الثقافية، والمقابلات مع شخصيات اجتماعية من خارج المدرسة أو مع أفراد من داخلها تميزوا بمهارات لغوية وخطابية جيدة، أو أن تقدم مسرحيات أو ندوات أو مسابقات أدبية أو ثقافية مسجلة أو برامج خاصة منقولة من الإذاعة العامة أو التلفزيون، وما إلى ذلك من فقرات مماثلة.

ويمكن أن يزيد التركيز في الإذاعة المدرسية على جانب اللغة وعلى إمداد التلاميذ بألفاظ وتراكيب وصيغ جديدة منها، فتقدم على سبيل المثال فقرات أدبية أو أسلوبية مشوقة تتمثل في قراءة بعض الموضوعات أو النصوص الأدبية أو الدينية الراقية من حيث مستواها اللغوي، أو أن تساق بعض الطرائف والأخبار والأقاصيص في صياغات رشيقة مثيرة، أو أن تختار مجموعات من الكلمات المترادفة أوالمتضادة أوالمرتبطة بموضوع واحد أو المصطلحات والتراكيب الجديدة وتوضع في صياغات جميلة توضح معانيها وتبين الفوارق في مدلولاتها. . . ويفترض أن يقوم بهذه الأنشطة أو بالإعداد لها التلاميذ أنفسهم، أو أن تعدها مجموعة منهم ويقوم بتنفيذها أفراد مجموعة أخرى ممن يتمتعون بجانب جيد من الفصاحة والطلاقة وجمال الصوت والجرأة الأدبية وحسن الإلقاء.

ومما يزيد من فاعلية الإذاعة المدرسية في إغناء حصائل التلاميذ اللغوية تخصيص فترات معينة فيها للخطابة الارتجالية الحرة والتي يتهيأ لها في كل يوم مجموعة من التلاميذ تحت إشراف مدرسهم. ومما يزيد من فاعليتها في ذلك عامة أيضاً استغلال المؤثرات الموسيقية والإمكانات المسرحية أو الأداء التمثيلي الذي يجسد فاعلية اللغة. . ولاشك في أن أهمية الإذاعة المدرسية وفاعليتها في التنمية اللغوية والفكرية تتوقف على الأنشطة المقدمة من خلالها وعلى ما

تحظى به من إشراف سديد وتنظيم لبرامجها، لذلك كان من المهم جداً أن تتولى الإشراف عليها لجنة خاصة. تضم بالإضافة إلى مدرسي اللغة والأدب عدداً من المدرسين المؤهلين لهذا الإشراف ومن يحسون في أنفسهم ميلاً إلى أنشطة الإذاعة من المدرسين والطلبة عامة، وأن يسعى مدرسو اللغة والأدب بالتعاون مع المدرسين الآخرين بشكل دائم إلى اكتشاف أصحاب المواهب الخطابية والمهارات اللغوية المتميزة من الطلبة وإبرازهم، لتستفيد منهم ومن قدراتهم إذاعة المدرسة في أداء مهمتها ولتزيد قدراتهم هم أنفسهم سعة ونماء (٤٣).

١٤ــ سبق أن أشير إلى أن لمكتبة المدرسة دوراً مهماً في التقويم التربوي والتطوير الثقافي بكل أنواعه وأشكاله، لذلك كان من المهم جداً العمل على تزويد هذه المكتبة بالكتب والإصدارات الوافرة، الملائمة لمستويات التلاميذ العقلية واللغوية، المتناسبة مع أذواقهم وحاجاتهم ومتطلبات عصرهم وظروفهم الحياتية، والملبية لرغباتهم ولفضولهم العلمي أو المعرفي والمشجعة لهم على التعلم الذاتي، الجيدة في إخراجها وطباعها، المتنوعة في موضوعاتها، القيمة في محتواها وموادها العلمية والأدبية. كما أن من المهم أيضاً تهيئة الأجواء والحوافز التي تدفع التلاميذ إلى الارتباط بهذه المكتبة وتشجعهم على البحث والقراءة الحرة فيها أو على استعارة ما يرغبون في قراءته منها. وتعويدهم مواصلة زيارتها وخلق ما يحفزهم على الاتصال الدائم بها، مثل إعداد بعض المواد والفقرات الإذاعية وكتابة التقارير والملخصات والبحوث، وبهذا يتمكن التلاميذ من اكتساب ما يرقى بمستواهم الفكري واللغوي معاً وتؤدي مكتبة المدرسة دورها في تنمية المحصول اللغوي للطالب. .

ولا شك في أن من أهم ما يشجع التلاميذ على ارتياد مكتبة المدرسة تصنيف محتويات هذه المكتبة من الكتب والمجلات والإصدارات الأخرى وفق نظام فني حديث، يسمح للتلاميذ بتناول هذه المحتويات والاستفادة منها بيسر (٤٤). ثم تعريف التلاميذ أنفسهم بهذا النظام،

وتدريبهم على استخدام المراجع العامة كالمعاجم اللغوية والموسوعات العلمية أو الثقافية ودوائر المعارف، وتوجيههم من قبل عاملين مؤهلين لانتقاء الكتب أو الموضوعات المفيدة لهم والملائمة لمستوياتهم أو المرتبطة بالمقررات التي يدرسونها.

وليساعد المدرس طلبته ويشجعهم أكثر فأكثر على ارتياد مكتبة المدرسة ينبغي أن يزور هو نفسه المكتبة بين الحين والآخر، ليطلع عن كثب على ما يرد إليها من جديد الكتب والمجلات، ويرشد إليها تلاميذه أو يرشد كلاً منهم إلى ما يتناسب مع قابلياته اللغوية والذهنية ويتلاءم مع ميوله الخاصة. وإن كان يحسن من المدرس أحياناً أن يترك اختيار الموضوعات أو البحث عنها لتلميذه ليتعود على الصبر وعلى تحمل مشاق البحث وعلى الأستقلالية والاعتماد على النفس، هذا إضافة إلى أن التلميذ قد تشده وتجذب اهتمامه موضوعات جديدة عرضية أثناء بحثه وتفتيشه عن الموضوع الأساسي المطلوب فيقرؤها طوعاً بدافع الفضول أو حب الاستطلاع فتكون الفائدة اللغوية والفائدة الفكرية المكتسبة منها أكثر من الفائدة التي تكتسب من الموضوع الذي يبحث عنه.

ومما يزيد ارتباط التلاميذ بالكتاب وثاقة وينمي فيهم حب الاطلاع والميل للقراءة إيجاد مكتبات صفية يتوافر فيها من الكتب والمعاجم اللغوية والموسوعات المعرفية ما يمكن أن يلبي حاجاتهم السريعة ويشدهم إلى موضوعاتهم المهمة ويشكل نوعاً من الحوافز لهم على زيارة مكتبة المدرسة الرئيسة، وكثيراً ما تساعد المكتبات الصفية المدرس على توضيح بعض النواحي الدقيقة والأشكال اللغوية، كما تعينه على إثارة اهتمام تلاميذه بالكتب وبالقراءة. والمكتبات الصفية التي نتحدث هنا عنها تصبح أكثر أهمية وأبعد أثراً في المدارس التي تتبع نظام الفصل الثابت: أي النظام الذي يسمح للطلبة بالتنقل بينما يظل المدرس ثابتاً في غرفة الدرس.

١٥ـ إن التلميذ قد يعثر أثناء قراءة الموضوعات المقررة أو أثناء القراءة الحرة على كلمات غريبة لا يتمكن من إدراك معانيها من خلال سياق الكلام الذي يقرأه، أو أنه لا تتوافر لديه الفرصة لسؤال المدرس عن معانيها، مما قد يؤدي إلى الفهم الخاطىء، سواء لمعاني هذه الكلمات خاصة أو للنصوص التي يقرأها، أو يؤدي إلى النفور من القراءة والشعور بالملل منها وبالتالي إلى الحرمان أو التقليل مما يمكن أن يعود عليه من محصول لغوي منها، لذلك كان من الضروري توفير المعاجم اللغوية المناسبة لمستويات الطلاب في مكتبة المدرسة وتعريف الطلاب أهمية هذه المعاجم ووظائفها وخصائصها ومناهج تصنيف المفردات المتبعة فيها وعلى طرق استعمالها كما أشرنا. . ويفترض أن يقترن كل ذلك بحث هؤلاء الطلاب دائماً على الرجوع إلى هذه المعاجم للتعرف على كل ما يصعب عليهم فهمه أو إدراك مدلولاته من الكلمات.

إن رجوع الطالب إلى المعجم للبحث عن معنى كلمة ما بالإضافة إلى كونه يعوده الاعتماد على نفسه في إغناء حصيلته اللغوية فهو يعوده البحث والصبر، وينمي لديه حب الاطلاع، كما يعمل على ترسيخ معاني الكلمات التي يستخرجها في ذهنه لمدد أطول، وربما يتثاقل التلميذ بادىء ذي بدء من استخدام المعجم أو يجد صعوبة في استخدامه، غير أنه مع الحث والتشجيع الدائم على استشارته والرجوع المستمر إليه، يصبح استعماله سهلاً عليه، وربما يجد لذة في البحث فيه فيما بعد.

ومما يزيد من فائدة المعاجم التي تتوافر للتلاميذ في مكتبة المدرسة أو مكتبة الصف، أن تكون مناهج هذه المعاجم مبسطة سهلة، ويستحسن أن تكون من المعاجم (النطقية)، أي التي تصنف فيها المفردات اللغوية بحسب نطقها، أو المعاجم الهجائية الألفبائية، أي التي تصنف فيها المفردات اللغوية بحسب ترتيب الحروف الهجائية في اللغة، وأن تكون من المعاجم المرحلية التي سيأتي الحديث عنها لاحقاً. ومما يمكن أن يكون له أثر كبير في اهتمام التلميذ

بالمعجم والحرص على الرجوع إليه والاستفادة منه اقتناء معجم خاص به وتعرفه على جميع المختصرات والرموز والمصطلحات المعجمية المستخدمة في هذا المعجم [٤٥].

١٦ـ يمكن أن تتخذ أدوات الاتصال الحديثة الأخرى التي لم نذكرها هنا، والتي يمكن أن توفرها المدرسة لتلاميذها، مثل جهاز التسجيل الصوتي والحاكي (الفونوغراف)، والتلفزيون التعليمي والحاسب الآلي، هذا بالإضافة إلى الأدوات التقليدية التي تستخدم للتوصيل والإيضاح والتجسيد والعرض والتقريب، هذه الأجهزة كلها يمكن أن تتخذ كوسائل لتطوير مهارات التلاميذ اللسانية كما تتخذ في عمليات التنمية الفكرية، فتعد فيها أو بواسطتها برامج تهدف بصورة خاصة إلى إغناء المحصول اللغوي اللفظي والأسلوبي بكل الطرق الممكنة التي سبق الحديث عنها في فصول سابقة [٤٦].

يقول أحد الباحثين في شؤون اللغة: «إن حاسة السمع ينبغي أن ترافقها دائماً حاسة البصر، وينبغي أن يدرب اللسان بالترابط مع اليد، كما ينبغي ألا تدرس الموضوعات شفهيا فحسب، ولكنها ينبغي أن توضح بطريقة مرئية، وإن من الحكمة أن يصور على جدران الصف كل موضوع يعالج داخل الصف»[٤٧].

والحقيقة أن استخدام أي وسيلة سمعية أو بصرية أو أي وسيلة حسية أخرى تساعد على استيعاب المعاني والأفكار وتجسيد استخدام اللغة وتناول المفردات اللغوية بشكل حيوي ملموس أصبح أمراً ضرورياً في الأوساط التربوية الحديثة، لأن ذلك من شأنه أن يجعل الحياة الدراسية جزءاً من الواقع المعيش ويربط المعارف والعلوم التي يكتسبها الطالب بالحياة التي يحياها فيجعلها عالماً متحركاً كعالمه، كما يساعد على تجسيد المعارف وتثبيتها، حيث تجند أكثر من طاقة واحدة لنقل هذه المعارف إلى الفكر وإيداعها في الذاكرة، ويحصل التضافر والتواتر في عملية التوصيل.

ومما لا شك فيه أن التلفزيون التعليمي بنحو خاص يعتبر من أهم الوسائل الحديثة التي تشترك حاستا السمع والبصر معاً في تلقي المعلومات منها، سواء كانت هذه المعلومات فكرية أو لغوية، هذا بالإضافة إلى قابليته الكبيرة على اجتذاب الطلاب وشد انتباههم وحثهم على الانضباط والاتجاه الطوعي للتعلم.

لقد أجريت بعض الدراسات على التلفزيون كوسيلة تعليمية، فوجد أن التعلم عن طريقه يقلل من تأخر الطلاب وغياباتهم، ويسيطر على ما لدى بعض المتعلمين من سلوك سيىء، كما ثبت أن الصفوف التي استعان المدرسون فيها بالتدريس بالتلفزيون أفضل من تلك التي درست بالطرق المعتادة فقط(٤٨). وبذلك فإن التلفزيون التعليمي يمكن أن يكون في مقدمة الوسائل التي تشترك في تجسيد اللغة وتقريبها وإيصالها أو نقلها عن طريق الحواس المتعددة(٤٩). بشرط أن تتوافر المادة التعليمية النافعة والتخطيط السليم في العرض والتوجيه السديد في الاستخدام لئلا تتحول هذه الأداة إلى وسيلة ترفيه بحتة وأداة لقتل الوقت.

١٧ــ ينبغي ألا يقتصر استعمال التلاميذ للغة في المدرسة على إعادة ما يتعلمونه من مدرسيهم أو ما يقرأونه في كتبهم الدراسية. إن «مدرس اللغات الذي يدرس بطريقة معينة ويطلب من طلابه اتباع أنماط معينة في استجاباتهم لا يحيدون عنها لا يوفر لهم حرية الاكتشاف، ولا الفرص الكافية لمعالجة المشاكل التي قد تواجههم عن طريق استخدام لغتهم»(٥٠)، وبذلك يشعرهم بمحدودية اللغة وعدم حيويتها كما يعمل على طمس واختفاء مجموعة كبيرة من المفردات والصيغ اللغوية التي يكتسبونها من مصادر أخرى لعدم أو قلة استعمالها وإنعاشها في الذاكرة عن طريق هذا الاستعمال. فمن المفروض أن تصبح العناصر اللغوية التي يكتسبها التلاميذ عن طريق التعلم منطلقات وبواعث لاكتساب أو اكتشاف عناصر أخرى أو إحياء عناصر

مماثلة مختبئة في طيات الذاكرة. وهذا يمكـن أن يتحقق عن طريق إثارة الحوافز لممارسة النشاط اللغوي أو إثارة غريزة اللغة في التلميذ كما يعبر جون ديوي.

يرى ديوي أن من الضروري أن تثار في التلميذ غريزة اللغة وأن تجذب اللغة إلى هذا التلميذ بطريقة اجتماعية ليتحقق اتصاله المستمر بالواقع(٥١) وأن تتاح الفرص الكافية لما يمكن أن يسمى بـالمقايضة في التعبير اللغوي داخل الصف وخارجـه؛ أي أن تعطي أو تمهـد الفرص للتلميـذ للعبير عن أفكـاره الخاصة ونقل خبراته للأخـرين والحديث عما يحب من أشياء وما يـدرك من حقائق وما تجيش به نفسه من أحاسيس، كما يُعوَّد في الوقت نفسه على الإصغاء للآخرين لتلقي المعلـومات منهـم والاستفادة من خبراتهم. وهكـذا يتم الأخـذ والعطاء الفكري والشعوري، ويتم تبادل المعلومـات والمواقف والأفكار والأحاسيس، وتتحقق المقـايضة اللغـوية، وعـن طريق استمـرار هذه المقـايضة يشعـر هذا التلميذ بحيوية اللغة، ويدرك فاعليتها، وتتبين له بجلاء وظائفها الحقيقية في حياته الفعلية، فيتجه لتعلمها بجد وحـرص، ويسعى سعياً متواصلاً لتطوير مهاراته فيها وإغناء حصيلته من مفرداتها وصيغها(٥٢).

إن مـن المفترض أن يدرك التلميـذ في المدرسـة إدراكـاً تامـاً أن الكلمات والتراكيـب التي يتعلمهـا تعد وسـائل مهمـة للعبير عن المواقـف والمشاعـر والمعارف والعلـوم التي يتلقـاها، وأنـه لا جدوى مـن تعلمها مـا لم توظـف لـذلـك، لهذا ينبغـي أن يشـارك كتابـة ونطقـاً في الحديـث عما تعلمـه وعما سيتعلمه على نحو متواصل ليتمكـن منها ويحرز المهارة في استخدامها. وفي الوقت نفسه تهيأ لهذا التلميذ الفرص الكافية لإداء ملاحظاته الخاصة، ويثار تفكيره الناقد، ويحث باستمرار على اغتنام الأوقات المناسبة للتعبير عن آرائه ومواقفه ويشجع على الحديث عما يكتسبه من معارف وخبرات وعلى المشاركة في مناقشـة الموضوعات التي تـدرس دون تردد أو خجل أو حرج، ويمـد له مدرسه يد العـون بالإصغاء والمتابعة والتقويـم أو التصحيح بطريقة لا تمس فيها معنوياته ولا تجرح مشاعره.

يقـول «كومينيـوس Comenius » : وهو أحد المهتمين بتطـوير اللغة الإنـجليزيـة : «يجب أن يتعلـم طلاب المدرسة الكتـابة عن طريـق الكلام، وينبغـي ألا يهمـل تـدريـس الكـلام في خضـم التـأكيـد على القـراءة والكتابة. . . بحيث تتاح الفرصة لكل طالب أن يمارسه في فترات متكررة. وتقـول لجنة منـاهـج اللغة الإنكليـزيـة إن على المدارس أن تعود الطـلاب الكلام مع الشعور بالمسؤولية وفهـم الطرائق التي تستخدم بها اللغة للتأثير في الأفكار وتقرير العمل»[٥٣].

ويمكن أن يختـار المدرس لطلبته بـالإضافة إلى مـا سبق ذكـره موضـوعات معينة ليكتبوا حولها أو يقدموا تقـارير عنها أو ملخصات لها، وقد يترك اختيار ذلك لهم بعد توجيههـم أو الإيحاء لهم بما يتناسب مع ما يدرسونـه من مواد وما يجب أن يطلعوا عليـه من معارف، أخذاً بعين الاعتبـار ما لدى كل منهـم من ميول وقـدرات خاصة وما يتـوافر من وقت للـدراسة والكتابة. أو أن يعـودهم الحديث عـن مشاهـداتهم خارج المدرسـة وعلى تدويـن ملاحظـاتهم حول مـا يحدث من منـاسبات أو يستجد من أحـداث ويشجعهم على كتابـة المذكرات الخاصة بالحياة اليومية.

الإجراءات المذكورة وما سبـق ذكره قبلها من نشاطات أخـرى، كلها تدعو إلى ممارسـة التعبير اللفظي بأشكـاله المختلفة، وتعـد إثارات حيويـة للغة، أو وسائل لاجتـذاب الطالب إلى اللغة أو اجتـذاب اللغة إليه، وكلها تعمـل بلا شك على إنعـاش وتطوير مـا لديه مـن محصول لفظي، لا سيما إذا مـا اقترنت هذه الإجراءات بمتـابعة دقيقة حثيثة مـن المدرس وبتوجيهات سديـدة متوالية منه وتصحيح مستمر للأخطاء اللغوية والأسلوبية التي يقع فيها طلابه.

لقد أظهـرت بعض الدراسات الحديثـة أن الطالب يـزداد قدرة على التعبير كلما تهيأت لـه الفرص لتطبيـق ما يـدرسه مـن القواعـد ويسمعه ويتلقنـه من الصيـغ والتراكيب والأسـاليب اللغـوية عمليـاً، وكلما هيأ لـه «المدرس فرصـاً

عديـدة للكتابـة والكلام ثم قـام بتصحيح الأخطـاء في الكلام والكتـابة، لأن ذلك سيعطي معنى للمفاهيم اللغوية التي تدرس»[٥٤].

ظاهرة اللفظية

تشيع في أوساط التلاميذ على اختلاف أعمارهـم ومراحلهم الدراسية ما يسمى في الاصطلاح الحديـث باللفظية Verbalism وتعنـي استعمال أو ترديد الكلمات دون معرفة معانيها [٥٥]، أو دون إدراك دقيق لهذه المعاني؛ فهناك عدد كبير من الناشئة في جميع مراحل التعليم، ومن ضمنها التعليم الجامعي يـرددون فيما يكتبون أو يتحدثـون به أمـام مدرسيهم أو زمـلائهم كلمات قرأوها في كتبهم المقررة أو سمعوا مدرسيهم يتلفظون بها أو حفظوها في نصوص فرض عليهم حفظها دون أن يـدركوا معانيها[٥٦] ولا يقتصر وجود هـذه الظاهـرة على أوساط النـاشئين العرب فحسـب، فقد لـوحظ وجودهـا بين الناشئين الناطقين باللغـة الإنجليزية أيضاً. وقـد صرح أحد الباحثين في هذه اللغة بـوجودها بينهم، وأقر بما تتركه مـن آثار سلبية فيهم وفي مستوياتهم التعليمية فقال: «إن الطالب المتخرج في الدراسة الابتدائية أو الثانوية يكون غنياً (بكلائش) مـن التعابير غير الممحصة، ولذلك فإنه لا يستطيع أن يتكلم أو يفكر بوضوح أو بطريقة منطقية»[٥٧].

ولظاهرة اللفظية نتائج وآثار سلبية خطيرة في المستقبل اللغوي للناشئين وفي مستوى اكتسـابهم لألفاظ اللغة ومعانيهـا بصورة خاصة، ومـن ثم في مستوى تحصيلهم العلمـي والثقافي وفي قدراتهم الفكرية والإبـداعية. هذا بالإضافة إلى آثـارهم النفسية والاجتماعية السيئة، مما يجعلها جـديرة بالنظر والدراسـة. ولارتباط هذه الظـاهرة بالمدرسة أو بـالحياة الدراسيـة للناشئين عموماً كان لابـد هنا من بحثها ومحاولة الوصـول إلى بعض الحلول التي تحد من وجودها أو انتشارها واستفحالها على الأقل.

ولهذه الظاهرة أسبابها الكثيرة المتشعبة التي يقود التفصيل في بحثها واستقصائها إلى استطرادات لا يتسع المجال هنا لاستيفائها ؛ فبعض هذه الأسباب يرجع إلى أساليب ونظم التعليم والتدريس المتبعة ، وإلى المستويات اللغوية والثقافية للقائمين على هذا التعليم ، بينما يعود البعض الآخر منها إلى المناهج والنظم التعليمية المقررة في مراحل التعليم على اختلافها ، أو إلى الكتب الدراسية : طباعتها وإخراجها وما تحويه من موضوعات ، كما أن بعضاً آخر من هذه الأسباب له ارتباط بالمعجمات اللغوية : طباعتها وإخراجها وطرق تصنيف وتفسير المفردات اللغوية فيها . ثمة أسباب أخرى تتعلق بالناشئة أنفسهم وبمستوياتهم العقلية والثقافية وأحوالهم النفسية والاجتماعية ، أو بالوسط التعليمي والمحيط الأسري والاجتماعي الذي يعيشون فيه . وقد بحثت هذه الأسباب موزعة على جهات تعلقها ومحاورها الأساسية ضمن دراسة مستقلة تناولت جميع ملابسات الظاهرة ونتائجها والعوامل التي تحد من انتشارها [٥٨] ؛ لذلك فإننا سنقتصر هنا على ذكر طاقة من أهم أسباب شيوع هذه الظاهرة ونتعرض لبحث مجموعة من أبرز نتائجها السلبية على المحصول اللغوي اللفظي والعوامل التي تحد من انتشارها بين الناشئين على نحو مختصر نسبياً .

١ ـ أسباب الظاهرة :

١ ـ من الملاحظ أن هذه الظاهرة تشيع بوجه خاص في أوساط التلاميذ الذين يتبع مدرسوهم طريقة التحفيظ والتسميع في التعليم ويركزون اهتمامهم على تحفيظ المتون للتلاميذ دون إعطاء شروح شاملة مفصلة أو تحليلات كافية لهذه المتون ، ودون إعطاء الفرص الكافية لتلاميذهم للتعبير الحر عن مضامينها ، اعتقاداً منهم بأن هؤلاء التلاميذ لو أتيحت لهم الفرص لذلك فسيثرثرون ويخوضون فيما هو بعيد عن مستواهم ، وأنهم سيفهمون ما حفظوا على مرور الزمن .

إن هذه الطريقـة قد تلجىء التلاميـذ إلى حفظ النصوص المفروضـة مع ما تحويه من كلمات وصيغ لغوية جديدة أو غريبة، فهموها أو لم يفهموها، وربما لجأوا إلى حفظ شروحها إن وجدت لها شروح في كتبهم الدراسية لضمان الإجابة عنها إجابة صحيحة مقبولة حينما يسألون عنها.

ويـرى بعـض المربين أن التأكيـد الـزائد على صحـة الأجوبـة المحـددة في الاختبـارات من قبـل الطـلاب يشجـع فعلاً على الخمـول في التفكير والغـش والحفظ الميكانيكي للعبارات والرمـوز اللفظية دون فهم معانيها (٥٩) ومما يقود الطالـب إلى التأكيـد على تحديد الأجـوبة، وربما استظهـارها أحيـاناً، تـدقيق المدرس وحرصـه الشديد على أن تكـون إجابات الطلاب متـوافقة تماماً مـع ما يتحدث به هـو أمامهم أو مطابقـة لما يوجد في الكتاب المدرسي، ولـذلك فإن الطالب يضطر إلى حفظ الأجوبة حتـى وإن لم يفهمها، ليضمن رضى مدرسه ويجتاز الامتحان بسلام.

٢ـ يكتفـي بعض المدرسين: بـالاستخدامـات النظريـة المجردة لـلألفاظ والتراكيب اللغوية، أو أنهم لا يتخذون الـوسائل والتطبيقات الحسية المستمدة مـن واقع حيـاة التلاميـذ ومن خبراتهم وظـروفهم المحيطـة لتوضيـح الكلمات والعبارات الجديدة التي يستخدمونها بنحـو كاف. يقول أحد الدارسين: «وفي رأيي أن من أسباب تعثـر أبنائنا في تعلم الفصحى قصور منـاهج تعليم اللغة العربية عنـد تقديم المادة اللغوية الاتصاليـة من ناحية، وقصورها عـن تقديم التدريبات النمطيـة والدلالية الاتصاليـة التي تساعد على السيطـرة الآلية على المهارات اللغوية المختلفة في مجال الأصوات والمفردات والتراكيب واستخدامها في مجالات الحياة»(٦٠).

إن الحديث النظري والشرح المجرد أو التدريب النمطي التقليدي والتمثيل المصطنع البعيـد عن الواقـع العملي هذه لا تكفـي لربط الكلمات بمـدلولاتها ربطاً دقيقاً ولا لترسيخها في ذهن النـاشيء على النحو المطلوب، لأن مستعمل اللغة، كما يقول روي هجمان «لا يكتسب المعنى التـام لأي كلمة ويستخدمها

بدقة إلا عند سماعها بوصفها رمزاً يستخدم في مواقف متنوعة»[٦١]. فقد يفهم الناشىء معاني بعض الكلمات الغريبة التي يشرحها المدرس شرحاً نظرياً، أو تقرب من فهمه حين يرى مدرسه يستخدمها في سياق معين، غير أن فهمه لهذه المعاني لا يكون دقيقاً دائماً، لأن فهمه إياها مرهون بقدرته على التركيز وعلى التخيل وعلى الربط بين العناصر المتخيلة، وهذه القدرة قد لا تكون كافية، لاسيما لدى الناشىء الصغير، وحتى لو كان إدراك الناشىء لهذه المعاني سليماً وكان تخيله إياها وربطه لها بألفاظها صحيحاً، فإنها لا تعلق بذهنه مع ألفاظها وتثبت في ذاكرته كما لو تجسدت في الواقع المحسوس أو ارتبطت بأشياء عملية حية مشاهدة فعلاً، وإنما تبقى عرضة للنسيان السريع أو التشوش والاختلاط بغيرها، وبناء على ذلك كله فإن الألفاظ المسموعة تبقى في ذاكرة الناشىء ـ إن هي استقرت في ذاكرته لفترة ما ـ مجردة من معانيها أو مرتبطة بمعان خاطئة أو مشوشة غير دقيقة.

ويضاعف من خطورة السبب المذكور ومن تأثيره في استفحال الظاهرة استبداد بعض المدرسين واحتكارهم لكامل أو معظم الزمن المحدد لإلقاء دروسهم أو محاضراتهم، وعدم إتاحة الفرص الكافية للتلاميذ للمناقشة أو الاستفسار أو المقاطعة، مهما كان نوعها أو سببها، مما يبعث الخوف أو الرهبة أو الحرج في نفوس هؤلاء التلاميذ، ويمنعهم من السؤال عن معاني الكلمات أو التعبيرات الغامضة التي تتردد على لسان المدرس نفسه أو ترد في كتبهم الدراسية، الأمر الذي يؤدي بالتالي إلى أن تبقى هذه الكلمات والتعبيرات في أذهانهم مجردة من مدلولاتها، أو تظل رجراجة مشوشة المعاني. ومما يضاعف من احتمال وقوع ذلك اعتياد بعض التلاميذ على السكوت، وعدم النزوع إلى المشاركة الصفية، إما نتيجة لضعف ثقتهم بأنفسهم وترددهم في السؤال عما لا يفهمونه، أو لخوفهم أو حيائهم، أو تفادياً للحرج أو الإحراج.

٣ـ تصل بعض المقررات الدراسية إلى مستوى من السعة والضخامة بحيث تتعدد وتتداخل وتتعقد فيها الموضوعات، وقد لا يتسنى للتلميذ الوقت

الكافي أو الإمكانية اللازمة لإدراكها واستيعابها، مما يلجئه إلى الاستذكار اللفظي لهذه الموضوعات، أو إلى حفظ أجزاء من الشروح أو التعليقات الواردة عليها دون فهم تام لما تشتمل عليه هذه الأجزاء من عناصر فكرية أو لغوية، بغية اجتياز الامتحان فيها بنجاح، الأمر الذي يؤدي بالتالي إلى تسرب عدد كبير من ألفاظ هذه الأجزاء إلى ذهنه واستقرارها في ذاكرته جوفاء خالية من المعاني أو مقترنة بمعان مشوشة مضطربة.

٤ـ تحتوي بعض الكتب الدراسية وخاصة كتب الأدب والنقد والبلاغة كما سبق القول على عدد من النصوص التي تزدحم فيها الكلمات غير المألوفة أو النادرة الاستعمال أو المهجورة، مثل المقامات والمعلقات والقصائد والمقطوعات الشعرية والخطب العربية القديمة، ويكون من العسير على الطالب في الغالب استيعاب معاني مفردات هذه النصوص بأكملها، وقد تصبح معانيها ومدلولاتها مختلطة متراكبة مشوشة في ذهنه، وبما أنه مطالب بحفظها أو معرفتها مع معانيها أو مترادفاتها المذكورة في كتابه المقرر فإنه يحفظها على علاتها حفظاً آلياً، مع كل ما ورد لها من معان ومترادفات، وبذلك يختزن في ذاكرته طائفة من الألفاظ والتعبيرات المجردة من المعاني(٦٢).

٥ــ يجري في الكتب المدرسية أحياناً تفسير بعض الكلمات بكلمات وعبارات لفظية أكثر غموضاً أو أشد غرابة منها أو مشابهة لها في غموض المدلول، مما يجعلها مشوشة في ذهن الطالب، أو يزيد من إبهامها لديه، ويدفعه إلى حفظها رغم عدم فهمه إياها وعدم إدراكه لتفسيراتها، تلبية لرغبة مدرسه، أو طمعاً في اجتياز الاختبار فيها بنجاح، وإذا ما تعذر وجود سياقات مكتوبة أو منطوقة تفسر وتوضح له مدلولات هذه الكلمات فيما بعد، بقيت هذه الكلمات عالقة في ذهنه جوفاء، خالية من المعاني(٦٣).

٦ــ ترد في الكتب الدراسية أحياناً كلمات تفسر بألفاظ وعبارات متعددة، وقد تكون هناك فوارق دقيقة بين معاني هذه الألفاظ والعبارات، ولا يتمكن الناشىء من تمييز هذه الفوارق ولا من تحديد المعنى المراد

أو تعيين اللفظ الذي يفسر الكلمة المشروحة على نحو واضح ومحدد، فيبقى معنى الكلمة قلقاً مضطرباً في ذهنه، وتظل الكلمات الشارحة المتعددة مختلطة متراكبة في تفكيره، مما قد يضطره إلى حفظها كلها، دون فهم تام لمدلولاتها، طمعاً في الإجابة الصحيحة التي ترضي المدرس أو المعلم وتحقق الدرجة العليا المطلوبة في الامتحان(٦٤).

٧ـ إن بعضاً من الكتب الدراسية لا يولى فيها الاهتمام الكافي بطباعة الكلمات المفسَّرة والمفسِّرة طباعة سليمة بارزة الحروف، ولا بوضع الحركات المناسبة أو النقط والعلامات المميزة عليها، كما أن بعضاً من المعجمات اللغوية العربية قد ظهر في طبعات رديئة: صفحاتها هشة يختلط ظاهرها بباطنها أحياناً، والأسطر متزاحمة، والحروف صغيرة باهتة، والكلمات متلاصقة، والحركات على بعض المفردات فيها مهملة أو ظاهرة ولكنها متشابهة، لا تتميز النقطة فيها من الشدة ولا الفتحة من الضمة، ولا تتبين الذال من الزاي ولا الحرف المشدد من غير المشدد(٦٥). إن هذه الصفات سواء كانت في الكتاب الدراسي المقرر أو كانت في المعجم اللغوي من شأنها أن ترهق الناشىء وتدعوه إلى الملل، كما تؤدي إلى اضطرابه في نطق الكلمات أو إلى نفوره منها، أو إلى حفظ هذه الكلمات بصور محرفة أو خاطئة، ومن ثم تثبيتها في الذاكرة مضطربة الشكل مشوشة المعنى.

٨ـ إن الناشىء الذي قد يرجع إلى المعجم ليبحث عن معنى كلمة ما ربما يجد هذه الكلمة مفسرة بلفظ أو عبارة أكثر غموضاً وأشد غرابة من الكلمة نفسها. ولنا فيما جاء في تفسير لسان العرب لكلمة (سيكران) مثل على ذلك؛ فقد جاء في اللسان ما نصه:

«والسيكران: نبت، قال:

وشفشف حر الشمس كلَ بقية   من النبت إلا سيكراناً وحُلّبا

قال أبو حنيفة : السيكران مما يدوم خضرته القيظ كله . قال وسألت شيخاً من الأعراب عـن السيكران فقال : هو السخَّرُ، ونحن نأكله رطبـاً أي أكل ، قال : وله حب أخضر كحب الرازيانج . » (٦٦) .

ففـي هـذا التفسير يواجـه النـاشـىء أو المراجـع عـامة كلمات ممـاثلـة في غموضها وغرابة معناها للكلمة المطلوب توضيحها ، وربما كانت أكثر غموضاً وأشد غرابة ؛ فالكلمات : شفشف ، حلب ، السخر ، الرازيانج ، كلها كلمات غير مألوفة ، وهي ذاتها تحتاج إلى تفسير. وحتى قوله : «السيكران نبت» أو هو «مما تدوم خضرته القيظ كله» يعتبر تعريفاً قاصراً وغامضاً ؛ لأنه لا يحدد معنى كلمة السيكران ، فهنـاك أنواع كثيرة من النبات تـدوم خضرتها في القيظ وليس السيكران وحده .

ولا يقتصر وجـود مثل هـذه التفسيرات الغـامضـة على المعجمات العربيـة القديمة ، وإنما نجدها حتى في المعاجم الحديثة(٦٧) .

إن الناشىء أمام هذه التفسيرات يقع بين أمـرين : إما أن يصاب بالإحباط أو الملل والحيرة فينصرف عن المعجم ، ويعزف عن البحث عن معنى الكلمة ، فتبقى هـذه الكلمة في ذهنـه من دون تفسير ومن دون مـدلول ، أو أنـه يلتقط كلمة من الكلمات المترادفـة الواردة في المعجم كيفما اتفق ، وعلى الشكـل الذي وردت فيه ، حتـى وإن لم يتضح لها مفهـوم في ذهنه ، بغيـة تلبية الطلـب وسد الحاجة ، فتصبـح هناك كلمتـان خاليتان مـن المعنى في ذهنـه بدلاً مـن كلمة جوفاء واحدة .

٩ ـ من السمات الملحوظـة في كثير من المعجمات العربية ـ وخاصـة القديمة منها ـ عدم تنسيق المفردات اللغوية وعدم ترتيبها حسب تكوينها الصرفي ، فقد نرى الفعل الخماسي قبل الثـلاثي والسداسي قبل الرباعـي ، أو نرى أحد معاني الفعـل في أول المادة وباقـي معـانيـه في آخرهـا ، أو نـرى هـذه المعاني متشعبـة ومشتتة مبعثـرة (٦٨) ، لا يسهل على المراجع العثور على مـا يبحث عنه منها ،

لاسيما إذا كان ناشئاً قليل الخبرة في استخدام هذه المعاجم. إن الناشىء المراجع في مثل هذا الوضع أمام محذورين: إما أن يفقد نشاطه وينصرف عن البحث عن معنى الكلمة التي غمض عليه معناها فتبقى الكلمة في ذهنه مجردة من مدلولها، أو أن يجتهد في اختيار معنى للكلمة من المعاني المشتتة لها ولمشتقاتها أو لأخواتها في الأصل، وربما أخطأ في اجتهاده فاختار لها ما لا يناسبها من معنى، ومن ثم استخدمها في هذا المعنى فأساء التعبير أو أخطأ فيه[٦٩].

١٠ـ قد يلاقي الناشىء في المعجم الذي يرجع إليه مجموعة وافرة من الألفاظ المطروحة لتفسير الكلمة التي يبحث عن معناها، دونما سياقات أو شواهد توضيحية تبين الفوارق بين هذه الألفاظ من حيث المدلول، وتبين كيفية استعمالها، وتحدد ما يتلاءم ويتطابق منها مع الكلمة المطلوبة معرفة معناها[٧٠].

إن كثيراً من المعجمات العربية وحتى المعجمات الحديثة منها لا تعنى بذكر الشواهد التوضيحية التي تحدد معاني الكلمات بشكل مستمر، وإن ذكرت بعض الشواهد فهي من الشواهد القرآنية التقليدية التي يتطلب فهمها مستوى متقدما من المعرفة[٧١] كما أن هذه المعجمات لا تأخذ بعين الاعتبار التدرج في ذكر الكلمات المفسرة أو المترادفات، أي أنها لا تذكر الكلمات الأقرب في المعنى والأكثر وضوحاً أو شيوعاً فما دونها في ذلك. وكشاهد على ذلك نسوق المثل التالي من المعجم الوسيط في تفسير مادتي (حَواريُّ) و(حُور):

« (الحواري): مبيض الثياب. والذي أخلص واختير ونقي من كل عيب. والصاحب والناصر، (ج) حواريون. والحواريون: أنصار عيسى عليه السلام. [و](الحور): النقص والهلاك. ويقال: إنه في حور وبور: في غير صنعة ولا إجادة، أو في ضلال، والباطل في حور: في نقص وتراجع. و(حور) جمع حوراء. و(الحور) خشب أبيض اللون، له مظهر متجانس، يستعمل في صنع ألواح خشب الطبقات [الأبلكاش]. .)»[٧٢].

لقد بـدأ في تفسير كلمة (الحواري) بعبـارة (مبيض الثيـاب) بينما المعنى أو التفسير الثالث والمعنى الثاني أكثر شيوعاً وأكثر استعمالاً في عصرنا الحاضر من المعنى الأول، ويدل على ذلك الاكتفاء بذكرهما في المعجم الوجيز الذي أصدره مجمع اللغة العربية عقب إصداره المعجـم الوسيط (مكتوباً بروح العصر ولغته ميسراً اللغة لطـالبها بعيداً عن الحوشي والغـريب)[٧٣]. أما في تفسير مـادة (حور) فقـد قدم معنـى (النقص والهلاك) والمعاني الأخـرى التي تلتـه، مع أن المعنى الأخير (خشـب أبيض اللون، لـه مظهر متجـانس) أكثر شهـرة وأقرب استعمالاً من غيره في عصرنا الحاضر، ويدل على ذلك أيضاً ورود هذا المعنى في المعجم الوجيز وعدم ورود المعاني الأخرى.

١١ ـ من التلاميذ من ينـزع إلى تقليد المدرسين، أو إلى احتذاء فئة معينة من الكتاب والخطباء والتظـاهر بالمهارة والمعرفـة اللغوية والقدرة الخطابيـة، لذلك فهو يعمـد إلى تصيد الكلمات والعبـارات الرنـانة، وإلى حفظهـا وترديـدها في أحاديث أو خطابات حماسية منمقة ملفقة، بغية إرضاء النزعة الموجودة لديه، وقد ينمو هذا الاتجاه وهذا الاهتمام الشكلي لدى الناشىء ويستمر، دون توجيه أو إشراف كافيين، فتتكـون لديه مـع مرور الزمن حصيلـة لغوية جـوفاء، كما تتقلص لديه روح الإبداع والمرونة في استخدام اللغة.

نتائج الظاهرة

إن لشيوع اللفظية في أوساط التلاميذ أو النـاشئة عموماً نتائج سلبية خطيرة على حيوية اللغـة وفاعليتها في حياتهم وعلى دورها في عمليـة الإبداع الفكري؛ فقـد سبـق القول إن الألفـاظ ليسـت سـوى رمـوز لا قيمة لها إلا بمـدلـولاتها ومعانيها، فلو حفظ الناشىء هذه الألفـاظ مجـردة مفرغة من مدلولاتها فإنه لا يزيـد بحفظها من حصيلتـه اللغويـة الفاعلة شيئـاً، لأنه يحفظ حـروفاً مـركبة عديمـة الجدوى، لا يستطيع استخـدامها أو التصرف فيهـا، لعدم معـرفته بما يلائمها من معان أو سياقات، وإذن فهـي جـامدة ميتة في ذهنه، لا تشـكل

أي كيان لغوي ذي قيمة، وقد أشار عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) إلى هذه الناحية في سياق حديثه عن نظم الكلام بحسب المعاني حيث قال: «وبعد أن كنا لا نشك في أن لا حال للفظة مع صاحبتها تعتبر إذا أنت عزلت دلالتها جانباً، وأي مساغ للشك في أن الألفاظ لا تستحق من حيث هي ألفاظ أن تنظم على وجه دون وجه، ولو فرضنا أن تنخلع من هذه الألفاظ التي هي لغات دلالتها لما كان شيء منها أحق بالتقديم من شيء، ولا يصور أن يجب فيها ترتيب ونظم، ولو حفظت صبياً شطر كتاب العين أو الجمهرة(٧٤) من غير أن تفسر له شيئاً منه وأخذته بأن يضبط صور الألفاظ وهيئتها ويؤديها كما يؤدي أصناف أصوات الطيور لرأيته، ولا يخطر له ببال أن من شأنه أن يؤخر لفظاً ويقدم آخر، بل كان حاله حال من يرمي الحصى ويعد الجوز، اللهم إلا أن تسومه أنت أن يأتي بها على صروف المعجم ليحفظ نسق الكتاب»(٧٥). وإذن فحصيلة الناشىء من الألفاظ المجردة من مدلولاتها لا قيمة لها في مجال التعبير مهما كان حجمها أو سعتها، فهي كالرصيد المحجور عليه، لا يمكن استخدامه أو التصرف فيه في مجال التعبير.

من جانب آخر فإن قلة محصول الفرد من ألفاظ اللغة أو عدم فاعلية هذا المحصول في الاستخدام يترتب عليه فقدان الطلاقة اللغوية أو ضعفها، ولذلك آثار نفسية واجتماعية بالغة الخطورة، حيث إن كثيراً من الصعوبات والمشكلات التي يواجهها الناس ـ صغاراً وكباراً ـ في حياتهم اليومية تنشأ كما يقرر علماء النفس من عدم قدرتهم على التعبير بوضوح عما لديهم من أفكار ومطالب ورغبات، أي من افتقارهم للطلاقة اللغوية الكافية، «ويحدثنا أطباء النفوس أن العرض الرئيسي عند مضطربي الشخصية هو عجزهم عن تحديد متاعبهم ومشاكلهم بالألفاظ»(٧٦).

عندما ترد الكلمات الجوفاء (المجردة من المعاني) إلى ذهن الناشىء وتستقر في ذاكرته فإنه عادة ما يكون أمام أمرين:

(أ) ـ أن يـربط هذه الكلمات بمعانٍ خـاطئة يتصورها أو يجتهـد في إيجادها ويستخدمها بهذه المعاني فتكون عباراته غـامضة مضطربة أو مثيرة للاستغراب والسخرية أحيـاناً، مما يخلق في نفسـه شعوراً بالعجز عـن التعبير واضطرابات نفسيـة تقوده إلى التردد في المشـاركـة في الحديـث أو في النشاطـات الاجتماعيـة والثقافية المدرسية التي تتطلب ممارسـة التعبير اللفظي، وقد يؤدي به استمرار ذلك أيضاً إلى الميل نحو العزلة وبالتالي إلى أزمات نفسية مختلفة.

(ب) ــ أن يهجر هـذه الألفـاظ ويترك استعمالها حتـى ينساهـا تمامـاً، أو يصبح من الصعب عليه استرجاعها، وبذلـك يضيع ما بذله من جهد ووقت في سبيـل حفظها. ويجـب الأخذ بعين الاعتبـار هنـا أن حفـظ الناشيء لما لا يفهمه من النصوص أو العبارات والألفاظ عادة ما يستغرق منه وقتاً وجهداً أكثر من الوقت والجهد اللذين يستغرقهما منه حفظ ما يفهمه منها. والباحثون في علـم النفـس «يفترضـون أن تعلم الكلمات ذات المعنـى أسهـل مـن تعلـم الكلمات عديمة المعنـى، أي أن التعلم اللفظي يتأثـر بدرجة معنويـة الكلمة موضوع التعلم»(٧٧).

وحتى لو سهل على نـاشيء ما حفظ أو تعلم ما لم يفهـم فإن ما يتعلمه أو يحفظه كثيراً ما يكـون واهياً هشاً، لا تحتفظ الـذاكرة به مدة طـويلة ولا يسهل استرجاعه منها(٧٨)، إضافة إلى ذلك فإن ما يحفظه الإنسان حفظاً آليا يشغل حيـزاً من الـذاكرة يمكـن أن يستثمر في تخزيـن معلـومات أكثـر فائدة وأكثـر فاعلية. وقد يزيد الأمر سوءاً، كون المواد التـي ترد إلى الذاكرة عن هذا الطريق كأي معلومات جديدة أخرى تعمل على إزاحة معلومات سابقة قد تكون أكثر فائدة وأهمية منها، هذا إذا تصورنا أن لهذه المواد فائدة أو أهمية تذكر.

لقد ظهر لدى علماء النفس أن كل عنصر جـديد يرد إلى الذاكرة يعمل على إضعاف تذكر عنصر قديم، وقد يعمل على إزاحته بصورة تامة(٧٩). إذا ما صدقت هذه المقولة فإن اللفظيـة تعني أن الناشيء يبذل جهداً ووقتاً

كبيرين في حفظ وتخزين ما يمكن أن يضعف حصيلته اللغوية والفكرية بدلاً من أن يغنيها، ويضعف قدرته على التعبير وطلاقته في إبراز ما قد يكون لديه من قدرات إبداعية، ويؤدي به إلى الانطواء والإحجام عن الاشتراك في أي أنشطة لفظية أو تعبيرية، كما يؤدي به إلى العزوف عن التواصل الاجتماعي أو التهيب من الاختلاط بالآخرين(٨٠). وكل ذلك بطبيعة الحال يفضي به إلى العجز عن المشاركة في البناء القومي والحضاري مستقبلاً وربما إلى الاضطراب النفسي أيضاً.

أما إذا كان الذي التقط الألفاظ المجردة من المعاني راشداً، فقد يلجأ إلى استخدام هذه الألفاظ في معان جديدة غير سليمة يرتجلها ويجتهد في وضعها وتصورها منعاً للحرج الذي قد يواجهه أمام من يتحدث إليهم، أو رغبة في التظاهر بالمعرفة، أو تقديراً منه على أنها المعاني الحقيقية لهذه الألفاظ، وإذا ما كان اتصال هذا الفرد بالناس كثيراً وكان أثره كبيراً ـ كأن يكون مدرساً أو أستاذاً مثلاً ـ نقل هذه الألفاظ بمعانيها الخاطئة إلى غيره، وهكذا يمكن أن تؤدي اللفظية إلى تغيير المفردات عن معانيها الأصلية أو الاتجاه بها إلى التحريف وتغيير مسار مجموعة منها عن الوجه السليم الذي تستخدم فيه.

عوامل تساعد على التخلص من الظاهرة أو الحد من انتشارها

رغم امتداد جذور هذه الظاهرة إلى فترات بعيدة من تاريخنا العربي والإسلامي ورغم صعوبة استئصالها فإن هناك عوامل يمكن أن تساعد على تقليص وجودها أو الحد من انتشارها بين الناشئة بصورة خاصة، ومن أبرز وأهم ما يمكننا ذكره من هذه العوامل في هذا المجال ما يلي(٨١):

١ ـ أن من أسهل وأقرب ما يمكن أن يرجع إليه التلميذ للبحث عن معنى كلمة غير مألوفة لديه أو تركيب لغوي جديد يواجهه فيما يقرأ أو يسمع هو كتابه المدرسي، لذلك كان من المهم تزويد الكتب الدراسية وخاصة ما يتعلق

منها باللغة والأدب والبلاغة والديـن والقراءة العامة بمجموعات من الكلمات أو العبارات اللفظيـة مع معانيهـا أو مرادفـاتها؛ ليكون ذلك كقـاموس صغير مبسط قـريب يستشيره التلميـذ متى شـاء. وحبذا لـو صنفت هـذه الكلمات حسب نوعيتهـا في حقول، فحقل للأسماء وآخـر للأفعال، وثالـث للصفات وهكذا... ليسهل على التلميذ الوصول إلى مقصده.

٢ـ إن إجـابة المدرس الفـورية عـن سؤال تلميـذه في تفسير أو شرح معنى كلمة أو صيغة لفظية ولو بشكل موجـز في الوقت الذي تمر فيه هذه الكلمة أو الصيغة اللفظية لأول مرة ربما تكون خيراً من إرجائها، وخيراً من إحالة التلميذ إلى الكتاب المقـرر للبحث عما سأل عنـه؛ فتفسير المدرس لمعنى الكلمـة حال ورودها مرتبطـة بالموضوع المدروس أو الموقف المناسب، وتهيـؤ التلميذ في ذلك الوقت لسماع الإجابـة ومعرفة المعنى ربما يسهلان عليه تعلـم الكلمة واختزانها مع معناهـا في ذاكرته، ومن ثم يسهل عليـه استرجاعها من هذه الـذاكرة عند الحاجة إليهـا، كما أن ذلك يشجع التلميـذ على السؤال مرة أخـرى، ويشكل حافزاً لـديه على التعلم، بينما قد تكـون إحالة التلميذ إلى الكتـاب المقرر أو إلى أي مرجع آخر غير مثمرة؛ لأن دافع التلميـذ سيفتر بعد مرور فترة من الزمن ـ حتى وإن كـانت هذه الفترة قصيرة ـ فـلا يجد الحافز القوي بعد ذلـك للبحث عن معنـى الكلمة أو الصيغة اللفظية التـي خطرت في ذهنه، أو أنه يتكـاسل ويتوانى في البحث عنها حتى ينساهـا أو تبقى الكلمة أو العبارة ماثلة في ذهنه من دون معنى.

إضـافة إلى مـا سبق فـإن لمماطلة المدرس في الإجـابة عـن سؤال تلميـذه أو تجاهل هذا السؤال آثارا نفسية غير محمـودة، إذ إن ذلك قد يكف التلميذ عن السؤال عما لا يفهمـه مرة أخرى فتبقـى الكلمات غير المفهومـة لديه جـوفاء في ذهنه، وقد يولد ذلك أيضاً نوعاً من الفتور عن المشاركة في النشاطات الصيفية وشعوراً بعـدم المبالاة؛ لـذلك كـان من المقترح أن يتهيـأ المدرس دوماً لإجـابة

تـلاميـذه عن أسئلتهـم، ويبـادر في تفسير المفـردات اللغـوية التـي يجهلـون معانيها، ويخصص جزءاً من الدرس لهذا الغرض.

٣ـ مـن المفضل أن يختـار المدرس، ومدرس اللغـة والأدب بخاصـة، مجموعة مـن الكلمات الجديدة المناسبة لموضوع الـدرس، بين آونة وأخرى، ويخصص جـزءاً ولو قليـلاً من زمن الـدرس يكتب فيـه هذه الكلمات على اللوحـة أو يمليها على تـلاميذه، ثـم يسألهم عـن معانيهـا، بغية جـذب اهتمامهم بهذه المعـاني وإثارة روح المنـافسة ونـزعة حـب الاطلاع لـديهم، وتهيئتهم لتلقيها واستيعابها، وفي حالة عجزهم عن الإجابة يتولى هو تفسير الكلمات، مستخدمـاً ما يمكن استخـدامه مـن وسائل الإيضاح والـربط بينها وبين معانيها، من أجل تثبيـت هذه الكلمات مع مدلولاتها في أذهان التلاميـذ. ويمكن اتخاذ هـذه الإجراءات قبل البـدء في تدريـس الموضوع المقرر، إذ قـد يزيـد ذلك من فهـم التلاميـذ لهذا الموضوع ومـن استيعابهم لعناصره ويساعد على تعلق الكلمات الجديدة بأذهانهم، خاصة إذا كانت الكلمات وثيقة الارتباط بمادة الدرس.

٤ـ لقد ثبت أن الأطفال وربما الناشئة عمومـاً لا يتعلمون ببساطة ما نقوله ومـا نشرحه لهم، ممـا أدى إلى ضرورة التجـربة الحسيـة والاتصـال المباشر مـع الأشياء والأحداث الحقيقية واستخدام التمثيل (٨٢) وجميع الوسائل التعليمية الممكنـة، ومن هنـا كـان على المدرس، ومدرس اللغـة بـالأخص ألا يكتفـي بالحديـث التجريـدي عن معـاني المفردات اللغـوية ولا التـوضيح النظـري لها والأمثلة ذات المواقف المصطنعة، وإنما يجعل هذه المفردات كما سبقت الإشارة حيـة نابضـة في أذهان تـلاميـذه عن طـريـق ربطه بحيـاتهم العملية الفعليـة وبـالواقـع الذي يعيشـونه، وبمـواقفهـم النفسية أو العـاطفية، وبتصرفـاتهم وأعمالهم، وبـالأحداث التـي تدور بينهـم أو حولهم، ليجسـد لهم مدلـولات ومعاني هذه المفردات.

فبدلاً من أن يكتفي مدرس اللغة أو مـدرس الأدب بالقول مثلاً: إن كلمة (غمغمة) تعني الكلام الذي لا يبين، وإن (الهمهمـة) كل صوت معه بحح، وإن (النجوى) تعني إسرار الحديث و (الصرير) يعنى التصويت أو التصويت بشدة وبشكـل متقطع، وإن (دمدم) تعني غضـب، بدلاً من ذلـك يستطيع المدرس أن يجسد معـاني هذه الكلمات بـالفعل والحركة، أو يـربطها بمعـانيها حين تحدث أو تصدر هذه المعاني من قبل التلاميذ أنفسهم أو مما يحيط بهم.

ويمكن أن تنفذ الإجراءات السابقة من قبـل مدرس العلوم أيضاً؛ فعندما يتحدث هذا المدرس لتلاميذه عن خصائص وأشكال أو أجزاء بعض النباتات الغـريبة على التـلاميذ مثـلاً، يحضر ما يمكـن إحضـاره من هـذه النباتـات، لتتجسد الألفاظ التي ترمز إليها وإلى أشكالها وخصائصها وأجزائها مع معانيها في أذهان التلاميذ في آن واحد. وبدلاً من أن يكتفي المدرس مثلاً بالقول: «إن أوراق النبات تنمو من مناطق على الساق تدعى (العقد). وإنه في نهاية الساق (برعـم) طرفي يسبب نمـوه استطالة السـاق، ويخرج من (إبط) كـل ورقة على العقد برعم جانبي ينمو فيكـون غصناً، ثم يطيل المدرس في شرح هذه الأجزاء الدقيقة كلهـا نظرياً أو يكتفي برسمهـا على اللوحة، بدلاً من ذلـك أو إضافة إليه، يمكـن أن يأتي بسيقان لنبـاتات حقيقية متوافـرة، ليوضح هـذه الأجزاء عليها ويؤكد ربطها بـألفاظها الدالة عليها. ويزيد من هـذا التأكيد بعد ذلك بتكرار هذه الألفاظ، أو بكتابتها بخط متميز. ومثل ذلك يقال في بيان الأجزاء التي تتركب منها الزهرة أو ورقة الفاصوليا.

٥ـ يمكـن للمدرس تطبيق استخدام الكلمات التـي يتعلمها تلاميـذه عند قيامهـم برحلات مـدرسية أو جولات خاصـة أو أي نشاطات يصحبهـم فيها خـارج الصـف أو خـارج المدرسـة، يسعـى هـذا المدرس إلى ربـط الكلمات بمعانيهـا التي تتمثـل أمامهم ولا يمكـن أن تتجسد أو تتمثـل وتحدث داخل الصف أو داخـل المدرسة؛ فـذلك يبعـث الألفاظ في ذاكـراتهم إن كانـت قد

نسيت، ويزيـدها مع معانيها حيويـة وثباتاً في أذهانهم. إضافـة إلى ذلك فإن هذا الإجراء يعزز العامل السابق في ربـط اللغة بواقع الحياة وإثبات فاعليتها، ويشجع التـلاميذ على الارتباط بها وعلى التطلع إلى تلقـن مفرداتها. ويجدر أن نضع في الاعتبار أن انطـلاق التلميذ وتحرره من روتين الصف الـذي تعود عليه داخل جدران المدرسة قد يشوقه إلى التعلم ويـدفعه إلى مزيد من التنبه نحو ما يقوله مدرسه. هذا مضاف إلى ما يخلقـه ذلك من تعزيز لعملية التعلم وتثبيت للأفكار والمعاني والمعلومات.

٦ـ إن الألفاظ كما يقـول علماء اللغة: تعيش مع الناس «وتنتقـل من جيل إلى جيل، وهي بانتقالها تكتسب دلالات اجتماعية يتعارف الناس عليها. فقد يتسع مـدلولها وقد يضيـق ويتخصص وقد يصبـح مبتذلاً»[٨٣]. كـل ذلـك يحدث تبعاً للتطور الفكري والحضاري للأمة وتغير ظروف الحياة التي تعيشها. وعلى سبيل المثـال فإن الألفـاظ صلاة، حـج، صيام، شهـادة، طهارة... أصبحت لها دلالات بعد مجيء الإسلام، غير الدلالات التي كان متعارفاً عليها في العصر الجاهلي. والكلمات: دبـابـة، دراجـة، سيـارة، حـريـم، حاجب... كانت تستعمل قديماً في معـان تختلف عن المعاني المستخدمة فيها في الوقـت الحاضر. كما أن هناك ألفاظـاً لها دلالات متعددة يحددهـا السياق، وهناك معان لها ألفاظ مختلفة تدل عليها أو توحي بها.

مثل هـذه الألفاظ التـي اختلف أو تخصـص أو تعمم أو تعـدد استعمالها يـواجهها النـاشـيء في كتبه المدرسيـة أو فيما يقرأ مـن نصـوص، وخاصـة في النصوص القديمة، فينبغي أن ينبه إليها من قبل مدرسه، وإلا اختلطت عليه معانيها واضطربت في ذهنه واستقـرت في ذاكرته على صورتها المضطربة، وربما رددها في حديثه دون أن يكون لها معنى محدد في ذهنه، أو استخدمها بمعانيها القديمـة التي عـرفها خـلال قراءتـه لنصوص قـديمة وردت في كتبـه المدرسية فأغمـض في حديثـه أو كان مثاراً لـلاستغراب، وربما عـدل عن استخـدامها

وتركها حتى تتراجع وتتلاشى. وبناء على ذلك لابد أن يكون المدرس أو المربي على إحاطة جيدة بما يستحدث أو يتجدد من معاني الألفاظ، وبما يحتمل أن يمر بالناشيء خلال مرحلة معينة من مراحل تعليمه من كلمات مشتركة المعاني، ليعرف الناشيء بها وبما لحقها من تغير، على ألا يفرط المدرس في ذكر الكلمات المترادفة وسرد العديد من المعاني المشتركة فيجعل الألفاظ أو معانيها متداخلة متشابكة تختلط في ذهن التلميذ بدلاً من أن تتضح.

٧ـ لقد سبق القول بضرورة أن يدرب التلاميذ في مراحلهم الدراسية المتقدمة على الأخص على استخدام المعاجم اللغوية والمعاجم المرحلية منها بصورة أساسية[٨٤]. وأن يتعرفوا على كيفية استخدام هذه المعاجم وعلى نظم تصنيف المفردات اللغوية فيها؛ ليمكنهم الكشف بأنفسهم عن معاني الكلمات التي قد تمر بهم فلا يتسنى لهم معرفة مدلولاتها، وأن يشجعوا على اقتناء الميسر من هذه المعاجم لتكون في متناول أيديهم، فتحفزهم على دوام الرجوع إليها. ويفضل أن توفر المدرسة أيضاً بعضاً من هذه المعاجم، سواء في مكتبة الصف أو في مكتبة المدرسة، ليسهل على التلاميذ تداولها، وليتمكن المدرس أيضاً من أن يعطي هؤلاء التلاميذ بين آونة وأخرى مجموعة جديدة من الكلمات ويكلفهم بالبحث عن معانيها فلا يجدون في ذلك حرجاً ولا كبير مشقة.

٨ـ ينبغي أن يشجع المدرس تلاميذه ـ كما سبق القول أثناء حديثنا عن دور المدرسة في تنمية اللغة ـ على المشاركة في النشاطات اللغوية الصفية، ويهيىء لهم الجو المناسب والفرص الكافية لتوجيه الأسئلة وممارسة الحوار والمناقشة، ليمكنهم من استخدام ما يكتسبونه من مفردات لغوية ومن ثم تثبيت معاني هذه المفردات في أذهانهم أو تصحيح هذه المعاني إن كانت خاطئة أو مشوشة أو ملتبسة.

٩ـ لا مانع من أن يطلب المدرس من تلاميذه حفظ المتون أو أن يشجعهم على تسميع النصوص التي لا يجوز لهم التصرف فيها أو تحريفها،

مثل الأبيات والقصائد الشعرية والخطب والحكم والوصايا والأمثال، غير أنه لابد من أن تترك لهم حرية التعبير فيما يمكنهم التعبير عن مضمونه وتجربة قدراتهم الخاصة على الإيجاز أو التفصيل فيه أو شرحه وعلى استخدام عباراتهم وصيغهم اللفظية الخاصة، فإنهم بذلك يمارسون اللغة ممارسة فعلية تؤدي إلى إنعاش مخزونهم من مفردات هذه اللغة وإلى زيادة حضورها وتبلورها وتثبيتها مع مدلولاتها في أذهانهم.

أما آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة فإن حفظها بلا شك يهذب لسان الناشىء ويسمو بسليقته ويرتقي بلغته، كما ينمي قدرته على الاسترجاع والتذكر حتى وإن لم يدرك ويفهم كل ما يحفظ، غير أن إدراكه وفهمه لمضمون ما يحفظ وإن كان إدراكاً وفهماً عاماً يجعل ألفاظ النص الذي يحفظه أكثر وضوحاً وأكثر رسوخاً وثباتاً في الذاكرة وأخيراً أكثر فاعلية في الاستخدام. والناشىء لا يمكنه التصرف في النص القرآني ولا في نص الحديث النبوي، ولكن يمكنه أن يشير إلى معناه العام وغرضه الإجمالي، على نحو يتناسب مع عمره العقلي؛ كأن يقول مثلاً: إن الآية الكريمة «وما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه والله بكل شيء عليم» (٨٥) تشير إلى وجوب الإيمان بقضاء الله وقدره. أو أن يقول: إن الآية الكريمة «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً» (٨٦) تشير إلى الصفات الفاضلة للمرأة المسلمة، أو إلى صفات المرأة المؤمنة.. إن فهمه لهذا المعنى الإجمالي المختصر للنص يسارع بلا شك في حفظه للنص، ويعينه على تصور مفرداته وإدراك معاني هذه المفردات. وكذلك فإن إعطاءه فرصة التعبير عن هذا المعنى حتى بمثل العبارات المذكورة ربما يساعده على تصور مفردات النص ويهيىء له مناسبة جيدة لاستخدام بعض المفردات اللغوية المختزنة في ذاكرته.

١٠ ـ في كثير من الأحوال ـ إذا لم يكن في الغالب ـ لا تتوافر علاقة معرفية حميمة بين التلميذ وبين ما يقرأ في كتبه الدراسية المقررة؛ لأن المواد فيها مفروضة عليه فرضاً، والإنسان بطبيعته ينفر مما يجبر على فعله. ونتيجة لذلك فإن التلميذ لا يبذل من الانتباه والجهد في الاستقصاء الطوعي للألفاظ الجديدة التي يواجهها أثناء قراءته، ولا يحرص على استيعاب معاني هذه الألفاظ استيعاباً تاماً إلا بقدر ما يملي عليه الوضع أو يفرض عليه المدرس أو يفرض عليه الطموح لنيل الدرجة الجيدة في الامتحان. كما أن هذا التلميذ لا ينتبه دائماً انتباهاً تلقائياً لما يدلي به مدرسه من شروح وتوضيحات لما يستجد من ألفاظ، ولا يتابع بشكل مستمر ما يقوله مدرسه متابعة حثيثة واعية، بحيث يستطيع معها إدراك معاني هذه الألفاظ الجديدة من خلال سياق الحديث؛ لذلك كان من من الجدير اتخاذ جميع الوسائل الممكنة لحث الطالب بشكل متواصل على القراءة الحرة الطوعية، وحثه على الرجوع إلى ما يشاء من مصادر غير الكتب المقررة واختيار ما يروق له من موضوعات أو مقالات أو قصص مشوقة، يقرأها، فلربما تكون له خير عون على توضيح ما فاته توضيحه في الفصل ومعرفة ما لم يتعرف عليه من الألفاظ والمعاني والأساليب.

كثيراً ما يتحقق الانسحاب والاندماج والاتجاه التلقائي الإيجابي للتعلم أثناء القراءة الحرة، لأن العمل هنا إرادي شخصي بحت، وبناء على ذلك فإن من المؤمل أن يتجه القارىء طوعاً إلى متابعة الألفاظ الجديدة، ويسترجع ما سبق أن اختزنه في ذاكرته من معان لها، أو يتلمس ويتحسس معانيها بحرص وتتبع، إن لم يكن عن طريق الرجوع إلى المعجم والبحث فيه عن هذه المعاني فعن طريق السياق أو عن طريق نبر الكلمات أو أصواتها أوتراكيبها مع ما يجاورها، وبذلك يتعرف على معاني هذه الألفاظ، خصوصاً أن هناك كلمات كثيرة تعبر بأصواتها أو نبراتها عن معانيها، أو توحي بهذه المعاني وتجسدها في الذهن أو تصورها في المخيلة عن طريق السياق العام وملاحظة طريقة

الاستخدام(٨٧). وكما يقول «لودفيج فتجنشتين Wittgenstein » : «إن شرح معنى الكلمة يكون بإظهار كيفية استخدامها»(٨٨)، «فأنت تفهم معنى الكلمة لأنك تعرف كل استخداماتها» (٨٩).

إضافة إلى ما سبق فإن القراءة الحرة تهيىء الفرصة بصورة أكبر لاكتساب الكلمات، لأن الكلمات في المادة المقروءة هنا تتكرر، مستخدمة في سياقات متشابهة أو مختلفة، وهذا التكرار يؤدي في كثير من الأحيان إلى رسوخ هذه الكلمات في ذاكرة الناشىء وإلى استيعاب معانيها وإيحاءاتها المختلفة استيعاباً جيداً، ويجعلها دائمة الحضور في ذهنه، وقد ثبت أن «الفروق من حيث تواتر الكلمات، يؤدي إلى فروق في التعلم، فتعلم الكلمات الأكثر تواتراً أسهل من تعلم الكلمات الأقل تواتراً» (٩٠). ومما يمكن أن يوضع في الاعتبار أن تكرار ورود الألفاظ هنا عادة ما يكون مقترناً بالانتباه التلقائي الطوعي من قبل القارىء(٩١). وهذا ما يجعل عملية التكرار مثمرة فعالة في ترسيخ الكلمات مع مدلولاتها وإيحاءاتها المختلفة في ذهن الناشىء، هذا بالإضافة إلى تعريفه طرق ومستويات وأنواع استعمال هذه الكلمات.

١١ ـ إن هناك كلمات كثيرة في كل لغة تدل على معان ذهنية تجريدية يصعب تصور مدلولاتها على بعض الناشئة في مراحل زمنية أو عقلية معينة، كما أن هناك كلمات دقيقة المعاني أو متشابكة وملتبسة مع معان لكلمات أخرى، أو أنها ذات معان مشتركة متعددة ربما يصعب أو يتعذر على الناشىء في عمر معين الفصل بينها على نحو واضح؛ لذلك كان من الأفضل التدرج في إعطاء المفردات اللغوية للتلاميذ حسب وضوح معانيها في أذهانهم، وحسب إمكان استيعابهم وتصورهم لهذه المعاني، والتدرج في تعريفهم معانيها المشتركة إن كانت ذات معان مشتركة، وعلى مرادفاتها إن كان لها مرادفات، لئلا تختلط وتتشوش معانيها في أذهانهم.

١٢ ـ هناك كلمات نادرة أو شاذة الاستعمال قد يصعب على الناشىء استحضار معانيها بعد تعلمها لقلة تداولها، فقد يكون من الأصلح استبدال

غيرها بها، سواء من مرادفاتها أو مشابهاتها في المعاني التي يكثر استخدامها، أو يكرر استخدامها من قبل المدرس بين آونة وأخرى، ويطلب من الناشىء نفسه تكرار استخدامها، وبذلك تزداد فعاليات معاني هذه الكلمات في ذهن الناشىء، كما أن الكلمات النادرة الاستعمال نفسها تأخذ طريقها نحو الشيوع شيئاً فشيئاً، وفي ذلك بلا شك بعث أو إنعاش لجانب لغوي ربما يكون على قدر كبير من الأهمية.

١٣ـ يمكن اتخاذ نظام التداعي بين الكلمات، أي استغلال العلاقات المنطقية والتركيبية بين الألفاظ كوسيلة لإنعاش أو إحياء هذه الألفاظ مع مدلولاتها في الذهن، وهناك كما يرى بعض الباحثين في علم اللغة وعلم النفس نوعان على الأقل من التداعي: التداعي الحر، وهو أن يعطى الناشىء كلمة وتسمى «الكلمة المنبه» ويطلب منه ذكر الكلمات التي ترد على ذهنه عند سماعها أو رؤيتها. والتداعي المقيد، وهو أن يكون المطلوب كلمة واحدة فقط كاستجابة لكلمة واحدة أو لإكمال سلسلة من الكلمات(٩٢)، والتداعي الحر فيه نماء أكثر لمفردات اللغة أو مترادفات الألفاظ.

١٤ـ ينبغي أن تفسر الكلمات بعبارات أو كلمات لا يجد الناشىء صعوبة في إدراك مفاهيمها أو مضامينها، وألا تتعدد التفسيرات أو يسهب في ذكر المرادفات للكلمة المفسرة، بل ينبغي عدم تعدد المرادفات إذا كان يتميز بعضها عن البعض الآخر بمعان دقيقة، ويكتفى بذكر ما يتطابق مع الكلمة المفسرة في المعنى أو يبين مضمونها، لئلا يربك الناشىء وتختلط في ذهنه الكلمات المتعددة فينساها كلها، أو تبقى في ذاكرته غير محددة المعاني، أو أنه يستعمل الكلمة المفسرة بمعنى مشوش غير دقيق. كما أنه حالة وجود دلالات متعددة للكلمة ينبغي أن يعين المعنى المراد، ويفرق مهما أمكن بينه وبين المعاني الأخرى التي تدل عليها الكلمة، لأن عدم تحديده قد يؤدي إلى الخلط بينه وبين المعاني الأخرى وبالتالي إلى إساءة استخدامه(٩٣).

١٥ـ ينبغي أن تطبع الكلمات مع ما يذكر لتفسيرها ـ سواء في المعاجم أو في الكتب الدراسية ـ طباعة سليمة جميلة بارزة الحروف مشكلة، على نحو يجذب الناشيء إليها، بحيث ترتسم في ذهنه أو في ذاكرته على صورتها الصحيحة، ولا ننسى أن للمظهر الجميل أثرا جميلا في النفس ربما يطول أمد مكوثه ورسوخه في الذاكرة ومكوث ورسوخ ما يتعلق به.

١٦ـ يقترح أن تعطى الموضوعات الدراسية على نحو يتناسب مع وقت الطالب وجهده ومقدرته على الاستيعاب والفهم والاسترجاع والتذكر، وأن تترك له الفرص الكافية للتمعن والتأمل في النصوص أو الموضوعات المكتوبة وفي سياقاتها المختلفة؛ ليدرك مضامينها ومعاني المفردات اللغوية الجديدة أو الغريبة فيها، ويتصور هذه المعاني أو يتمثلها ويتخيلها في ذهنه على نحو كامل صحيح، كما يفترض تجنب إعطاء الموضوعات أو المواد الطويلة التي تتزاحم فيها الكلمات غير المألوفة، كالنصوص الشعرية والمقامات والخطب القديمة، فذلك ـ كما سبقت الإشارة ـ يؤدي إلى تبرم الطالب ونفوره أو توانيه في قراءتها، أو في حفظها دون فهمها وفهم معاني الكلمات التي تشتمل عليها على النحو السليم، فالأصلح أن تعطَى مثل هذه الموضوعات بنحو متدرج منسجم مع عمر الطالب العقلي والثقافي، وعلى شكل أجزاء ومقاطع أو فقرات ثم تترك الفرص الكافية لاستيعابها وتصور عباراتها وكلماتها ومعاني هذه الكلمات.

١٧ـ إن تفسير الكلمة بكلمة أو كلمات أخرى في الكتاب المدرسي أو في المعجم قد لا يكفي لتوضيح المعنى المراد على نحو دقيق، أو لا يكفي لإيصال هذا المعنى وترسيخه في ذهن الناشيء بشكل جيد أو تام، ولا يكفي لبيان كيفية استعمال الكلمة بمعنى معين في سياق الكلام، مما يستدعي استخدام الشواهد التوضيحية، أو ما يسمى أحياناً بالأمثلة السياقية Contextual examples .

والشاهـد التوضيحـي هو «أي عبـارة أو جملة أو بيـت شعر أو مثـل سائر يقصد منه توضيح استعمال الكلمة التي نعرفها أو نترجمها في المعجم» (٩٤). لقد صرح بعض اللغـويين المعاصرين بأن «الطـريقة الوحيدة لتعـريف معنى كلمـة من الكلمات هـو وصـف توزيعهـا الدلالي بـواسطـة العبارات والجمـل التوضيحية» (٩٥). وقد استعمل الدكتور صموئيل جونسن في معجمه المشهور الشواهد كوسيلـة لتعريف الكلمات وبيان معانيها، وصرح في مقـدمة معجمه بقوله: « لا يكفي العثور على الكلمة، بل يجب أن تكون متصلة بغيرها، لكي يتبين معناها من فحوى الجملة ومغزاها» (٩٦).

والشاهـد التوضيحي لا تنحصر وظيفتـه في تفسير وتوضيح معنـى الكلمة وبيان كيفيـة استعمالها من خـلال ارتباطها بـالكلمات الأخرى التـي يتضمنها الشاهـد التوضيحي نفسه، وإنما هـو يعين الناشيء أيضـاً على التقاط كلمات جديدة قـد ترد في الشاهد وتفهم معـانيها هي الأخرى مـن خلال السياق، أو تعزز وترسخ هذه المعاني في الذاكرة إن كانت مفهومة فهماً سطحياً من قبل هذا الناشيء. هذا بالإضافة إلى أن الشاهـد التوضيحي يساعد على «شحذ شغف القاريء وولعه عندما يرى في نص فعلي حـي، وتعميق فهمه للقواعد النحوية والـدلالية التـي تتحكم في استعمال الكلمـة، وذلك عـن طريـق وضع هـذه القواعد موضع التنفيذ» (٩٧).

وينبغي أن تكـون الشواهـد التوضيحية مـوجزة وواضحـة، ومتلائمـة مع مستويات الناشئة العقلية والثقافية، سهلة الاستيعاب، ليتمكن الناشيء من إدراك السياق والمعنى العـام وبالتالي من إدراك وتصـور معنى الكلمة المفسرة. كما يفترض أن تكون هذه الشواهد ممتعة ومفيـدة من حيث المضمون. ولا فرق أن تكون منتقاة مـن نصوص منطوقة أو مكتـوبة، قديمة أو حـديثة، أو تكون موضـوعة مـن قبل مـؤلف المعجـم، ولكن يجب أن تكـون متلائمـة مع لغـة الحاضر الذي يعيشه الناشيء أو القاريء عامة.

وقـد استخدم المعجميـون العرب الأوائل طـريقة الاستشهـاد، غير أن الشواهد التي يـذكرونها في معاجمهم لم تكن لغرض تـوضيح معاني الكلمات أو بيان كيفيـة استعمالها، وإنما كانـت تورد لإثبـات وجود كلمـة أو إثبات استعمالها بمعنى معين في لغـة العرب، أما المعاجـم العربية الحديثـة فتكاد تخلو من الشواهد التوضيحية.

وإذا كـان مـن الضروري استخـدام الشـواهـد التـوضيحيـة في المعـاجـم وخصوصاً المعاجم الصغيرة أو معاجم الطلبة، فإنه من المفيد جداً استخدامها في الكتب الـدراسية عند تفسير الكلمات الغـريبة التـي لا تتضح معانيهـا من خـلال سياقـات النصـوص التي تـرد فيهـا ولا من خـلال ذكـر مرادفـاتها أو العبارات التي تذكر لتفسيرها، ليستوعب الطالب الكلمات مع معانيها.

١٨ـ إن مما يزيـد من توضيح معنى الكلمة وتعميـق فهم الناشىء لهذا المعنى وترسيخه في ذاكرته جنباً إلى جنب مع اللفظة الدالة عليه، استخدام الشواهـد الصوريـة. ويقصد بها الصور الفـوتوغرافيـة والرسـوم والخطوط والألـوان والرمـوز وجميع الأشكـال المرئيـة مظللة وغير مظللـة ملونـة وغير ملونـة، وربما شمل ذلـك تنقيط الكلمـة ورسمها أيضـاً، إذا كان لـذلك ارتباط بتجسيد أو تصوير معنى الكلمة.

والشـواهد الصـوريـة ضرورية بصـورة خـاصة لتـوضيـح المواد الحضاريـة والأدوات التي لم تعد موجودة أو لم تعـد تستخدم مثل أدوات الحرب القديمة: كالنشـاب والقوس والـدرع والسنان والـدرقة (الترس)... وكـذلك الأدوات والأشياء التـي يتعذر أويصعب على النـاشىء رؤيتهـا أو تحديدها، كـالأجزاء الدقيقة في جسم الإنسان أو الحيوان أو النبـات، والمعاني المعقدة التي يصعب تصورهـا أو تخيلها، ودلالات الكلمات التي لا يسهـل إدراكها على نحـو دقيق بـالشرح اللغـوي اللفظـي، أو يتطلـب شرحها وتـوضيحهـا عـدداً كبيراً مـن المفردات اللغوية.

ويفترض أن تكون الشـواهد الصوريـة موجـزة، دقيقة في تصويـر وتحديد المعنى، واضحـة بسيطة بـارزة الملامح، يسهـل من خـلالها إدراك وتشخيص المعنى أو المدلول المراد وتجسيده في الذهن، وكذلك أن تكون بعيدة عما يصرف انتباه الناشىءعن المعنى الأساسي(٩٨).

والشواهـد الصوريـة يمكن أن تستخـدم في المعاجـم، وخاصـة معاجـم الطلاب والمعـاجم المرحلية منها، كما يمكـن أن تستخدم في الكتب الـدراسية عامة، وكتب الناشئة في المراحل الأولى والمتـوسطة من التعليم بصورة خاصة، بشرط أن تتناسب هذه الشواهد مع أحجـام الكتب الدراسية ومع الموضوعات التـي تشتمل عليهـا، وألا يتحول الكتـاب الدراسي إلى (ألبـوم) صور يلتهـي الناشـىء بالنظر فيه وينشغـل به عن التـأمل في الموضوع المقرر وعـن إدراك ما يشتمل عليه هذا الموضوع من أفكار ومعان.

لا شك في أن هنـاك أموراً كثيرة أخـرى تتعلق بأسـاليب التـدريس لها أثرهـا الكبير في الحد من ظاهـرة اللفظية والتقليـل من آثارهـا السلبية على الناشئـة: فالطريقـة المشوقة في التدريـس لها أثرها الكبير في جـذب انتباه الطالـب إلى المدرس ومتابعـة ما يقول وما يدلي به مـن أفكار ومعان وألفاظ جديـدة بشكل إرادي طوعي، ولا شـك في أن الحيوية في عرض ومنـاقشة الموضـوعـات المقـررة والجمع في عـرضهـا بين الجانـب النظـري والعملي، وإشراك الطالب المستمـر في المناقشة والحديث والتطبيـق العملي، وإتاحة الفرص للطالب لممارسة جميع النشـاطات اللغوية الممكنة، وبث روح المرح والدعـابة بين آونة وأخـرى بشكل معقول لإزاحة مـا قد يعرض مـن ملل، وإتحاف الطلبة بـالمعلومـات الجديدة التي تتجـاوز ما في الكتـب المقررة، واهتمام المدرس بتثقيف نفسه بصـورة مستمرة، وسعيه في إيجاد رابطة قـوية وحميمـة بينه وبين طلبتـه وحرصـه على كسب ثقتهـم وجلب اهتمامهـم بما يدرس مـن مواد، كـل هذه الأمـور التي مـن شأنها أن تـؤدي إلى انجذاب

الطلبة للمـواد المقررة واستيعابهم لعنـاصرها الفكـرية وتعلمهم إيـاها على النحو السليم .

وكما أن لطريقة التدريس أثراً مهماً على ظـاهرة اللفظية سلباً أو إيجاباً ، فإن للمواد والموضـوعات المقـررة ولطرق عـرضها و إخـراجها وتنسيقهـا في الكتب الدراسية دوراً مهماً أيضاً ؛ فكلما كانت هذه الموضـوعات منوعة مفيدة وملائمة لمستويات الناشئة الزمنية والعقلية ، متصلة بحياتهم ، مرتبطة بواقعهم انجذب هـؤلاء الناشئـة إليهـا واهتمـوا بها ، وكلما كان عـرضهـا منسقـاً مترابطاً وكـان إخراجهـا فنياً جميـلاً وكانـت طباعتهـا أنيقة ازدادت متعتهـم بها وشوقهـم إلى قراءتها . وباستئناس التلاميذ بها وقراءتهم لها لا يزيدون من حصيلتهم الفكرية فحسب ، وإنما يـزيدون من حصيلتهـم اللغويـة أيضاً ؛ فالكلمـة والفكرة كما سبقـت الإشارة وجهـان لعملة واحـدة ، والكلمـة ظل الفكـرة أو جسدهـا ، والأفكار في المادة المقروءة لا تستفاد مالم تكشف الكلمات عـن معانيها وتوحي بمـدلولاتها ، وهـي في القراءة يـدل بعضهـا على بعضها الآخـر وتكشف عـن معانيهـا وتنبه كـل طائفة منهـا على أهمية طائفـة أخرى ، وإذا اقترنـت القراءة بالارتباط بـالمدرس والانتباه إلى ما يقول أو يعلق أو يشرح تحقـق تصور الأفكار مع العبـارات الدالة عليها وتخيـل وتذكر الكلمات مـع معانيها ، وبذلـك كله يتحقق التخلص من اللفظية أو يتم تقليصها والتقليل من أخطارها .

الفـصل الرابع
المعاجـم اللغوية

أهمية المعاجم اللغوية ودورها في حفظ اللغة :

تبين فيما سبق أن اللغة تتسـع وتنمو وتتطور على مر العصـور سواء من حيث قواعـد نحوها وصرفها أو حيـث مفرداتها وتراكيبها وأسـاليبها، تبعاً لتطور النـاطقين بها فكرياً وحضاريـاً واجتماعياً، وأن مجموعـات كبيرة من صيغهـا وألفاظهـا تتغير في مدلـولاتها ومفاهيمهـا نتيجة لعـوامل وظـروف طبيعية وحضاريـة مختلفة[1]. وبذلك فإنها تصبح مـن الضخامة والسعة والتشعب بحيـث لا يستطيع أحد الإحاطـة بها وبكل ماتشتمل عليـه من صيغ وتـراكيب وأسـاليب وكلمات، مهما اتسـع علمه وسمـت قدراتـه أو مواهبـه ودامت ممارسته للغـة، وبالنسبة للغة العـربية فقد أكد ابـن فارس ذلك بقوله: «وما بلغنا أن أحداً ممـن مضى ادعى حفظ اللغة كلها»[2]، ونـزه الخليل بـن أحمد الفراهيـدي (ت١٧٠ هـ) أن يدعـي ذلك، مـع أن الخليل كان علامة ونابغة عصره في اللغة وعلومها.

وقد روي عن عمر بـن خالد العثماني وهو عالم لغوي أنـه قال: قدمت علينا عجـوز من بنـي منقر تسمـى أم الهيثم، فغـابت عنـا، فسأل عنهـا أبـوعبيـدة[3]، فقالوا: إنها عليلـة فقال: هل لكم أن تعـودوها، فجئنا، فاستأذنا، فقالت: لجوا، فسلمنا عليها فإذا هي عليها أهدام وبُجد، وقد طرحتهـا عليها، فقلنا: يا أم الهيثـم كيف تجدينك؟ فقالـت: كنت وحمى بالـدكة (الـودك) فشهدت مـأدبة، فـأكلت جبجبـة من صفيـف هلعة، فاعترتني زلخة. فقلنـا: ياأم الهيثم: أي شيء تقولين ! فقـالت: أو للناس كلامان؟ والله ماكلمتكم إلا بالعربي الفصيح»[4].

ويخبرنا جلال الدين السيوطي صاحب كتاب المزهر بأن عدداً من علماء العربية سئلوا عن أشياء في اللغة فلم يعرفوها أو اعترفوا بعدم معرفة أصولها أو معانيها، وأورد على ذلك شواهد كثيرة[٥]. وإذا صحت الرواية السابقة وصح ماقاله السيوطي - وهو بلاشك صحيح - فإن ذلك يدل دلالة واضحة على صعوبة بل استحالة الإحاطة بمفردات اللغة في كل مستوياتها وأبعادها حتى حفظتها والمتخصصين المتبحرين فيها والعارفين بأسرارها والمولعين باستقصاء ألفاظها والبحث عن معانيها.

ومع أن القرآن نزل على العرب بلغتهم التي ينطقون بها وفي عهد نقائها وصفائها وفصاحتها فقد صعب على بعضهم معرفة معاني ألفاظه وصيغه، فقد روى بدرالدين الزركشي أنه «كان ابن عباس - وهو ترجمان القرآن - يقول: لا أعرف (حنانا) ولا (غسلين) ولا (الرقيم)»[٦]. ولهذا احتاج الناس إلى من يكشف لهم معاني ومدلولات ألفاظ القرآن وعباراته[٧]. وهذا هو مادفع علماء اللغة فيما بعد إلى تصنيف كتب خاصة يجمعون فيها ما سمي بغريب القرآن من المفردات ويفسرونها ويوضحون معانيها. ومع أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عربي ما نطق إلا بالعربية الفصحى الصافية فقد غاب على نفر ممن عاصره إدراك معاني بعض ماورد في أحاديثه وكلامه من مفردات وتراكيب لفظية، الأمر الذي دفع فيما بعد إلى تصنيف كتب خاصة تشتمل على ما سمي بغريب الحديث، والتي تتولى شرح وتفسير ما اشتملت عليه بعض الأحاديث من غريب العبارات أو المفردات أو المعاني[٨]. وإذا كانت هذه هي الحال بالنسبة لمن عاش عهد الفصاحة ونقاء اللغة وصفائها وبالنسبة للناس في عصر لم تصل فيه اللغة ما وصلت إليه فيما بعد من سعة وتطور واختلاط وتأثر فكيف بأناس هذا العصر ومعرفتهم باللغة ومفرداتها، بعدما واجهته من تطورات وتغيرات عبر الأزمان وما بلغته من سعة ونمو. إن الواقع التاريخي والعقلي إذن يشهد باستحالة الإحاطة باللغة وبكل مايرتبط بها من مفردات وصيغ وأساليب.

إن الإحاطة بجانـب كبير من مفردات اللغة وتراكيبها وكـل ما يتصل بهذه المفـردات والتراكيب مـن معـان ومدلـولات ليـس بعسير على الإنسان، فقـد يكرس شخـص ما رزق مـوهبة الحفظ وحسـن الفهم جهداً خـاصا لتخـزين معلومـات معينة كثيرة في ذاكرتـه فيوفق، وتظل ذاكـرته محتفظة بما اختـزن فيها فترة من الزمـن قد تطول، غير أن المشكلة أو الصعوبة تكمـن ـ كما يرى علماء النفس ـ في استرجاع كل ما علم وتلقـن هذا الشخص من معارف وحفظ من معلومات بعد توالي الزمن، إذ يتعذر على ذاكرة الإنسان ـ مهما قويت واتسعت ـ أن تحتفظ بكل ما أودع أو اختزن فيها من معلـومات لأمد طويل، فالإنسان معرض لأن ينسى الكثير مما حفظ واكتسب مـن معلومات أو معارف مع مرور الزمن، وخاصـة عندما لا تتوافر الحوافز أو الأسبـاب لاسترجاع وحضور هذه المعلومـات أو المعارف في ذهنـه[٩] . وعلى ضوء ذلك فـإنه مهما كانت معـرفة الإنسان بـاللغة ومهما كثـر محفوظـه من مفرداتها وتـراكيبها فـإن إحاطتـه بكل مفردات اللغة تكـاد تكون أمرا مستحيلا، وأن الاحتفاظ بكل مـا تلقن وحفظ من هذه المفـردات يبقى أمرا صعباً أيضـا، بل إنه لا يكاد يحتفـظ في ذاكرته إلا بأقل القليل منها وفي حدود ما يستعمله ويستحضره في ذهنه منها .

لقد قيـل إن ما يستعمله المثقـف العربي المعـاصر من مفردات لغـوية في الكتابـة والتأليـف والكلام لا يكـاد يتجاوز الستـة آلاف لفظة، بينما يصـل مجموع مفردات اللغـة العربية ـ كما يقول بعض الـدارسين المهتمين ـ إلى اثني عشر مليـونـاً وثـلاثمائة وخمسـة آلاف وأربعمائة واثنتـي عشرة لفظـة (١٢٣٠٥٤١٢)[١٠] . كما قيـل أيضا : إن مفـردات اللغـة الفـرنسية تبلـغ مئات الآلاف من المـفـردات وعـشرات المـلايين مـن الاستعـمالات بينـما لا يستعمل الفـرنسيون بـل لا يفهمون مجتمعين من هـذه اللغة سـوى تسعة آلاف فقـط[١١] . وإذا ثبت ذلك فإنه يدل دلالـة قاطعة على عجز الإنسان عن الإحـاطة حتى بقسـط كبير من مفـردات لغته، وعلى حاجتـه الماسة إلى مراجع يعتمد عليها تذكره وتمده بما يحتـاج إليه، وبما يغيب عن ذاكرته أو بما

لم تشتمل عليه حصيلته اللغوية من مفردات لغته، كما تزوده بمعاني ومدلولات هذه المفردات وتعرفه بمواقع وأساليب وأشكال استعمالاتها. إنه يحتاج إلى مراجع ترصد له مفردات اللغة على مر العصور، وتتبع كل معانيها ومفاهيمها عبر تطوراتها المختلفة وإلا فسيفقد الاتصال بجزء كبير من تراثه ويحرم من الاستفادة من نتاجات وإبداعات الأجيال الماضية وربما الحاضرة أيضا، ومن هنا جاءت الحاجة إلى تصنيف معاجم وقواميس اللغة على مختلف أنواعها وأشكالها ومناهجها.

إن من أعظم ما ابتكره الإنسان لحماية اللغة والحفاظ عليها حية نامية متطورة تأليف معاجم تحفظ مفردات اللغة القومية وتتولى تفسيرها وتوضيحها وتتكفل ببيان صور استعمالاتها وتمييز الأصيل من الدخيل، والحقيقي من الزائف، والحي من الميت، والسائد من النادر منها، فيرجع إليها الإنسان ليتزود بما يحتاج إليه من ألفاظ يعبر بها عما تخطر له من أفكار وتبدو له من معان، ويختار منها ما يتلاءم مع مشاعره وأخيلته من صيغ، ويتعرف على ما صعب عليه فهمه من مدلولات، وبذلك يحيي لغته وينعشها ويبقيها ثابتة حية مع الزمن باستخدامه المستمر السليم لها نطقا وكتابة، وبما يبدعه وينتجه فيها فكره، كما أنه يتخطى حاجز الزمن ويعيش مع الأجيال الماضية، فيفيد من خبراتها وما أبدعته قرائح أهلها وأنتجته عقولهم وقرائحهم.

المعاجم اللغوية هي خزائن اللغة وكنوزها التي يستمد منها الإنسان ما يغْني حصيلته اللغوية وينميها ويجعلها مرنة طيعة في مجالي الأخذ والعطاء: مجال الاستيعاب والفهم والتوسع الفكري والنمو العقلي والمعرفي، وفي مجال التعبير والعمل الإبداعي والإنتاج الثقافي. لكن أثر المعاجم ومدى فعاليتها في هذين المجالين يتوقف بصورة أساسية على نسبة استعمالها ثم على معرفة الفرد بأنواعها وأشكالها ومناهج تصنيف المفردات فيها، وأخيراً على طرق استخدامها وكيفية استغلالها وأوجه الاستفادة منها.

أنواع المعاجم اللغوية

لقد تفنن الإنسان على مر الأزمان في تأليف المعاجم وتصنيف مفردات اللغة، تدعوه إلى ذلك الحاجة وتطورات الحياة، ويدفعه حبه للابتكار أو رغبته في التنافس في خدمة المعرفة أو تحفزه دوافع قومية أو دينية أو إنسانية أخرى، فظهرت في كل لغة حية معاجم لغوية مختلفة الأشكال والأحجام والمناهج والوظائف. تبعا لاختلاف حاجات الإنسان وأهدافه وأغراضه ومقتضيات الحضارة والحياة التي يعيشها. وبذلك تبعا لاختلاف حاجات الإنسان وأهدافه وأغراضه ومقتضيات الحضارة والحياة التي يعيشها. وبذلك أصبحنا نرى معاجم في كل لغة من لغات الإنسان الحية، تعنى بجمع وتفسير المفردات أو الصيغ اللفظية النادرة التي سادت بين أبناء جيل واختفت من ذاكرة جيل آخر لاحق من أبناء اللغة، ومعاجم واسعة تحيط بمفردات اللغة كلها، السائد والنادر والقديم والحديث منها، تفسرها وتبين استعمالاتها، ومعاجم تميز الأصيل من الدخيل من مفردات اللغة، وأخرى تترجم مفردات اللغة إلى لغة أخرى أو العكس، ومعاجم موضوعية أو معنوية ترتب ألفاظ اللغة الواحدة على حسب الأفكار والموضوعات وترتبها بحسب معانيها العامة والخاصة، ثم معاجم تشتمل على مصطلحات العلوم والفنون أو الحرف والأعمال.

وقد تفرعت أنواع المعاجم المذكورة في بعض اللغات المتطورة إلى أنواع جديدة أخرى عديدة، متفاوتة في أغراضها ووظائفها وأشكالها وأحجامها ومناهجها، حسب تفاوت هذه اللغات واختلافها من حيث السعة والحيوية والتطور الحضاري للأمة الناطقة بها[١٢].

وظهرت نتيجة لتطور صناعة المعجم في العصر الحديث تصنيفات جديدة للمعجمات والقواميس اللغوية العامة والخاصة ميزت بين أنواع عديدة منها. فكان من بينها معجمات للناطقين بلغة المتن أو لغة الأصل (اللغة القومية)

ومعجمات الناطقين بلغة الترجمة (أو اللغة الأجنبية)، ومعجمات للغة المكتوبة (أو اللغة الفصحى) تقابلها معجمات للغة المنطوقة (أو اللغة العامية)، ومعجمات للتعبير باللغة الأجنبية مقابل معجمات لفهم هذه اللغة واستيعاب ما يدون أو ينطق بها، ثم معجمات لاستعمال الناس، مقابل معجمات للترجمة الآلية. ومعجمات تاريخية، تقابلها معجمات وصفية، ومعجمات لغوية مقابل معجمات موسوعية، وأخيرا معجمات ناطقة مسموعة مقابل معجمات مكتوبة مقروءة. ولكل نوع من هذه المعجمات خصائصه ومميزاته التي ينفرد بها[١٣].

لكل نوع من أنواع المعاجم المذكورة قديمها وحديثها والمعاجم التي تفرعت عنها بلاشك وظيفة خاصة وغرض معين ودور مهم في تطوير وتنمية اللغة والحفاظ عليها وفي إغناء الحصيلة اللغوية وتنمية المهارة البيانية للإنسان قد لا يمكن لنوع آخر أن يؤديه أو ينوب عنه، وبذلك فإن كل نوع من هذه المعاجم لا يصلح دائما أن يكون بديلا عن الآخر. ولئن كانت المعاجم اللغوية العامة تتصف عادة بأنها أغزر مادة وأوسع محتوى وأشمل من حيث الإحاطة بمفردات اللغة وأوسع مورداً لإمداد حصيلة الفرد اللغوية وأجدر بالاهتمام، فإن للأنواع الأخرى أثراً مهما ومشاركة فعالة في تنمية الحصيلة اللغوية وفي نشر اللغة القومية وإنعاشها وحيويتها بنحو عام، لذلك فإن هذه الأنواع كلها جديرة بالعناية.

إن المعاجم اللغوية التي تحيط بعامة مفردات اللغة وتشرحها وتبين استعمالاتها معاجم عامة يوزع فيها الوقت والجهد المتوافر لدى مؤلفيها على كل محتوياتها الضخمة، بينما يمكن أن توصف المعاجم الأخرى بأنها معاجم خاصة، يكرس فيها الجهد والوقت المتوافر لدى مؤلفيها على جانب معين أو جزء خاص من اللغة، وبذلك فالمنتظر منها أن تكون أكثر استيعابا لما خصصت له، وأكثر دقة وأشد إحكاما فيما تقدم من معارف وتفسيرات لغوية خاصة. ونتيجة لذلك يمكن القول إن الاستفادة منها في مجالها أسرع وأكثر وربما كانت أوسع وأعمق. وإذن فالفائدة

القصوى تتحقق بـالرجوع إلى المعاجـم بكل أنواعها كـل من مجاله وحسبما تدعو الحاجة إلى معرفة ما اختص به .

لاشك في أن نسبة المحصول اللغوي المكتسب مـن المعاجم عامة تعتمد في كمهـا ونوعهـا على مدى المرونـة والسعة في استخـدامهـا بأنـواعها المختلفـة ، فيمكـن القول إنـه كلما تعـددت وتنوعـت المعـاجـم التي يـرجـع إليها الفـرد ويستخدمها على الوجـه الصحيح وللغرض المناسب زاد محصولـه اللغوي منها كما ونوعا . وهذا بالطبع لا يعني ضرورة استخـدام الإنسان لكل أنواع المعاجم حتى مالا تدعو الحاجة أو المناسبة إلى الرجوع إليه .

المعاجم المرحلية

من الملحوظ أن النـاشىء الصغير المحدود الثقافـة والإدراك يجد في المعجم الضخم الكبير متاهـة لا يحمد الدخول فيهـا ، بل ينفر من القـرب منها ، وإن دخلها فـلا يخرج إلا ضجرا متبرمـاً يائسـا ، إذ ليس بمقـدوره أن يعثر على مـا يحتاج إليه ومـايريد الوصول إليـه من مفردات اللغة ، مـن بين الكم الهائل من ألفاظهـا وصيغها التـي يشتمل عليها المعجـم الكبير، وليس لـديه مـن الحلم والصبر ما يكفيه لمتابعة البحث . والغالـب أن تُذكر معان متعددة للفظ الواحد في المعجم الكبير، يختـار منها البـاحث مـا يفي بغـرضه أو يتـلاءم مع سيـاق الكلام الذي هو في صـدده ، وقد تتشابك وتلتبس هذه المعاني في ذهن النـاشىء فيعجز عن اختيار المعنى المناسب للفظ الـذي لديه ، مما يبعث في نفسه اليأس ويؤدي به إلى النفور، ومـن هنا جاءت الحاجة إلى معاجم مرحليـة تتناسب مع أعمار الناشئة ومستوياتهم العقلية والثقافية أو العلمية .

المعاجم المرحليـة هي في الواقع بمنـزلة معجم واحد متـدرج أو قاموس ذي أجـزاء متسلسلة متنـاميـة ، ففي المعجـم المرحلي تنتقـي مجمـوعة مـن مفـردات اللغة تتنـاسـب مع عمـر الناشـىء ومستـواه الإدراكي والعلمـي وقدراتـه الاكتسابية وحـاجته في التعبير ومدى قدرتـه على البحـث وصبره

على التتبع والفحص، وينمو هذا المعجم ويتسع مع نمو الناشىء ونمو قدراته الطبيعية والمكتسبة واتساع ثقافته، ليمده بثروة لغوية أكثر وأوسع وأعمق بشكل تدريجي، ونتيجة لذلك تتعدد المعاجم المرحلية حسب تعدد المراحل الزمنية والتعليمية للناشئين.

إن المعجم المرحلي له تأثير فعال في نمو حصيلة الناشىء اللغوية، إذ إنه يتناول مفردات اللغة ويرجع إليها على شكل مجموعات تتلاءم مع مستواه الزمني والعقلي ومدى قدراته الطبيعية والمكتسبة، وهذا ما يجعله أكثر تقبلا لها واستيعابا لمفاهيمها وشعورا بتناسبها مع واقع حياته العملية وحاجته الفعلية وأخيرا يشعره بضرورة تحصيلها والبحث عنها. إضافة إلى ذلك فإن المعجم المرحلي يمتاز بصغر حجمه وخفة وزنه وسهولة حمله بالقياس إلى المعجم العام، وهذا ما يسهل على الناشىء اصطحابه ومن ثم التعود على استخدامه، سواء في المدرسة أو المكتبة أو البيت من ناحية أخرى فإن الخيارات بين الألفاظ والمعاني المعروضة في المعاجم المرحلية محدودة، لأن المفردات التي تشتمل عليها هذه المعاجم أصلا محدودة، سواء من حيث الكم أو النوع، وهذا يسهل على الناشىء الانتقاء، والتقاط المفردة المناسبة أو اختيار المعنى المراد بأسهل الطرق وبجهد أقل ووقت أقصر، ودون الوقوع في الارتباك والحيرة أو اللبس. وإذا ماكان المعجم المرحلي سهل المنهج، جميل الإخراج، صقيل الورق، جيد الطباعة مزيناً بالرسوم المناسبة ووسائل الإيضاح الملونة كانت فعاليته أكثر في جذب الناشىء وتشجيعه على استخدامه وعقد الصحبة معه وأخيرا اتخاذه مصدراً دائما لإغناء حصيلته اللغوية.

ومعاجم من هذا النوع لا يمكن أن توضع إلا بعد استقراء شامل للغة الناشئين الأساسية، والقيام ببحوث تجريبية ودراسات ميدانية تهدف إلى معرفة قدرات هؤلاء الناشئين في أعمارهم ومراحل تعليمهم المختلفة على فهم مدلول المفردات اللغوية وعلى تصور واستيعاب معانيها، وإلى التعرف على مدى حاجتهم للألفاظ وإمكان استخدامهم لها، وظروف حياتهم وما تقتضيه

أو تمليه مستجدات هذه الحياة من استخدام للغة وما يناسب هذه الاستخدامات من مفردات وتراكيب. كما يفترض أن تهتم هذه الدراسات أيضا بإحصاء المتواتر والمتداول بين الناشئة بفئاتهم المختلفة من الكلمات والصيغ والتعابير من أجل العمل على توسيع معارفهم اللغوية بإضافة كلمات وتراكيب لغوية جديدة إليها.

تلقى المعاجم المرحلية في العصر الحاضر اهتماماً ملحوظاً من لدن بعض المجتمعات المتقدمة، فقد عرف وشاع هذا النوع من المعاجم في الولايات المتحدة الأمريكية على سبيل المثال. وظهر منها للطلبة ابتداء من الصف الرابع الابتدائي طائفة في أشكال متطورة ومناهج ميسرة وأحجام مقبولة[١٤]. أما في اللغة العربية فهذا النوع من المعاجم مايزال بعد غير معروف على النحو الذي وصفناه.

هناك معاجم لغوية عربية صغيرة أعدت في الأساس لتلائم احتياجات الطلاب في مراحلهم التعليمية الإعدادية والتكميلية مثل: «معجم الطالب» لجرجس همام الشويري، و«المعجم الوجيز» الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة و«الرائد الصغير» لجبران مسعود، ومعاجم ثلاثة استلت من معجم المنجد للويس معلوف وهي: «المنجد الإعدادي للطلاب» و«منجد الطلاب» ثم «المنجد المصور» الذي اشتمل على طائفة من المفردات الأساسية اللازمة للطفل أول عهده بالقراءة. هذا بالإضافة إلى «مختار الصحاح» للرازي الذي يمكن أن يكون قريب الشبه من بعض هذه المعاجم لاختصاره وسهولة منهجه وصغر حجمه نسبياً. غير أن هذه المعاجم لا تصلح كلها كمعاجم للأطفال «لأن معجم الأطفال ليس ملخصا لمعجم كهول، بل هو معجم متميز بذاته، بل هو وسيلة عمل للتلميذ تساير عمره ومكتسباته اللغوية باعتبار درجته في الدراسة وأبعاد أنشطة الإيقاظ في الفصل»[١٥].

ليس في هذه المعاجم التدرج المرحلي المطلوب في اختيار المفردات والصيغ اللغوية وتصنيفها بحيث تتناسب مع مستويات الناشئة في جميع

مراحلهم التعليمية وتتماشى على نحو دقيق مع ما يهمهم من موضوعات وما يرتبط بهم من اهتمامات وتتابع بحرص رصيدهم اللغوي الوظيفي. وليس في أي منها مايخص مرحلة معينة بذاتها ويحددها على نحو مدروس وينطلق في تكوينه من واقعها أو وضعها الفعلي وحاجات الناشىء فيها ومعارفه التي يفترض أن يتلقاها.

ربما يتناسب بعض هذه المعاجم باستثناء «المنجد المصور» طبعاً مع مستوى طائفة من طلبة المرحلة الثانوية أو المتوسطة من التعليم، غير أنها في الأعم الأغلب تتناسب مع مستويات طلبة الجامعة، من غير المتخصصين في مجالات اللغة أو الأدب، لا سيما في الظروف اللغوية الراهنة، حيث يعاني معظم الناشئة من ضعف في لغتهم الأساسية، ومن جهل ظاهر بطرق استخدام المعجم، ومن تكاسل عن البحث والتنقيب مع قلة الحوافز التي تشجع على هذا البحث وهذا التنقيب، ومن انشغال بمغريات الحياة وقلة انجذاب للغة الأم بنحو عام. ولذلك فإن اللغة العربية ماتزال مفتقرة كما سبقت الإشارة إلى معاجم جيدة وافية للأطفال أو إلى معاجم مرحلية متعددة، أكثر فاعلية وأكثر انسجاما في موادها وأشكالها وأحجامها ومناهجها مع مستويات الناشئة العقلية والثقافية ومع مراحلهم التعليمية في أقطارهم العربية على اختلافها.

من خلال بحث تجريبي ميداني قام به بعض الدارسين العرب بهدف التعرف على اللغة الأساسية للأطفال من سن الثالثة حتى الثانية عشرة واتخاذ ذلك أساساً في وضع معجم للطفل العربي، وجد أن من الضروري (تقسيم معجم الطفل إلى مراحل، من أجل تيسير تناول المادة اللغوية، على الرغم من التداخل الطبيعي في السنوات، والنمو، والوعي، والذاكرة، وغيرها من القدرات أو المهارات الطبيعية والمكتسبة)[١٦]. وهذا يؤكد ضرورة المبادرة إلى تضافر الجهود من أجل إيجاد معاجم مرحلية للغة العربية كخطوة أساسية لتنمية الناشئة من مفردات لغتهم، ثم السير باللغة نحو مستوى أفضل.

طرق استخدام المعاجم

معلوم أن استشارة المعجم أو الرجوع إليه لمعرفة مفردات اللغة والاطلاع على معانيها فيه ليس كقراءة الكتاب العادي أو قراءة موضوع في دورية ما، إذ لا رابط موضوعيا أو معنويا يشد القارىء لمادة المعجم ويستحثه على متابعة فقراته ومواصلة قراءته، «فليس المعجم نظاماً من أنظمة اللغة، فهو لا يشتمل على شبكة من العلاقات. . . فالمعجم بحكم طابعه والغاية منه ليس إلا قائمة من المفردات التي تسمي تجارب المجتمع أو تصفها أو تشير إليها(١٧)». ليس في المعجم موضوع متسلسل الأفكار متماسك الأجزاء أو العناصر، وإنما هناك مفردات مختلفة من حيث مفاهيمها ومدلولاتها، لا يربط بينها إلا المنهج الذي اتبع في ترتيبها أو تفسيرها وتوضيحها. وحتى لو كان هناك معنى عام يربط بينها كما هو الحال في المعاجم المعنوية أو الموضوعية فليس هناك أي تسلسل منطقي في ترتيبها وفي تتابع معانيها، يدفع العقل للكشف ويحث النفس على التتبع ويحرك المشاعر فتتأثر وتتحفز وتتهيأ بعد انتهاء كل جزء للذي يليه.

وبناء على ما تقدم ذكره فإن الطريقة المثلى هي المبادرة إلى الرجوع إلى المعجم والبحث عن المفردة اللغوية أو عن معناها أو عن طريقة أو مجال استعمالها وقت الحاجة، فهذه المفردة بما تحمل من مدلول أو مدلولات وظيفية هادئة ساكنة في المعجم صامتة بالفعل، ولكنها صالحة بالقوة لأن تصير ألفاظا مسموعة أو مكتوبة أو مقروءة في سياق معين وتصبح ذات أثر وتشكل جزءا من الرصيد اللغوي الفاعل لمستخدم اللغة متى ما استدعيت واستغلت. وإذن فالمبادرة للفحص الدقيق عن المفردة واستدعائها للخدمة هما عاملان مهمان يساعدان على ترسيخها في الذهن أو تثبيتها وتثبيت ما تعنيه أو تعبر عنه أو ترمز إليه في الذاكرة.

وتزداد فاعلية المعجم بوصفه مصدرا لإغناء الحصيلة اللغوية أو تتضاعف نسبة اكتساب الألفاظ والصيغ الجديدة اللغوية منه كلما زادت

الحاجة إليه وتكرر البحث عن المفردات وعن معانيها فيه. كما تزداد هذه الفاعلية إذا رجع إليه الباحث قبل فوات المناسبة وانطفاء الحافز المشجع، وبحث فيه عن المفردات اللغوية بأناة وتمعن وحرص، ولهذا كان من الضروري الحوافز الدافعة للبحث، ثم وجود مايتحدى قدرة أو ملكة الفرد اللغوية ويستحثه على مواصلة الكشف ويدفعه للاستزادة. وأخيرا لابد من وجود طموح يقود إلى البحث والفحص المتأني الدقيق ويدفع إلى المتابعة الدؤوبة حتى بلوغ الهدف.

ووجود الدافع للبحث في المعجم لا يكفي إذا لم تكن هناك خبرة أو معرفة بكيفية استخدام المعجم وبطريقة العثور على الكلمات أو على معانيها أو الشروح عليها فيه. إن المعاجم كما رأينا متنوعة، مختلفة الأشكال والأغراض والمناهج. وعلى الرغم من شيوع النظام الهجائي النطقي السهل في ترتيب الكلمات في معظم المعاجم الأوروبية الحديثة إذا لم يكن كلها، أي طريقة ترتيب المفردات اللغوية ألفبائيا حسب أوائلها وبحسب نطقها، فإن للمعاجم العربية مناهج متعددة، متفاوتة من حيث دقتها ومدى استيعابها ومن حيث القدرة على تطبيقها، ولابد للباحث عن اللغة من معرفة هذه المناهج، أو بالأحرى معرفة المنهج الملائم لمستواه العقلي والتعليمي، ليتمكن بعد ذلك من استغلال المعجم مصدرا لإغناء محصوله اللغوي بيسر.

ليس في هذ المجال متسع للتفصيل في الحديث عن طرق أو مناهج ترتيب المفردات في المعاجم العربية، إذ ليس من غرضنا هنا الحديث عن صناعة المعجم أو تقديم دراسة تاريخية نقدية عن المعاجم العربية، وإنما الغرض هو الإدلاء بما يمهد لاستغلال المعجم بوصفه مصدرا أساسيا لتنمية رصيد الناشئة وعامة المثقفين من مفردات اللغة، والوصول إلى أقرب الطرق التي تمكن هؤلاء من الكشف عن المادة اللغوية فيه، ولذلك سنقتصر على بيان أهم الأسس التي يعتمد عليها كل منهج، وينتشر باختصار إلى

الخطوات الأساسية التي يمكن اتباعها من استخدم أمهات المعاجم، لاسيما أكثر هذه المعاجم تداولاً أو توافقاً مع العصر الذي نعيشه، تاركين التفصيل في خصائص كل نظام وفي الاختلافات بين معاجم كل منهج وتتبع هذه المعاجم واستقصائها ورصد تطوراتها، فقد خصصت لذلك كتب ودراسات كثيرة يمكن لمن أراد الرجوع إليها[١٨].

مناهج ترتيب المفردات في المعاجم اللغوية

أدرك اللغويون وواضعو معاجم اللغات المتقدمة ما للمناهج المتبعة في ترتيب المفردات اللغوية في معاجمها العامة والخاصة من أثر في اكتساب اللغة من هذه المعاجم وسعوا إلى التفكير في المنهج الأمثل، على ضوء ما تقتضيه أو تستوعبه لغاتهم أو بحسب ما يتناسب مع طبيعة كل من هذه اللغات.

لقد فكر بعضهم في أهمية القرابة بين المفردات اللغوية وما لإدراك العلاقات الأسرية بين هذه المفردات وملاحظة توالد بعضها من بعض من أثر إيجابي في زيادة قدرة الطالب على تذكرها ومن ثم مضاعفة محصوله منها، فقد صرح الدكتور «جونسن Johnson» بقوله: «عندما نتفحص البنية العامة للغة من اللغات فإن من المهم أن نتتبع توالد المفردات بعضها من بعض، وذلك بملاحظة صيغ الاشتقاق والتصريف المعتادة»[١٩]. وبناء على مثل هذه الملاحظات أو النظريات رأى بعضهم أن الترتيب الجذري يمكن أن يكون أفضل منهج لترتيب مداخل المعجم، حيث تقدم المفردات اللغوية داخل المعجم في مجموعات وأسر تشدها أصول واحدة وتربط بينها أواصر القرابة، غير أن هذا المنهج مع ذلك لم يلاق شيوعاً عاماً، وإن شاع في المعجمات الأحادية لما يسمى بـ «اللغات الاشتقاقية» أو «اللغات المتصرفة» كاللغة العربية واللغة العبرية واللغات السامية عامة. فمعظم معاجم اللغات الأخرى وخاصة اللغات اللاتينية تبني منهجاً آخر هو المنهج الألفبائي النطقي، حيث ترتب الكلمات في المعجم حسب منطوقها دون النظر إلى المزيد وغير المزيد منها.

وكان التبني للمنهج الأخير قائما ــ في جملة ماقام عليه من دعائم ـ على أساس أن المنهج الجذري يتطلب قدراً من الإلمام النحوي والصرفي لدى من يستخدم المعجم، وهذا يصعب توافره لدى العامة من القراء، بينما لا يتطلب المنهج الألفبائي النطقي هذا الإلمام. كما أن المنهج الجذري كثيرا ما يحوج القارىء إلى قراءة مادة المدخل كلها ليصل إلى الكلمة التي يبحث عنها. بينما يجد القارىء بغيته في المعجم الموضوع وفق المنهج الآخر دون صعوبة. علماً بأن الأصل في المعجم الجيد سواء كان هذا المعجم أحادي اللغة أو ثنائيها هو أن يجنب القارىء فيه جميع الصعوبات التي لا ضرورة لها، وأن تستطيع كما تقول الأستاذة «ماري هاس» Mary Haas «أن تجد فيه ما تريد ــ وتجد ما تريد من المحاولة الأولى»[٢٠].

أما بالنسبة للغة العربية فقد فكر أحد اللغويين العرب وهو علي بن الحسن الهنائي المشهور بكراع، أو كراع النمل (ت٣١٠هـ) في المنهج الألفبائي النطقي الذي تبنته معاجم اللغات اللاتينية، وطبقه في معجم له عنوانه «المنجد في اللغة»[٢١]. حيث رتب كلمات جزء كبير من هذا المعجم ترتيباً هجائياً بحسب أوائلها بغض النظر عن كونها أصلية أو مزيدة، غير أن هذا المنهج لم يلق انتشاراً أو قبولا من لدن المعجميين العرب القدامى الآخرين.

لقد أدرك المعجميون العرب طبيعة لغتهم المتصرفة وما تتسع له هذه اللغة الثرية العريقة من الاشتقاقات الكثيرة، وما يدخل على موادها من الزيادات المتنوعة وما يحدث في هيئات صيغها وألفاظها من تغير وتطور، كما أدركوا قبل الدكتور «جونسون» Johnson وغيره من اللغويين والمعجميين الأوروبيين والغربيين ما للعلاقات أو الروابط بين الألفاظ من أهمية في زيادة محفوظ مستخدم المعجم ومحصوله من هذه الألفاظ، وما لها من أثر في توضيح بعض الصلات التاريخية والدلالية، ولهذا اتجهوا إلى ابتكار أنظمة تحقق أنواعا من الارتباط الجذري أو الصوتي أو الكمي بين طوائف الكلمات المدرجة المرتبة

في معاجمهم على اختلاف أنواعها وأشكالها ، ويحفزهم أو يزيد من حماسهم إلى ذلك رغبتهم في الإبداع والتطوير والاجتهاد وحرصهم الشديد على خدمة لغتهم ولغة كتابهم المقدس وتيسيرها لطالبيها وتسهيل اكتسابها ونشرها بكل وسيلة ممكنة . فنتج عن هذا الاتجاه وجود عدد كبير من المعاجم موضوعة وفق مناهج متعددة مختلفة .

لاشك أن للتعرف على مناهج ترتيب المفردات في المعاجم اللغوية كما سبق القول أهمية كبيرة في تسهيل مهمة الكشف عما تحتويه هذه المعاجم وفي استغلال هذا المصدر الحيوي المهم في تنمية الرصيد اللفظي لمستخدم اللغة ، لاسيما بالنسبة للناشىء العربي ، حيث أصبح اختلاف مناهج ترتيب المفردات اللغوية في المعاجم العربية وجهل هذا الناشىء بالفوارق بين هذه المناهج وبما يختص به كل منها من ميزات يشكل سبباً رئيساً في حيرته وعدم قدرته على انتقاء المعجم الملائم أو في اضطراب معرفته بطرق الكشف عن الألفاظ وفي تهيبه من استخدام المعجم أو نفوره منه بوجه عام ، كما أصبح ذلك بدوره سبباً في إعراض من يتولى تربية هذا الناشىء أو تعليمه عن تعريفه بالمعجم وتشجيعه على استعماله . وبالتالي فإن ذلك أصبح يشكل سبباً في تدني المحصول اللفظي لهذا الناشىء وعاملا من عوامل ضعفه اللغوي .

علما بأن الاختلاف في مناهج ترتيب المفردات اللغوية في معاجمها يمكن أن يكون مظهرا إيجابيا للغة ولمعاجمها إذا ماتبينت الفروق والخصائص المميزة لكل من هذه المناهج وظهرت جوانب الفائدة من الاختلاف فيها . فهذا الاختلاف يمكن أن يتيح لمستخدم اللغة مجالا للاختيار ويمنحه فرصا أكثر لتنويع الاكتساب ويعطيه من المرونة ما يمكنه من زيادة الاستخدام وزيادة المحصول ، إذا ما أجاد المعرفة وأحسن التمييز وتوافرت له الحوافز وتيسر له الطريق وتوافر له ما يحتاج إليه من المعاجم . بناء على كل ما تقدم يصبح من المهم هنا التعريف بأبرز هذه المناهج والتفريق أو التمييز بينها والتنويه بأهم

المعاجـم التي تتبنـاها وجعل ذلـك محورا رئيسيا في هـذا الفصل، دون أن يخل التركيز عليه بتوازن محاوره الأخرى.

١- المنهج الصوتي

تصنف المواد اللغويـة في المعاجم التي تسير وفق هـذا المنهج في أبواب على عدد حروف الهجاء حسب مخارج حروفها الأصليـة من جهاز النطق، بدءاً من المواد التي تشتمـل على الحرف الأصلي ذي المخرج الأعمق، وقد ابتكـر الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) هذا المنهج وألف على نسقه معجمه «العين» الـذي يعتبر أول معجـم لغـوي عـربي في تـاريخ اللغـة العـربيـة. فقـد نظـر الفـراهيدي إلى الحروف على أنها أصـوات تخرج مـن جهـاز النطق، وعمـد إلى ترتيبها على أسـاس مخارجها من هذا الجهاز، فكانـت على النحو التالي: (ع ح هـ خ غ/ ق ك/ ج ش ض/ ص س ز/ ظ ث ذ/ ر ل ن/ ف ب م/ وا ي)، ووفق هذا التسلسـل جعل أبواب معجـمه. وبنـاء على ذلك يبدأ المعـجـم بـ (باب العين) يليـه (باب الحاء) ثـم (بـاب الهاء) وباب الخاء... وهكـذا تتوالى بقية الأبواب. (وقد وضع الخليل الألف والواو في باب واحد).

وقد رتب الخليل المواد اللغوية في أبواب معجمه بحسب أعمق حرف أصلي فيها كما سبقت الإشارة، فجاءت كلمات مثل: (لمع، هجع، عنيف، طعن، قطيـع، عباءة، معـول، معسر..) كلهـا في بـاب العين لأن حرف العين هـو أعمق حرف في كل منها، بينما جاءت كلمات مثل: (فدح، حبط، صحب، لافـح، مـريـح، حافـل، نحـر، محارب..) كلهـا في بـاب الحاء لأن الحرف الأصلي الأعمق في كل منها هو الحاء.

وتتوالى الكلمات في كل بـاب من أبواب المعجم بحسـب التسلسل الصوتي المذكور لحروفها المكونة منها أيضا، فكل مفردة في المجموعة تبدأ بالحرف الذي عقد لـه الباب، وتثنـى بالحرف الذي يليـه من حيث العمـق ثم الـذي يليه،

وهكذا حتى آخر حرف فيها، فإذا فتحنا على باب (الحاء) مثلاً، نجد ألفاظا كالألفاظ التالية مرتبة فيه على النحو الآتي: حق، حك، حجّ، حش، حضّ، حصّ، حسّ..

بالإضافة إلى ما سبق فإن الكلمات في أبوابها الرئيسية في المعجم ترتب في أبواب أخرى فرعية أو في مجموعات، بحسب عدد الحروف الأصلية التي تتكون منها، فيكون في كل باب رئيس ستة أو سبعة أبواب فرعية: باب للثنائي (أي الكلمات المركبة من حرفين)، باب الثلاثي الصحيح (أي الكلمات المركبة من ثلاثة أحرف صحيحة) ثم باب الثلاثي المعتل، باب اللفيف، باب الرباعي، باب الخماسي، باب المعتل من الرباعي والخماسي. (على أن هناك اختلافات جزئية في هذا التقسيم بين معاجم هذا الصنف. وربما كانت المعاجم التي ألفت بعد معجم «العين» أكثر وضوحاً ودقة فيه).

ويُلتزم في معجم العين وفي بقية المعاجم التي تسير وفق منهجه بما يسمى بالنظام التقليبي، وهو إيراد تقاليب كل مفردة لغوية ترد في مجموعتها. أي أن حروف الكلمة الأصلية تقلب على كل صورها الممكنة. وتخضع عملية التقليب هذه لتسلسل الحروف الصوتية المذكور، وبناء على ذلك فإننا نجد الكلمات (محص، حمص، صمح) ضمن تقاليب كلمة (حصم) على النحو التالي: (حمص، صمح، محص). ويختلف عدد التقاليب التي تذكر لكل كلمة تبعا لتحقق استخدامها، وتبعاً لاختلاف بنية الكلمة الأصلية نفسها، فكلما زادت الحروف الأصلية في الكلمة زاد عدد البنيات أو الصيغ التي تتفرع عنها. ومثالا على ذلك فالتقاليب التي تذكر لكلمة (قحّ) هي: حق، قحّ؛ إذ لا تسمح حروف هذه الكلمة إلا بتقليبين فقط، أما كلمة (حصن) فتسمح حروفها بستة تقاليب، غير أن المستعمل منها هي أربعة فقط وهي: حصن، صحن، نصح، حنص، بينما ترد لكلمة (حصم) المذكورة ستة تقاليب كلها مستعملة وهي: حمص، محص، صحم، مصح، صمح، حصم.

وبناء على مـا تقدم فـإن الكشف عـن الكلمة في أي معجـم من المعـاجم المتبعة للمنهج الصوتي يقتضي :

أ- تجريدها من الحروف الزائدة .

ب ـ معرفة أعمـق حرف أصلي فيها بعد التجريد ، من أجـل معرفة الباب الذي أدرجت فيه .

جـ- النظـر إلى عدد الحروف الأصلية التي تتكـون منها ، من أجـل تحديد الباب الفرعي الذي صنفت فيه .

د- معرفة أعمق حرف في الكلمة بعـد الحرف الأول ، فالذي يليه في العمق من أجل الوصول إلى التقليب المناسب .

فإذا أردنا استخراج معنى كلمة (استفحل) على سبيل المثال ، فإننا نجردها مـن حـروفها الـزائدة أولا، فتصبـح (فحـل)، ثـم نفتح على بـاب الحاء مـن المعجـم ، لأن (الحاء) هـو الحرف الأعمـق في الكلمـة ، ثـم نقصـد الثـلاثـي الصحيح من هذا البـاب ، لأن الكلمة مكونة من ثلاثـة حروف . وأخيرا نتابع تقاليب الكلمة ونتجاوز ما بدأ بالحاء وثني باللام من هذه التقاليب ، ثم ما بدأ بالـلام وثني بالحاء ، حتـى نصل إلى الكلمة المطلوبـة ضمن مشتقات مـا بدأ بالفاء وثني بالحاء .

ومن أبـرز المعاجم المتبعة لهذا النظـام شهرة ، بالإضافـة إلى كتاب «العين» للفراهيـدي : «تهذيب اللغـة» لمحمد بن أحمد بـن الأزهـــر الهروي ، المعروف بالأزهـــري (ت٣٧٠هـ) ، وكتاب «المحـكم والمحيط الأعظـم» لأبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده ت٤٥٨هـ) .

٢- منهج القافية

يقســم المعجم حسـب هذا المنهـج إلى أبواب متسلسلـة وفق تسلسـل حروف الهجاء العـربية . ثم ترتب الكلمات في هذه الأبـواب بحسب أواخر

حروفها الأصلية. ففي باب الراء توضع كل كلمة منتهية بالراء كحرف أصلي. وفي باب الجيم نجد كل كلمة منتهية بالجيم، وهكذا يتم تتابع الأبواب حتى تصل إلى (٢٨) بابا، على عدد حروف الهجاء. وترتب الكلمات ضمن أبوابها وفق هذا المنهج في فصول بحسب أوائل أصولها، فيصبح في كل باب (٢٨)فصلا، متسلسلة هي الأخرى حسب تسلسل حروف الهجاء. فباب الراء مثلا يبدأ بفصل الألف، ففصل الباء ثم التاء، ثم الجيم.. وهكذا تتابع الفصول. ويتم ربط أوائل الكلمات بما يليها من الحروف في الفصول السابقة الذكر بشكل متدرج، خاضع لتسلسل حروف الهجاء أيضا، فالكلمات التي تبدأ بالهمزة في (فصل الهمزة من باب الراء) مثلا تأتي على الصورة التالية: أبر، أثر، أجر، أخر، أدر، أرر، أزر، أسر، أشر، أصر... والكلمات في (فصل الباء من باب الراء) تأتي كالتالي: بأر، ببر، بتر، بجر، بحر، بخر، برر، بزر... وهكذا...

وطريقة الكشف عن الكلمة في هذه المعاجم أسهل مما هي عليه في معاجم النظام السابق، إذ لا تقتضي سوى تجريد الكلمة مما قد يكون فيها من حروف زائدة، ثم النظر إلى آخر حرف وأول حرف فيها بعد التجريد، لتحديد الباب وتعيين الفصل الذي توجد فيه، ثم البحث بعد ذلك في أسرة الكلمة وفق التسلسل الهجائي حتى الوصول إليها. فيكفينا للبحث عن كلمة (استفحل) التي فتشنا عنها في معاجم النظام السابق تجريدها، كما فعلنا هناك، ثم النظر في فصل الفاء من باب اللام، وأخيرا التدرج مع ما يرتبط بحرف الفاء من حروف حتى نصل إلى الفاء مع الحاء فاللام.

وعلى الرغم من سهولة هذا المنهج قياسا إلى المنهج السابق فإن هناك مشكلة قد تواجه الباحث أثناء الكشف عن الكلمة في معاجم هذا الصنف، وهي تحديد الحرف الأصلي الأول أو الحرف الأخير في هذه الكلمة، إذ قد يكون أحد هذين الحرفين منقلبا عن حرف آخر، كما هو الحال في كلمتي (موقن)

و(موسر) المنقلبة فيهما الواو عن ياء، فأصلهما (يقن) و(يسر)، ومثل كلمة (سماء) المنقلبة فيها الهمزة عن واو، و(بناء) التي جاءت الهمزة فيها عن ياء. أو يكون الحرف الأخير فيها محذوفا أصلا، كما هو الحال في الكلمات (دم، ابن، أب) والتي هي في الأصل (دمو، بنو، أبو). إضافة إلى ذلك فإن بعض هذه المعاجم ترجع مثل كلمة (تقوى) إلى (تقي)، بينما يرجعها بعض آخر إلى (وقي). وهكذا يختلط الأمر على من لم يكن عارفا بقوانين القلب أو الإبدال والحذف، لاسيما إذا كان ناشئا قليل الخبرة، وربما قللت الممارسة مما قد يواجه الباحث من صعوبة في هذا المجال.

ومن أبرز المعاجم التي وضعت على هذا النظام وأكثرها تداولاً «الصحاح» أو «تاج اللغة وصحاح العربية» لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٨هـ)، والذي يعتبر أول معجم صنف على نظام القافية، ثم «لسان العرب» لابن منظور الأفريقي (ت٧١١هـ)، ويعد أكبر المعاجم العربية المعروفة حجما وأغزرها مادة وأوسعها محتوى. ومنها «القاموس المحيط» لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ). وقد حظي هذا المعجم أيضا بشهرة كبيرة لما تميز به من سعة في الإحاطة وغزارة المادة بالإضافة إلى الاختصار والدقة في الشرح والتفسير وسهولة المنهج. ومن أبرزها وأكثرها شهرة أيضا معجم «تاج العروس من جواهر القاموس» للسيد محمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، كما أن منها مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (ت٦٩١هـ).

٣- المنهج الهجائي الجذري

يقسم المعجم وفق هذا المنهج في العادة إلى ثمانية وعشرين بابا، على عدد حروف الهجاء وعلى حسب تسلسلها المألوف، ويخصص لكل حرف من هذه الحروف باب، ثم ترتب الألفاظ في الأبواب باعتبار أوائل أصولها بعد إرجاعها إلى جذورها. وبذلك تأتي الكلمات التي تبدأ بالألف كحرف أصلي كلها

في باب الألف، والكلمات التي تبدأ بالباء كلها في باب الباء، والتي تبدأ بالتاء في باب التاء، وهكذا يتوالى ترتيب الكلمات في بقية الأبواب. .

ويتتابع ارتباط الجذر الأول من المادة اللغوية بالجذر الثاني منها في كل باب وفق التسلسل الهجائي المذكور، ووفق هذا التسلسل أيضا يتم ارتباط الحرف الثاني بالثالث، فالذي يليه وهكذا. . ففي باب الجيم على سبيل المثال نجد الجيم ترتبط بالهمزة على النحو التالي: جأ، جأب، جأث، جأذ، جأز، جأش. . . ثم ترتبط الجيم بالباء ويتدرج ارتباطها على النحو نفسه، فنجد جبأ ثم جبب، جبت، جبج، جبذ، جبر، جبس. . . وعلى نفس النسق في تسلسل الحروف وفي زيادتها يتوالى أيضا إدراج ما يمكن أن يشتق من كل مادة من هذه المواد.

والكشف عن الكلمة في معاجم هذا المنهج لا يتطلب من الباحث سوى تجريد هذه الكلمة من حروفها الزائدة وإرجاعها إلى أصل ثلاثي في الغالب، ثم النظر إلى أول حرف أصلي فيها وفتح المعجم على الباب الذي عقد لهذا الحرف، فاستخراج مثل كلمة (شفاعة) هنا لا يقتضي سوى إرجاع هذه الكلمة إلى أصلها الثلاثي (شفع) ثم فتح المعجم على باب الشين، والتدرج مع الحروف المرتبطة بهذا الحرف وفق التسلسل الهجائي حتى الوصول إلى الشين مع الفاء، ثم الاستمرار مع ما يرتبط من حروف حتى الوصول إلى حرف العين، وأخيرا البحث ضمن أسرة (شفع) عن كلمة (شفاعة).

وأول معجم وضع على المنهج الهجائي الألفبائي وحظي بشهرة واسعة هو «أساس البلاغة» لجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، فقد تميز هذا المعجم على الرغم من صغره وقلة محتواه من المفردات اللغوية قياسا إلى المعاجم الكبرى التي سبق ذكرها، تميز بأنه أول معجم اهتم فيه مؤلفه بالتوسع الدلالي، حيث تولى فيه ذكر المعاني المجازية للكلمات بعد ذكر معانيها الحقيقية. كما اهتم بالتركيز على الكلمات والعبارات والأساليب المفضلة لدى

البلغاء والأدباء وبالشواهد الشعرية والأدبية والأقوال البليغة عامة. ولذلك كانت أهمية هذا المعجم في مجالي البلاغة والأدب كبيرة، بالإضافة إلى أهميته كمعجم لغوي مختصر الشرح واسع الاستدلال محكم التنظيم ميسر المنهج.

وقد وضعت معظم المعاجم الحديثة وفق المنهج الألفبائي الجذري نظرا لسهولة هذا المنهج النسبية، ولتوفيقه بين الاتجاه القديم الذي يهتم بالحفاظ على مشتقات الكلمة في أسرة واحدة، وبين الاتجاه الحديث الذي يسعى لتسهيل مهمة الكشف عن الكلمة في المعجم بحيث تتناسب مع طابع السرعة الذي يميز هذا العصر، ومن أبرز هذه المعاجم «المصباح المنير» لأحمد بن محمد الفيومي (ت٧٧٠هـ)، و«محيط المحيط» لبطرس البستاني (ت١٨٨٣م)، و«أقرب الموارد» لسعيد الشرتوني (ت١٩١٢م)، و«متن اللغة» للشيخ رضا العاملي (ت١٩٥٣م)، ثم «المنجد» للويس المعلوف (ت١٩٤٧م) و«المعجم الوسيط» الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة، و«المعجم العربي الأساسي» الذي وضعته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. هذا إضافة إلى المعاجم الأخرى الصغيرة التي وضعت لتلائم مستويات واحتياجات طلبة المدارس وعامة الباحثين عن اللغة، مثل «المعجم الوجيز» الذي أصدره مجمع اللغة العربية و«معجم الطالب» لجرجس همام الشويري (ت١٩٢١م).

وقد أعيد ترتيب المفردات اللغوية في عدد من معاجم نظام القافية وإصدارها من جديد وفق المنهج الهجائي التجريدي، ومن هذه المعاجم: «القاموس المحيط» للفيروز آبادي، وقد قام بتحويله الطاهر أحمد الزواوي وأصدره في أربعة مجلدات في القاهرة لأول مرة عام١٩٥٩م، كما استل منه معجماً صغيراً أسماه «مختار القاموس» وضعه على الطريقة الهجائية. ومن هذه المعاجم أيضا «لسان العرب المحيط» لابن منظور، الذي عمل على تحويله كل من نديم مرعشلي ويوسف خياط وأصدراه لأول مرة في ثلاثة مجلدات في بيروت عام ١٩٧٠م، كما قام بتحويله مع تحقيقه وضبطه وتنظيمه مجموعة

من اللغـويين يرأسها عبدالله علي الكبير، وإصداره في ستة مجلـدات عن دار المعارف بالقاهرة عام١٩٧٩م مذيلا بفهارس وافية مفصلة.

ومن هـذه المعاجم أيضـا معجم «مختـار الصحاح»، الذي قـام محمود خاطـر بتحويله مـن نظام القافية، وقـد صدر في طبعته الأولى في القـاهرة عام١٩٠٥م، ثـم صدر بعدها في طبعـات متعددة على الطريقة الهجـائية الألفبائية التجريدية نفسها.

٤ - المنهج الهجائي النطقي

يقسم المعجـم وفقا لهذا النظـام إلى أبواب على عـدد وتسلسل حـروف الهجاء كما هـو مألـوف، ثم تـرتب الكلمات في الأبـواب باعتبـار حروفهـا الأولى، دون مراعاة لأصلي أو مزيد فيها، فالكلمة ترد في المعجم كما تنطق أو تلفظ. ويتتابـع ارتباط الحرف الأول منها بما يليه مـن الحروف في الباب الواحد وفقا للتسلسل الألفبائي. وطبقـا لهذا النظام فإن مشتقات الكلمة الواحدة قـد لا تجتمع كلها في باب واحـد، فكلمة عطف نجدهـا في باب العين، وتعطف أو تعـاطف في باب التـاء، واستعطف في بـاب الألف، ومتعاطف أو معطف ومعطوف في باب الميم. . وهكذا.

لقد طبـق هذا المنهـج في بعض المعـاجم العـربية القـديمة مثـل: معجم «المنجـد في اللغة» لكـراع النمـل ـ الـذي سبق ذكـره ـ وكتاب «الكليـات في المصطلحـات والفـروق اللغـويـة» لأبي البقـاء أيـوب بـن مـوسـى الكفـوي (ت١٠٩٤هـ)، وكتـاب «التعـريفات» للشريـف علي بـن محمـد الجرجـاني (ت٨١٦هـ)، غير أنه لم يلق الاهتمام الذي حظيت به المناهج الأخرى من قبل علماء اللغة القدامى، ربما لأنه يفصـم عـرى المادة اللغوية الواحدة ويفرق بين مشتقاتها كما رأينا، ويخاف أن يؤدي ذلك إلى الجهـل ببعض هذه المشتقات أو إلى توقف نموها وتكاثرها. ولكن هذا المنهج عاد إلى الظهور في بعض المعاجم العربية الحديثة.

اعتمد بعض اللغويين المعاصرين هذا المنهج فيما وضعوا من معاجم لشعورهم بصعوبة المناهج السابقة الذكر، وخاصة على الناشئين المبتدئين، إذ إن أبسط ما تتطلبه تلك المناهج تجريد الكلمة من الحروف الزائدة، وإرجاع ما قد يحذف أو يتغير من جذورها إلى أصله، وذلك قد يتعذر على الطالب معرفته أو إدراكه، ويصرفه عن الرجوع إلى المعجم أصلا، بينما لا يتطلب هذا المنهج في البحث عن الكلمة سوى صحة نطقها أو سلامة كتابتها، مما ييسر استخدام المعجم ويشجع على الرجوع إليه. وربما شجع على اتخاذ هذا المنهج اعتماده في المعاجم اللغوية الأجنبية، وتزايد دخول المصطلحات الأجنبية في العربية مع الاضطرار إلى إدراج هذه المصطلحات في المعجم العربي كما ترد، أو كما تلفظ في لغاتها الأصلية.

ومن أبرز المعاجم التي اعتمد فيها هذا المنهج: «المرجع» للشيخ عبدالله العلايلي، وقد صدر الجزء الأول منه فقط، ومعجما «الرائد» و«الرائد الصغير» لجبران مسعود، ومعجم «لاروس: المعجم العربي الحديث» لخليل الجر، و«معجم الطلاب» لمحمود إسماعيل صيني وحيمور حسن يوسف، و«القاموس الجديد للطلاب» لعلي بن هادية وآخرين، ثم ثلاثة معاجم صغيرة استلت من «المنجد» للويس معلوف اليسوعي، وهي: «منجد الطلاب» و«المنجد الأبجدى»، و«المنجد الإعدادي». هذا إضافة إلى المعاجم الخاصة بالمصطلحات الحديثة في جميع التخصصات.

تعقيب ونقد

ربما كان من السهل على الدارس أن يتصور من خلال المقارنة بين المناهج الأربعة السابقة الذكر ما في المنهج الصوتي التقليبي من تعقيد، وما يواجه الناشىء أو المثقف العام من صعوبة في استخدام المعجم الموضوع وفق هذا المنهج، لأن هذا المنهج لا يتطلب من الباحث في المعجم الإلمام بأصول التجريد ومعرفة ما انقلب أو تغير أو حذف من أصول الكلمة فحسب، وإنما

يحوجه إلى معرفة الترتيب الصحيح لمخارج الأصوات وتدرج الحروف من حيث العمق، من أجل تحديد الباب الذي توجد فيه الكلمة ومن ثم تحديد مكان هذه الكلمة من بين مجموعة التقاليب التي ترد ضمنها، وهو أمر غير يسير على طالب مبتدىء أو مثقف عام غير متمرس، لا سيما إذا أخذ بعين الاعتبار ما يوجد من اختلاف بين أصحاب معاجم هذا الصنف في ترتيب الأصوات أو الحروف من حيث مخارجها، وما يتبعه من اختلاف في تسلسل الأبواب وتتابع التقاليب في معاجمهم. هذا إضافة إلى وجود الاضطراب في توزيع الأدوات وفي إرجاعها إلى أصولها، والخلط بين الثنائي المضاعف والرباعي، وغير ذلك مما لا حاجة لنا إلى التفصيل فيه[٢٢]. وحسبنا أن نورد ما تحدث به ابن منظور عن صعوبة هذا المنهج وعما تخلل المعاجم التي اعتمدته من اضطراب وتعقيد في مقدمة معجمه «لسان العرب» حيث قال:

«ولم أجد في كتب اللغة أجمل من «تهذيب اللغة»... ولا أكمل من «المحكم»... وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق... غير أن كلا منهما مطلب عسر المهلك، ومنهل وعر المسلك، وكأن واضعه شرع للناس موردا عذبا وجلاهم عنه، وارتاد لهم مرعى مربعاً ومنعهم منه، قد أخر وقدم، وقصد أن يعرب فأعجم. فرق الذهن بين الثنائي والمضاعف والمقلوب، وبدد الفكر باللفيف والمعتل والرباعي والخماسي فضاع المطلوب فأهمل الناس أمرهما. وانصرفوا عنهما، وكادت البلاد لعدم الإقبال عليهما أن تخلو منهما. وليس لذلك سبب إلا سوء الترتيب، وتخليط التفصيل والتبويب»[٢٣].

أما منهج القافية الذي اعتمده ابن منظور السابق الذكر نفسه، واعتمده الجوهري وغيره ممن سبق ذكرهم وذكر معاجمهم فهو بلاشك أقل صعوبة من المنهج الصوتي، والمعاجم التي وضعت على أساسه أكثر فاعلية، ولذلك كانت وماتزال أكثر شيوعا وتداولا من معاجم المنهج الآخر، ولقد كانت هذه المعاجم في فترات مختلفة من الزمن خير معين للشعراء وعشاق السجع من الكتاب[٢٤]، حيث كانت تسهل عليهم تحصيل ما يحتاجون إليه من القوافي

والأسجاع. ولـذلك لاقت ترحيبـا واهتماماً كبيراً منهم. غير أن ذلـك لا يعني أن منهج القافية خال من الصعوبة على عامة طالبي اللغة.

إن صعوبة هذا المنهج لا تتمثل فقـط في اشتراط معرفة التجريد، والتمييز بين الحروف الأصلية والحروف الزائدة في الكلمـة، وإنما تتمثل أيضا في ضرورة تحديد فاء الكلمة ولامها بعد تجريدها، من أجل تحديد الباب والفصل اللذين توجد فيهما هذه الكلمة. وهناك طائفة كبيرة من الكلمات العربية تحذف أواخر أصـولها أو تقلب وتتغير، كما هـو الحال في الكلمات (يـد، دم، ابن، اسـم، شفة، سنة) التي هي في الأصل (يدي، دمي أو دمو، أبو، بنو، سمو، شفو، سنـو)، والكلمات (سماء، بنـاء، وفـاء، دعـاء، قضـاء، وسـامـي، عـالي، داني/ ودنيـا، زكـاة) التـي تعـود أصـولها إلى: (سمـو، بنـي، وفي، دعـو، قضي/ وسمـو علو، دنـو، / ودنـو، زكـو)، كما أن هناك كلمات أخـرى يحدث التغيير أو القلب في أوائل أصولها مثل كلمتي (موقن، موسر) اللتين قلبت الياء فيهما إلى واو، إذ إن أصلهما هـو (يقن، يسر). فـالغالـب المحتمل أن يخطـىء التلميذ أو الطالب غير المتخصص والمثقف العادي في معرفة الحروف المحذوفة أو في تحديد الحروف المقلوبة في مثل هـذه الكلمات، وبالتالي يخطىء في تحديد أماكنها من المعجم.

أما المنهـج الهجائي (الجذري) فبالإضافـة إلى سهولته واختصـاره لخطوات الكشف عـن الكلمة واقتصارهـا على تجريد الكلمات وإرجاعهـا إلى أصولها، فإن هذا المنهج في الواقع أكثر اتفاقا وتناسبا مع طبيعة اللغة العربية من المنهج الهجـائي النطقي، الـذي كان مـن دوافع اعتماده في بعـض المعاجـم العربيـة الحديثة الاقتـداء بمعاجم اللغات الأوروبيـة أو اللغات اللاتينيـة، لأن اللغة العربية كما يقول عبدالصبور شاهين: «لغة اشتقاقية يتلقاها المتعلم جذورا تلد الصيغ، مجردة ومزيدة، وعلى هذا الأساس تتكـون سليقته، فهو ليس مضطرا إلى أن يحفـظ كـل الكلمات ليتمكـن مـن استعمالها كما هـو الحال في اللغـات الـلاتينيـة، بل يكفيـه أن يعـرف قيـاسهـا وانتماءهـا إلى جذورهـا ليمكنـه أن

يستدعيها عند اللزوم إلى لسانه وبيانه»[٢٥]. والمنهج الهجائي الجذري يعين على معرفة القياس ويساعد على إدراك الانتماء، كما يساعد على استدعاء ما ينتمي إلى جذور الكلمة الواحدة من صيغ مختلفة أو على التعرف عليها إن لم تكن معروفة، لأنه يقضي باجتماع الكلمات التي تعود ملكته من زيادتها مستقبلا، تبعاً لما تمليه عليه ظروف الحياة وحاجاتها، تماما كما تزايدت وتناسلت هذه الصيغ أو المشتقات على ألسنة الناس عبر العصور والأزمان السالفة. وهذا على عكس ما يمليه المنهج النطقي الذي يباعد بين مشتقات المادة اللغوية الواحدة ويشتت شملها بين الأبواب والفصول فيشتت ذهن الباحث بينها[٢٦]، ومن ثم يقل اكتسابه منها ويصعب تذكره لها.

يضاف إلى ما سبق ذكره أن المعجم المصنف وفق المنهج النطقي يغلب أن يكون أضخم من المعجم المصنف وفق المنهج الهجائي الجذري، حتى مع الاتفاق في كمية المواد اللغوية التي يشتمل عليها كل من المعجمين، وذلك لما يحدث في المعجم الأول أحيانا من تكرار في ذكر الجذور الأولى للكلمات التي تختلف أوائلها عن أوائل أصولها، أو الإحالة إلى هذه الجذور، بهدف الإشارة إلى الأصل قبل الإعلال أو الإبدال أو الحذف أو الزيادة[٢٧]. ولاشك في أن لضخامة المعجم أثرا سلبيا، إذ تجعله أثقل وزناً وأقل جاذبية.

برغم ما سبق فإن المشكلة القائمة أمام المنهج الهجائي الجذري تكمن في ضمان القدرة على التجريد، ومعرفة القياس في تصريف الأفعال، والإلمام بقواعد الحذف والإبدال والإعلال، وإدراك انتماء المفردات إلى جذورها، ولا يرجح أن يكون ذلك أمرا سهلا في الوقت الراهن على الناشئة العرب في مراحلهم التعليمية المتقدمة فضلا عنهم في مراحلهم الإعدادية أو الابتدائية، لأنهم لم يتعلموا هذه في مراحل دراستهم على النحو المطلوب، وإن كانوا قد تعلموها فهم لم يتعودوا ممارستها كما يجب، ولذلك فإننا نجد كثيراً منهم يحجمون عن استخدام المعاجم الهجائية الجذرية، رغم توافرها وكثرتها، لعجزهم عن تجريد الكلمات وإرجاعها إلى أصولها، أو لعدم تمكنهم من إعادة

الحروف المقلوبة والمبدلة والمحذوفة والمضعفة إلى أوضاعها الأصلية في اللغة كما يتطلب هذا المعجم. وفي المقابل يثنون على معاجم اللغات الأجنبية التي اعتادوا الرجوع إليها، بل يباهون بها معاجم العربية، لأنها لا تحوجهم إلى التجريد والتجذير ولا إلى قلب أو تغيير كما يقولون(٢٨). وهذا قد يدل بلاشك على ضعفهم العام في لغتهم وعلى انجذابهم للغة الأجنبية أو انبهارهم بها، ولكنه يقود مع مرور الزمن إلى المزيد من مجافاة اللغة وهجران معاجمها ومن ثم إلى المزيد من الضعف في هذه اللغة.

ومما يزيد الأمر صعوبة أن هناك كلمات جامدة تلازم صيغة واحدة لا تتعداها ولا تقبل التحول إلى صيغة أخرى، مثل: هبْ، هات، طالما، هلمَّ، شدّما، رجل. فهذه الكلمات قد يتعسر على الناشىء تصور الجمود فيها أو إدراك ما إذا كانت حروفها أصلية أو فيها مزيد يفترض أن يحذف، وبالتالي يحتار في تحديد مواقعها من المعجم. وهناك أيضا كلمات ليس لها أصل معروف، مثل كلمة «محارة مثلا»، وكلمات أخرى جمعها من غير لفظها، مثل كلمة «نساء» جمع امرأة، وكلمة «الناس»، واحدها «إنسان»، وقد يصعب على الناشىء تحديد جذور مثل هذه الكلمات ومن ثم العثور عليها في المعجم. هذا كله بالإضافة إلى وجود كلمات كثيرة متطابقة في أشكالها مختلفة في أصولها، ولذلك فهي ترد في مواقع مختلفة من المعجم الجذري تبعاً لمواقع أصولها، وقد لا يكون من السهل على من لا خبرة له تحديد مواقع هذه الأصول.

«إن نار ينور نوراً ونياراً» أضاء مثلا: نجدها في ن و ر، لأن الفعل واوي، و«نار الثوب ينيره نيراً»: جعل له نيراً نجدها في ن ي ر، لأن الفعل يائي. ونجد تحت «نار» الأولى «أنار» و«انتار» وأولها همزة، و«تنور» وأولها تاء، و«المنار» وأولها ميم، كما نجد تحتها «ناور» بمعنى شاتم، و«النؤور» بمعنى النيلج ودخان الشحم يعالج به الوشم حتى يخضر، و«النوار» بمعنى المرأة النفور من الريبة، و«النَور» بمعنى الزهر الأبيض، و«النورة» بمعنى

السمة وحجر الكلس، و«نوّار» وهو أحد أشهر السنة، و«النور» وهو جيل من الناس، وليست ثمة أي قرابة لغوية بين هذه الكلمات المختلفة التي بعضها دخيل على اللغة العربية ولا بينها وبين الفعل الذي وضعت في بابه، ولا هي مشتقة منه»(٢٩).

يضاف إلى ما سبق أن إيراد المادة مع مشتقاتها ومعانيها المختلفة في معجم المنهج الجذري قد يعيق الناشىء عن الوصول إلى المعنى الذي يبحث عنه أو يشعره بالصعوبة أو بالحاجة إلى بذل الجهد ويدفعه إلى التردد في البحث، لأنه قد يحتاج إلى أن يستعرض كل هذه المشتقات والمعاني حتى يصل إلى اللفظ أو المعنى الذي يفتش عنه. وإذا ماكانت معاني المادة الأصلية متعددة وكانت اشتقاقاتها كثيرة متشعبة أو مختلطة غير مرتبة صرفيا كما هو الحاصل في عدد من المعاجم القديمة والحديثة أيضا فإن الصعوبة تصبح أشد واحتمال التراجع والنفور يكون أكثر.

يقول الشدياق في معرض حديثه عن الزلل والخلل والتخليط والتشويش في معاجم اللغة: «إذا أردت أن تبحث في القاموس مثلا عن (أعرض عنه) لزمك أن تقرأ كل ما ورد في مادة (عرض) من أولها إلى آخرها، فيمر بك أولا: عرّض واعترض وعارض واستعراض، أو العكس، ثم أسماء فقهاء ومحدثين وحيوانات وجبال وأنهار وحصون، قبل أن تصل إلى (أعرض)، وربما لم يكن مستوفى في موضع واحد، فترى في موضع (أعرضه) وفي موضع آخر (أعرض عنه)، وهلم جرا، فإذا رأى المطالع أن المادة تملأ صفحتين أو ثلاثاً، عاد نشاطه ملالاً، و جدّه كلالاً، فربما تصفح المادة كلها واخطأه الغرض»(٣٠).

بناء على ما تقدم ينبغي التسليم بالأمر الواقع، والعمل على إصدار معاجم عربية مرحلية، أو معاجم لغوية خاصة بالناشئة في مراحلهم التعليمية الأولى والإعدادية، تتبع النظام النطقي في ترتيب المفردات اللغوية، إلى جانب المعاجم الهجائية الكبيرة التي تعتمد الأصول وتستند إلى المجردات، ليسهل على من يجهل استخدام المعاجم الأخيرة من الناشئة وغيرهم استخراج ما

يحتاجون كليه من مفردات اللغة، أن يباشر في تعريف الناشئة على قياسات اللغة وتعويدهم تجريد الألفاظ ومعرفة أصولها منذ المراحل الدراسية الأولى، وعلى نحو تدريجي مدروس ليتمكنوا بعد ذلك من استخدام المعجمات اللغوية الهجائية (الجذرية) والاستغناء بها مستقبلا.

إن المنهج النطقي ينطوي بلا شك على فهم وظيفي لطبيعة المعجم كما يعبر بعض الدارسين، ويساير إلى حدٍ ما متطلبات الحياة المعاصرة وظروف الناشئة وما هم عليه من ضعف عام في لغتهم ومن افتقار للصبر على التفتيش والبحث المتعمق، كما يساير ظروف اللغة نفسها وما هي عليه من تطور ومن استقبال مستمر للمصطلحات الأجنبية المختلفة. هذه الظروف التي تفرض في أحيان كثيرة النقل الحرفي للألفاظ والتراكيب اللغوية المقترضة وإدراجها في المعجم الجديد على صورها وأشكالها في لغاتها التي ترد منها. ويساير هذا المنهج كذلك ما ألفه الطلبة، وطلبة العلوم بصورة خاصة في معاجم اللغات الأجنبية السائدة؛ فالناشىء مع هذا المنهج لا يحس بالفرق بين معاجم لغته وهذه المعاجم من حيث الاستخدام، ولايجد حائلا يصده أو يشعره بصعوبة لغته أو صعوبة تحصيل مفرداتها من مصادرها الأساسية.

لا يتردد الناشىء مع هذا المنهج في الكشف عن كلمة (جلمود) لأنه لا يعرف أن أصلها (جلم) أو كلمة (حشاشة) لأنه لا يعرف أن أصلها (حش أو حشش)، أو كلمة (اضمحل) لأنه لا يعرف أن أصلها (ضمح)، أو كلمة (عقابيل)، لأنه لا يعرف أن أصلها(عقب)، أو كلمة (قناة) لأنه لا يعرف أن أصلها (قنو)، أو كلمة (توغل) لأنه لا يعرف أن أصلها (وغل) وهكذا. . . وفق المنهج المذكور سيجد الأول في حرف (الجيم)، والثانية في حرف (الحاء)، والثالثة في حرف (الضاد)، والرابعة في حرف (العين)، والخامسة في حرف (القاف)، والسادسة في حرف (الواو) كل واحدة بحسب ترتيب حروفها، دون مشقة، ودون الحاجة إلى تجريد أي منها لمعرفة أصولها، ولا حاجة إلى قلب أو فك إدغام أو تغيير.

صفات مقترحة لمعجم الناشئة الحديث

١- ليس هناك شك في أن لاعتدال حجم المعجم عموماً وسهولة منهجه وأناقة شكله وجودة إخراجه وطباعته وجمال ونعومة وجلاء ورقه أثرا إيجابيا كبيراً على طالب اللغة سواء كان صغيراً أو كبيراً، فهذه الصفات في المعجم تدفع إلى الرجوع إليه وتشجع على الاستئناس به وعلى استخدامه، كما أن للرسوم والصور الملونة والبيانات والملاحق الموضحة في المعجم سواء كان هذا المعجم عاما أو خاصاً صغيراً أو كبيراً أثراً فعالاً في حفظ المفردات والمعاني المستفادة منه وفي سهولة تذكرها واسترجاعها في الذهن. وقد روعيت هذه الصفات في بعض المعاجم العربية الحديثة بينما أهملت في بعضها الآخر.

٢- على الرغم من أن غالب المعاجم القديمة في اللغة العربية لم يهتم فيها بالإخراج بقدر كاف كسائر المعاجم القديمة في اللغات الأخرى، وكان بعضها صعب المنهج كالمعاجم المتبعة للنظام الصوتي التي سبق الحديث عنها. إلا أن معظم المعاجم العربية الحديثة ظهر بمستوى يتماشى مع ما حصل من تطور في الطباعة والإخراج والتصنيف في العصر الحديث، كما امتاز بسهولة المنهج، غير أن اللغة العربية مازالت تفتقر إلى المعاجم المرحلية التي سبق الحديث عنها وعن أهميتها، كما تفتقر إلى المزيد من المعاجم المتخصصة ومعاجم المترادفات والمتضادات المتطورة من حيث الإخراج والشكل والمنهج أيضا.

٣- مما يفترض في المعجم عامة إحكام ضبط نطق الكلمات وهجائها ورسمها وإملائها ليتمكن مستخدم اللغة من التقاطها على صورتها الصحيحة ومن ثم استخدامها على الوجه السليم.

تعاني بعض المعاجم العربية من سوء في الطباعة أو التصوير أو رداءة الورق، فتظهر فيها الحروف باهتة أو مشبعة بالحبر إلى درجة تختلط أو تتشابه فيها بعض الحروف أو حركات الإعراب والنقط الموضوعة عليها؛ فلا تتميز فيها الدال من الراء ولا الراء من الزاي ولا الصاد من الضاد مثلا، أو تتشابه

فيها الفتحة مع الشدة، أو الياء مع الباء أو الياء مع الكسرة. . . وذلك قد يشكل عقبة أمام الناشىء وأمام من ليس له خبرة أو ممارسة كافية في استخدام المعجم بنحو عام، فيعيقه عن إدراك النطق السليم للكلمات، أو يؤدي به إلى الخلط بينها أو التذبذب والاضطراب والحيرة في فهم معانيها، ومن ثم إلى الخلط بين مدلولاتها والإساءة في استخدامها.

إن من الوظائف الأساسية للمعجم تسجيل طريقة النطق الصحيح للكلمات فإذا لم تكن لدينا معاجم تبين طريقة نطق الكلمات على غرار بعض معاجم اللغات الأجنبية الحية المتقدمة، فلا أقل من أن تلتزم معاجمنا الحديثة في طبعاتها الجديدة بهجاء الكلمات وإعجامها على نحو بيِّن محدد. إن النقط والأشكال والحركات هي الرموز الصوتية التي «لها قيم محدودة في مقدورها تسجيل النطق، وبهذا يصبح من الضروري الاعتماد على هذه الرموز التي تكفل لنا الوصول إلى هذا الهدف بسهولة ويسر»[٣١]. هذا بالإضافة إلى إبراز الكلمات مع مرادفاتها أو شروحها وتفسيراتها في قوالب متميزة محببة إلى النفوس جلية في الأذهان. ويتطلب كل ذلك بطبيعة الحال أن يُنتقى للمعجم ورق جيد صقيل، لا ينضح فيه الحبر ولا يكشف ظاهره عن باطنه ولا تنفرش الحروف على سطحه. وأن تطبع الكلمات على هذا الورق طباعة سليمة أنيقة تبرز معها الحروف والعلامات بنحو محدد مقبول.

٤- مما يجدر التنبيه عليه في هذا المجال بصورة خاصة حاجة العربية إلى معاجم تهتم بالشواهد التوضيحية، ولا نعني بالشواهد التوضيحية هنا تلك التي دأب المعجميون الأوائل على ذكرها لإثبات وجود الكلمة أو وجود أحد معانيها في لغة العرب أو لاستخلاص تعريف للكلمة أو استنباط قاعدة نحوية أو بلاغية، وإنما نقصد بها تلك الشواهد التي تذكر لتوضح للقارىء معاني الكلمات وطرق استعمالها وتميز بين مدلولاتها الدقيقة وتفرق بين ما قد يبدو متشابها في ذهن هذا القارىء منها.

ولا فرق في أن يكـون الشاهـد التوضيحي جملـة أو عبارة نثـرية أو بيتـاً من الشعر، مقتبسـا أو موضـوعاً من قبـل مؤلف المعجـم نفسه، منقـولا بنصه أو بروحه، مقتبسا من نصوص مكتوبة أو نصوص منطوقة، مأخوذا من نصوص قديمة أو من نصوص لكتاب أو أدباء معاصرين. المهم أن يكون هذا الشاهد قصيراً لئـلا يصرف القارىء عـن الهدف الأسـاسي، وأن يكـون سهلا فصيـح الألفاظ سليم الصياغة سلس المعنى بحيث لا يشكل صعوبة لغوية جديدة، وأن يكون صافي اللغة نقـي الألفاظ ليزيد من ارتباط القـارىء باللغة الأصل، وبعيداً عن التكلف رشيـق العبارة ليجذبه ويشده، فيأنـس للألفاظ ويتلقنها بيسر، وأن يكون كذلك ثري المعنى ليضيف إلى الفائدة اللغوية فائدة فكرية أو ثقـافية، وأخيرا ألا يكـون بعيدا في مضمـونه عـن محيط النـاشىء أو القـارىء وأجواء حياتـه وعن مستواه العقلي والمعرفي حتـى يمكن من أن يستوعـب هذا المضمون ويتفاعل معه ويدرك ارتباطه به وبواقعه العملي الفعلي.

إن الهدف الأساسي للشاهـد التوضيحي الذي يجدر بـالمؤلف أن يضعه دائما نصب عينيـه هو أن يـوضح معنـى الكلمة أو مـدلولها ويبين طـريقة استعمالها للقارىء، وحبذا لو اجتمع في هذا الشاهد المنفعة اللغوية والمتعة النفسية والتوجيه السلـوكي أو الخلقي السليم والفائدة الفكريـة أو الثقافية في آن واحد.

كثير من الكلمات لا تتضـح معانيهـا بمجرد ذكـر ما يـرادفها أو يفسر معناهـا من الكلمات الأخرى، كما أن هناك ألفـاظا عديدة مشتركـة المعاني وألفاظا أُخـر متشابهات أو مترادفات في معانيها ظاهـرا ومختلفات حقيقة، لأن كلاًّ منها يدل على حالة من حـالات المعنى أو صفة من صفاته أو جزء متميز منه لا يتضـح بالوصف، ولا بـالتفسير المختصر ومثل ذلك كثير في العربية، ولابد لمثـل هذه الألفاظ من ألفاظ أخرى تجاورهـا وعبارات تخلق سياقاً خاصاً يبرز ويميز معانيها.

يقول صموئيل جونسون: «لا يكفي العثور على الكلمة، بل يجب أن تكون متصلة بغيرها، لكي يتبين معناها من فحوى الجملة ومغزاها...»[٣٢]. إن السياق الذي يخلقه الشاهد التوضيحي سواء كان نثراً أو شعراً يعمل على تحديد أو تعيين معنى الكلمة ووصف توزيعها الدلالي، بما يحتويه من قرائن لفظية أو معنوية مختلفة. ومن هنا جاءت ضرورة استخدام الشواهد التوضيحية في معاجم الناشئة أو المعجمات المرحلية بصورة خاصة وفي المعجمات اللغوية العامة التي يحتاج إليها القراء بنحو عام. ويمكن أن يكون معجم الطلاب السابق الذكر، والذي ألفه كل من الدكتور صيني وحيمور حسن يوسف، ومعجم الأطفال Children Dictionary الذي أخرجته شركة هوتن مفلن Houghton Mifflin Company مثالا لمعاجم الناشئة التي تستخدم الشواهد التوضيحية المناسبة، وإن كان المعجم الأخير كبير الحجم ثقيلاً نوعاً ما بالنسبة للأطفال في مراحل تعليمهم الابتدائي.

اهتم المعجم العربي الأساسي الذي وضعته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم اهتماماً ظاهراً بالشواهد التوضيحية أو الأمثلة السياقية التي توضح أو تشرح معاني الكلمات والتراكيب والصيغ اللغوية وتبين استعمالاتها بلغة معاصرة في الغالب، غير أن هذا المعجم لا يلائم الناشئين في كل مراحل تعليمهم وبجميع مستوياتهم العقلية واللغوية، لضخامة حجمه وسعة محتواه، ولصعوبة منهجه بالنسبة لغير المتقدمين منهم.

لهذا المعجم ـ كما هو مصرح في مقدمته[٣٣] ـ سمة موسوعية، ويتصف بالإحاطة والشمول: «قد وسعت مادته كثيراً من مجالات المعرفة كالدين والآداب والعلوم والفنون والأعلام»، وبذلك أصبح يضم طائفة كبيرة من أسماء الأعلام، كأسماء القارات والبلدان والمدن والأنهار وأسماء النابغين في التاريخ العربي من خلفاء وقادة وفقهاء وعلماء وشعراء وأدباء وفنانين... إلخ، هذا بالإضافة إلى أنه زود بمعلومات عن النظام الصرفي في اللغة العربية وقواعد

الإملاء وعن اللغة العربية وطرائق تنميتها . . وهذه الصفات جعلت هذا المعجم غزير المادة، واسع المداخل، كبير الحجم، ثقيل الوزن. وكل ذلك ربما ينفر الناشىء أو يهيبه، فيستثقل حمل المعجم ويستصعب استعماله . إن هذه السمات لا تعيب هذا المعجم ولا تنتقص من قيمته ولا تتناقض مع الأهداف التي سعى إليها، لأنه لم يوضع أساساً للناشئة العرب في مراحلهم التعليمية المختلفة، وإن كان صالحاً للناشئين في مراحلهم الجامعية أو المتقدمة عامة، وإنما وضع في الأساس كما هو منصوص في مقدمته أيضا : «للناطقين بغير العربية ممن بلغوا مستوى متوسطاً أو متقدماً في دراستها، وللمدرسين منهم وللطلبة الجامعيين من غير العرب خاصة، في أقسام الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الأجنبية والمثقفين منهم بصفة عامة»(٣٤) . وإذن فقد خصص هذا المعجم في الأساس لطوائف من الدارسين أو المثقفين تطيق حمله ويتسع صدرها لاستعماله .

علاوة على ماذكر فإن هذا المعجم اعتمد النظام الجذري الذي يحوج الدارس إلى تجريد الكلمات وإرجاعها إلى أصولها، وإعادة الحروف المقلوبة والمحذوفة والمضعفة إلى أوضاعها الأصلية في اللغة، ومعرفة ذلك قد تصعب على كثير من الدارسين فضلا عن الناشئة في مراحل تعليمهم الإعدادي. وبناء على هذا فإن من المتوقع أن يجد الناشىء في مثل هذه المراحل صعوبة في اسخدام هذا المعجم أو في استخراج كثير مما يغمض عليه من معاني الكلمات منه .

٥- ومن جملة الأمور التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار في صناعة المعجمات العربية وخاصة معجمات الطلاب التي يفترض أن تشارك في إغناء الحصيلة اللغوية اللفظية للناشئة سهولة تعريف الكلمات وبساطة شرحها، لكي يستطيع الناشىء إدراك مدلولات هذه الكلمات من غير عناء، ومن دون وقوع في اللبس أو الاضطراب. فمن المعاجم اللغوية ما تعرف أو تفسر فيها بعض

الكلمات أحياناً بكلمات أخرى أكثر إبهاماً أو غموضاً، ومنها ما تفسر فيه الكلمات بذكر عدد كبير من المترادفات أو مجموعة من العبارات، مما يؤدي بالقارىء إلى الحيرة والتردد في الاختيار، لعدم معرفته بما يلائم سياق الكلام الذي يقرأه أو يسمعه، ومن ثم يؤدي به إلى النفور من استخدام المعجم. إن الشرح كما يقول الدكتور «جونسن» في مقدمة معجمه «يتطلب استعمال مفردات أقل إبهاما من الكلمة المراد شرحها، وهذا النوع من المفردات لا يمكن العثور عليه بسهولة دائما. . .»[٣٥]، كما أن تحديد معنى الكلمة وتسهيل عملية إدراك وتمييز مدلولها المراد يتطلب تقليل المفردات المستخدمة في الشرح والتعريف إلى أدنى حد ممكن أو الاكتفاء بالمألوف أو المستخدم منها وترك النادر أو الشاذ الغريب.

٦- لقد أشير فيما سبق إلى أهمية الصور والألوان والخطوط أو ما يسمى عموما بالشواهد الصورية في توضيح معاني الكلمات، سواء استخدمت هذه الشواهد في المعجمات اللغوية أو في المقررات والكتب الدراسية. والشواهد الصورية يمكن أن تكون أشخاصا وأماكن وأشياء منظورة، كما يمكن أن تكون أرقاما وأشكالاً هندسية وخطوطا ورسوماً بيانية وخرائط ووسائل إيضاح أخرى، ترفق بالتوضيحات اللفظية لتزيدها بيانا وتساعد على فهمها واستيعابها.

لقد استعملت الشواهد الصورية في المعجمات أو كتب اللغة الحديثة منذ عام١٦٥٧م حين أصدر «جون أموس كومنيس» Comenius كتابه الثنائي اللغة، العالم مصوراً Orbis Pictus[٣٦]. وزاد الاهتمام بالشواهد الصورية في الوقت الحاضر وتطور استخدامها مع تطور وسائل الطباعة والتصوير، وعم استخدامها حتى شمل الكثير من أنواع المعجمات اللغوية والموسوعات العلمية والثقافية، والمعجمات والموسوعات العربية من جملتها.

إن للشواهد الصورية أثراً كبيراً ملحوظاً في توضيح معاني المفردات اللغوية وفي تحديد وتمييز هذه المعاني أو في تعزيز توضيحها وتحديدها الذي يتم عن طريق الألفاظ، وأخيرا في إسراع القارىء إلى إدراكها وتعميق فهمه لها. كما أن للشواهد الصورية أثرها في تثبيت الألفاظ مقترنة بمعانيها في ذهن القارىء، وفي ربطها في ذاكرته، وفي سرعة استحضارها واسترجاعها من هذه الذاكرة. إذ إن القارىء عندما ترد الكلمة التي اطلع على معناها في المعجم موضحاً بالألفاظ مجسداً بالصورة أو مقرباً بالرسم يسترجع خياله في كثير من الأحيان الصورة التي اقترنت بها في المعجم فيتذكر معناها. هذا إضافة إلى أن هذه الشواهد من شأنها أن تثير ولع القارىء وحب الاستطلاع لديه، وقد تبعث الشرور في نفسه أو تدفع عنه الملل، وبالتالي تزيد من إقباله على المعجم وعلى تعلم اللغة.

على الرغم مما للشواهد الصورية من دور إيجابي في إغناء الحصيلة اللغوية أو تعزيز وتثبيت جانب منها فإن الإفراط منها أو الإكثار منها لا يخلو من سلبيات:

أ- إن الإكثار من الشواهد الصورية أو الإفراط في استخدامها قد يضفي على المعجم صبغة تجارية منفرة أحيانا، إذ قد توحي للقارىء باستغلال اللغة للابتزاز والكسب المادي، وتشعره بنوع من الفضفاضية وضآلة القيمة العلمية للمعجم، أو أن المعجم يتحول من وسيلة لتعليم اللغة إلى وسيلة للترفيه، وقد يشكل ذلك دافعاً نفسياً للانصراف عن المعجم وعن استخدامه.

ب- إن الصور والرسوم التوضيحية الجذابة الجميلة قد تستحوذ على اهتمام القارىء وخاصة الناشىء فينصرف إلى الاستمتاع برؤيتها وينشغل بها عن التعرف على معاني المفردات اللغوية.

جـ- إن الشواهد الصورية الكثيرة عادة ما تزيد من حجم المعجم ومن وزنه، ولا سيما إذا كانت الشواهد الصورية ملونة ومطبوعة على ورق

صقيل يزيد سمكه على سمك الورق العادي كما هو الجاري في بعض المعاجم الحديثة، وهذا قد يؤدي إلى عزوف القارىء ـ وخاصة الناشىء المبتدىء ـ عن تناوله واستخدامه لضخامته وثقله، كما يؤدي إلى زيادة تكاليفه وغلاء سعره، وبالتالي يقلل من تداوله وانتشاره وتحديد فاعليته.

د- هناك احتمال للوقوع في الخطأ أو الإرباك عنداستخدام الشواهد الصورية، كالخطأ في الإشارة إلى معنى دقيق، أو عدم القدرة على الفصل والتمييز بين مفاهيم متشابكة أو ظاهرة التشابه، ولا يخفى أن ذلك قد يوقع الناشىء في اللبس أو الخلط أو الاشتباه في تحديد المعاني وتمييزها، وخاصة تلك المعاني الجزئية الدقيقة منها، كما قد يؤدي إلى تصور مفاهيم خاطئة.

ولتكون الشواهد الصورية نافعة فعالة في تحقيق أهدافها يجب أن تكون في حدود المعقول، أي ألا تجعل من المعجم «ألبوم» صور غرضه التسلية والمتعة، ولا تجعل منه سفراً ثقيلاً ينوء القارىء بحمله ويتباطأ في استخدامه، كما يجب أن تكون الشواهد الصورية موجزة، يقتصر فيها على ما يبرز العناصر الجوهرية ويبتعد عما يمكن أن يصرف عن المعلومات الأساسية، وأن تكون وثيقة الصلة بموضوعاتها أو مدلولاتها، وأن تكون دقيقة واضحة محددة المعامل، تشير إلى المعنى وتبرزه وتميزه على نحو كامل ومفهوم، وتفضي إليه أو تدل ببساطة وسهولة[٣٧].

هذه بعض الصفات التي يمكن أن تعمل على زيادة فاعلية المعجم في إغناء الحصيلة اللغوية اللفظية للناشئة على الأخص، نكتفي بذكرها تاركين التفصيل فيها واستقصاء ما ذكره الدارسون الآخرون من صفات مقترحة لمجال آخر يختص بدراسة المعجم اللغوي. علماً بأن هناك طائفة أخرى من المقترحات المتعلقة بهذا الموضوع مكملة لما ذكر في هذا المجال ذكرت في أثناء

الحديث عن ظاهرة اللفظية وفي الفصل الخاص بدور المدرسة . . . وهناك بلاريب طائفة كبيرة من التوصيات الأخرى، أغنتنا عن ذكرها دراسات سابقة تناولت موضوعات مختلفة تهدف إلى تطوير صناعة المعجم العربي وتعزيز دوره في نشر اللغة والتمكين منها، أو إلى تطوير منهجية المعجم العلمي في استيعاب وتصنيف المصطلحات العلمية الحديثة وألفاظ الحضارة . . . [٣٨] .

ونرجو أن نكون قد وفقنا هنا لطرح ما يمكن أن يشارك تلك الدراسات فيما هدفت إليه، وما يمكن أن يعمل على تطوير معجمات الطلاب وعلى تسهيل نشرها ورواجها بينهم، وعلى تقوية ارتباطهم بها وتشجيعهم على استخدامها، لتتحقق بذلك فائدة المعجم ويبرز دوره كمصدر مهم من مصادر تنمية الحصيلة اللغوية، وفي إعداد الجيل المقبل والحاضر للعطاء الفكري والتطوير الحضاري .





الباب الثالث

وسائل لتنمية الحصيلة اللغوية



الفصل الأول

ممارسة النشاطات اللغوية

لقد سبق القول بأن ذاكرة الإنسان مهما كانت طاقتها وقوتها وسعتها لا تستطيع أن تحتفظ بكل ما يرد إليها أو يودع فيها من معلومات لأمد طويل أو على نحو مستمر. وبناء على ذلك فإن قسطاً وافراً مما يحصل عليه أو يكتسبه الفرد من مفردات وتراكيب ومعان وصيغ لغوية من مصادرها السابقة الذكر لا يبرح أن ينسى مع مرور الزمن ويصبح في عداد المفقود، ما لم يحدث مايبقيه دائم الحضور نشطاً حياً في الذهن، مثله كمثل المعلومات الأخرى المكتسبة. ولا شك أن استمرار هذا النسيان وتزايده يؤدي إلى تضاؤل رصيد الفرد من عناصر لغته.

إن محصولاً لغوياً غائبا عن الذهن صعب الاسترجاع يتعذر استعماله يعتبر كالرصيد المحجور عليه أو كالرصيد الوهمي، مهما كان حجم هذا المحصول أو مقداره ومهما كانت أهميته. لا يكون هذا المحصول رصيداً حراً حقيقياً فعلياً مالم يرفع الحظر عنه ويصبح قيد الاستعمال قابلاً للتناول أو التداول. إن الكلمة المختزنة في الذاكرة، كمثل الكلمة المختزنة في القاموس، والكلمة اللغوية في القاموس هي كما يقول: (أوتو جسبرسن) «كالعملة في البنك، لها قوة التعامل ولكنها لا تمثل تعاملاً بالفعل. أما الكلمة الواقعية أي في الكلام، فهي عملة جارية سيارة، لها نشاطها وقيمتها الواقعية»[1]. وبناء على ذلك كان لابد من إيجاد طريقة تجعل الكلمات المختزنة في الذاكرة عملة جارية سيارة فاعلة وذات قيمة واقعية وإلا كان وجودها كعدمها. لابد من سبيل لتحريك المحصول اللغوي

المكتسب وإبقائه حياً نشطاً ليصبح ثروة فعلية نافذة التأثير صالحة للاستغلال دائمة الفائدة، قابلة للنمو والارتقاء، كمثل الكائن الحي.

ليس هناك طريقة لبعث الحياة أو الحيوية والنشاط في العناصر اللغوية المكتسبة خير من الممارسة الفعلية الدائمة للكلام بمختلف نشاطاته وأشكاله وأوضاعه الممكنة، واستغلال كل الفرص التي تسمح بها الإمكانات الفردية الخاصة وظروف الحياة الاجتماعية لتنفيذ هذه الممارسة، فالكلام «هو المادة التي تتكون منها اللغة»[٢]، وهو الوسيلة التي تحيا بها اللغة ويتأصل ويستمر وجودها.

لاشك في أن استدعاء المعلومات المختزنة في الذاكرة واسترجاعها في الذهن يتوقف على أهمية هذه المعلومات وعلى ما تخلق من آثار في الفكر وما تترك من صدى في النفس، وعلى نوعية ومستوى العلاقة بينها وبين العوامل المثيرة أو ما يسمى في علم النفس بالدلالات أو الإلماعات المرتبطة بها[٣]، ثم على مدى تكرار حدوث أو وجود هذه العوامل والدلالات، وأخيرا على نوعية المعلومات نفسها وطريقة تصنيفها أو تنظيمها وشكل دخولها إلى الذاكرة وطريقة استدعائها منها. غير أن كل المعلومات التي تختزن في الذاكرة مهما كان نوعها وشكلها ومهما كانت قيمتها وطريقة وصولها إلى الذاكرة وطريقة تصنيفها فيها، تبقى طافية أو عائمة في هذه الذاكرة زمنا يطول أو يقصر ثم يميل إلى الانحدار، ومن ثم إلى الركود والترسب، مالم يحدث ما يحركها ويثيرها ويبقيها عائمة أو طافية في الذهن. ومع مرور الزمن تدخل معلومات جديدة فتتداخل معها ثم تزيحها من الذاكرة وتحل محلها، أو يطول الزمن على ترسبها في قاع الذاكرة فتتضاءل آثارها في الذهن أو في النفس شيئاً فشيئاً حتى تذوي وتضمر أو تضمحل[٤]، أو أنها تتكلس تماماً كما تتكلس الرواسب في قاع الحوض.

والمفردات والتراكيب اللغوية التي يتعلمها الإنسان أو يتلقنها أو يتلقاها من أي مصدر كان ــ مثلها مثل أي معلومات أخرى ـ تبقى طافية أو عائمة

في ذهن الإنسان زمناً كما تعوم ذرات المواد القابلة للترسب في حوض الماء، فإن وجد ما يثيرها ويحركها بقيت طافيـة أو عائمة فيسهل تناولها واستعمالها وتصبح كما يقال في التعبير الدارج: على طرف لسان من تلقنها، وإن لم يحصل ما يبقيها طافية عائمة وطال الزمن على هذا الحال مالت إلى الركود، وانحدرت إلى قاع الذاكرة ثم غابت في طياتها إلى درجة يصعب أو يستحيل استرجاعها وحضورها في الذهن مرة أخرى.

إن ما يبقي المعلومات المختزنة في الذاكرة حية حاضرة في الذهن سهلة الاسترجاع هو ممارسة استخدامها بصورة مستمرة، أو محاولة تطبيق ما يمكن تطبيقه منها، إذ إن ذلك يهيىء الارتباط الدائم بين هذه المعلومات وبين الحوافز وبالتالي يساعد على إتقانها وبلورتها وتعلقها وثباتها ونموها في الذاكرة، وهذا ما يجعل الممارسة شرطا أساسياً في التعلم وليس عاملا ثانويا أو حافزاً وعملاً اختياريا[٥]. وإذا كانت هذه أهمية الممارسة بالنسبة للتعلم عامة فهذه الأهمية بلاشك تزداد بالنسبة لتعلم اللغة ــ بكل ما يتعلق بها من قواعد ونظم ومفردات وتراكيب وأساليب، حيث لا توجد وسيلة أخرى فاعلة تبقيها مترابطة الأجزاء والعناصر حاضرة في الذهن أفضل من الممارسة.

يقول (لودفج فتجنشتين) Ludwig Wittgenstein: «إن كل كلمة تبدو في حد ذاتها كما لو كانت شيئاً ميتا. وما الذي يعطيها الحياة؟ إنها تكون شيئاً حياً أثناء استخدامها، فهل دبت فيها الحياة بهذا الشكل أو أن الاستخدام نفسه هو حياتها؟»[٦].

التخاطب والحوار أو (اللغة المحكية)

في أثناء التخاطب أو التحاور ـ وهو لون من ألوان الكلام وطريقة من طرق استخدام اللغة أو ممارستها ـ تزداد نسبة تسميع الكلمات التي تتلقاها الذاكرة، ويزداد ترددها على الذهن، ويتكرر استرجاع مجموعات كبيرة منها ربما لفترات

طويلة ومستمرة، بحسب الفرص المتاحة لهذا التخاطب أو التحاور، وهذا لا يعمل فقط على تمكين الفرد من نطق هذه الكلمات نطقاً سليماً وإدراك ما تنتجه حروفها أو ترتبط به أصواتها من إيقاعات مختلفة التأثير، وإنما يزيد أيضا من ثبات هذه الكلمات في الذاكرة ويسهل على مكتسبها استرجاعها من هذه الذاكرة واستحضارها عند الحاجة إليها دون بطء، مما يؤثر إيجابيا على تطور أو نمو الطلاقة اللغوية لديه.

والتخاطب بطبيعته يستدعي الحاجة المباشرة الملحة والفورية إلى القوالب والتراكيب اللفظية التي تسعف المتحدث أو المتخاطب وتمكنه من التعبير عما يجول في فكره أو يعتلج في نفسه دون تعثر أو توقف أو صعوبة، وهذا في حد ذاته يدفع إلى تحريك الذاكرة وإثارتها أو الإلحاح عليها من أجل الاستدعاء الفوري لما يسد الحاجة من محتوياتها من العناصر اللغوية، وإذا ما استمر وتنوع هذا التخاطب عمل على إبقاء نسبة جيدة مما تحتويه الذاكرة من حصيلة لغوية في حالة تأهب وتحفز ــ إن صح التعبير، أو في حالة حركة وإثارة دائمة وفاعلية مستمرة.

وقد يضطر الفرد في أثناء ممارسة اللغة المحكية حينما لا تسعفه ذاكرته أو لا يسعفه رصيده اللغوي اللفظي بالمفردات اللغوية المطلوبة أوالمناسبة التي يستطيع بها أداء مهمته أو دوره في التعبير، يضطر إلى الاقتراض من محدثه أو محدثيه أو يندفع إلى اكتشاف عناصر لغوية جديدة تمكنه من أداء دوره وتحقيق هدفه، يقول (رومان جاكوبسن) Roman Jakobson : «عندما يتكلم أحدنا إلى متحدث جديد يحاول دائماً، عمدا أو عن غير قصد، أن يكتشف مفردات مشتركة بينه وبين الآخر، فهو يستعمل ألفاظ المخاطب، إما لإرضاء المتحدث أو للتفاهم معه فقط أو للتخلص منه. ذلك أن الملكية الخاصة لا وجود لها في ميدان اللغة: كل شيء مشترك، والتبادل الكلامي، مثله في ذلك كمثل أي شكل من أشكال العلاقة الإنسانية»(٧). ومما لاشك فيه أن كثيراً مما يكتشفه

الفرد المتحدث أو يقترضه من محدثه الآخر من عناصر لغوية يعلق في ذهنه ويثبت في ذاكرته ليشكل إضافات جديدة إلى رصيده اللغوي.

علاوة على ماسبق ذكره فإن ممارسة اللغة المحكية عامة تعتبر كما تقدم القول في فصل سابق أساساً مهماً في معرفة وإدراك معان ومدلولات وظيفية معجمية أو لهجية خاصة أو سياقية إيحائية جديدة للألفاظ التي سبق اكتسابها، كما تعتبر عاملا بالغ الأهمية في تثبيت المعاني والمدلولات التي سبقت معرفتها وسبق ارتباطها بهذه الألفاظ في ذهن مستخدمها، أو في زيادة تحديد هذه المعاني وهذه المدلولات، فقد تختلف الكلمات في صورها وإيحاءات حروفها المكتوبة عن صورها وإيحاءات أصواتها المنطوقة وتختلف في كيفيتها الموضحة في المعجم عن كيفيتها أو كيفياتها المتعددة في الاستخدام، فتساعد ممارسة اللغة المحكية على تحديد هذه الاختلافات وعلى التمييز والتفريق بينها، وتعين على معرفة المواقف والمجالات والكيفيات المختلفة لاستعمالها.

إن الفرد قد يكتسب من خلال علاقات واتصالات اجتماعية أو قراءات سابقة ألفاظاً بمدلولات معينة، وربما تكون هذه المدلولات المكتسبة متعددة ومختلفة، غير أن معاني الألفاظ بطبيعتها تتغير وتتطور، وقد تتغير مدلولات بعض الألفاظ التي سبق للمرء معرفتها، أو تكتسب هذه الألفاظ مع مرور الزمن وكثرة الاستخدام مدلولات جديدة تضاف إلى المدلولات القديمة، إذ «ليس للكلمة الواحدة معنى واحد ولا استخدام واحد وإنما تقوم الكلمة الواحدة باستخدامات لا حصر لها»(٨). و«ليس للغة حساب منطقي دقيق لكل كلمة معنى محدد ولكل جملة معنى محدد بحيث يمكن الانتقال من جملة ما إلى ما يلزم عنها من جمل حسب قواعد الاستدلال المنطقي، لكن الكلمة الواحدة تتعدد معانيها بتعدد استخدامنا لها في الحياة اليومية، وتعدد معاني الجملة الواحدة حسب السياق الذي تذكر فيه، وإن الكلمة مطاطة تتسع استخداماتها أو تضيق حسب الظروف والحاجات، وإن اللغة ليست كرجل

صارم يعرف دائما ماذا يريد ويفعل دائما طبقا لقاعدة محددة، وإنما هي كرجل فضفاض متفائل له نشاط متعدد يتلاعب بما لديه من دون صرامة أو خطة محكمة»[٩] . وهكذا فعن طريق الاستخدام المستمر وممارسة اللغة المحكية يتابع هذا النشاط الدائم للغة ويتعرف على ما يتغير أو يتطور أو يتجدد من معاني الألفاظ أو مدلولاتها المختلفة .

مهما كانت سعة المعجم، ومهما بلغ استيعابه لألفاظ اللغة ومعانيها لا يمكن أن يحيط بهذا الزخم الهائل من طاقات اللغة فيستوعب ويوضح جميع المعاني التي يمكن أن تحملها أو توحي بها ألفاظها، ويتتبع جميع مدلولات كلماتها التي تصخب وتتوالد وتتغير مع مرور الزمن دون توقف «إن المعجم عادة يقنع بتسجيل المعاني العامة، مهملا في أكثر الأحايين تلك الظلال المعنوية الكثيرة التي قد تفيدها الكلمة في السياقات المختلفة للكلام. هذه المعاني الأخرى إنما يتم إدراكها إدراكا دقيقا في الكلام المنطوق في المواقف اللغوية الحية»[١٠] .

للخواص الصوتية في الكلام المنطوق أثرها الكبير في تشكيل معاني الكلمات وفي تنوع وتفرع هذه المعاني وفي الكشف عنها وتمييزها وتحديدها أيضا، فبالإمكان أن يصبح للعبارة الواحدة عدة معان أو عدة إيحاءات وأن تكون للكلمة الواحدة دلالات مختلفة بسبب النبر والنمط الصوتي الذي تنطق به، أو بسبب الموقف الذي تلفظ فيه أو الإيقاع الذي نتج عن تجاورها مع كلمة أخرى في الجملة .

إن عبارة (يا إلهي) مثلا يمكن أن تفيد التحسر، كما يمكن أن تفيد التوجع والتألم أو التأفف والتضجر أو تعني مجرد الالتجاء إلى الله، «وذلك مرده إلى التلوين الموسيقي الذين يصاحبها والذي يأتي موائما لظروف الكلام في الوقت نفسه. والنتيجة الحتمية لهذا التلوين الذي يتتبع اختلاف المعنى من حالة إلى أخرى هي أن تصبح هذه العبارة عددا من العبارات ذات السمات الصوتية والنحوية المختلفة، بالرغم من اتفاقها في مكوناتها الصرفية. . . وفي الجملة

(أنا لم أعرف هذا الرجل) مثلا يقـع النبر القوي على الفعل واسم الإشارة الذي يليه. ولكن قد يحدث أن تتغير مواقع هـذا النبر أو تتغير درجة قوته، بحسب الحالة المعينة والمعنى المطلوب، ويطبق هذا النهج خاصة إذا كان القصد تأكيد صيغة من الصيغ على وجه يفيد التباين والتخالف contrast، فقد ينتقل هذا النبر القوي إلى الضمير (أنا) أو إلى أداة النفي (لم)، على حين تقـل درجة القوة في الكلمات المصاحبـة لهاتين الصيغتين، والحصيلة النـاتجة عن هـذا التوزيـع للنبر تتمثل في إبراز معان مختلفة للجملة»[١١].

هذه المعاني المختلفة المتعددة التي تتـوارد على الجملة الواحدة أو على كلمة معينـة في هـذه الجملـة نتيجـة لاختـلاف الصـوت أو قـوة النبر أو ضعفـه أو اختلاف ظروف الكـلام والمواقف الانفعاليـة التي تصحبــه أو تبعـث عليــه لا يسجلها المعجـم ولا تستوفيهـا الحروف المكتوبـة، «لأن اللغة المتكلمـة من التعقيـد بحيث تشتمـل على أكـداس من تفـاصيـل الشـدة والتنغيم والنطـق الفجائي، مما لايستطيع الرسم تصـويرها مهما بلغ من درجات الكمال»[١٢]. هذه المعـاني لا يمكن اكتشافهـا أو الكشف عن تفـاصيلها ودقائقهـا وربطها بألفاظها في ذهن مكتسب اللغة أو مستخدمهـا ربطاً وثيقاً دقيقاً إلا عن طريق التخاطب الفعلي المباشر.

كثير من الكلمات التي تكتسب قد لا تستـوعب مفاهيمها أو لا تتحدد معانيهـا في الذهـن على نحو دقيـق إلا عند ممـارستها في الكـلام المحكي، لاسيما إذا كانت هذه المفـاهيم أو المعاني عاطفية أو عقلية. ونتيجـة لذلك فإن هـذه الكلمات تبقى عالقة في الـذهن دون معان، أو بمعان غـائمة أو ملتبسـة بعيدة عـن التصور، لـذلـك فهي محتـاجـة إلى ما يجسـد معانيهـا الحقيقية على نحو دقيق، وإلى ما يكشف عن طاقاتها الكامنة في أصواتها، عن طريق ربطهـا بالمواقف الانفعالية أو التصرفات الحركيـة العقلانية وعن طريق وضعها في سياقاتها المناسبة.

لا يتحقق الكشف عن معاني الكلمات وعن طاقاتها الإيحائية بمجرد حفظها واختزانها في الذاكرة، بل لا تكشف هذه الكلمات عن كل معانيها ولا تحددها بنحو ثابت دقيق بمجرد استخدامها في سياقات مكتوبة محدودة، وبناء على ذلك فإن المعجم، حتى لو كان معجماً سياقياً لا يعين على الكشف عنه هذه المعاني ولا على تحديدها بصورة قطعية ثابتة وتامة، وحتى لو استطاع تصوير أو تقريب بعضها فإنه لا يتمكن من استقصائها كلها مهما كانت سعته. «إن معاني الكلمات المخزونة في أذهان المتكلمين والسامعين لا تحظى بالدقة والتحديد إلا حين تضمها التراكيب الحقيقية المنطوقة»(١٣). وليس هذا مقصورا على الكلمات ذات المعاني المتغيرة أو الألفاظ الغنية بالمعاني المجازية أو الإيحائية المختلفة وإنما حتى «الكلمات ذات المعاني المركزية الثابتة إلى حد ما لها هي الأخرى صورة مختلفة في التطبيق والاستعمال»(١٤). هذه الصورة أو الصور المختلفة يدركها السامع من خلال الموقف أو الحدث الذي تستخدم فيه ومن خلال تحليله لهذا الموقف أو هذا الحدث وربط ما ينبثق عنه من عناصر معنوية بالرموز اللغوية المستخدمة فيه ربطاً حياً مباشراً.

«إن مستعمل اللغة لايكتسب المعنى التام لأي كلمة ويستخدمها بدقة إلا عند سماعها بوصفها رمزاً يستخدم في مواقف متنوعة. وقد يختلف معنى كلمة ما اختلافاً كبيراً أو طفيفاً بالنسبة لمستعمل اللغة الواحدة، وحتى بالنسبة لأفراد أو جماعة بشرية صغيرة متوطنة Community. ولتعريف معنى أي كلمة، أي ما ترمز إليه بالنسبة لمستعمل واحد للغة، فإن من الضروري تحليل جميع المواقف التي سمعها فيها واستوعب ما ترمز إليه، ومن ثم استخدامها في نفس المواقف، لكي نستطيع في النهاية عزل الملمح المشترك ومن ثم تحديده»(١٥).

وإذا كان لأصوات الكلمة المنطوقة أو المسموعة أثرها في خلق أو استيحاء معان جديدة للكلمة نفسها وفي تجسيد وتصوير وتحديد معانيها القديمة

المكتسبة وتثبيت هذه المعاني في الذاكرة وجعلها جزءاً من الرصيد اللغوي الفاعل الحي فإن للكلمات في حالة نطقها أو سماعها أيضا الأثر الكبير في استدعاء ألفاظ ومعان أخرى ترتبط بها نوعاً من الارتباط، كما أن لها الأثر الملحوظ في بعث هذه المعاني والألفاظ من مكامنها في طيات الذاكرة وجعلها حاضرة في الذهن حية نشطة جاهزة للاستخدام. إن «الكلمة التي تطفو في الشعور لا تكون كلمة منعزلة، فإنها متى مثلت أمامنا، ولو في صفة واحدة منعزلة من صفاتها مع بقاء صفاتها الأخرى في الظلام، جرت وراءها جحفلا من المعاني والعواطف التي ترتبط بها بعرى دقيقة على استعداد دائم للكشف عن نفسها»(١٦). ولاشك أن في ذلك ما يساعد على تنمية المهارات اللغوية على اختلافها.

ممارسة الكتابة

وإذا كان المجال لا يتسع لدى الفرد أحيانا في حالة التخاطب الشفهي للتداعي اللفظي أو تداعي الأفكار والمعاني إلا بشكل محدود أو ضئيل، بسبب السرعة التي يقتضيها هذا التخاطب أو بسبب سرعة الانتقال من فكرة إلى أخرى أو من موقف شعوري إلى آخر بإرادة من الطرف الثاني الذي يبادل الحديث. فإن الوضع يختلف عند ممارسة الكتابة، ففي حالة الكتابة لا يوجد طرف آخر يفرض إرادته في الإسراع بتغيير الموقف أو تحويل الفكرة وصرف الذهن عما يشغل الفكر، وإنما هناك طرف واحد يتحكم في زمن التخاطب وموضوع التفكير وزمن الإنتاج. فبإمكان هذا الفرد أن يطلق العنان لفكره وخياله فيستدعي ويتذكر ويغوص في طيات الذاكرة في لحظات من التأمل أو التخيل أو الكشف، ومن هنا تكون الفرصة أكبر عند ممارسة الكتابة لتداعي وتوارد التصورات والأفكار والمعاني والألفاظ المعبرة عنها أو المقترنة والمرتبطة بها، كما تكون الفرصة أكبر أيضا لدوران ما يسترجع من الذاكرة ولبقائه طافياً حاضراً في ذهن من يمارس الكتابة،

حتى مع تغير الموقف الفكري أو الشعوري، ولاشك أن لهذا الدوران وهذا الحضور أثره في نمو الطلاقة اللغوية.

في أثناء ممارسة الكتابة يتسع الوقت للتأمل والبحث في الذاكرة ويزداد الإلحاح عليها من أجل العثور على ما يتناسب مع المعنى أو الفكرة المراد التعبير عنها، وهذا ربما يتيح فرصة أوسع لإنعاش عناصر عديدة من الرصيد اللغوي المختزن؛ إن الكاتب هنا لا يرجع إلى ما طفح في ذهنه وطفا على سطح ذاكرته من العناصر اللغوية فحسب، إذ قد لا تغنيه هذه العناصر أو تسد حاجته وتلبي رغبته في التعبير، ولذلك فهو يطيل البحث والتأمل، ويسبر أعماق الذاكرة، لينتقي مما اختزن فيها أو كمن في طياتها من ألفاظ وتراكيب تنقل أفكاره أو أحاسيسه في شكل أدق وأعمق أو أجمل وأرق ما يمكن أن يكون، ولاشك أن مثل هذا البحث يتيح لكثير من العناصر اللغوية المختبئة في طيات الذاكرة أن تطفو على سطح هذه الذاكرة وتسترجع، وربما اصطحبت معها عناصر أخرى وأبقتها ماثلة حاضرة في الذهن معها، فقد سبق القول إن «الكلمة التي تطفو في الشعور لا تكون كلمة منعزلة، فإنها متى مثلت أمامنا، جرت وراءها جحفلا من المعاني والعواطف التي ترتبط بها»، وبذلك فإن ممارسة الكتابة يمكن أن تعمل على انتشال طوائف من المفردات اللغوية من أعماق الذاكرة وبعثها إلى الحياة من جديد أو العمل على إنعاشها وإبقائها جاهزة للاستخدام.

والكتابة المقبولة أو المتعارف عليها في الأوساط الاجتماعية التي تكثر فيها الطبقات المثقفة أو المتعلمة تكون في الغالب باللغة الفصحى المحافظة المبسطة على الأقل، كما هو الحال في أوساط المجتمع العربي من هذا النمط، ولا تستخدم اللغة المحكية العامية أو اللهجة المحلية في الكتابة إلا في الأوساط المتخلفة اجتماعيا وثقافياً، أو الأوساط التي تزيد فيها نسبة الأمية عامة؛ ولذلك فالمفترض عند ممارسة نشاط الكتابة أن يوجه الاستخدام إلى الألفاظ

والتراكيب اللغوية الفصحى الراقية، ويوجه البحث والتنقيب في ذهن أو ذاكرة الكاتب إلى هذه الألفاظ وهذه التراكيب، ومحصلة ذلك أن ممارسة هذا النشاط في معظم الحالات تعني إنعاش الألفاظ والتراكيب والصيغ اللغوية الانتقائية الراقية، والتي يغلب ألا تتيح اللغة المحكية العادية الفرصة لإنعاشها مهما كان مستواها.

ممارسة القراءة

إن ممارسة القراءة تعتبر إلى جانب التخاطب نوعا من الرياضة النفسية، وخاصة في الأوساط المثقفة التي تقرب لغتها من اللغة الفصحى المبسطة، أو تبتعد شيئا ما عن اللغة العامية التي يزيد فيها الانحراف عن الأصل. وتنحصر هذه الرياضة كما يعبر فندريس: «في التوفيق بين الرسم والصوت وفي الجمع في دائرة الإدراك بين التصورات البصرية والتصورات السمعية»(١٧). حيث يدرك الفرد خلال ممارسته لهذا النشاط أن مايراه مكتوبا بالمداد الأسود على الورق الأبيض ليس إلا صور الكلمات التي تسمعها أذنه، وبذلك تتم في ذهنه عملية الربط بين ما يسمع ومايرى وتتجسد في مخيلته ويزداد رسوخها في ذاكرته ويطول بقاؤها وحضورها، وعندئذ يسهل عليه استدعاؤها واستخدامها.

«عندما نسمع حديثاً ما نلاحظ في أغلب الأحيان أن الكلمات تقرع في نفس اللحظة جهازنا البصري بقدر ما تقرع جهازنا السمعي، بمعنى أن الأثر الواقع على المراكز السمعية ينتقل بدوره إلى المراكز البصرية وحينئذ نبصر الكلمات التي تسمعها آذاننا. بل نحن أيضا عندما نتكلم نرى الكلمات التي نلفظها، فتمر أمام عقولنا كأنها مسطورة في كتاب مفتوح. والصورة التي تتخذها على شفاهنا محددة غالباً بالمنظر الذي تظهر فيه أمام عقولنا. لذلك كان من خير الوسائل لتجنب أخطاء النطق أن نرجع إلى صورة الكلمة البصرية التي تصحب دائما صورتها السمعية في أذهاننا.

وكذلك صورة الكلمة البصرية يصحبها عند القراءة إحساس سمعي، فنرانا نعني لأنفسنا جمل الكتاب الذي نقرؤه، وعندما نكتب، نرى قلمنا يتبع الإشارات التي يمليها عليه الصوت الداخلي، فيمكننا أن نقول إنه في أثناء النشاط اللغوي لدى الشخص المتحضر العادي، تشترك صورة اللغة جميعها في العمل»(١٨). وعن طريق هذا الاشتراك تحفر صورة الكلمات في الذاكرة بطابع وشكل أدق وأعمق.

ومثلما تساعد ممارسة اللغة المحكية على تجسيد أو تصحيح نطق بعض الألفاظ التي نطلع عليها مدونة مكتوبة أو على تجسيد وترسيخ معاني هذه الألفاظ في الذهن كذلك تساعد القراءة والاطلاع على الكلمات في صورها البصرية المكتوبة على تصحيح نطق أو هجاء بعض الكلمات التي تسمع أثناء ممارسة التخاطب وعلى تحديد المعاني الوظيفية لهذه الكلمات والتأكد منها أو تعزيز فهمها على حقيقتها.

إن اللغة المنطوقة بعامة مستوياتها زاخرة بالألفاظ حافلة بالمعاني، ولكن هذه اللغة في جميع صورها وأشكالها وبكل عناصرها خاضعة للتأثيرات الفردية والاختلافات اللهجية، تميل دائما إلى الابتعاد عن المثل الأعلى، وكثيرا ما تنحرف عن اللغة الأصلية النقية، فتتعرض الكلمات فيها إلى التغيير والتصحيف والتحريف وتتباين أحيانا معاني مدلولات الألفاظ تبعا لتباين اللهجات والمستويات الاجتماعية. بينما تبقى اللغة المكتوبة في أغلب الأحوال ثابتة، محافظة على أصالتها ونقائها، حيث إن الكلمة «إذا سجلت عندما تخرج من بين حواجز الأسنان، استقرت إلى الأبد كأنها وثيقة إثبات؛ وبعد كل هذا فإن الإنسان يؤخذ بما كتب». فالكتابة بعد أن لم تصبح رباطاً سحرياً، قد بقيت رباطاً على كل حال»(١٩).

وعلى الرغم من أن الكتابة هنا تقتفي في العادة أثر النطق في الأصل، وأن اللغة المتكلمة أساساً هي المنبع الذي استمدت منه اللغة الكتابية، تبقى اللغة

المكتوبة المرجع الثابت الرصين الذي يعتمد عليه الإنسان المتحضر في كبح جماح اللغة المنطوقة التي تخضع للتأثيرات والتغيرات السريعة وتخرج عن الأصل في كثير من الأحيان.

ونتيجة لثبات اللغة المكتوبة واستقرارها النسبي، بالإضافة إلى «انتقال السلسلة الكلامية من المستوى الزمني إلى مستوى الإشارات المكانية» كما يعبر (رومان جاكوبسون): تبقى الكلمات بالنسبة للقارىء موجودة، وهو يستطيع أن يعود من العنصر اللاحق إلى ما سبقه من العناصر»[٢٠]. لا ليصحح ما قد أخطأ في نطقه أو تصوره من هذه العناصر فحسب، وإنما ليدرك ما قد فاته استيعابه أو فهمه أو تذكره منها أيضا يجدد العهد بما نسيه من الألفاظ والمفاهيم، وهكذا تعمل ممارسة القراءة على زيادة فرص استيعاب الفرد لمعاني اللغة وفرص ربط هذه المعاني بألفاظها على نحو وثيق صحيح، كما تعمل على إنعاش العناصر اللغوية التي يكتسبها أو على تعزيز تذكر هذه العناصر.

ورغم ثراء اللغة المحكية وغزارة ما تتسع له من الألفاظ والمعاني والمفاهيم والإيحاءات والإيماءات الصوتية اللغوية، فإن اللغة طبقية متنوعة، تختلف تبعا لاختلاف طبقات المجتمع واختلاف مستوياته وتبعا لاختلاف مواطن فئاته وما تخضع له هذه المواطن من عوامل تؤثر في لغة ساكنيها، فلكل محيط اجتماعي لغة تتناسب معه في مفرداتها وتعبيراتها وطرق نطقها»[٢١]، ونتيجة لذلك فإن ما يكتسبه الفرد من رصيد هذه اللغة من خلال ممارسته لها مرهون بما يتاح له من فرص التنقل بين طبقات مجتمعه والاختلاط بأفراد هذه الطبقات وممارسة اللغة بشكل كاف معهم.

إن محصول الفرد مستخدم اللغة من مفردات لغته المحكية العامة في الغالب محدود بحدود جغرافية وتاريخية معينة، وهي حدود البيئة الزمانية والمكانية التي يمارس هذه اللغة فيها، وبحدود المجموعة البشرية التي يمارسها معها ومدى ما تمتلك هذه المجموعة من موروث لغوي، وما

استطـاعت أن تطور أو تولد من عنـاصر لغوية جديدة، لا يتجاوزها إلا عندما ينتقل إلى بيئة اجتماعية من نفس المجموعة اللغوية لها مستوى لغوي مختلف، بينما يمكنه أن يتجـاوز حدوده الجغرافية والتـاريخية والاجتماعية، فيطلع على اللغة نفسها في مختلف عصورها، ويكتسب الكثير من مفرداتها القـديمـة والحديثة، الأصيلـة والـدخيلـة، الثـابتة والمتغيرة، مـن خـلال ممارستـه للقراءة، دون أن يحتـاج إلى الانتقال مـن محيطه الاجتماعـي الذي يعيش فيـه، لأن المادة المقروءة تدون عادة بـاللغة الفصحى المشتركـة التي يتفق أفـراد الجماعة اللغوية في مختلـف عصورهم ومواطنهـم عليها أو على معظم جوانبها، كما أن بوسعه أن يصـل إلى هذه المادة ويستفيد منها حيث ماكـان، لاسيما في عصرنا الحاضر حيـث المواد المقروءة بمختلـف أشكالها وموضوعاتها متوافرة لمعظم القطاعات الاجتماعية.

وإذا كان للغـة المحكية أثـرها الكبير في إمـداد الفرد بـالألفاظ والتراكيـب المستخدمـة في الحياة العملية الفعليـة بمختلف مدلـولاتها الوظيفية ومعـانيها الانفعالية وإيحاءاتها الصـوتية والإيقاعية وتنميـة محصوله اللغـــوي بهـا، فإن للقراءة أثرهـا الكبير ـ كما سبق القول في فصـل سابق ـ في تنقيـة هذا المحصول وتهذيبه وإغنائه بألفـــاظ اللغة الانتقائيـة التي تصلح للتخاطـب والتواصـل اللغوي بمستواه الفصيح الراقي الذي يحتاج إليه الإنسان المثقف المتحضر.

إن اللغة المحكيـة اليومية بجميـع مستوياتها عادة مـا تكون ـ كما تقـدمت الإشارة ـ عـرضة للتأثيرات الفردية والاجتهـادات الخاصة والتغيرات السريعة، فتتعـرض الكلمات فيها نتيجـة لـذلـك إلى التغيير والتصحيف والتحـريـف، وتتبـايـن مـدلولات كثير مـن ألفـاظهـا تبعـاً لتبـاين المستـويـات الاجتماعيـة واللهجية، إضافـة إلى ذلك فإن هذه اللغـة كثيرا ما تخضع دون كوابـح صارمة للتـأثيرات اللغويـة الخارجية، فتتسـارع إلى الـدخول في صراعـات مع لغـات أجنبية معايشة أو مشاركة أومجاورة، وتتـأثر بها، فتتداخل عباراتها وكلماتها مع

عبارات وكلمات من تلـك اللغات، كما هو الحال في عدد من أقطارنـا العربية التي لها علاقات ثقافية وتجارية وسياسية مع دول أجنبية كدول الخليج العربي، وكما هو الحال في البلدان العربية التي تضم أكثر من قومية غالبا ما تنحرف عن اللغة الأصليـة النقية، وتتغير كثير من عنـاصرها وطرق تكـوين وتركيـب هذه العناصر، بينما تبقى اللغة المكتوبة في أغلب الأحـوال ثابتة محافظة على أصالتها ونقائها. وبذلك فهي تظل المعين الصـافي الذي يمكن أن يستقي منه الإنسان المتحضر عن طريق ممارسة القراءة جل مـا يحتاج إليه من مفردات فصيحة نقية مقبولة في مجال التخاطب المكتوب الـذي أصبح يفرض نفسه في أغلب مجالات حياتنا الحاضرة.

وفي أثناء ممـارسة القـراءة يكون إنعـاش وإنماء المخزون اللغـوي مباشراً وسريعاً، إذ إن القـارىء يحتاج إلى تفسير مـا يمر بـه من عبـارات وألفاظ حاجة ملحة لا يتمكـن معها من التوقف، لأنه محتـاج إلى فهم وإدراك ما يقرأ، وإلى أن تكـون المعلومـات والمعارف أو المعاني التـي يتلقاهـا مترابطة الأجزاء متكاملة العناصر، وبهذا تكون عمليـة التنقيب والبحث في الذاكرة عن معاني ومدلولات المفردات اللغويـة في فاعلية مستمرة وسريعة، إضافة إلى أن صور الألفاظ والعبـارات التي يراها القـارىء تعمل أحيانا كحـوافز ومثيرات وروابط مؤثرة تساعد على انتشال ما قد ركد أوترسب من مدلولاتها أو معانيها في قاع الذاكرة.

علما بأن رؤية الألفـاظ نفسها مصوغة في عبـارات يضاعف من رسـوخها وثباتها مع مدلولاتها في الذهن، وبذلك تـزداد سرعة تصورها واستدعائها عند الحاجة إليها في وقت آخر، وقد تجلـب بعض الألفاظ مرادفاتها أو مضاداتها أو ما يشابههـا في الأصوات أو التراكيب إلى سطح الـذاكرة عن طريـق التداعي، لأن الـذهـن أحيـانـا «يميـل إلى أن يصـل بين الكلمات تبعـاً لشكلهـا الخارجـي»[٢٢]، فعندمـا يمر القارىء مثلا بكلمـة (طِراز) قد يتذكـر كلمة

(نسق) أو (نوع)؛ وعندما يمر بكلمة (يقدم) قد يتذكر كلمة (يحجم)، وحالما يرى كلمة (شباب) ربما تتداعى إلى ذهنه كلمة (شهاب) أو (شعاب). وهكذا بالنسبة للناطق أو الكاتب.

إيحاء الألفاظ بمعانيها خلال الممارسة

ومع أنه من الصعب أن نتصور ما ذهب إليه عباد بن سليمان، وابن جني[٢٣] ومن حذا حذوهما من الباحثين الآخرين[٢٤] من أن هناك صلة بين الألفاظ ومدلولاتها أو بين الأسماء ومسمياتها، وأن اللغة محاكاة لأصوات الطبيعة وما سمي حديثاً بنظرية (البوـ وو) Bow-waw[٢٥]، وذلك لأن اللفظ، كما يقول السيوطي «لو دل بالذات [على معناه] لفهم كل واحد منهم كل اللغات، لعدم اختلاف الدلالات الذاتية، واللازم باطل والملزوم كذلك»[٢٦]. غير أنه يمكن القول بأن هناك كلمات تعبر بأصواتها عن معانيها، أو على الأقل تقرب هذه المعاني إلى الذهن وتوحي بها إليه، فإذا ما سمعها الإنسان عند ممارسته للتخاطب مع الآخرين أو رآها في نص مقروء يتجسد في مخيلته وقع أصواتها مرتبطة بعضها بالبعض الآخر، فيتصور معانيها، كما أنه قد يتوصل إلى معرفة هذه المعاني عن طريق الحدس، لا سيما إذا وردت هذه الكلمات في سياقات ملائمة مهيئة لعملية الحدس، كما يحدث ذلك لكلمات مثل: خرير، حفيف، قهقهة، زقزقة، وشوشة، طقطقة، قضم، شد، مد، فهذه الكلمات قد توحي لناطقها أو لسامعها أو قارئها بمدلولاتها، وإذا ما صح هذا الافتراض أمكن القول بأن الإنسان يستمد أثناء ممارسة التخاطب أو القراءة وبطريق الاستيحاء أو الحدس عدداً كبيراً من المفردات أو معاني هذه المفردات فيزيد بها حصيلته اللغوية سعة و ثراء.

أهمية السياق:

ومع أن سياق الكلام المقروء أو المنطوق أو المكتوب قد يخلق للكلمة قيمة «حضورية» كما يعبر فندريس[٢٧]، فإن المعاني المختلفة للكلمة التي قد تكون

كامنـة في الذهـن ربما تتداعـى وتستحضر أيضا، لأن «الكتـابة تخلـق ماسماه بعض الباحثين لغة (طليقة من السياق)»[٢٨]. ولاشك أن هذه اللغة الطليقة تفسح المجـال واسعاً لعملية التـداعي بـل إنها تحفز على التداعـي في كثير من الأحيـان، ليس تـداعـي الأفكار فحسـب وإنما تـداعي الكلمات المتماثلـة أو المتشابهة في الشكل أو المعنى أيضا. ولاشك أيضا في أن التداعي الذي يمكن أن يحصل في أثناء ممارسة الكتابة أو القراءة أو الحديث الشفهي على هذا النحو من شأنه أن يعمـل على تثبيت وتعزيـز وجود الكلمـة المكتوبـة أو المقروءة أو المنطوقة نفسها أو على اكتشـاف معنى جديد لها وجعلها هي ومـا يستدعى إلى الذاكرة بسببها حاضراً في الذهن مستعداً للظهور جاهزاً للاستعمال.

الممارسة وتنمية الرصيد اللغوي

إن ممـارسة استخـدام المحصول اللغـوي المختزن في الـذاكرة لا تـزيد مـن حيويـة وإنعاش هـذا المحصول وحضوره الـدائم في الذهـن ومن فـاعليته في التعبير فحسب، وإنما تعمل أيضا على تنميته والإسراع في إغنائه، فمن الثابت في علم النفـس أن الخبرات أو المعلومـات القديمـة تساعـد على خفض الفترة الزمنية اللازمة لتعلم مهارات جـديدة أو تلقي معلومات جديدة[٢٩]. وهـذا المبـدأ يتمثل بصـورة أكثر وضـوحاً في تعلـم اللغة وتلقـن مفرداتها وصيغهـا، فالمفـردات المدركة شكلا ومعنـى والمختزنـة في ذاكرة الفرد تعينـه على تصور أو إدراك مفردات أخرى مرتبطـة بها أو مجاورة لها في كلام يقرأه أو يسمعه، إذ إنها تخلق سياقاً معينـاً يعين على إدراك واستيعاب ما لم يوجد في الذاكـرة من قبل، وبالتالي تدخل العناصر الجديدة إلى الذاكـرة بسهولة نتيجة لارتباطها بالعناصر القديمة وقد تطرق فندريس إلى هذه الفكرة بقوله:

«عنـدما نسمـع جملة أو نقـرؤهـا نرى الكلمات التـي تشتمل عليهـا يفسر بعضها بعضا، فـإذا كانت واحدة منها غير مـألوفة لنا ـ والـواقع أن هناك دائما فترة في حيـاتنا نسمـع فيها الكلمـة لأول مرة ــ حاولنـا بطبيعة الحال تفسيرهـا معتمديـن على سياق النـص، وهذه هي الخطـة التي يتبعها التـلاميذ عنـدما

يحاولون ترجمة نص أجنبي، ولكنها تصحح في غالب الأمر، لأن الكلمة تقابلنا بعد ذلك في جمل أخرى مع كلمات غيرها تحدد لنا معناها. وعلى هذا النحو يثبت في الذهن معنى كل كلمة»[٣٠].

إن هذا القول يقرب من قول (فتجنشتين) ضمن تحليلاته للغة حيث يقرر أن معنى الكلمة «يتحدد بناء على الظروف المختلفة التي تستخدم الكلمة في حدودها بالفعل»، وشرح معنى الكلمة «يكون بإظهار كيفية استخدامها»، لذلك دع الألفاظ تعلمك وتوضح لك معناها[٣١] من خلال استخدامها سواء كان هذا الاستخدام مقروءاً أو مسموعا.

ويمكن القول في هذا السياق إنه كلما كانت العناصر القديمة أوفر كان الترابط أكثر ودخول العناصر الجديدة أيسر، وكلما قلت العناصر القديمة قلت نسبة الترابط وصعب التصور وتعثر رسوخ العناصر الجديدة في الذاكرة، لأن توافر العناصر القديمة يؤدي في الغالب إلى زيادة الفرص لإدراك معاني الكلمات الغريبة في سياقاتها الجديدة.

إن ألفاظ اللغة المكتسبة كلما كانت مستمرة الحضور في الذهن كانت عملية اكتساب الألفاظ أو المواد الجديدة أسرع وأكثر إيجابية، حيث تكون عملية تذكر واستيعاب ما يقرأ أو يسمع أسرع، كما تكون عملية اكتساب المفردات والألفاظ الغريبة المجاورة لها المرتبطة بها شكلا أو معنى في سياقاتها القائمة أسرع أيضا. وهكذا فإن المفردات الدائمة الحضور في الذهن تستحث باستمرار مثيلاتها في المعاني أو الأصوات والأشكال إلى الانبعاث والظهور ويزيد بعضها من نسبة فهم وإدراك بعضها الآخر، ويستمر اختمارها وتبلورها في الذهن فتتفرع عنها مدلولات ومعان فرعية جديدة وتتولد من صياغاتها وتراكيبها القديمة صياغات وتراكيب جديدة. ولعل هذا ما كان يقصده الجاحظ من قوله: إن الألفاظ «إذا طال مكثها تناكحت ثم تلاقحت فكانت نتيجتها أكرم نتيجة وثمرتها أكرم ثمرة، لأنها حينئذ تخرج غير مسترقة ولا مختلسة ولا مغتصبة ولا دالة على فقر»[٣٢].

الفصل الثاني

وسائل إجرائية لتنمية الحصيلة اللغوية

إضافة إلى ما سبق الحديث عنه أو الإشارة إليه ضمن بعض الفصول السابقة من وسائل لتنمية الحصيلة اللغوية، هناك وسائل أخرى من شأنها أن تعمل على إنعاش هذه الحصيلة وتنشيطها وزيادة حيويتها في التعبير بالإضافة إلى إغنائها، وخاصة لدى الناشئة الذين تتوافر لديهم فرص التعليم، ويتهيأ لهم الإشراف الواعي المؤهل من لدن الأسرة، ومن أهم هذه الوسائل مايلي(١):

١- **لعبة الكلمات المترادفة**(٢): وهي أن يعطى الناشىء مجموعة من الكلمات متفرقة أو موضوعة في جمل مفيدة جيدة السبك، سليمة التركيب، ثم يطلب منه الإتيان بما يماثلها أو يشابهها في المعنى أو يفسرها من الكلمات أو العبارات، إما عن طريق ملاحظة السياق ثم البحث في مخزون الذاكرة من المفردات اللغوية عن المطلوب، وإما عن طريق البحث والتفتيش في معاجم اللغة المناسبة، وإما عن طريق البحث في الكتب والمقررات الدراسية التي تهتم بشرح وتوضيح معاني المفردات اللغوية، مثل كتب المطالعة وكتب النصوص الأدبية وغيرها من المقررات التي يهتم عادة بتفسير الكلمات وبيان معانيها فيها.

٢- **لعبة الكلمات المتضادة**(٣): وهي أن تعطى للناشىء مفردات لغوية متفرقة أو موضوعة في جمل مفيدة وسياقات مناسبة، ثم تطلب منه معرفة ما يضادها ويناقضها في المعنى، بالبحث عنها على غرار البحث عن المترادفات المذكورة آنفا.

يرجح أن توضع المفردات اللغوية المطلوب إيجاد مرادفاتها أو أضدادها في جمل سهلة جميلة السبك، مشوقة من حيث المضمون، فذلك يساعد

الناشىء على استدعاء ما يناسبها أو يـرتبط بها من ألفاظ مختزنة في ذاكرته، ويترتـب على ذلك حينئـذ أن تعين وتحدد هذه الكلمات، إمـا بأن تكتـب بلـون أو (بنـط) خطـي متميز غير لـون الكلمات الأخـرى المرتبطـة بها (إن كانت موضـوعة في جمل)، وإما أن تكتب بأحرف مضغـوطة أو بارزة. إن ذلك يسـاعد على تثبيتها في ذاكرة النـاشىء ويعين على الإسراع في تذكـرها واستدعائها في حالة احتياجه إليها فيما بعد.

ومما يساعـد أيضا على إنجـاح لعبتي المترادفـات والأضداد ويشجـع على الاستمتاع بهما أو تقبلهما تهيئة معاجم المترادفات ومعـاجم الأضداد التي سبق الحديث عنها، في فصل سابق، ثم إرشاد الناشئة إلى هذه المعاجم وحثهم على استخدامها إن كانوا في مستوى مناسب لذلك(٤).

٣- لعبـة الكلمات ذات المقاطـع المتشابهة في أصـواتها: وهـي أن يعطـى للناشـىء مجموعـة من الكلمات متفـرقة أو موضـوعة في جمل تـامة وسيـاقات مناسبة، ثم يطلب منه البحث عـن ألفاظ مشابهة لها أو قريبة الشبه منها، في الأصوات أو الأشكال أو عدد المقاطع أو الحروف: (فـول، غول ـ نور، طور، ثور، جور ــ جوز لوز ـ فرقع، بـرقع، غربل، سربل ــ صلصال، خلخال ـ مزمار، محفار ـ بارع، فارع، ناجح، عامر...).

٤- لعبة الكلمات التـي تبدأ بحـرف واحد: وهي أن يعطـى الناشـىء مجموعة من الكلمات مختلفة في أصواتها أو حروفها الأولى، ثم يطلب منه أن يأتي بكلمات مماثلة لها من حيث بداياتها (الحرف الأول). ويمكن الاكتفاء في كل جـولة واحـدة من هـذه اللعبة بخمـس أو عشر مفردات، يـأتي بها الناشىء على الصفـة المطلوبة. فتعطى على سبيـل المثال المجموعة التـالية من الكلمات: (فول، جرس، سائق، نحلة، طبق) فيأتي بما يماثل الكلمة الأولى في المبدأ، مثـل: (فول، فـروسية، فلـك، فرح، فـراسة، فجـوة، فلاة، فذّ، فيصـل، فسيلة....)، وبما يماثل الكلمة الثـانية في المستهل

مثل: (جبان، جبل، جعل، جراب، جاهل، جندب. . .) وهكذا يوالي التمثيل للكلمات الباقية.

ويمكن أن تعطى للمتسابقين مجموعة من الكلمات على شكل طوائف أي، طائفة من الأفعال ثم طائفة من الأسماء، وطائفة من الصفات وهكذا. . ويستحب إرشاد المتسابق الناشىء في حالة عجزه عن الإتيان بالمطلوب إلى الرجوع إلى المعاجم المناسبة التي تتبع النظام الهجائي الألفبائي، وهي تمثل الجانب الأكبر من المعاجم سواء في العربية أو في غيرها من لغات العالم على نحو ما تبين في الفصل الخاص بالمعاجم. ويستحسن كذلك أن يطلب من الناشىء أن يضع المفردات اللغوية التي يأتي بها في جمل وسياقات مناسبة بعد أن يفسر له ما يعرف معناه منها.

٥- **لعبة الكلمات المنتهية بقافية واحدة:** ويمكن إجراء هذه اللعبة على غرار اللعبة السابقة، ماعدا أن الكلمات المطلوبة هنا هي الكلمات المنتهية بحرف واحد. مثل: موز، لوز، جوز، جَور، نَور، طور، حور ـ لحم، رحم ـ مهذار، ثرثار ـ جلجل، خلخل. . .

يمكن إجراء هذه اللعبة شفهيا وتحريريا، كما يمكن أن تكون جماعية وفردية، كما هو الحال في عدد من اللعب الأخرى المذكورة، فإذا أجريت على شكل فردي فقد تنفذ بصور مختلفة، مثل:

أ- أن يطلب من الناشىء ـ لاسيما إذا تم تنفيذها شفهيا ـ الإتيان على سبيل المثال بـ: اسم ينتهي بلام، فعل ينتهي بلا، صفة تنتهي بلام وهلم جرا. .

ب- أن يقال له اذكر اسمك منتهيا بلام، لقبك منتهيا بلام، طعاما تحبه منتهيا بلام، مكانا زرته منتهيا بلام، صديقا تصاحبه اسمه منته بلام، أداة تستخدمها اسمها منته بلام. . .

ويحبذ إرجاع الناشىء في هذه اللعبة إلى معاجم القافية مثل كتاب الصحاح للجوهري ومختار الصحاح للرازي، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، وتاج العروس للزبيدي. . . هذا إذا كان قادرا على استخدام مثل هذه المعاجم. أما إذا لم يكن قادرا فحبذا لو يعطى قوائم من الألفاظ مرتبة حسب قوافيها، أو يرشد إلى نصوص مناسبة تشتمل على كلمات متماثلة في نهاياتها، كالنصوص المسجوعة أو المقطوعات الشعرية المقفاة. . .

٦- الكلمات التي يوحد بينها حرف واحد: وهذه اللعبة مشابهة للعبتين السابقتين تقريبا، والشيء الذي يميزها هو أن الحرف الذي تتحد فيه الكلمات هنا لا يشترط أن يكون في بداية الكلمة أو في نهايتها، وإنما يكفي أن تشتمل عليه حروف الكلمة وحسب، فتعطى كلمات مثل: درع، صدغ، مداعبة، فرقد، زمردة، فالحرف المحدد المشترك هنا هو (الدال).

ولزيادة فاعلية هذه اللعبة يمكن مطالبة الناشىء بالإتيان بمعانيها إن كان في استطاعته ذلك، أو توضح له معانيها ليربط بين الألفاظ ومدلولاتها، كما يمكن مطالبته بالمزيد من الكلمات المماثلة لها، أي المتحدة معها في الحرف نفسه.

إن الفائدة المرجوة من اللعب الأربع السابقة هي توجيه الناشىء للربط بين أشكال الكلمات لأن هذا الربط يمكن أن يساعد على تثبيت الكلمات في الذهن، حيث إن إحداها تذكر أحياناً بالأخرى، لأن الذهن كما تبين لنا من قول العالم اللغوي فندريس «يميل إلى أن يصل بين الكلمات تبعا لشكلها الخارجي»،(٥) فإذا ما اقترنت هذه الكلمات بمعانيها تضاعفت الفائدة. إضافة إلى ذلك كله فإن عملية المقارنة والربط من شأنها أن توسع من آفاق الناشىء الذهنية وقدراته الخيالية وتعوده على الربط بين الأشياء وعلى المقارنة بينها، في سبيل العثور على جهات الاختلاف ونواحي الاتفاق، وهذا في حد ذاته عمل فكري وجهد ذهني يدعم تطوره العقلي والثقافي معاً ويزيد

مـن حصيلـة تجاربـه، ولا ينحصر هذا المكسـب في اللعـب الأربـع المذكـورة وحدها وإنما يشمل عدداً من اللعب الأخرى التي سنأتي على ذكرها.

٧- **لعبة الكلمات المتحـدة الموضوع**: وهي أن يطلب من الناشيء الإتيان بمجموعة مـن الكلمات المرتبطة بموضوع أو جنس أو عمـل معين، أو مرتبطة بموقف شعوري أو فكرة أو وظيفة أو جهة محددة، مثل:

أ- كلمات تتعلق بأنـواع الملابس القديمة أو الحديثة، الملابـس المستخدمة في الإطفاء، ملابس الرياضة، الملابس النسـائية أو الرجالية، ملابس الغوص، أو الملابس بصورة عامة.

ب- كلمات تتعلق بأنواع المأكولات مثـل: المأكولات الشعبية أو الفاخرة، الطبخـات القـديمـة، الخضراوات، الفـواكـه، أطعمـة الطيـور، زاد المسافر، أو الأطعمة عامة.

ج- ألفـاظ تتعلق بـأنـواع السيارات أو وسـائل النقـل، أو تـرتبط بمهنـة النجارة أو الفلاحة أو الكتابة أو مهن ووظائف حياتية أخرى.

د- ألفـاظ تـدل على السرور أو الغضـب أو الفـرح، أو الحزن ومـاشـابـه ذلك.

هـ- أسماء صغار الحيوانات أو صغار الطيور، أو ما يطلق على الإنسان في جميع مراحل حياته وما إلى ذلك من موضوعات.

ويمكن أن تطبق لعبـة (القافية) أو الكلمات المتماثلة في أوائل حـروفها، التي سبق الحديـث عنها ضمن هذه اللعبـة أيضا، فتصبح اللعبة مـزدوجة الشكـل وربما كـانت مضـاعفـة الفـائدة أيضـا. ويستعان في هـذه اللعبـة بالمعـاجم الموضوعيـة مثل: كتاب «فقه اللغـة» للثعالبي، المخصـص لابن سيده، «متخير الألفـاظ» لأحمد بن فـارس، «جواهر الألفـاظ» لقدامـة بن جعفـر، كتـاب «الألفـاظ الكتـابية» لعبـد الـرحمن بـن عيسـى الهمـذاني،

«الإفصاح في فقه اللغة» لحسن يوسف موسى وعبدالفتاح الصعيدي، و«الرافد» لأمين ناصرالدين وغيرها من معاجم المعاني التي ذكرت ضمن قائمة ملحقة بالفصل الخاص بالمعاجم اللغوية . .

٨- **لعبة الكلمات الملونة**: وهي أن يعطى الناشىء مجموعة من الكلمات المختلفة المعاني ثم يطلب منه تلوين الكلمات بحسب معانيها أو دلالاتها. فالكلمات الدالة مثلا على الغضب تلون باللون الأحمر، والدالة على الرضا بالأخضر، والدالة على الطعام بالبني، والدالةعلى الزينة بالوردي، والمرتبطة بالبحر باللون الأزرق وهكذا. . ويمكن أن تعطى الكلمات في هذه الحالة على شكل مجموعات بعضها ملون وبعضها الآخر غير ملون يتولى الناشىء تلوينه بحسب المعنى.

وربما تنفذ لعبة الكلمات الملونة بأشكال متعددة. منها على سبيل المثال إعطاء الناشىء قطعة نثرية أو شعرية يقرأها، تلون الكلمات المهمة أو الجديدة فيها بألوان معينة، بحسب الموضوع أو بحسب مايربط بينها من روابط على وجه العموم.

والمهم في استعمال الألوان هنا هو أن تثبت الكلمات الجديدة مع مدلولاتها في ذهن الناشىء عن طريق ارتباطها باللون، أو أن يدرك ما يربط بعضها بالبعض الآخر ليساعد بعضها على تثبيت بعضها الآخر في ذاكرته وعلى حضورها في ذهنه وتسهيل استخدامها عند الحاجة.

٩- **لعبة الكلمات المتشابهة في الشكل أو المضمون**: وهذه اللعبة مشابهة لعدد من اللعب أو العمليات السابق ذكرها، أو أنها في الواقع جامعة بين عدد منها، ويتم إجراء هذه اللعبة على النحو الآتي:

تعطى للناشىء مجموعة من الكلمات ثم يطلب منه أن يأتي بما يرتبط بكل منها من حيث المضمون أو الموضوع أو الصوت أو عدد المقاطع، أو بما يشابهها

في الوزن والنطق والأصوات، مثل كلمة (فـأس) فهي ترتبط بكلمة (منشار) في كونها أداة. وترتبط بكلمة (مسحاة) من حيـث كونها أداة للزراعة أو الفلاحة. وترتبط بكلمـة (كأس) من حيث كـونها شيئا جامدا، وتـرتبط (بكأس ورأس) من حيث الاتفاق في الحرف الأخير وعدد المقاطع، كما تتقارب معهما في النطق وحركات الحروف، وترتبط بكلمة (قدوم) من حيث كونها أداة طرق أو تقطيع، وترتبط بكلمة (بأس) من حيث النطـق ومن حيث المعنى العام وهو المضاء أو الحدة أو القوة. . .

من الممكن تنفيذ اللعب أو العمليات السابقة الذكر بطرق مختلفة، حسب ما يلائم المستوى العقلي والتعليمي للناشىء. ومن هذه الطرق مايلي:

أ- طريقة القوائم، وهـي أن تكتب الكلمات المعطاة في قائمتين منفصلتين على جانبي الورقة أو لوحة الكتابـة (السبورة)ثم يطلب من الناشىء أن يصل بين مـا يراد منه الربـط بينه بخط يـرسمه. فإذا أريد إجـراء لعبة المترادفات مثـلا تكتب مجموعة مـن الكلمات على جانب من الـورقة أو اللـوحة وتكتـب مترادفاتها على الجانـب الآخـر منها، ثـم يطلب مـن الناشـىء أن يرسـم خطوطـا يصل بها الكلمات بما يـرادفها في الجانـب الآخر، وهكذا بالنسبة للعب الأخرى المذكورة.

ب- طريقة الحقوق المتماثلة: وهي أن توضع حقول متشابهة للكلمات المراد الربط بينها في قائمة الكلمات التي تعطى للناشىء، ويمكن استخدام هذه الطريقة في حـالة الربط الموحد وفي حالة الـربط المزدوج أو الربط المتعدد.

فإذا كان الغرض هو الربـط بين الكلمات المترادفة مثلا، فتوضع الكلمة في مربع، ويرسم مربع آخر مماثل فـارغ إلى جانب هذا المربع يطلب من الناشىء اختيار الكلمـة المرادفة لها مـن القائمة المعطـاة ووضعها فيـه، ثم وضـع كلمة أخـرى في دائرة، ورسم دائرة ممـاثلة فـارغة إلى جـانبها يطلـب اختيار الكلمـة

المرادفة لها مـن القائمـة المعطاة ووضعهـا فيها، وهكـذا توضـع كلمة ثـالثة في مثلث، وأخرى في مستطيل.

وإذا كـانت القـائمة المعطـاة للناشـيء تحتوي على مجمـوعة مـن الكلمات المترادفة والكلمات المتضـادة والكلمات المتشابهة في الشكـل على سبيل المثـال، فتتخصص حقول متميزة لكل فئة من هذه الكلمات، فتخصص حقول مربعة الشكـل للمترادفـات، وحقـول مثلثة للمتضـادات وحقـول دائريـة للكلمات المتشابهة في الشكل، ويوضع كل منها على حدة، ثم يطلب من الناشيء ملء الحقول بالكلمات المناسبة بعد إعطائه المعلومات الكافية.

وهذه الطرق قـابلة للتغيير والتفنن، والغرض منها كلهـا التمييز بين فئات الكلمات والعمـل على اتخاذ التماثل الشكلي المنظـور المرسـوم كـوسيلة للـربـط المعنوي المجرد بين الألفاظ.

١٠- **مـلء الفـراغـات**: وذلك بـأن تعطى مجموعـة من الجمـل تتخللها فراغات تحتاج إلى أن تملأ بكلمات معينة لتكتمـل أو تستقيم معانيها. ويمكن في هذه الحالة إعطـاء الناشيء مجموعـة من الكلمات يختار منها مـا يتلاءم مع سياقات الجمل الموضوعة، ويجب أن تكون هذه الكلمات واضحة المعاني أو أن تفسر إن لم تكن واضحة المعاني.

١١- **بناء الجمـل**: وهي أن تعطى للناشـيء كلمات متفرقة أو على شكل مجموعـات وفئات يربـط بينها رابط معنـوي معين، ثم يطلب منـه أن يبني أو يركب جملا تامة المعنى مستقيمة التعبير، سواء من مجموع الكلمات المعطاة، أو يركب جملة أو عددا من الجمل من كل فئة منها.

١٢- **الأبيات الشعريـة المقطعة**: وهذه اللعبة تصلح للكبار وللناشئة ممن هم في مستـوى عقلي وثقافي جيد أو مـراحل تعليمية متقـدمة، وممن يتـذوقون الأدب بصورة أخص، وتنفذ وفق المراحل التالية:

أ- تختار قصيدة أو مقطع من قصيدة من الشعر العمودي القديم (أي الموزون المقفى) مناسبة من حيث مستواها اللغوي والفني لمجموعة المتسابقين وذات موضوع موحد.

ب - يقرأ على المتسابقين مطلع القصيدة أو البيت الأول منها ليتعرفوا من خلاله على قافيتها ورويها ووزنها أو إيقاعها الموسيقي. وقد يكون من المستحسن إعطاء فكرة موجزة عن الموضوع العام للقصيدة، فذلك يساعد الناشيء ـ خاصة إذا كان مستواه الأدبي ضعيفاً أو متواضعاً ـ على إنجاز المطلوب ويشجعه على التحمس للعبة.

جـ - تنثر بقية أبيات هذه القصيدة أو المقطوعة كل بيت على حدة، بشكل تفرق فيه الكلمات وأدوات الربط ويخالف في تسلسلها ونظامها، مع الحفاظ على تسلسل أو تدرج أبيات القصيدة أو المقطوعة، ليساعد الارتباط المعنوي العام على إدراك الارتباط اللفظي في كل بيت ويمنع حصول اليأس من تنفيذ المطلوب. وحبذا لو ترقم أبيات القصيدة المنثورة، وخاصة إذا كانت هذه الأبيات عديدة وكثيرة المقاطع، ليسهل تحديدها والتوجيه إلى ما يمكن أن يحصل من أخطاء المتسابقين فيها.

د - يطلب من كل من المتسابقين إعادة بناء الأبيات على نفس الإيقاع الموسيقي المعلوم وإنهاؤها بنفس القافية المحددة.

ولتوضيح الخطوات السابقة نسوق المثل الآتي:

أعد صياغة الأبيات المنثورة التالية، وهي من قصيدة «المقصورة» للشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري، ومطلعها:

سلام على هضبات العراق   وشطيه والجرف والمنحنى

والأبيات المنثورة (المتفرقة الكلمات) هي:

النخل، الطوال، ذي، على، السعفات، المقتنى، سيد، الشجر، على
الغض، يجتنى، الرطب، العروس، يجتلى، إذ، على كـ، و، وشيْ، إذ
أعذاقه، القني، إيساره، ترف، بـ، بـ، العسر، و، يوم، عند
فوقها، هفا، رنا، سلام، على، عليها، وإليها، قمر
أضواؤه، و، صدرها، الثنى، طياتها تمسح، تدغدغ، و
سنا، ، ما، القمر، في، فلك، المستدير، يسبح، من برج، و
هفا، أذياله، و، تلوذ، إذ بـ، هفت، إذ، دنت دنا، النجوم(٦)

هذه الأبيات كما نرى غنية بالكلمات الجزلة الفصيحة التي لا يكثر تداولها في الكلام أو التعبير العادي مثل: (المقتنى، يجتلى، وشْي، القنى، هفا، الثنى)، فهذه الكلمات وكلمات أخرى تشتمل عليها القصيدة التي أخذ هذا المقطع منها ربما تكون جديدة على الناشىء العربي، بل قد يكون فيها ماهو غريب حتى على طالب في المرحلة الجامعية المتخصص في مجال من مجالات الأدب، لذلك يجدر بالمشرف على اللعبة أن يفسرها ويشرح معانيها. فبعد معرفة الناشىء لمعانيها ومحاولته رصفها في سبيل إعادة صياغة الأبيات تعلق أو يعلق عدد منها في ذهنه، كما يجدر بالمشرف أيضاً أن يختار نصاً آخر، إن وجد في النص الذي اختاره أو في معظم كلمات هذا النص منفرة للناشئة.

يفترض أن تعطى كل فئة من المتسابقين ما يناسب مستواها من القصائد أو الأبيات الشعرية، فالقصيدة السابقة على سبيل المثال ربما لا تناسب إلا ناشئة متقدمين في الدراسة أو الثقافة، فإذا كان مستوى المتسابقين أقل خبرة أو علماً وثقافة من أن يمكنهم من التجاوب أو التفاعل مع القصيدة السابقة وقبول التحدي، فيمكن اختيار قصيدة أو مقطع من قصيدة أخرى كالمقطع التالي الذي اخترناه من قصيدة للشاعر إيليا أبو ماضي من قصيدة بعنوان «وطن النجوم»:

وطـن النجـوم أنـا هـنا ... حـدق.. أتذكر من أنا
ألمحـت في المـاضـي البعـيد ... فتـى غريـراً أرعنا
جـذلان يمرح في حقولـك ... كالنسـيم مدنـدنا
المقتنى المملـوك ملعبـه ... وغـير المقتـنى!
يتسلق الأشجار لا ضجـراً ... يحـس ولا ونـى
ويعـود بالأغصـان يبريها ... سيـوفـا أو قنـا
ويخـوض في وحـل الشتـا ... متهـلـلا متيـمنـا
لا يتـقي شـر العيـون ... لا يخـاف الألسنـا
ولكـم تشيطـن كي يقول ... الناس عنه «تشيطنا»(٧)

فهذا المقطع من القصيدة المذكورة لاشـك أيسر معنى وأبسط بالإضافة إلى كونه أسهل من حيث الإيقاع، حيـث التفعيلة واحدة هي تفعيلة (الكامل)، وهـذا يجعل إعـادة صيـاغـة الأبيات بعـد نثـرهـا أيسر على الناشـىء أو أقـل صعوبـة. وهكذا يمكن اختيار نمـوذج أكثر سهولـة عندما يكون المتسـابقون أضعف لغة وأقل مستوى وقابلية.

١٣- التقفية الشعرية: وهي أن تختار قصيدة أو قطعة من الشعر العمودي (الموزون المقفى) ويقرأ مطلعها ليتعرف المتسابقون على رويها وقافيتها وإيقاعها الموسيقي (وزنها) ثـم تقرأ عليهم أبيـات القصيدة البـاقية واحداً تلـو الآخر أو تكتب لهم دون قواف، ويطلب منهم وضع قوافيها.

ويمكن كتـابة أو إمـلاء الكلمات التي تنتهي بها كـل من الأبيـات المعطاة (القوافي) دون تـرتيب، إذا وجد أن المتسـابقين أقل قـدرة من أن يدركـوا قوافي الأبيـات بـأنفسهـم، كما يحبذ أن تشرح معـاني هـذه الكلمات لهم إن صعـب عليهـم معـرفة معنـاهـا، ثـم يترك اختيار مـا يتنـاسـب منهـا مع كـل بيـت

للمتسابق، وربما أُعطي المتسابقون مجموعة من الكلمات أكثر من عدد القوافي المطلوبة يختارون من مجموعها ما يتناسب مع الأبيات.

إن هذه اللعبة كاللعبة السابقة يفترض أن تجرى بين ناشئة في مستوى ثقافي أو أدبي مناسب كمستوى طلبة الثانوية القسم الأدبي مثلا، لئلا يصاب الناشيء بالإحباط ويميل إلى الفتور فلا يتحقق الهدف منها. ولكن ذلك لا يعني عدم إمكان إجرائها بين ناشئة في مستوى تعليمي أقل إذا كان هؤلاء الناشئة يتمتعون بقابليات لغوية وتعبيرية جيدة يمكن أن تكون مكتسبة من الأسرة أو البيئة المتميزة بثقافة خاصة جيدة أو مكتسبة عن طريق التعلم الذاتي.

للعبتين السابقتين كما هو بين دور كبير في تربية الإحساس الموسيقي والشاعري والذوق الفني عامة لدى الناشئة وفي تنمية ما لديهم من مواهب في نظم الكلام وفي التعبير الأدبي على وجه العموم بالإضافة إلى إغناء أو إنعاش حصائلهم اللغوية والفكرية.

١٤- **كلمات وقرائن**: وهي أن تعطى للناشيء مجموعة من الكلمات الغريبة عليه موضوعة في جمل وسياقات توحي بمعانيها، أو أنها تعطى متفرقة وتصحب بقرائن لفظية أو غير لفظية، كالرسوم والصور والألوان التي توحي، للناشيء أو تجسد وتصور له معانيها، ويطلب منه الإتيان بمعانيها الدقيقة أو الكاملة أو بمرادفاتها. فمثلا تعطى كلمة (صقيع) ويوضع أمامها عبارة (بارد جداً) أو (جامد)، أو ترسم إلى جانبها صورة رجل يتزلق، أو منظر إنسان ملتحف برداء ثقيل سميك أو مرتد معطفا من الفرو أو غير ذلك، مما يوحي بمعنى (جليد). ولزيادة فاعلية هذه اللعبة يعطى له المعنى أو المرادف المطلوب إذا فشل في العثور عليه ثم يطلب منه أن يضعه في جملة تامة.

١٥- **لعبة الكلمات المتقاطعة**: وهي لعبة مسلية مشهورة تفرد لها كثير من المجلات الثقافية والصحف المحلية زوايا خاصة بها، ولهذه اللعبة بالإضافة

إلى كونها مسلية الأثر الكبير في تنمية وإغناء الحصيلة اللغوية والفكرية وفي الرياضة الذهنية لمن يمارسها، شريطة ألا تتجاوز حدود إمكانية المتسابق العقلية فتبعث في نفسه اليأس وتدعوه إلى النفور، وألا تزيد فيها نسبة المقاطع الصوتية الخالية من المعاني، أو الكلمات المبتذلة أو القليلة القيمة من الناحية العلمية أو الثقافية، وأن تكون متنوعة في المعلومات والكلمات والمعاني التي تقدمها، وأن تتناسب مع مستوى غالبية القراء إن كانت في المجلات الثقافية العامة أو في الصحف، وأن تتناسب مع المستوى العقلي والثقافي، ومع مدى الزمن والجهد المتاح لمن تجرى لهم أو بينهم اللعبة، إن أجريت بين فئة خاصة من الناس.

١٦- **مثلث الحروف**: وهو أن يرسم مثلث من مربعات، وتقسم هذه المربعات إلى حقول أو صفوف متوالية يزيد كل منها على الصف الذي قبله بمربع واحد، ثم يوضع حرف واحد في المربع الأول الذي يقع في رأس المثلث وبعدها يطلب من المتسابق إضافة حرف جديد إلى الصف الثاني ليكون مع ما سبقه كلمة، وهكذا يزيد حرفاً في كل صف ليكون كلمات جديدة تعطى معانيها له، ولتوضيح هذه العملية نسوق المثال التالي:

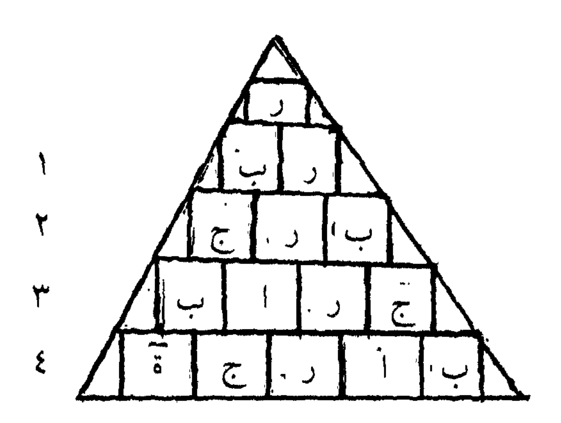
أضف حرفاً واحداً إلى الحرف الذي تراه في رأس المثلث التالي وضعهما في الصف رقم(١) من المثلث ثم أضف حرفاً جديداً لكل صف من الصفوف الثلاثة الأخرى مرتباً الحروف في كل صف كما تشاء لتكون أربع كلمات بالمعاني التالية:

(١) سيد (٢)حصن (٣) وعاء يحفظ فيه الزاد (٤)سفينة حربية.

والحل هو كما يلي:

يضاف الحرف (ب) لتتكون كلمة (ربّ) من الصف رقم١ ــ مع إلغاء التضعيف واعتبار حرف الباء حرفاً واحداً ــ ويضاف الحرف (ج) للحرفين

السـابقين لتتكون كلمة (بـرج) من الصـف رقم٢ . ويضاف حـرف (أ) للحروف الثلاثة السابقة لتتكون كلمة (جراب) من الصف رقم٣. ويضاف حرف (ة-التاء المربوطة) للحروف الأربعة السابقة لتتكون كلمة (بارجة) من الصف رقم٤ .



١٧- الحرف المختـار: ونعني به اختيار مجموعـة من الحروف من عدد من الكلمات لبناء كلمـة جديـدة يعطى مرادفهـا للناشـىء لتسهيل عمليـة البناء ومعرفة الكلمة المطلوبة ، وتجرى هذه اللعبة على الشكل التالي :

(١)- يرسم مربـع مكون عادة من خمسة حقول أو أكثر، طولية الشكل ، (بحسب عدد حروف الكلمة المراد تركيبها) .

(٢) تجزأ كل من هذه الحقول إلى أربعة أجزاء أو أكثر (بحسب عدد حروف الكلمات المراد وضعها في الحقول) .

(٣) ترسم نجمة في واحد من المربعات التي يتكون منها كل حقل .

(٤) ترسـم دائرة أو أي شكل آخـر يحتوي على حيز مـن الفراغ أسفـل كل حقل من الحقول المرسومة .

(٥) تعطى كلمات أو عبارات على عدد الحقول المرسومة .

(٦) يطلب الإتيـان بكلمات ترادفها أو تؤدي معنـاها ، بحيث يكـون عدد حروف كل منهـا مساويا لعدد مربعـات كل حقل وتكون موزعـة عموديا على المربعات .

(٧) يطلب نقل الحرف الذي يقع في مربع النجمة إلى الدائرة الواقعة أسفل كل حقـل ليركب من مجمـوع الحروف الموضوعة أفقيـا في الدوائر كلمة جـديدة يعطى له معناها .

ولتوضيح كيفية إجراء هذه اللعبة نسوق المثل التالي :

اكتـب حروف الكلمات التـي نعطيـك معانيها داخل المربعات الصغيرة في الشكل المرسـوم عموديـاً بالتوالي تحت الأرقـام المخصصة لها ، ثـم انقل الحرف الذي يقع في مـربع النجمة إلى الدائرة المرسـومة أسفل كل عمـود ، لتكون من الحروف الموضوعة في الدوائر أفقياً كلمة معناها (يذبح) والكلمات المنتظر وضع حروفها في المربعات هي على التوالي : يهرع ، قنوط ، دوحة ، جائر.

٤	٣	٢	١
ج	د	ق	ي
أ	و	ن	هـ
ء	ح	و	ر
ر	ة	ط	ع
ر	ح	ن	ي

معاني الكلمات

١ـ يُسرع في المشي
٢ـ يأس
٣ـ شجرة كبيرة
٤ـ ظالم

في كل دور من أدوار هذه اللعبة يمكن أن يستحضر ويثبت المتسابق أو اللاعب في ذاكرته عدداً من الكلمات الجديدة تقابل الكلمات الخمس التي يملأ بها مربعات الحقول، كما يضيف كلمتين جديدتين هما الكلمة التي يركبها ومرادفها الذي يعطي له.

١٨- أنصاف الكلمات: وهي من اللعب أو المسابقات التي اعتادت بعض المجلات إجراءها، وذلك بأن تعطى مجموعة من الكلمات كل منها مشطور إلى قسمين، موضوعين على شكل حروف متفرقة في حقلين منفصلين بشكل غير مرتب، ثم يطلب إعادة تركيب هذه الكلمات بإيصال أنصافها المنفصلة بعضها بالبعض الآخر. . ويمكن إجراء هذه اللعبة أيضا على نحو مختلف، وهو أن تختار كلمات معينة تعطي أنصافها فقط ثم يطلب إكمالها.

١٩- المدينة أو الدولة أو الشخصية المطلوبة: وهو أن تعرف مدينة أو دولة أو شخصية بأن يذكر بعض صفاتها أو معالمها أو جهتها أو أي شيء آخر يميزها، ثم يطلب من اللاعب أو المتسابق ذكر اسمها الحقيقي، وليقرب إليه معرفة الاسم المطلوب وتتضاعف الفائدة من اللعبة أو المسابقة تركب من حروف الاسم المطلوب بعض الكلمات، تعطى للمتسابق معانيها أو عبارات تدل عليها أو توحي بها، ولتوضيح هذه اللعبة نسوق المثل الآتي:

مدينة عراقية أثرية، شيدها المعتصم العباسي، اسمها مكون من ستة حروف

١-٣-٤ يعني الحديث ليلا = (سمر)

١-٤-٥-٦ يعني الرخاء والنعمة = (سراء) هذا هو الحل، ولا يذكر في المسابقة

٤-٣-١ يعني قبر = (رمس)

١-٤ يعني أفرح = (اسر)

٣-٤-٥-٦ يعني الجدل أو المناظرة = (مراء)

ويمكن أن يطلب وضع حروف الاسم المطلوب في حقول خاصة لمستطيل مرسوم، ويمكن أيضا أن تعطى بعض حروف الاسم المطلوب إذا كان الاسم بعيدا أو شديد الغرابة على المتسابق أو اللاعب، كما يمكن أن تزاد الكلمات المركبة من حروفه لتسهيل معرفته أو لزيادة عدد المفردات اللغوية المكتسبة من اللعبة.

٢٠- **السهم الذهبي أو السهم الملون**: وهي لعبة يمكن استخدامها للتعريف بالكلمات الدالة على المعاني الجزئية والموضوعات الجانبية وجهات خاصة في موضوع كلي، وتتلخص اللعبة على النحو التالي.

أ- يعطى اللاعب أو المتسابق صورة لشيء أو لموضوع ما مثل خريطة دولة أو مدينة أو صورة لجسم الإنسان أو لجزء منه أو صورة لجهاز أو لحيوان أو سفينة . . .

ب- يوضع سهم على جزء معين في الصورة، كمدينة في خريطة الدولة، أو منطقة في خريطة المدينة، أو المرفق أو المنكب في جسم الإنسان، أو الصدغ في الوجه، أو السارية في السفينة وهكذا . . . حسب الحاجة وحسب مستوى اللاعب العقلي والثقافي . . .

ج- يطلب استخراج الاسم أو الكلمة التي تدل على موضع السهم، من خلال تركيب طائفة من الكلمات تعطى معانيها وبعض حروفها أحيانا، وتوضع حروفها في حقول من جدول مرسوم يخصص جانب منه عادة لحروف الكلمة المطلوبة. ولتوضيح ذلك نسوق المثل الآتي:



د	ص	و	ي	١
ر	د	ا	ن	٢
م	غ	ر	م	٣

تحت السهم المرسوم في الشكل أعلاه اسم لجزء من وجه الإنسان، تشير له النجمة في الصورة المرفقة، فما هو اسم هذا الجزء؟

يمكنك معرفة هـذا الاسم عندما تضع حروف الكلمات التـي تجد معانيها مرتبـة حسب ترتيـب حقول الجدول المرسـوم في مربعات الجدول المرفـق أفقيا. معاني الكلمات هي على التوالي.

١- يغلق ٢- قليل ٣- مكره على عمل.

الحل هو:

الكلمات المطلوبة هـي: يوصد، نادر، مرغـم، كما أن اسم الجزء المطلوب هو: صدغ.

وواضح أنـه يمكن أن تـزاد حروف الاسـم المطلوب فتـزداد حقول الجدول ويزداد عدد الكلمات الموضوعة في صفوفـه كما يمكن أن تختلف الكلمات عامة في المستوى أو الصعوبة والسهولة بحسب المستوى العقلي والثقافي للمتسابقين أو اللاعبين كما أشير إلى ذلك من قبل.

٢١- رسـوم وكلمات: وتتلخص هـذه اللعبة بأن تعطى رسـوم لأشياء أو مشخصات أو مشـاهد وصور لأشخاص أو حيـوانات أو أماكـن ذات طبيعة خاصة وارتباطات معنوية مثيرة أو حافزة على التعليق وعلى تداعي أو استدعاء الألفاظ، ثـم يطلب ذكر بعـض ما يمكن أن يخطر على بـال كل متسابـق من كلمات أو صيغ وعبارات لغوية تعبر عن ملامح أو صفات أو حركات وأوضاع

في هذه الرسوم والصور، أو ذكر ألفاظ ترتبط بها أو بطبيعتها. ويمكن أن يمثل لذلك بما يلي:

ترسم للمتسابقين صورة رجل فضاء. ثم يترك للمتسابقين المجال للتفكير والربط والتذكر واستدعاء ما يمكن تذكره وتصوره من أسماء أو كلمات ذات معان مرتبطة بهذه الصورة. كأن تذكر كلمات مثل: مركبة، صاروخ، تجربة، بدلة فضاء، قمر صناعي، كوكب، قفاز، خوذة، انطلاق، هوائي، دوران، هبوط، محطة فضائية، رائد فضاء، محرك، كاميرا، راديو، سرعة، شجاعة...

وعلى هذا النحو يمكن أن تعطى صورة أو رسم لشخص أو شيء آخر مثل: امرأة، جندي، غزال، ثعلب، جبل، نخلة، حية، طائرة، وهكذا يمكن أن تتعدد وتتنوع الأشياء وتعطى على حسب ما يلائم مستوى المتسابقين العقلي والثقافي وربما النفسي والمزاجي أيضا.. ويمكن تحديد عدد الكلمات المطلوب ذكرها. كما يمكن عدم التحديد وجعل الفوز لمن يأتي بالعدد الأكثر منها.

٢٢- كلمات ومشتقات: هو أن تعطى للمتسابقين مجموعة من الكلمات ذات المعاني والمدلولات المختلفة، ويطلب منهم إيجاد عدد معين من مشتقات كل منها، أو اشتقاق ما يمكن من الصيغ من الكلمات المعطاة حسب طواعيتها. ويجوز أن يوجه المتسابقون للاستعانة بالمعاجم الهجائية الجذرية المبسطة في هذه اللعبة إذا كانت الفرصة تسمح بذلك، غير أنه يفضل أن يعتمد الناشىء على نفسه وأن يتعود على اشتقاق الصيغ اللفظية من الكلمات وتخيل وتصور فروعها والجذور الأصلية التي تعود إليها، فذلك يغني لغته ويوفر عليه جهدا ووقتا كبيرين في اكتساب الألفاظ، كما يعينه على استخدام المعاجم الهجائية الجذرية من دون صعوبة ويعوده اشتقاق الكلمات من أصولها.

إن معظم اللعب أو العمليات التي سبق ذكرها يمكن أن تجرى في المدرسة أو بين ناشئة الأسرة الواحدة، كما يمكن أن تجرى بشكل جماعي أو فردي

للناشىء، ومع راشد يقوم بالإشراف عليهـا أو يجريها الناشىء مع مجموعة من زملائه وأقرانه، هـذا بالإضافة إلى إمكانية إجـرائها كلها أو معظمها في مجلات الأطفـال، وخاصـة المجلات الـواسعـة الانتشار مثـل: (على مستوى العـالم العربي) مجلة «العـربي الصغير» التي تصدر عن وزارة الإعلام بدولـة الكويت، ومجلة «باسم» التي سبق ذكرها ومجلة «ماجد» وغيرها. . .

ونظرا لانتشـار الحاسب الآلي (الكـومبيوتر)، وسهـولة استخـدامه في مجال التعليم والرياضة الذهنية وأعمال التسليـة بالإضافة إلى رخص ثمنه نسبياً وسهـولة تـوفيره وتطويـر برامجه وانجـذاب الناس إليـه فقد أصبـح بالإمكان أن يتخذ كواسطة لتنفيذ معظـم اللعب والنشاطات السابقة إذا لم يكن كلهـا، فتعد هذه اللعـب والنشاطـات على شكل برامـج متعددة المستويات ومتنوعة الأشكال.

ومن الـواضح أنـه بالإمكان إعـداد نصوص أو مـواد اللعب والنشـاطات السـابقة الـذكر أيضـا على أشرطة آلـة التسجيـل والوسـائل السمعية الأخـرى كالأسطـوانات، بدلا مـن أن يقوم بها إنسـان في كل مرة، كما يمكـن أن تكون طائفة من هذه اللعب أو النشاطـات ضمن برامج مختبرات اللغة أو التلفزيون التعليمـي، وهذا يسهـل عمليـة إجرائهـا أو تكـرار هـذا الإجراء، كما يهيـىء للناشىء فرصا ربما تكون أطـول للتفكير في الحلول أو الإجابات. وربما كانت الأصوات ونطق الكلمات أيضـا أقرب إلى سمعه والصور أقـرب إلى بصره وأشد التصاقـا بأحاسيسه إذا أجـريت هذه اللعب أو النشـاطات بواسطة الـوسائل المذكورة، وكان ذلك في النهاية عاملا مساعدا على زيادة إدراك الناشىء النطق السليم للكلمات وزيادة فهم معانيها علاوة، على كل ذلك فإن اتخاذ الوسائل المذكورة لإجراء هذه اللعب قد يجعل الفرص مهيـأة للناشىء لاختيار ما يرغب فيه وما يجد فيه متعة منها، وفي الوقت الذي يشاء.

رغم كـل ما ذكر فـإن للوسائل أو الأجهـزة المذكورة ومن ضمنهـا الحاسب الآلي سلبيات عـديدة: فهي لا تتيح للنـاشىء فرصة للسـؤال عما لا يفهمه، ولا لمناقشة ما قد يكون له رأي فيه يـود التعبير عنه، كما أن الفرصة قد لا تتوافر

بصـورة كافيـة من خـلالها لإدراك أو إصلاح مـاقد يكـون لدى النـاشيء مـن ضعف أو قصور أو خطأ في النطق أو الفهم والتصور.

من جانب آخر، فإن العمليات السابقـة الذكر إذا ما أجريت في أوقاتها المناسبة ووفق إشراف مـلائم مؤهل، وفي حدود معقولة فـإنها تبعث المتعة في نفس الناشيء وتشجعه على طلب المزيـد، وتتحدى قدراته وتحفزه على البحث وتدفعه إلى إثبات أو إبراز مهاراته، لاسيما إذا كانت هذه اللعب أو العمليات مشتركة بينه وبين عـدد مناسب من أقرانه أو زمـلائه أو إخوانه. إن إجراءها بشكل جماعي يبعث على المنافسة وعلى التحدي والتحفز لإبراز المهـارة و إظهار إمكـانية التفـوق على الآخريـن، وعندمـا تخصص بعـض المكافآت والجوائز المادية أو المعنوية للمتفوقين فيها فإن الباحث يكون أشد والحافز أقـوى، وبذلـك يكون النفـع أعم وأكثـر. ومما يـزيد في إنجـاحها وفعالياتها بالإضافة إلى ماذكر ما يلي:

١ - أن تختار الكلمات أو النصوص التي تعطى للناشيء فيها بتأن وتذوق، و إدراك كامل لفاعليتها وانجذاب الناشـيء إليها، وتفادي تكرارها وتجنب ما قد يؤدي بالناشيء إلى الملل والضجر منها:

٢ - أن تجرى بشكل متـوال، أو بين آونة وأخـرى، وبصورة متـدرجة مـن حيـث المستوى: فيبـدأ في إعطـائها مـن الأبسـط أو الأسهل فما دون ذلـك في البساطة والسهـولة وفي إعطائها بشكل متنـاسب مع مستوى النـاشيء الثقافي والعقلي، ليمكن تفادي ما قد يصيب هذا الناشيء من شعور بالإحباط وعدم القدرة على التحدي أو من اعتقاد بعدم جدواها ومن ثم النفور منها.

٣ - أن تنتقى الكلمات والعبارات التي تشد انتباه الناشيء وتتلاءم مع ذوقه وحاجتـه وترتبط بحيـاته العملية أو التعليميـة وتجعله أكثر اهتمامـاً بها وشعوراً بأهميتها وفاعليتها.

٤ - يحسـن أن تكتـب الكلمات أو العبـارات أو النصـوص التـي تكـون موضـوعا للمسابقـة أو اللعبة بخط واضـح وسليم وجميل وبحـروف بارزة وفي إطار يشـد انتباه النـاشيء ويجذبـه ويساعـد على تثبيت المفـردات اللغويـة في

ذهنه. ومما يعين على تحقيق هذا الهدف وخاصة لدى صغار الناشئة أن ترفق الكلمات بالصور الموضحة أو تربط بأشياء مادية محسوسة تسهل عملية تصورها واستدعائها للذهن فيما بعد.

٥- يجدر أن يكون من يشرف على إجراء المسابقة أو اللعبة مؤهلا، بحيث يستطيع الإجابة على ما يمكن أن يوجه إليه من أسئلة، ويرد على ما يطلب منه من تفسيرات، ويشرح ما قد يغمض معناه على المتسابقين من الكلمات أو العبارات والنصوص المعطاة، كما يفترض أن يكون المشرف سليم النطق، فصيح اللسان، جلي الصوت، جيد النبرات، إذا كانت اللعبة مما يقتضي الإملاء.

٦- تجنب الكلمات الوحشية أو الثقيلة الصعبة النطق والباعثة على الاشمئزاز أو السخرية، لاسيما في المراحل الأولى التي يحتاج فيها الناشىء إلى الاستعداد والإقبال النفسي.

٧- ومما يزيد في إنجاحها أيضا تعويد الناشىء أو تشجيعه على استخدام المعاجم المناسبة. ويتساوى في ذلك المعاجم اللغوية العامة، ومعاجم المترادفات والأضداد والمعاجم الخاصة. ويترتب على ذلك بالطبع تعريف هذا الناشىء على طرق استخدام هذه المعاجم وعلى طرق اشتقاق الكلمات من أصولها، ثم حثه دوماً على استخدام المفردات اللغوية الجديدة التي يكتسبها من خلال مشاركته في الفعاليات المذكورة في حياته اليومية.

وسائل تربوية عامة تساعد على تنمية الرصيد اللغوي

هناك وسائل أو إجراءات أخرى تساعد على تثبيت المفردات اللغوية في ذاكرة الناشىء أو تضاعف من حضور هذه المفردات مع ما ترتبط به من مفاهيم في ذهنه فتساعد بذلك على تذكره إياها عند الحاجة إليها. وهذه الإجراءات يمكن أن تتخذ في المدرسة كجزء من نشاطاتها التعليمية الحرة في دروس اللغة أو الأدب أو البلاغة أو نشاطاتها الثقافية على نحو العموم، كما يمكن أن تقوم بها الأسرة في نطاقها الخاص بين أفرادها أو ناشئتها ومن أهم هذه الوسائل أو الإجراءات مايلي:

١- يختار للناشىء نص أدبي مناسب جيد الأسلوب ثم يطلب منه قراءته واستخراج مافيه من كلمات جديدة وإعادة كتابتها مستقلة عددا من المرات . أو إعادة تركيب هذه الكلمات في جمل من إنشائه، بعد أن تفسر له معانيها أو تشرح إن كان لا يدرك هذه المعاني أو لا يستطيع أن يتوصل إلى فهمها بنفسه .

٢-أن يعطى الناشىء نصا أدبياً جيداً ليقرأه ويضع خطاً تحت كل كلمة جديدة يدرك معناها أو يستوحي مفهومها من خلال السياق، وكل عبارة يتذوقها ويأنس بجرس ألفاظها .

٣- يحث الناشىء على أن يخصص كراساً صغيراً يجمع فيه ما يختاره ويتذوقه خلال قراءاته من كلمات أو عبارات وتراكيب جديدة أو نصوص شعرية ونثرية ممتعة .

٤- أن تعطى بعض النصوص الشعرية المناسبة، توضح للناشىء وتشرح له كلماتها وعباراتها الغامضة ثم يطلب منه إعادة صياغتها في قوالب نثرية .

إن الإجراءات السابقة الذكر من شأنها أن تنمي في الناشىء المهارات الفنية وتربي فيه الإحساس الأدبي وتعوده تذوق الشعر وموسيقاه وصوره، وبذلك تشحذ مواهبه وتصقل ذوقه . بالإضافة إلى فاعليتها في إغناء الرصيد اللغوي وتنمية القدرات التعبيرية .

٥- أن يعود الناشىء تلخيص ما يقرأه من نصوص نثرية، وخاصة الأدبية منها، أو تنتقى له بعض الموضوعات المناسبة الثرية في لغتها ليقوم بتلخيصها .

٦- إقامة حلقات حوار أو مناقشة أو مناظرة، بين أفراد الأسرة أو مجموعة الأطفال في الأسرة الواحدة أو في المدرسة بين مجموعات من التلاميذ المتقاربين في مستوياتهم العقلية والتعليمية، تطرح فيها موضوعات علمية أو ثقافية أو قضايا تهم وتشد مجموع المشتركين في هذه الحلقات وتحثهم على الحديث أو التحاور. ويحسن أن يكون عدد المشتركين في مثل هذه الحلقات غير كثير، لتتاح فرص متكافئة لكل منهم للحديث وطرح الرأي أو التعبير عن الذات .

٧- يشجع النـاشيء على الحديث أو التعليـق شفهيا على ما يقـرأه من مواد أو موضوعات أو ما يسمعه من أساتذته أو ممن هم أوسع منه خبرة من شروح وأقوال وأحـاديث أو ما يشـاهده مـن برامج . إن كثيرا مـن الأطفال مـولعـون بطبيعتهم بـالحديـث عما يـرد إلى أذهـانهم مـن أفكار وخـواطـر ومعلومـات جديدة، ويجدون في الإصغـاء إليهم متعـة كبيرة، ولاشك أن استغلال هذا الميل في الأوقات الملائمة يعود على الناشيء بمنافع كثيرة من أهمها على سبيل الاختصار:

أ- أن الناشيء يعيد ما سمع أو قرأ مـن كلمات وعبارات جديدة، وبذلك يعمل على تثبيت هذه الكلمات في ذاكرته ويزيد من حضورها في ذهنه.

ب- أن مناقشـة الناشيء أو التعليق على مـا يتحدث به وتصحيح أقـواله وتفسير ما قد يلتبـس عليه أو ما يحفظه نطقا دون أن يـدرك معناه من الكلمات والتراكيب يضاعف مما يرد إلى حصيلته اللغـوية من مفردات ومعان . وكثيرا ما يبادر الناشيء بالسؤال عما لا يفهمه مـن كلمات أو عبارات، ولذلك كان من الجدير استغـلال الفرصـة والإجابة عـن أسئلته بقـدر المستطاع . لأن الـدافع يدعوه والمناسبة تدفعه إلى التقاط ما يسمع .

جـ- أن الناشيء سيمارس خلال حديثـه استخدام عدد من المفردات التي اختزنتها ذاكرته من قبل، ويجتهد في استحضـارها واستدعائها من أجل إظهار براعته في التعبير وقدرته على الإفصاح، وبذلك فإنه سينعش أو يحيي جزءا من حصيلته اللغوية المختزنة ويجعله أكثر سلاسة ومرونة في التعبير.

د- إن إعطاءه فـرصة الحديث عما يجول في خـاطره أو يدور في فكـره أو يرد إلى ذهنه من معلومات وأفكار يزيـد من ثقته بنفسه، وهذه الثقة ربما يكون لها أثر إيجابي كبير على طلاقة تعبيره وطلاقة تفكيره معا .

هـ- إعطاء الناشيء الفرص الكـافية لمشاركة الكبار في الحديث في الحدود المعقولة والأوقات المناسبة، والإيحاء إليـه دائما أنه قادر على المشاركة وقادر على إمتاع الآخريـن بأحاديثه وقصصـه، وأنه أهل لأن يبدي بعـض الآراء ويناقش بعض المسائل، كل ذلك له أثر كبير في بعث ثقة الناشيء بنفسه وتهيئة الفرصة

له لاستخدام ما يـرد إلى ذهنه من عبارات ومفردات لغوية، وهـذا بدوره له أثر مهم ودور بارز في تطوير مهاراته في التعبير.

وما يجدر مـراعاتـه في هذا المجـال أن تكون مشـاركة الطفـل أو الناشـىء للراشدين في أحاديثهم في حدود المتعارف المقبول، فلا تتجاوز حدود الأدب، ولا تؤدي إلى تشجيع الناشىء على التطفل والفضول الخارج عن حده أو تدعوه إلى إحراج الكبار(٨).

وسائل تنمية الحصيلة اللغوية اللفظية في مجلات الأطفال العربية:

دأبـت بعض مجلات الأطفـال مثـل مجلة «بـاسم» التـي تصـدرها الشركـة السعودية للأبحـاث والتسويق ومجـلة «الشبل» التي يصدرهـا عبدالرحمن أبن سليمان الرويشد من الرياض، ومجلة «أحمد» التي تصدر عن دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع(٩). دأبت هذه المجلات على إجراء بعض اللعب والفعاليات المذكورة. لاسيما اللعـب أو الفعاليات الخمـس الأخيرة التي ذكـرت في الفصل السابـق ولعب أو مسـابقات أخـرى لم تذكـر مثل: رسـوم وكلمات أو (كلمات وصور) أو (كلمات ورسوم)، و(قراءة الرسوم)، (رحلة صيد)... وهذه اللعب الأخيرة وإن اختلفت في عنـاوينها وأسمائها تلتقـي أو تتحد في المضمـون الذي يتلخص في تذكير الناشىء بالكلمات عن طـريق مدلولاتها المصورة. وليس هنا مجال مناقشة وطرق مجلات الأطفال في إجراء مسـابقاتها الثقافية أو اللغوية، إذ يجدر أن يخصص لذلك بحث مستقل يجرى خلاله مسح كامل ودراسة تحليلية نقـدية وافيـة للمسـابقـات والتمارين اللغـويـة والثقافيـة التـي تطـرحها هـذه المجلات، غير أن هناك بعض الملاحظات على طرق إجراء المسابقات أو اللعب المشار إليها في هذه المجلات يجدر طرحها بشيء من الإيجاز:

١- إن الكلمات أو العبارات تبدو في اللعب أو المسابقـات المذكورة أحيانا غير واضحة، كأن تكتب بحروف صغيرة أو بحـروف مشبعة أكثر من اللازم، فلا يتميـز المتشابه منهـا في الشكل كالـدال والراء، والزاي، والـذال... وقد يبدو بعضها مشوهاً مصحفاً: كأن تبـدو الصاد شبيهة بالضاد، أو الراء كأنها

زاي . . . والأجدر أن تطبع المفردات اللغوية المعطاة بحروف بارزة، وتظهر بصورة جلية واضحة لتنتقل رسوم الكلمات إلى أذهان الناشئة في أشكالها الحقيقية السليمة وإلا تشوهت في أذهانهم واختلطت عليهم معانيها.

٢- لا يفرق في المجلات المذكورة في كثير من الأحيان بين الألف والهمزة أو الألف المهموزة، إذ يطلب على سبيل المثال أخذ (ألف مهموزة) من كلمة (سارية) أو من كلمة (روما) لتركيب كلمة (رأس) أو (رأي)، بينما لا توجد لدينا ـ ألف مهموزة ـ في كلمة (سارية) ولا في كلمة (روما).

٣- لا يفرق بين الحرف المضعف وغير المضعف، فيطلب على نحو المثال أخذ الدال المفردة من كلمة (مدير) لتركيب كلمة (مدّ) وليس في كلمة (مدير) دال مضعفة. ويمكن أخذ الدال من الدال المضعفة على أساس أنهما حرفان مدغمان يؤخذ منها حرف واحد ولكن لا يؤخذ حرفان من حرف واحد.

٤- لا يفرق أيضا بين الألف المقصورة والياء، فيطلب مثلا أخذ الألف المقصورة من كلمة (مأوى) لتركيب كلمة (يوم)، أو أخذ الألف المقصورة نفسها من كلمة (يتداعى) ـ بمعنى يتصدع وينهار لتركيب كلمة (يعادي) ـ بمعنى يخاصم . . .

٥- لا يفرق بين الهاء والتاء المربوطة؛ فيقال مثلا إن الحروف ٧، ١، ٨، ٢ من كلمة (أبو هريرة) تعني (ناسك)، والمقصود كلمة (راهب)، وهنا يقع الناشىء في الاشتباه، لأن التاء المربوطة تختلف عن الهاء، كما أن الهمزة وهي الحرف الأول في (أبوهريرة) تختلف عن الألف في (راهب)، هذا بالإضافة إلى أن هناك اختلافا دقيقا بين الكلمتين، إذ ليس كل ناسك راهبا في المعنى الاصطلاحي.

٦- ترد، أو تطلب في بعض المسابقات المذكورة أحيانا كلمات غامضة المعاني لغرابتها وقلة استعمالها مثل كلمة (أرو=نوع من الشجر)، أو لكونها دخيلة غير مألوفة مثل كلمة (أردواز= حجر صلصالي ذو لون أدكن يضرب إلى الزرقة أو الخضرة) أو كلمات لا معنى لها متعارفا عليه مثل كلمة (مفشكل) . . .

٧- لا يُعنى في الغـالب بوضـع الحركات وعلامـات الإعراب على الحروف أو الكلمات مما يوجد الاشتباه في التمييز بين بعض الكلمات أو يؤدي إلى تلقنها على نحو خاطـىء، فتكتب على سبيل المثال كلمة (أغيّر) بمعنـى (أبَدِّل) من دون شدة على الياء، فيقع الاشتباه بينهـا وبين كلمة (أغير) بمعنى أهجم على العدو وأوقع به.

٨- تُفسر بعـض الكلمات بتفسيرات غير دقيقة أو غير صحيحـة . . . كما تقدم في تفسير كلمة راهب بكلمة ناسك . . .

٩- تُذكـر أو تطلب بعض الكلمات على أنها مرادفـة لكلمات أخرى، بينما هي في الـواقع مختلفة في التأنيـث والتذكير أو في الإفراد والجمـع أو في التركيب والاشتقـاق، رغم تشـابهها في المعنـى العـام: مثل أن يطلـب الإتيان بكلمـة (يلجأ) الفعـل المضارع الذي يدل على التـذكير، مقابل كلمة (تلـوذ) المضارع الدال على فعل المؤنث أو فعل الجماعة.

١٠- يحدث أحيانا تكرار لبعض الكلمات أو نسيان لبعض آخر منها مما له صلة وثيقـة بالإخلال بخطـوات اللعبة: كـأن تنسى كلمة مـن الكلمات التي توضح حـروفها في المربعات في لعبة «الحرف المختـار» (رقم١٧- من الـوسائل أو اللعب المذكورة)، ممـا يؤدي إلى عدم تمكن الـلاعب أو المتسابق مـن معرفة الحروف المكونة للكلمة المطلوب تركيبها بشكل كامل، ومن ثم فشله في معرفة الكلمة المطلوبة.

١١- تحدث أحيانا أخطاء في عدد مـن الإجراءات تسبب تشويها في معاني بعض الكلمات أو في تركيبها وتحدث اضطرابا أو التبـاساً لدى الناشىء؛ كأن يقـال في «لعبة المدينة المطلوبـة» (رقم١٩) مثـلا: إن الحرف الخامس + الحرف الأول + الحرف الثـالث مـن مدينـة بروكسـل (وهي المدينـة الأوربية المطلـوب معرفتها) يعني طرق ودروب، والصحيح أن الحروف ٥+١+٦ وليس ٣ تتكون منها كلمة (سبل) والتي تعني (الدروب أو الطرق).

١٢- إن أشكال اللعب أو المسابقات في المجـلات المذكورة تكاد لا تتغير مما يبعـث الملـل في نفـوس المشتركين في المسـابقـات. كما أن الكلمات المقـدمـة أو

المطلوبة فيها لا تخضع لانتقاء دقيق وتنظيم مرحلي متدرج مدروس، فكثيرا ما يتكرر بعضها أو يبدو مبتذلا، وقليلا ما يرافق هذه الكلمات عبارات وجمل حيوية منتزعة من واقع الناشئ تعمل على تثبيت الكلمات مع معانيها في ذهنه.

١٣- إن بعض المجلات مثل مجلة «أحمد» تذكر حلول المسابقات بعد طرحها مباشرة، وذلك يجعل الإجابات في متناول الناشئ، ولا يدع له فرصة للبحث أو التفكير ولا يبعثه على التنافس، وربما يقلل من انجذابه للعبة، وبالتالي فإن مع مثل هذا الإجراء قد لا تتحقق أهداف المسابقات المطروحة في تنمية حصيلته اللغوية على النحو المطلوب.

١٤- مما يجدر ذكره أو الإشارة إليه أيضا في هذا المجال أن بعض المجلات تجري مسابقات لغوية تصعب على الكبار فضلاً عن الصغار، لأنها لا تشرح الطريقة أو الطرق التي يمكن أن ينهجها المتسابق من أجل الوصول إلى الحل[١٠] مما قد يؤدي إلى نفور المتسابق ليس من المسابقة أو اللعبة فقط وإنما من قراءة المجلة أيضا، وبالتالي حرمانه مما قد يكتسبه من هذه المجلة من فوائد.

١٥- لا يُعنى في المسابقات التي تجرى في مجلات الأطفال عامة بانتقاء المفردات اللغوية على نحو دقيق مدروس، فكثيرا ما ترد كلمات مبتذلة، أو كلمات ليست بذات قيمة تعبيرية جيدة، أو أنها ألفاظ محدودة الاستعمال، أو أنها لا تفيد إلا المبتدئين من صغار الناشئة، مثال ذلك الكلمات: نخلة، طائرة، نمر، عيشة، دين، شمعة، فرس، ألمانيا، حية، ملح، تليفون. . . إن مثل هذه الكلمات لا تضيف إلى حصيلة الناشئ القادر على القراءة وعلى المشاركة في المسابقات المكتوبة نفسها شيئاً جديداً، إذ يفترض أن تكون حصيلته اللغوية متجاوزة لمستوى هذه الكلمات. نعم يمكن أن تكون هذه الكلمات ذات فائدة لهذا الناشئ إذا اتخذت كوسيلة لتفسير أو توضيح كلمات أخرى أرقى منها مستوى.

خاتمة

تبين مما تقدم ذكره مدى أهمية اللغة على الصعيدين الفردي والجماعي، إذ هي وسيلة الإنسان للتعبير عن رغباته وأفكاره وأحاسيسه وهي واسطته في تطوير مواهبه وتنمية عقله وإخصاب فكره وخياله وأدواته لاكتساب خبراته ومهاراته، كما أنها وسيلته للتخاطب والتعايش وتبادل المنافع والمصالح وبناء أو توثيق الروابط مع الأفراد والجماعات، وهي أخيرا الوسيلة الأساسية لنقل الثقافات والحضارات من جيل إلى جيل ومن أمة إلى أخرى ومن ثم فهي القاعدة الأولى التي يقوم عليها تطور حضارات الأمم وتقدم الجنس البشري بنحو عام.

وإذا كان للغة على عمومها هذه الأهمية فإن للغة الكلام الأهمية الكبرى والمكانة العليا بالنسبة للإنسان لأنها لغة العقل المفكر المدبر والذهن الناطق والخيال الخصب والنفس الفاعلة والقوة القادرة على الخلق والإبداع. لقد تميزت هذه اللغة عن بقية أنواع اللغة بقدرتها المتناهية على التعبير عن مكنون القلب وطوايا النفس ودقائق الفكر وهواجس الوجدان وهمسات الشعور، ولذلك اختص بها الإنسان دون غيره من سائر الأحياء. إن أنواع اللغة التي يستخدمها الإنسان ليست في واقعها سوى أدوات يستعين بها ليعوض عن بعض ما قد يفوته إدراكه أو معرفته من لغة الكلام أو ما لايسمح الظرف للتعبير عنه بهذه اللغة.

تتكون لغة الكلام من حروف ومقاطع صوتية وكلمات تأتلف وتجتمع وفق أصول موضوعة وقواعد معلومة ثابتة لتؤدي معاني معينة وتدل على مفاهيم خاصة، غير أن العنصر الأساسي المكون لهذه اللغة في الحقيقة هو الكلمة، فالحروف ليست سوى أصوات متقطعة مبهمة، لا يكون لها شأن إلا إذا اجتمعت فألفت الكلمات، والمقاطع الصوتية ليست إلا إشارات قاصرة غامضة لا يكتمل دورها في الكلام إلا بعد أن تأتلف وتجتمع وترتبط لتكون منها الكلمات أو العبارات، وإذن فالطاقة تكمن في الكلمة، فهي القاعدة الأولى والأساس الرصين للغة الكلام.

إن الكلمة هي معجزة الإنسان، والهبة التي خص بها الله سبحانه وتعالى أجل مخلوقاته، حيث أعطى الإنسان ملك الكلام وجعل الكلمة أداة له للإفصاح عن أعظم شيء تميز به عن سائر الأحياء، عن عقله المفكر وفكره المبدع، لقد تميز الإنسان بقدرته على النطق، ونطقه يكمن في عقله المدبر وفكره المبدع ولسانه المعبر.

ولا تكمن أهمية الكلمة في حروفها المؤتلفة وشكلها المرئي ونطقها المسموع وإنما تكمن فيما ترمز إليه من معنى أو توجيه من شعور أو تشير إليه من موقف، فما الكلمات إلا رموز يصطلح على معانيها وإشارات لمدلولات ومفاهيم منفصلة عنها، اختصر الإنسان بها طريقة التعايش والتفاهم والتكافل وتبادل المعارف والتجارب والخبرات بينه وبين أبناء جنسه، وجعلها وسيلة لتحقيق رغباته وتحصيل حاجاته وليس غاية في ذاتها.

والكلمة لا قيمة لها مالم تدب فيها الحياة والحرارة وتنتقل من عالم الركود إلى عالم الحركة، وهي لا تكون كذلك إلا بعد أن تقترن بغيرها وتأنس إلى ما يجاورها، وتعانق ما يضم إليها عناق القرين لقرينه والحبيب لحبيبه، وتظهر في صيغة يرتضيها القلب وتقلبها العين ويستعذبها السمع، ولا تبلغ ذلك ما لم يستمكن الإنسان منها وتكن له البراعة في اختيارها وانتقاء ما يلابسها ويلائمها ويقبل الاقتران بها، ومن هنا تنشأ أهمية الثراء في اللغة وسعة المحصول من مفرداتها ومن ثم البراعة في صياغة الكلام وتأليفه.

ليتمكن الإنسان من اختيار ما يشاء من الألفاظ ويضم بعضها الآخر في نظام مقبول وقالب صحيح مفهوم ونسق مستعذب جميل لابد أن تكون وافية وذخيرة حية مرنة طيعة منها، وأن تكون له خبرة في تأليفها وذوق صقيل يمكنه من الانتقاء والتمييز بين ما يأتلف أو يتنافر منها، بين ما يتلاءم مع ما يريد التعبير عنه أو الإيحاء به والإشارة إليه وما لا يتلاءم أو ينسجم، وأنى يتسنى له الانتقاء والتمييز إذا كان المحصول منها يسير والذخيرة قليلة؟!

والبراعة في التعبير لا تعني القدرة على صف الكلمات وتأليف الألفاظ وصياغة العبارات، وإنما تعني شحن هذه العبارات بطاقة من الأحاسيس أو الأفكار والمعارف؛ فبقدر ما تتفجر عنه العبارة من تجارب وطاقات إبداعية

وتوحي به من مشاعر وتثيره في النفس من أحاسيس وتدل عليه من أفكار وتشعه من رؤى وتقود إليه من مواقف وتحفز عليه من أعمال ذهنية تكون هذه العبارة جزلة جميلة محببة. الألفاظ وحدها مهما ارتقى نوعها وعذبت أصواتها وائتلفت نغماتها لا تشكل إلا ظرفا مزيناً فارغاً وزخرفاً جامداً أو لحناً فاتراً باهتاً سرعان ما يضوي أو يفنى. الألفاظ لا تحلو إلا بمعانيها والجمل لاتحيا إلا بمضامينها، والعبارات لا تكون لها قيمة إلا بما تحمل من أفكار وخواطر وتجارب وأحاسيس تتجلى فيها ذخيرة الفكر وثمرة الذهن ونتاج القريحة وعمل الموهبة وخصوبة الخيال، وأنى للفكر أن يعطي وللذهن أن يثمر وللقريحة أن تهب وللموهبة أن تبدع ما لم يكن هناك رافد قوي من المعارف والتجارب والعلوم؟! أفهل يمكن أن يكون هناك عطاء وإبداع من الفراغ؟! وإذا لم يكن ممكنا فهل يمكن للإنسان أن يكتسب تجاربه ومعارفه وعلومه دون اللغة ودون أن يكتسب حصيلة وافية ثرية من ألفاظها ومعانيها؟

معرفة الإنسان باللغة، وبلغة الكلام خاصة، أساس لاكتساب المعارف والخبرات، فباللغة يفهم الإنسان ما ينطق ويستوعب ما يكتب، وكلما زادت معرفته بها واتسعت حصيلته من مفرداتها ومعانيها زاد فهمه وعلمه واتسعت خبراته وتجاربه وانطلق فكره وخصب خياله وصقلت موهبته وزادت قابليته على العطاء، وفي المقابل كلما قلت معرفته باللغة ونقصت ذخيرته من مفرداتها ومعانيها ضعف فهمه وتضاءل على إدراكه وقلت خبرته ومعرفته ونقص علمه فلم يتهيأ لفكره أن ينتج ولا لموهبته أن تبدع، وليس ذلك بالهين اليسير الذي يمكن أن يحتمل، إذ لا يقاس الإنسان بطوله وعرضه وكثرة شحمه ولحمه، وإنما بما ينتجه عقله وتبدعه مواهبه، كما لا تقاس الأمم بكثرة أفرادها ولا سعة مواطنها، وإنما بما تنتجه عقول وقرائح ومواهب أبنائها من أفكار وأعمال وإبداعات تشارك بها في تكوين أو تطوير الحضارة الإنسانية وتقدم الجنس البشري.

وجهل الإنسان بلغته أو قلة محصوله من مفرداتها وصيغها يقلل من مهارته ويضعف قدرته على التواصل مع الآخرين، وضعف قدرته على التواصل معهم يؤدي إلى قلة ما يكتسبه منهم من تجارب ومعارف وخبرات ويقلل من قابليته على التعايش وعلى تبادل المشاعر والمنافع معهم، وقد يؤدي إلى اعتزالهم

أو النفور منهم ونفورهم منه، فالمرء إذا عجز عن الإفضاء بمكنون صدره وعما يجيش في نفسه ويدور في خاطره وقصر في الإفصاح عن رغباته وقلت قدرته على التفاعل مع من يحيط به ضاق صدره وانكمشت نفسه وانطوت شخصيته وتعقد سلوكه وربما قاد ذلك إلى ما لا تحمد عقباه.

ولربما أدت قلة ذخيرة الفرد من اللغة إلى جهله بمجريات الحياة وحضارة العصر أو أفضت إلى جهله بما تبدعه عقول قومه، وما للغته من تراث فقاد ذلك إلى انفصاله عن هذا التراث وجهله بقيمته ومكانته ومن ثم التنكر له أو الانتقاص من شأنه وتضاؤل روح الانتماء إليه والاعتزاز به وفي ذلك من الخطر ما لا يستهان به، إذ قد يؤول إلى الشعور بالدونية والضعة وإلى التنكر إلى مثل الأمة وقيمها الحضارية أو إلى اتهام هذه الأمة بالتخلف والضعف واتهام لغتها بالقصور والعجز. وقد يقود ذلك إلى التشبث بقيم حضارية غريبة ولغة أجنبية دخيلة على أنها البديل فيؤول الأمر بالتالي إلى ضياع الهوية وفقدان الذات.

بعد أن عرفت أهمية اللغة وما يترتب على سعة المحصول من مفرداتها وصيغها من إيجابيات وما ينجم عن ضعفها وقلة ذخيرة الفرد من ألفاظها وتراكيبها من نتائج خطيرة لها آثارها على ثقافة هذا الفرد نفسه وعلى شخصيته ومن ثم على مجتمعه، بعد أن عرف كل ذلك يبقى السؤال عما يمكن أن يغْني اللغة وينمي رصيد الفرد من ألفاظها فيجعلها وافية بمطالب الحياة ولوازم العيش ومقتضيات المعرفة، كما يجعلها أداة طيعة مرنة لإغناء الفكر وشحذ الذهن وصقل الموهبة ووسيلة مهيئة لإبراز مايبدعه العقل وتنتجه القريحة ويرسمه الخيال. إن الإجابة عن هذا السؤال تعني الكشف عما يمكن أن يرتقي بعقل الإنسان وذكائه وعلمه وخبراته وشخصيته ويشيد أو يطور مجتمعه وحياته وواقعه الحضاري.

ليس هناك من شك في أن المصدر الأول للغة ولمفرداتها وصيغها المختلفة هو المجتمع، إذ اللغة تولد وتنشأ وتنمو وتتجدد في أحضان المجتمع، والفرد يكتسب لغته من مجتمعه، بدءا من مجتمعه الصغير المتمثل في أسرته، وإن توقف مدى اكتسابه لها من أسرته على ما رزق من ملكة في تلقنها وتمثلها، وما امتلك من قدرة على المحاكاة والتقليد فيها، وما وهب من قدرة على الفهم وسرعة في الحفظ وقوة على التذكر، وما لديه من صفاء الخاطر وطموح النفس،

ثم على قدر ما لدى هذه الأسرة من معرفة وإحاطة باللغة وما تتاح له من فرص فيها للاكتساب والتحصيل.

يتطور الإنسان فيتطور معه عالمه وتتباعد أطراف مجتمعه فتقوى صلاته بجيرانه وسكان حيه وأهل محيطه، فيكون له رفقاء في اللعب وأقران في الدراسة وزملاء في العمل فيكتسب من هؤلاء وأولئك صيغا وتراكيب وألفاظا جديدة، على قدر صلاته بهم وقدر ما يمتلكون هم أنفسهم من هذه الصيغ والتراكيب. فكلما توثقت صلاته بهم وتنوعت روابطه معهم اتسعت لغته وتنوعت ألفاظها، وكلما ارتقى وعيهم ونضجت أفكارهم وزاد علمهم وتنوعت معارفهم ومستويات لغتهم وكانوا أكثر طلاقة وفصاحة، كان اكتسابه من مفردات اللغة منهم أسمى وأصفى وأوفى، والعكس بالعكس.

وإذا كان الإنسان في الماضي يتصل بأناسه في محيطه الذي يعيش فيه، ويختلط بهم في وقت لقياه معهم وفي أماكن خاصة يرتادونها أو يردون إليها ولا يتجاوز ذلك، فإنه في الحاضر يستطيع أن يلتقي بمن يشاركه في اللغة أنى شاء ويتصل بفئات من فصحاء قومه أو متكلميهم كلما أراد، إن لم يقصدهم قصدوه، وإن لم يطرق أبوابهم طرقوا بابه.

لقد اخترع الإنسان الراديو والتلفاز و(الفيديو) والسينما ثم الحاسب الآلي بكل أشكاله وأنواعه، وهذه كلها أدوات تصل الإنسان بالإنسان عن بعد وعن قرب، وأجهزة تلتقي من خلالها الألسن والعقول، والثقافات والحضارات على اختلافها، فيكتسب الإنسان من أبناء جنسه بواسطتها المعارف والفنون ويكتسب الصيغ والألفاظ أيضا. يلتقي الإنسان عن طريقها بطائفة من أهل لغته ويسمع حوارهم ويصغي لأحاديثهم أنى طلب أو رغب، فيلتقط ذهنه وتختزن ذاكرته من تراكيب وألفاظ لغتهم على قدر إصغائه إليهم وبمقدار ما يمتلك من فطنة ونباهة ومقدرة على الربط والتمييز والحفظ، ثم على مقدار ما يتمتع به المتحدثون أنفسهم من فصاحة وتصوير تجسد به عباراتهم فتجعلها قريبة من النفوس عالقة في الأذهان، مع العلم بأنه قد لا يكتسب منهم ألفاظ اللغة مثلما يكتسبها من الناس عندما يلتقي بهم في واقع حياته وجهاً لوجه، لأنه لا يرى من خلال معظم هذه الأجهزة إلا أشباحا تتحرك من دون روح وصوراً تحيا من دون أن تحس، ولا يسمع إلا

أصواتا تتردد دون أن تستجيب، وألسنة تنطق ولا تحاور، ولذلك فهو لا يجد مجالا للرد ولا نصيباً من الحوار، وأخيرا فهو لا يمارس ما يكتسبه من ألفاظ بالقدر الذي يكفل له استقرارها في ذاكرته.

إن ما سبق قوله لا ينفي أهمية الأجهزة المذكورة في نشر اللغة وتلقين مفرداتها، لهذه الأجهزة كلها الدور الكبير في تلقين اللغة للإنسان وفي إيصال ما استقر وما تغير أو تجدد واستحدث من مفرداتها إليه، لاسيما إذا حسن استخدامها وتنوعت طرقها وتطورت أساليبها ووجهت طاقاتها توجيها سليما سديدا. إنها أدوات نافذة المفعول سريعة التأثير قريبة المتناول كثيرة الانتشار، يصل بعضها إذا لم يكن أكثرها إلى الداني والقاصي والغني والفقير والقادر والعاجز، ويأنس إليها الكبير والصغير، الأعمى والبصير، القارىء والأمي، بل لا يكاد يكون لأحد في يومنا الحاضر عنها أو عن بعضها غنى ولا على هجرانها طاقة، فلربما حلّ بعض منها بين طائفة من الناس محل العشير أو القرين الذي لا يكاد يفارق و يبتعد. وفي ذلك كله ما يكسب هذه الأدوات قدراً كبيراً من الأهمية والقوة ويجعلها في الوقت نفسه أدوات لا تخلو من الخطورة. فإذا ما سخرت للخبر والفائدة نفعت وإن أهملت وتركت للهو وقتل الوقت أضرت. ولهذا كان على القيمين عليها ومن يشاركهم في تسييرها ورعايتها من رجال اللغة وأهل العلم وذوي السلطان أن يسعوا لتسخيرها في نشر اللغة وإغناء حصيلة كل من يستخدمها من مفردات اللغة وصيغها وتراكيبها السليمة الصحيحة القديم منها والجديد المألوف والمستحدث، ما يتصل بالعلم منها وما يتصل بالأدب والفن والمعرفة بجميع فروعها، لأنهم بذلك ينشرون العلم ويوسعون مدارك الناس، ويخدمون المجتمع ويرتقون بحضارة الأمة.

وإذا كان الإنسان يلتقي بالآخرين من أفراد مجتمعه لقاء تفرضه الحاجة أو يتطلبه العمل أو تدفع إليه غريزة الاجتماع أو تدعوه المصادفة فيتعلم اللغة ويتلقى مفرداتها منهم من دون قصد وبقدر ماتسنح الفرصة ويسعفه الوقت ويمكنه الحال، فإنه يلتقي في المدرسة في مختلف مراحلها بفئات خاصة من أبناء مجتمعه لقاء منتظما مستمرا فيتعلم اللغة ويتلقن ألفاظها، بقصد ودون قصد، بالسؤال والدرس الواعي وبالمحاكاة والاقتداء، يتلقنها وفق منهج

مدروس وتـوجيه مستمر ومـن روافد صافيـة وموارد متنـوعة ، تدفعـه إلى ذلك دوافع وتشجعه أغراض وتحفزه طموحات ومصالح .

يتلقن النـاشيء اللغـة ومفرداتها في رحاب مـدرسته من مـدرِّسه المؤهـل الذي يكبره في السن ويفوقه في الخبرة ويبـزه في الطلاقة وسعة الإحاطة بـاللغة وألفاظها . ويتعلمها مما يقـرأ من دروس ويحفظ من نصـوص ويكتب من موضـوعات وينطق مـن عبارات وهـو يسأل أو يجيب أو يحاور أو يناقـش أو يخطب ، وممـا يختاره مـن قصص وقراءات خاصة . ويتلقى ألفاظ اللغـة من زملائه : أنداده في السن وأقرانه في الـدراسة وشركـائه في العلم ، يتحـدث إليهم ويحاورهـم أو يجادلهم ويناقشهـم فيلتقط الكثير من مفردات اللغة التي اكتسبوها من موارد اللغة الخاصة والعامة كل بحسب أسرته ومحيطه ونشأته ، وبذلك فهـو يتلقن اللغة ويتلقى تراكيبها وصيغها من هذه الموارد بجميع مستـوياتها وأشكالها ، الفصحى المنتقاة والعاميـة الدارجة ، القديمة والحديثة ، الجديدة والمبتذلة .

ويعتمد ما يتلقنـه أو يلتقطه الناشيء في المدرسة من ألفـاظ اللغة وصيغها في النوع والكـم على مدى براعـة وطلاقة مـن يتولى تـدريسه وتوجيهـه في هذه المدرسة ، وعلى نوعية ما يقرأ من دروس أو يحفظ من نصوص ، وما يفرض عليه من مقررات ، ثم على كيفية القراءة وطريقـة الحفظ ، وعلى ما يتاح له من فرص لممارسـة الألفاظ والصيـغ اللغـوية التـي يتلقنهـا ، كما يتوقـف على مـا يتوافـر للمـدرسة مـن وسـائل ومـا يسلكه المدرس مـن طـرق لمضـاعفة تلقين اللغـة وتجسيدها وجعلها حية مـرنة مرتبطة بالواقع المعيش ، ونقلهـا من عالم الإمكان إلى عالم الفعل ومن حيز النظر إلى حيز العمـل ، ثم يعتمد أيضاً على مدى فهم الناشيء نفسه وقدرته على الاستيعـاب والتذوق والحفظ والاستحضار والتذكر والتمثل ، بالإضافـة إلى رغبة هذا الناشيء وطموحه ومرونـة شخصيته وقابليته على التعايش والتفاعل والاختلاط بالآخرين .

ما تقدم كلـه يفرض على المدرسة أن تهيىء المدرس الكفؤ الـواسع في علمه البـارع في فنه الغـزير في لغتـه الطلق الفصيـح في قـوله وحـديثه ، وأن تهيـىء للناشيء الكتـاب الملائم الثري في محتواه ، الطريف في أفكاره ومعـانيه ، المتنوع في موضوعـاته ، المرن الواسع في لغتـه ، الشائق في أسلوبه ، وأن تقـدم لطلبتها

اللغة بكل مستوياتها وفي كل عصورهـا وضمن كل تطوراتها ومختلف علاقاتها وموضـوعاتها ومعانيهـا، وتربط الحديـث من مفـرداتها بالقديـم والمستحدث بـالأصيـل والخاص بـالعـام، لتلبـي حـاجتهـم في التعبير عـن مشـاعـرهـم وخـواطرهـم، وفي الإفصاح عما يكتسبـونه مـن المعـارف والعلوم ومـا تبدعـه مواهبهم من الفنون والآداب.

ولابد للمـدرسة أن تـوفر كـل الوسائل الممكنـة التي تشعـر بحيويـة اللغة الصافية النقية وبفاعليتها وشدة ارتباطهـا بالواقع العملي لتجذب الناشىء إلى هذه اللغة وتشعـره بأهميتها فيتجه لاكتسـاب المهارة فيها وإغناء حصيلتـه من مفرداتها، كما يجب أن توفر له الفرص الكافية لممارستها وتجسيدها تجسيداً يربط فيه الرمز بالمدلول واللفظ بالمعنى، ليتمكن من إنعاش أو إحياء ما يتوافر له من تراكيبها وألفاظها ومعانيها فتتلاقح وتتكاثر وتنمو وتتسع.

وإذا كان النـاشيء يكتسب مفردات اللغـة أو يغْني حصيلته منهـا في المدرسة عن طـريق مـا يقرأه مـن دروس مفروضـة أو موضـوعات مقـررة فإنـه يكون أكثـر اكتسابـا لها وأوسع منهـا بالقـراءة الحرة الطوعيـة المتنوعـة الواسعـة، القراءة التـي ينجذب إليهـا ويتذوقهـا باختيـاره. إن القراءة ـ بمفهـومها الـواسع الـذي يشمل الاطلاع على كـل ما دون من نتـاج العقل البشري والـوجدان الإنساني ـ يمكن أن تكون مورداً ثراً ومنبعاً صافيا لألفـاظ اللغة وصيغها إذا أحسن انتقاء المادة المقروءة وأحسن اختيار الوقت المناسب والوضع اللائق والنهج السليم للقراءة.

عـن طريـق القراءة يمكـن للإنسـان أن يطلع على الفصيـح من مفـردات اللغة، إذ إن لغة النتاج الفكري المدون هي الفصحـى الموحدة وليست العامية المتغيرة المتنوعة. وعن طريق القراءة يمكن أن يطلع على قديم اللغة وحديثها، المألوف والمأنـوس والمبتذل والنادر والغريـب المهجور من مفـرداتها وعلى معاني ومستويـات وطرق استخـدام هذه المفردات، لأنـه يستطيع أن يختصر الـزمان بهذه القراءة، ويتجـاوز عصره وينفذ إلى التـاريخ مـن كل بـاب، فيطلع على مادونته الأجيـال السابقة في كل عصورها وأزمـانها، كما يستطيع أن يتجاوز بها حدود المكـان فيرى ما استخدم من ألفـاظ اللغة ومعانيها بين أفـراد الأمة على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم ومواطنهم.

والنصـوص المقروءة مهما كـان زمنها وقيمـة مضـامينها تختلـف من حيـث مستوى اللغة المستخدمة فيها ومقدار هـذه اللغة بحسب اختلاف موضوعاتها وأغراضهـا . فالنصوص العلميـة لا تحوى في العادة إلا الحد الأدنى مـن ألفاظ اللغة ، لأن الكـاتب فيها يهدف في الغـالب إلى إيصـال أفكاره بأقـرب واسطة وأقصر طريـق وأبسط وسيلـة ، لذلـك تكون ألفـاظه محددة المعـاني محدودة في الكم سهلة المأخذ قريبة من لغة الناس .

بينما تكون النصوص الأدبية في طبيعتها وافرة اللغة منتقاة الألفاظ عميقة المعاني ثرية بالأحاسيس ، لأن هدف الكاتـب فيها هو التعبير عن وجدانه ودواخل نفسه وهواجـس شعوره ودقـائق خواطـره والنفاذ بها إلى نفـس القارىء وعقلـه والسعي لإشراك هـذا القارىء في التفكير والموقـف والشعـور بكل مـا تتـوافـر من وسـائل وأدوات ، لذلك فإن هـذا الكاتب يعمد إلى أنقى وأصفى وأغنـى ما في ذخيرته من ألفاظ اللغـة وتراكيبها ، أجملهـا صدى وأوفرهـا معنى وأغنـاها رمزاً وأكثـرها إيحاء وألطفها وقعا وأصفـاها رنيناً وأنقاها أصـلاً وأبعدها أثراً . فهي مـادته الأولى وأداته الفضلى والجسر الذي يصل به إلى مـايريد . وألفاظه وتراكيـب لغته تسمو في ذلك كما اتسعت معـرفته بـاللغة ونما فكـره وتوافـر علمه ورق طبعـه وأرهف إحسـاسه وصقل ذوقه وطلـق لسانه وارتقت مـوهبته ، وبناء على ذلك كلـه فإن قراءة الأدب يمكن أن تعود على الفرد بمحصول لغوي لفظي أوفـر من حيث الكم وأسمى من حيث النوع وأغنى من حيث المدلول والرمز.

لقد استخدم الإنسان معظم ما ابتكر أو وضع من ألفاظ وتراكيب لغته فيما دون من نتاج فكره وثمار تجاربه وإبداع عقله منذ أن عرف الكتابة أو التدوين ، وعلى امتداد العصـور وتوالي الأزمان ، وبالتـالي فإن القارىء يجد في تـراث أمته المدون وسجل حضارتها المكتوب كنزاً وافراً من مفردات اللغة وصيغها لا تحصر حدوده أو تحدد أبعاده . يجد هذه المفردات والصيغ بكـل مدلولاتها ومفاهيمها وإيحاءاتها ، وبكل مـا خضعت لـه من تغيرات وتطـورات عبر مسيرتها على مر العصور. يلتقـط منها وهويقرأ مـا يسعفه فهمه وتمكنـه حافظته من التقـاطه ، ويدرك من معـانيها ومدلولاتها ما يسـاعده ذكاؤه وإحساسـه على إدراكه ، أما مـن خلال المجـاورة أو مـن خلال السيـاق أو عـن طـريق الحدس والتصـور

والتكرار، ثم يختزن من هذه المفردات والصيغ ومن معانيها ومدلولاتها ما أعانته حافظته على اختزانـه. وقد تغيب عنه معرفة كثير مـن هذه المفردات والصيغ، إما لـدقتها وعمق معـانيها وعدم توافـر ما يدل عليهـا أو يوحي بمـدلولاتها أو لعجز الـذهن عن التقـاطها واستيعابها واستيحـائها، أو لأنها قد عفـى عليها الزمن وهجـرت ونسيت فلم تعد مستعملة، أو لأنها أصبحت خـاصة بعد أن كانت عـامة أو مرفوضـة بعد أن كانت مستسـاغة أو أنها جديدة مستحـدثة لم يتكرر استخدامها فيعين التكرار على فهمها وحفظها.

وحتى لو تمكـن الإنسان من التقاط كـم كبير من مفردات لغته مـع كل ما يمكن أن تـدل عليه أوتشير إليـه هذه المفـردات من معـان، فإنـه معرض لأن ينسى منهـا الشيء الكثير لعجز ذاكرتـه عن الاحتفاظ بكـل ما يرد إليهـا لأمد طويـل. وحتى لـو افترض أن ذاكرة هذا الإنسـان قادرة على الاحتفـاظ بما يرد إليها فـإن الوارد إليها مهما كان مقـداره لا يعدو أن يكون في حقيقته قسطـا من مفردات اللغة؛ فـالإنسان مهما اتسع علمه وارتقى إدراكـه وفهمه لا يملك أن يحيط بمفردات اللغة كلها لاستحالة أن يقـرأ كل ما كتب ودون، ويلتقي بكل أفراد الأمة الناطقين بـاللغة. ومن هنا جاءت الحاجة إلى تـدوين اللغة وإنشاء المعاجم ورجـوع الإنسان إلى هذه المعاجم والاحتكـام إليها عندما تفوتـه معرفة لفظ أو يتعسر عليه فهم معنى لكلمة أو يختلط أو يلتبس في ذهنه مدلول عبارة فيعقبه عن استيعاب ما يقرأ أو فهم مايسمع.

المعاجم هي خزائن اللغة ومستـودع مفرداتها الأمين وحصنها الحصين، يرجع إليها الإنسان ليرد من معين اللغة الصافي، حيـث تفسر له الغامض من الألفاظ وتوضح له المبهم وتميز الملتبس وتبعث لـه الميت والمهجور وتقرب له البعيد وتعرفه على المألوف الغـريب القـديم والجديد الأصيـل والمنقول، وحيـث يرى فيهـا من الصيغ والتراكيب ما لا يمكن أن يراه أو يتعرف عليه في غيرها.

ولقد تفنن الإنسان في صناعة هذه المعاجم وفي تصنيف مفردات اللغة فيها فجعل منها الكبير والصغير، العام والخاص، والمقروء والناطق المسموع، ووفر منها من الأصناف والأنواع كل ما تتطلبه الحياة وتقتضيه الحضارة، وطورها من حيث المضمون والشكل، وسهل تناولها حتـى غدت ميسرة لكل طالب، ونوع

فيها حتى أصبح لكل فرع من فروع المعرفة معاجمه اللغوية الخاصة المتعددة في أشكالها وأحجامها، وطور في مناهجها فأصبحت مفرداتها اللغة فيها قريبة المأخذ على الكبير والصغير.

إن مقدار ما يمكن أن يكتسبه الفرد من مفردات من معاجم اللغة يعتمد بصورة أساسية على مدى توافر هذه المعاجم وتنوع المتوافر منها وعلى طرق إخراجها وتصنيف المفردات فيها من جانب، ثم على معرفة الفرد بطرق استخدامها وما يتأتى له من بواعث أو دوافع لهذا الاستخدام من جانب آخر، ولذلك فإن تعليم اللغة للناشىء وتهيئته لاكتساب حصيلة وافية من مفرداتها يقتضيان توفير المعاجم اللغوية المناسبة له المتلائمة في أحجامها وأشكالها وأنواعها مع مستواه العقلي والعلمي، وتوفيرها في المدرسة والفصل والبيت وفي المكتبات العامة والخاصة التي يمكن أن يرتادها، ثم تعريفه على مناهج هذه المعاجم وعلى طرق استخدامها وحثه المتواصل على الرجوع إليها منذ المراحل الأولى من تعليمه.

والمحصول اللفظي الذي يمكن أن يكتسبه الفرد من المصادر التي سبق ذكرها مهما كان نوعه وحجمه لا يصبح فاعلا نافعاً ما لم يكن نشطاً في الذهن حيا في الذاكرة مرنا طيعا جاهزاً للاستخدام، إذ لا فائدة في رصيد محجور وثروة ممنوعة وأداة معطلة، وهذا المحصول لا يكون على الصورة المطلوبة مالم يُثَرْ ويحرك ويبعث ويجسد، ولا وسيلة هناك لتحقيق ذلك أفضل ولا أهم من الممارسة.

إن ممارسة استعمال الألفاظ اللغوية المكتسبة تمنع ركودها وتحميها من النسيان وتجدد فيها الحياة وتكسبها حيوية وحرارة وتخصبها فتتوالد وتتكاثر وتجذب غيرها إليها بالتجاور والتناسب والمصاهرة.

الاستماع إلى أحاديث الآخرين وما يدور بينهم من نقاش أو جدل أو حوار يعد نوعاً من ممارسة اللغة، ومثلما يكون لهذا الاستماع من أثر في تلقي مفردات اللغة وفي التعرف على معانيها وطرق استعمالها وطرق نطقها يكون له أثر كذلك في تثبيت وترسيخ ما تتلقاه الذاكرة منها وفي إنعاش أو إحياء ما ترسب منها في هذه الذاكرة، إذ يتردد نطقها ويتكرر استعمالها وتتجسد في السمع حروفها ومعانيها ويرقب الذهن تتابعها مركبة مصوغة في جمل وعبارات فتعلق به وتظل طافية حية نشطة فيه.

والتحدث إلى الآخـرين ومحاورتهم ومشـاركتهم ومخالطتهـم في الكلام تعـد ممارسـة للغة ووسيلة لإثارة وتحريـك ما اختزنتـه الذاكرة من مفـرداتها؛ حيث يغوص الذهن في رحاب هذه الذاكرة باحثـاً عما يفرغ فيه ما قد حوى من معان وأفكار لتصـل إلى الآخريـن في يسر، فيبرز بذلـك ما قـد خبا وينتشـل ما قـد ترسب، ويوقظ ما قد خمد، ويبعـث ما قد هجر أو نسي أو اضمحل من هذه المفردات ويسخـرها للعمل، وفي ذلك تجديـد لحياتها وحيويتها. وإذا مـاكان التحدث أو الحوار والكلام مكتوبا فإن فرصة البحث والتنقيب والانتقاء والفرز والتمييز بين هذه المفردات تكون بلاشك أطـول، ولربما كانت أكثر نفعا وأبعد أثراً في بعث ألفاظ اللغة وإنعاشها.

والقـراءة ممارسـة فـاعلة للغـة وإنعاش للفئـة المنتقـاة والراقيـة مـن ألفاظهـا وتراكيبها، حيث تتجسد للقارىء هذه الألفاظ والتراكيب مرئية مسموعة مترابطة متناسقة بعضهـا يشير إلى بعض ويدل عليه ويستحثـه على الظهور والانتعاش، وذهن القـارىء يربـط ويقارن ويبحـث عن المعـاني التي تحل لـه رموز الألفـاظ الجديدة، وهكذا تبعث الحياة في القديم والجديد من معاني اللغة وألفاظها.

وإذا كان للممارسـة هذا الأثـر في إنعاش لغـة الفرد وجعـل حصيلته مـن مفرداتها ثرية نابضة بالحياة نشطة طيعة مرنة في أداء وظائفها فإن من المهم إيجاد الحوافـز الدافعـة على ممـارسة اللغـة بجميـع أشكالها وصنـوفهـا ونشاطـاتها، وتشجيع الناشئين بصورة أخص على هذه الممارسة، وذلك بتوفير المادة المقروءة الجيدة مضمونا وشكلا، وتهيئة الفرص الكـافية لكل منهم للمشاركة في الأخذ والعطـاء وفي النقـاش والحوار، وبعـث الثقـة في أنفسهـم بـالقـدرة على هـذه المشاركـة، وإشعارهـم بما لديهم من قـابليات ومهارات عقليـة وفنية يلـزمهم تنميتها وإبـرازها عن طريـق تنمية براعـاتهم ومهاراتهم اللغوية. ويسعـى من جانب آخر إلى تقـديم اللغة لهم وفق مناهج مدروسـة متطورة وفي إطار مشوق يبعث على المنـافسة والتحـدي الإيجابي الهادف. وأمر ذلـك بلاريـب يقع على عاتـق الأسرة أولا ثم على المدرسـة والمؤسسات اللغويـة والتعليمية عـامة، كما يمكن أن يشترك معها في المسؤولية كل من دور النشر ووسائل الإعلام ومجلات

الأطفال والمسؤولين عن إعداد برامج الحاسب الآلي وكل من يهمهم أمر التقدم الحضاري للأمة أو الجنس البشري بوجه عام .

إن إدراك أهمية الثروة اللغوية ومعرفة مصادرها ومواردها وطرق ووسائل تنميتها لا تحقق الأهداف المرجوة ما لم تقترن بعمل جاد متواصل وجهود متضافرة من قبل المؤسسات أو الجهات المذكورة كلها لاستئصال جذور المشكلة الأساسية وتقصي الأسباب الأولى التي أدت أو يمكن أن تؤدي إلى ضعف اللغة القومية أو ضعف الناشئة فيها وقلة محصولهم من مفرداتها وتراكيبها ، ثم القضاء على هذه الأسباب أو الحد من آثارها والسعي الحثيث لتوظيف مصادر الثروة اللغوية وجعلها مرنة فاعلة على الصعيد العلمي وتوجيه المجتمع بجميع قطاعاته وفئاته لاستغلالها أو الاستفادة منها .

إن من أهم ما يجب أن يتخذ في هذا السبيل تهيئة النفوس للإقبال على اللغة وعلى تعلمها واكتساب المهارة فيها ، وذلك ببعث الثقة بها وبقدراتها على الوفاء بمتطلبات الحياة وشؤون الحضارة و إذكاء روح الاعتزاز بها وبتراثها وتعميق الشعور بالانتماء إليها وتنمية الشعور بضرورة التمكن منها على أنها وسيلة الإبداع وبناء الشخصية وتطوير الفرد والمجتمع وإثبات الهوية القومية وتشييد الكيان الحضاري الأصيل . إن هذا لا يعني بطبيعة الحال التقليل من شأن اللغات الأجنبية فتعلم هذه اللغات يعتبر من الركائز الأساسية للانفتاح على المعرفة الإنسانية وإيجاد التكافل والتكامل الحضاري . ولكن يعني إيجاد نوع من التوازن في تعلم هذه اللغات ، بحيث لا يكون تعلم هذه اللغات على حساب التهوين والتقليل من شأن اللغة القومية أو التنكر لها أو إجفائها ، أو يكون سبباً في خلق ازدواجية لغوية تؤدي إلى زعزعة مكانة اللغة الأم و إلى إيجاد صراع فكري وحضاري بغيض .

إن العمل على بعث الثقة باللغة القومية وتعزيز الاهتمام بها لا يتحقق بمجرد الحوار والطرح النظري ، وإنما يجب أن تتجسد النظرية على الصعيد العملي أيضا . إن استخدام اللغة القومية في التعليم بجميع مراحله وفي التأليف والتثقيف والإعلام ، واستخدام هذه اللغة في المعاملات الرسمية في كل مرافق الدولة وفي التعامل الاجتماعي والتجاري بجميع أنواعه وأشكاله ،

كل هـذه أمور تبعـث الثقة باللغـة وتوجـه الأنظار والقلوب إليهـا وتزيـد من الاهتمام بها .

وبعث الثقة باللـغة والتوجـيه إلى احترامهـا وإلى اكتساب المهارات فيهـا لا يحقق ثماره وأهدافه المنشـودة ما لم يقترن بالتوجيه السديـد إلى مصادرها وإلى طرق ووسائل تنميتها ، ومالم تتوافر الإمكانات الكافية لتلقينها ونشرها والارتقاء بها . ومن هنـا نشأت ضرورة تطويـر المهارات في تدريسهـا وتطوير منـاهجها والمقررات الدراسية المتعلقة بجميع فروعهـا : تهيئة المدرس الكفؤ القدير الذي يمكن أن يكـون قدوة صـالحة في سعة معرفتـه ومسلكه العلمـي والخلقي وفي عمق تفكيره وبعـد نظره وجمال ذوقه ، ووفائه لمهنتـه وفي فصاحة لغته وطـلاقة لسانه ، وتهيئة الكتاب المدرسي الذي تقدم فيه اللغة حية متجددة مرنة محسوسة مواكبـة لتطورات الحياة ملبية لكـل متطلبات الحضارة ، وتهيئة المنهـج السليم الذي ينظـر إلى اللغة وكأنها كائن حـي متطور وأنها روح تمتزج بأرواح نـاطقيها وليست تماثيل صامتة ونصوصا جامدة ونماذج مـزخرفة ومقتنيات موروثة تزين بها الجدران والرفوف ، وطقوس مفروضة تؤدى دونها اعتراض .

ولاشـك في أن من أهـم مـا يمكـن أن يضاعـف مـن ثقـة الفرد واعتـزازه واهتمامه بلغته ويزيد من طموحه في تطـوير مهارته فيها وحصيلته من مفرداتها شعوره بغـزارة وسعة تراثهـا الفكري والإبداعـي ، وشعوره بامتـداد هذا التراث واتصاله بالحياة الحاضرة وفاعليته وأثره في تنشيط الحركة الفكرية وتنمية وتطوير الأعمال الإبداعية لـلأمة ، مما يوحي بضرورة الانتماء إليـه وإلى لغته ، وبناء على ذلـك كان مـن أهم مـا يجب أن توليـه المؤسسات اللغـوية والعلميـة عنايتهـا واهتمامها إحياء ونشر الأعمال التراثية القديمة في جميع صنوف المعرفة ، والعمل الدائم على توثيـق الارتباط بهذه الأعمال ، وجعلها قاعدة أسـاسية لإيجاد نهضة فكرية نشطة وبناء حضارة جديدة نـامية متطورة أصيلة في معناها ومبناها . لا يكفي أن يتغنى الفرد بأمجاد أمته وبما ترك له أسلافه من تراث ، بل لابد أن يرى هذا التراث ماثـلاً أمامه متجسدا صـورة حية ناطقة في حيـاته ، يراها تتفـاعل وتعمل ويسمعها تنطق وتؤثر ، يعيـش معها في تآلف وحميمية وانسجام ، يحس بوجودها في كل أبعاد هذا الوجود .

وبالنسبة للتراث العربي فقد قام عدد كبير من المستشرقين والعلماء والأدباء والمفكرين العرب بجهود كبيرة في إحياء ونشر العديد من الأعمال الفكرية العربية، ومازالت المجامع العلمية واللغوية تقوم بجهود مماثلة، غير أن هذه الجهود بأجمعها لا يكتمل أثرها مالم يعم نفعها، فلا يكفي أن يبعث النتاج الفكري، ليقبر مرة أخرى أو يكشف عنه ليلبس قناعا آخر. لا يكفي أن يحقق ويصحح الكتاب ويطبع ليقبع بعد ذلك في رفوف مكتبات خاصة وزوايا لجهات رسمية معينة، أو يبقى رهين المخازن والسراديب، منتظرا من تدعوه النخوة والشهامة لإسعافه وإخراجه إلى النور مرة أخرى. ولا يكفي أن يبعث الكتاب إلى الوجود ليسير إلى الناس في كفنه، أو حلته البالية الصفراء المنفردة، لابد أن يخرج الكتاب في حلة العصر الذي بعث فيه، في شكل يتلاءم مع تطورات هذا العصر، لقد تطورت الطباعة وتقدمت صناعة الورق بينما مازالت هناك أعمال تراثية قيمة تطبع طباعة رديئة على ورق أصفر وبحروف باهتة وشكل لا تأنس إليه النفس، وبالمقابل نرى كتابات ضحلة سقيمة أو تافهة رخيصة تبرز في حلل رشيقة أنيقة، ونرى كتب اللغات الأجنبية تشق طريقها في ميادين التعليم مختالة تزهو بأشكالها الرائعة المغرية.

ولابد من أن يصاحب حركة إحياء ونشر الأعمال الفكرية التراثية تشجيع متواصل على جعل تلك الأعمال منطلقات رئيسية لإيجاد أعمال عديدة باللغة القومية نفسها، أعمال تمتزج فيها العناصر الإيجابية للحضارة القديمة بإيجابيات الحضارة الجديدة، وتبرز فيها ثمرات العقول والقرائح والقلوب في لغة الجذور نابضة بالحياة، تجمع بين نقاء الماضي وعراقته وبين صفاء الحاضر وطرافته. إن نشاط حركة التأليف باللغة القومية واستمرار وجود الدوافع والحوافز لهذا النشاط عامل مهم في إيجاد أو تنمية الطموح لاكتساب المهارة في هذه اللغة وإذكاء روح التنافس على إظهار البراعة فيها والمشاركة بها في مجال التعبير.

ولاشك في أن نشاط حركة التأليف والتعبير لدى أي أمة وفي أي مجتمع لا يمكن أن يتم ما لم يكن هناك اندفاع للقراءة وحرص مستمر على اكتساب المعرفة من جميع مصادرها، والتي يعتبر الكتاب أهم مصدر فيها. إن

الإبداع كما سبق القول لا يمكن أن يؤسس على جدران من الهواء، ومن هذا المنطلق جاءت حتمية التشجيع المستمر على القراءة، والسعي الحثيث من قبل الجهات الرسمية والمؤسسات اللغوية والعلمية على حد سواء لتوفير المادة المقروءة النافعة، وتوفير الكتاب الجيد مضموناً وشكلاً، وجعل هذا الكتاب في متناول الأيدي وبأسعار مناسبة، وإنشاء المكتبات العامة الثرية المتنوعة في مقتنياتها ومصادرها المعرفية، وتهيئة جميع الوسائل المشجعة على الارتباط بالمادة المقروءة، هذا بالإضافة إلى التوعية المستمرة والتشجيع المتواصل على القراءة.

والدعوة إلى القراءة لابد أن تقترن بوجود القدوة التي يمكن أن تتمثل في المدرس والأب وكل فرد راشد في الأسرة وكل مرب أو داع للمعرفة، كما يجب أن تقترن بكل ما من شأنه أن يبرز أهمية الثقافة والمعرفة، وما يجذب الناشىء والراشد الكبير للكتاب ويشدهما إلى القراءة، وأن يصاحب ذلك كله أنشطة مستمرة تهدف إلى وصول الكتاب والمادة المقروءة إلى عموم أفراد المجتمع، تصاحبها أنشطة ومساع حثيثة تقوم بها الدولة والمؤسسات المعنية التابعة لها والمؤسسات المماثلة التابعة للمجتمع من أجل إثارة الاهتمام بالكتاب وتصنيعه وبحركة التأليف والمؤلفين، وزيادة القدرات الشرائية للكتاب بجميع أشكاله وموضوعاته ومستوياته وتسهيل مهام نشره وإيصاله وإعارته وما يتبع ذلك أو يترتب عليه من أمور.

في الوقت ذاته يفترض أن تسعى الدولة لتنقية جميع أجهزتها مما يسيء إلى اللغة القومية، وأن تعمل على أن تجعل من هذه الأجهزة منابع صافية يستقي الجمهور منها مفردات لغته سليمة فصيحة صحيحة وافية، كما تجعل منها وسائل لتعزيز دور مصادر الثقافة الأخرى، ورسلاً تدعو إلى الوفاء للغة القومية والتمسك بها، وإلى توثيق الروابط بالكلمة المقروءة، وإلى الاهتمام بالتعلم الذاتي لتكون بذلك رسل تقدم ونماء وحضارة.

الهوامش

الباب الأول

الفصل الأول

(١) انظر د. محمود فهمي حجازي، أسس علم اللغة العربية (القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٨م)، ص ٧ ـ ٨.

(٢) انظر: روي . سي. هجمان، اللغة والحياة و الطبيعة البشرية، ترجمة د. داود حلمي أحمد السيد (الكويت: جامعة الكويت، ١٩٨٩م/ ١٤٠٩هـ)، مقدمة المترجم، ص ١٥ وما بعدها.

(٣) روي هجمان، اللغة والحياة والطبيعة البشرية، مقدمة المترجم، ص ٢٧.

(٤) سعينا في إطار الحديث عن أهمية اللغة إلى التوفيق بين الآراء المختلفة حول وظيفة اللغة والأغراض التي تؤديها للفرد والمجتمع. للتفصيل في ذلك انظر: ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال محمد بشر (القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٧٥م)، ص ٢٠ ـ ٢٥، تعليق المترجم.

(٥) انظر د. فايز ترحيني: «العربية والمعجمات»، مجلة الباحث، السنة العاشرة العدد الثاني ـ ٥٠ ـ نيسان ـ حزيران ـ ١٩٨٨، ص ١٢٦.

(٦) Koestler, A., Act of Creation; (London, Pan Books, 1966), P. 609

نقلاً عن د. أحمد أبو زيد: «الفكر واللغة» مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الأول، ١٩٧١، ص ٤.

انظر كذلك: د. سيد محمد غنيم: «اللغة والفكر عند الطفل»، عالم الفكر، العدد نفسه ص ١١٠. من الجدير بالذكر أن معظم البحوث في العدد المذكور من عالم الفكر قد خصصت لمعالجة موضوع «الفكر واللغة»، ومن المفيد أيضاً الرجوع إلى ما أدلى به د. أحمد عزت راجح في الرد على ما رأى السلوكيون من أمثال وطسن في العلاقة بين الفكر واللغة في كتابه أصول علم النفس(القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٧)، ص ٣٤١ وما بعدها.

(٧) انظر أحمد أبو زيد، المصدر السابق ص٧.

(٨) ج. فندريس، اللغة، تعريب عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص (القاهرة مطبعة لجنة البيان العربي، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠)، ص ٤٣٣ ـ ٤٣٤ انظر كذلك تصدير هنري بر للكتاب نفسه «اللغة وأداة التفكير»، ص ١ ـ ٢١.

(٩) انظر: ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ٢١ تعليق المترجم.

(١٠) انظر د. محمد فهمي زيدان، في فلسفة اللغة (بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص ٥٧ انظر ما تحدث به المؤلف عن رأي (همبولت Humboldt) الصفحة نفسها وما بعدها.

(١١) للمزيد من التفصيل حول اللغة والفكر انظر: د. أحمد عبدالرحمن حماد، العلاقة بين اللغة

والفكـر: دراسـة للعـلاقة اللـزومية بين الفكـر واللغـة (الإسكنـدرية: دار المعـرفـة الجامعـة، ١٩٨٥م)، د. سيد محمد غنيم: «اللغة والفكر عنـد الطفل»، عالم الفكر، المجلد (٢)، العدد (١)، إبريل - مايو - يونيه ١٩٧١م، ص ٩١ - ١٣٠.

(١٢) د. فاخر عـاقل، أصول علم النفس وتطبيقاتـه (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤)، ص ١٣٢.

(١٣) انظر آلان سارتون، الـذكاء، ترجمة د. محمود سيد رصاص (دمشـق: دار المعرفة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ص ٨.

(١٤) انظر:

Jean Piaget, Six Psycholgical Studies, With an Introduction, Notes and Glossary by David Elkind, translation from the french by Anita Tenzer, Trans & edited by David Elkind, (New York: Vintage Books, 1968). PP. 88 - 98.

(١٥) د. صالح عبدالعزيز، التربية الحديثة مادتها ـ مبادئها ـ تطبيقاتها العملية، ط٤ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٩)، ج٣، ص ١٩٠، يـرى (هوارد جـاردنر) Gardner أن للذكـاء سبعة أبعـاد رئيسة أولها وأبـرزها البعد اللغوي، انظـر تيسير صبحي ود. يوسـف قطامي، مقدمـة في الموهبة والإبداع، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٢)، ص ٤١.

(١٦) انظر د. عبـدالمجيد سيـد أحمد منصور، علم اللغـة النفسي (الرياض: جـامعة الملـك سعود، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص ١٠٥ - ١٦٠.

(١٧) د. جميـل صليبا: «تعـريـب التعليم بين القـائلين بـه والمعارضين لـه»، العـربي ١٨٢/ ينايـر ١٩٧٤، ص ١٢٠.

(١٨) د. أشلي مـونتـاكو، طبيعـة الإنسـان البيـولوجيـة الاجتماعيـة، تـرجمة د. أحمد حسن الـرحيـم (النجف: مطبعة الأدب، ١٣٨٥/ ١٩٦٥)، ص ٦٦.

(١٩) د. نايـف خرما ود. علي حجـاج: اللغات الأجنبية: تعليمها وتعلمهـا، عالم المعرفـة، العدد (١٢٦) ـ شوال ١٤٠٨هـ ـ يونيو (حزيران) ١٩٨٨م، ص ١٢٢ - ١٢٣، ولمزيـد من التفصيل حـول الموضوع انظـر الفصـل الخاص الذي كتبـه روي هجمان تحت عنـوان «الأسس الاجتماعيـة والحضارية للغة»، في كتابه اللغة والحياة والطبيعة البشرية، ص ٢٦ - ٣٥.

(٢٠) لمزيد من التفصيـل حول اللغة والحضارة انظـر ما كتبه د. أحمد أبو زيـد تحت عنوان: «حضارة اللغة»، عالم الفكر، المجلد (٢)، العدد (١)، أبريل - مايو - يونيه ١٩٧١م، ص ١١ - ٣٤.

(٢١) ابن سيده، «المخصص» (طبعة بولاق)، ج١، ص٦.

(٢٢) فندريس، اللغة، ص ٣١، وهناك وسائل تعبير طبيعيـة لدى الإنسان، كالضحك الدال على السرور أو السخريـة والبكاء الدال على الحزن، واصفـرار الوجه الـدال على الخوف واحمراره الدال على الغضب، والصراخ الـدال على الألم أو الرغبة في النجـدة. . . . انظر علي عبدالـواحد وافي، علم اللغة، ط٦ (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٣٨٧/ ١٩٦٧)، ص٧.

(٢٣) لمزيد من المعلـومات عن وسائل التعبير الوضعيـة الإرادية انظر المصدر السابـق ود. نوال محمد عطية، علم النفـس اللغوي (القاهرة: مكتبـة الأنجلو، ١٩٨٢(، ص ٢٨، د. فاخر عـاقل، سيكولـوجية اللغة، ص ١٣٢ - ١٣٦. وقد تحدث الجاحـظ عن أصناف الـدلالات على المعاني وقسمها إلى خمسة أشياء وهي: اللفظ، الإشارة، العقد، الخط، ثم الحال أو النصبة. انظر البيان والتبيين، تحقيـق فـوزي عطـوي (بيروت: مكتبة الطـلاب وشركـة الكتـاب اللبنـاني ١٩٦٨)،

ص٥٥ . وقد كتب الدكتور عبدالحميد يونس بحثاً قيماً تناول فيه موضوع العلاقة بين اللغة والتعبير الإنساني الفني القائم على استخدام الإيماءات والإشارات والحركات الجسمية المختلفة، انظر: مجلة عالم الفكر، م٢، ع١، ١٩٧١، ص ٣٥ ـ ٦٤ .

(٢٤) انظر د. جمعة سيد يوسف، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، سلسلة عالم المعرفة ـ ١٤٥، جمادى الآخرة ١٤١٠ هـ/ يناير ـ كانون الثاني ١٩٩٠، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، «نظرة في التمييز بين اللغة والكلام» ص ٥٥ ـ ٥٨ .

(٢٥) أندريه مارتينيه، مبادىء ألسنية عامة، ترجمة ريمون رزق الله (بيروت: دار الحداثة، ١٩٩٠م)، ص ١١ .

(٢٦) انظر: ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص٣١ .

(٢٧) نقلاً عن محمود السعران، علم اللغة (القاهرة: دار المعارف ١٩٦٢)، ص ٧٦ ـ ٧٧ الهامش.

(٢٨) فندريس، اللغة ص ٣٢ .

(٢٩) أندريه مارتينيه، مبادىء ألسنية عامة، ص ١٤ .

(٣٠) للمزيد من المعلومات حول الفوارق بين اللغة على عمومها ولغة الكلام بصورة خاصة وما تنفرد به هذه اللغة من خصائص ترتقي بها عن وسائل التواصل والتفاهم الأخرى. . . . يمكن الرجوع إلى د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط٣ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥)، الفصل الأول: «الكلام واللغة» ص ٣٢ ـ ٤٣، د. محمد عماد الدين إسماعيل: الأطفال مرآة المجتمع (النمو النفسي الاجتماعي للطفل)، عالم المعرفة، (٩٩) ـ جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ/ مارس ١٩٨٦، «خصائص اللغة البشرية». ص ٩٧ ـ ١٠٢، وإلى البحث القيم الذي كتبه الدكتور أحمد أبو زيد بعنوان «لعبة اللغة»، عالم الفكر، مجلد ١٦ عدد ٤/ ١٩٨٦، ص ٣ ـ ٢٨ وعلى الأخص ص ٣ ـ ٦ .

(٣١) الأصوات اللغوية كما اصطلح على تسميتها العلماء هي تلك الحركات النطقية التي ينتجها جهاز النطق في الإنسان ملونة بألوان صوتية خاصة تصحبها آثار سمعية معينة، والأصوات هي التي تتكون منها حروف اللغة. انظر ما كتبه الدكتور تمام حسان في التفريق بين الصوت اللغوي والحرف: اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٧٣ ـ ٧٤ .

(٣٢) المقطع يعتبر مرحلة وسيطة بين الصوت المفرد والكلمة المركبة من عدة أصوات، وهو في نظر علم وظائف الأصوات أو الفونولوجيا Phonology وحدة كلامية تتكون من «عدد من التتابعات المختلفة من السواكن والعلل بالإضافة إلى عدد من الملامح الأخرى مثل الطول والنبر والنغم أو إلى علل مفردة أو سواكن مفردة تعتبر في اللغة المعينة كمجموعة واحدة». انظر د. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ط٢ (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨١م)، ص ٢٤٢. وهو في أبسط تعريفاته وأكثرها اختصاراً يعتبر «مزيجاً من صامت وحركة يتفق مع طريقة اللغة في تأليف بنيتها، ويعتمد على الإيقاع التنفسي . . . فكل ضغطة من الحجاب الحاجز على هواء الرئتين يمكن أن تنتج إيقاعاً. . .»، انظر د. عبدالصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية: رؤية جديدة في الصرف العربي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ص ٣٨ وتتفرع المقاطع العربية إلى أنساق مختلفة هي: ١ ـ مقطع قصير مقفل مثل «أداة التعريف ال»، ٢ ـ قصير مفتوح مثل «باء الجر المكسورة»، ٣ ـ متوسط مقفل «لَمْ»، ٤ ـ متوسط مفتوح مثل «ما»، ٥ ـ طويل مقفل مثل «بابْ» بالسكون، ٦ ـ طويل مزدوج السكون مثل «عبْدْ» بالسكون.

وفي اللغة العربية كلمات أحادية المقطع مثل «من» وثنائية مثل «لمّا»، وثلاثية مثل «يُقَاتِلْ»، ورباعية مثل «يَتَعَلَّمْ»، وخماسية مثل «مُتَخاصِمِين»، وسداسية مثل «يَتَجاهَلُونْ»، وسباعية مثل «مُتحدِثِيهما». انظر د. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة (الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م)، ص ١٧٣ ـ ١٧٤.

(٣٣) انظر د. كمال محمد بشر علم اللغة العام، القسم الثاني: الأصوات اللغوية (القاهرة: دار المعارف ١٩٧٥م)، ص ٥٨.

(٣٤) يرى بعض الباحثين أن معظم الحروف أو طائفة منها في اللغات كانت في الأصل كلمات مستقلة ذات دلالات متميزة، ثم اختصرت بنيتها وأصبحت على الصورة القصيرة التي نراها. انظر د. إبراهيم أنيس «تطور البنية في الكلمات العربية» مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء الحادي عشر ـ ١٩٥٩م، ص ١٦٩. كما يرى بعض آخر أن الكتابة بدأت مقطعية وأن الطفل يتعلم اللغة كمقاطع تدل على معان قبل أن يعيها كلمات، بسام بركة، علم الأصوات العام: أصوات اللغة العربية (بيروت: مركز الإنماء القومي ١٩٨٨م)، ص ٩٦. والحقيقة أنه يمكن أن يتخذ جزء من كلمة بين فئة من مجموعة لغوية معينة للدلالة على معنى الكلمة نفسها على سبيل الاختصار، فيصبح هذا الجزء رمزاً للكلمة التي تم التواضع على معناها، كما تتخذ بعض الحروف للدلالة على أسماء أو أفعال في بعض العلوم التطبيقية، وكما ينطق الطفل المقطع «با» وحده فيفهم منه أنه يعني «بابا»، وبهذا تبقى الكلمة المرموز إليها هي الأصل بينما تصبح أجزاؤها التي تشير إليها كمصطلحات قطاعية خاصة.

(٣٥) انظر ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ٤٥، انظر كذلك ص ١٣، ٣٢.

(٣٦) انظر عبدالمنعم المليجي، أساليب التفكير (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٤٩)، الفصل الأول.

(٣٧) انظر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (بيروت: دار الجيل، لات)، مقدمة الطبعة الأولى للشيخ نصر الهوريني، ص ٦.

(٣٨) غيورغي غاتشف، الوعي والفن، ترجمة د. نوفل نيوف ومراجعة د. سعد مصلوح، عالم المعرفة (١٤٦) الكويت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٤٢، انظر كذلك ص ٤١.

(٣٩) د. مصطفى مندور، اللغة بين العقل والمغامرة (الإسكندرية منشأة المعارف ١٩٧٤م)، ص٣١.

(٤٠) د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٣١٥ ـ ٣١٧، انظر كذلك: د. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط٦ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٦)، ص ٣٨.

(٤١) انظر: ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ٦٥.

(٤٢) انظر إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص ٤٣: ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ٤٥. من الملاحظ هنا أننا أخرجنا الحروف والأدوات التي لا تدل بذاتها على معنى من مفهوم (الكلمة) ومرادفها (اللفظ)، فهي وإن كانت في حقيقتها أصواتا تلفظ إلا أنها لا تدل على معان إلا إذا ارتبطت بغيرها. وإذا ما اعتبرناها ألفاظا، فلا بد أن يكون (اللفظ) في هذا الحال أعم من (الكلمة)، على اعتبار أن (الكلمة) تختص بالاستقلال في الدلالة بينما اللفظ قد يدل على معنى مستقل بذاته فيكون مرادفاً للكلمة، وقد لا يدل فلا يكون مرادفاً لها. وفي هذه الحالة يمكننا تسمية الألفاظ الدالة بذاتها على معان بالكلمات أو بألفاظ المعاني، وتسمية الأخرى بألفاظ الارتباط أو الألفاظ الفارغة كما سماها بعض علماء اللغة المعاصرين، انظر محمد المبارك، فقه

اللغة وخصائص العربية : دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، ط٤ (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٠م)، ص ١٦٩.

(٤٣) يصرح الأستاذ محمد المبارك برأي يتفق مع ما ذهبنا إليه فيقول: «والفرق بين اللفظ والكلمة أن اللفظ يشير بوجه خاص إلى الناحية الصوتية من الكلمة وأن الكلمة تشير إليها وإلى المفهوم المعنوي للفظ معاً. وقد لاحظ هذا المعنى نحاتنا القدماء حين عرفوا الكلمة بأنها لفظ مفيد لمعنى واحد واعتبارهما مترادفين والإغضاء عما بينهما في الأصل من فرق دقيق.». فقه اللغة وخصائص العربية، ص ١٦٧.

(٤٤) الاستعداد الفطري أو ما يسمى أحياناً «الملكة». والملكة صفة راسخة في النفس أو استعداد عقلي خاص لتناول أعمال أو أداء وظائف معينة بحذق ومهارة، والملكة اللغوية: هي الاستعداد الفطري لتلقي وتلقن أو تعلم اللغة، وهذا الاستعداد الفطري يشمل التكوين الجسدي المتمثل في وجود وسلامة جهاز النطق وجهاز السمع الذي يضبط وينظم الأصوات الصادرة والواردة، كما يشمل الاستعداد الذهني الذي يتمكن به الدماغ من القيام بوظائفه في ضبط حركة الفم والحلق وتمييز الأصوات وفرزها وتصنيفها والإفادة من المعلومات المسموعة وتذكرها وتخزين الإحساسات ورصد المشاعر، ويشمل كذلك القدرة على تقليد الآخرين ومحاكاتهم في ترديد أو نطق النماذج الكلامية المسموعة، للتفصيل في ذلك انظر د. كمال محمد بشر، علم اللغة العام، ص ٦٤ ـ ٧٢، الأصوات اللغوية د. عبدالمنعم المليجي ود. حلمي المليجي، النمو النفسي، ط٥ (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧١)، ص ١٧٨، د. مصطفى فهمي، أمراض الكلام، ط٥ (القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٩٧٥)، ص ٩ ـ ٢٨، «الجهاز الكلامي».

(٤٥) Vygotsky. L. S., Thought and Language, ed 7 trans by Eugenia Hauf & Gertrude Vaker (The M.i.t. Press, Cambridge. Massaschusetts, 1962) P. 41.

(٤٦) عبدالرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون (بيروت: دار لبنان، لات)، ص ٥٤.

(٤٧) د. عبدالله الدنان «الإبداع واللغة العربية في المناهج المدرسية»، مجلة جامعة دمشق في العلوم الإنسانية والأساسية والتطبيقية، مجلد٢، ع٦، شوال ١٤٠٦ حزيران ١٩٨٦، ص ٢٩.

(٤٨) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق د. مصطفى الشويمي (بيرو: ١٩٦٣)، ص ٦٢.

(٤٩) انظر روي. سي. هجمان، اللغة والحياة والطبيعة البشرية، مقدمة المترجم، ص ٣٨ ـ ٣٩ وكذلك انظر د. حلمي خليل، اللغة والطفل: دراسة في ضوء علم اللغة النفسي (بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، ص ٨٢.

(٥٠) حول أهمية التقليد ومراحله الدقيقة وأثره في تنمية المحصول اللغوي لدى الطفل. انظر د. حلمي خليل، اللغة والطفل، ص ٨١ ـ ٩١.

(٥١) Eric Lennenberg, Biological Foundations of Language, (New York: John Wiley & Sons 1967). P. 178.

انظر كذلك د. عبدالله الدنان، المصدر نفسه، ص ٢٩، ويرى روي هجمان أن قدرة الإنسان على تعلم اللغة تبلغ ذروتها في فترة تمتد تقريباً بين السنة الأولى والسنة السادسة وتكتمل بحلول السادسة بينما تقل هذه القدرة عندما يبلغ لحاء مخ الطفل درجة معينة من النضج، بحيث يبدو أن تعلم اللغة تحدده عوامل فطرية أكثر من أي شكل من أشكال التعلم البشري. انظر روي هجمان، اللغة والحياة والطبيعة البشرية، ص ١٠٦ وقد رفض الدكتور داود حلمي فكرة أن

يسيطر الطفل سيطرة تامة على لغته عند بلوغه الخامسة أو السادسة، ورأى اكتساب اللغة عملية مستمرة لا تحدد بعمر معين أو تتوقف عند مرحلة زمنية معينة، وهو اعتراض وجيه، ولكن الدكتور داود نفسه يبالغ بدوره عندما يقرر بأن الطفل «ما أن يبلغ السادسة من العمر حتى يكون قد تعلم لغة قومه وحذقها»، انظر المصدر السابق الذكر نفسه، ص ٤٠، ٢٦ على التوالي.

(٥٢) انظر داود عبده وسلوى حلو عبده، «في اكتساب المفردات عند الطفل» المجلة العربية للعلوم الإنسانية، (صيف ١٩٨١م)، ع٣، مج١، ص٩٨ Lois Bloom & M Lahey. Language : Development and Language Disorders. (New York: John Wiley. 1978). P. 99.

(٥٣) Eric Lennenberg, Biological Foundations of Languae, (New York: John Wiley & Books, 1967), PP. 376 ff.

انظر كذلك د. محمد عماد الدين إسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع، عالم المعرفة، (٩٩) ـ جمادي الآخرة ١٤٠٦هـ/ مارس ١٩٨٦م، ص ١٥٠ ـ ١٠٦، ٢٣٧.

(٥٤) داود عبده وسلوى حلو عبده، المصدر السابق، ص ٩٨ ـ ١٠٣، وللمزيد من التفصيل حول محصول الطفل من المفردات اللغوية في المرحلة المشار إليها في هذه الفقرة انظر د. ليلى أحمد كرم الدين، الحصيلة اللغوية المنطوقة لطفل ما قبل المدرسة من عمر عام حتى ستة أعوام، سلسلة الدراسات الموسمية المتخصصة (١١) ـ الكويت الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، ١٩٨٩م. كذلك انظر البحث التجريبي الميداني الذي قام به الدكتور رياض قاسم لمعرفة المفردات التي يتداولها أو يدركها الأطفال بين (٣ سنوات ـ ١٢ سنة) في سبيل وضع معجم للطفل العربي: رياض زكي قاسم، المعجم العربي: بحوث في المادة والمنهج والتطبيق (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص ٣٩٥ ـ ٣٢٩.

(٥٥) انظر قوائم الكلمات الأكثر انتشاراً وشيوعاً في أحاديث الأطفال من سن عام إلى ستة أعوام، د. ليلى أحمد كرم الدين، الحصيلة اللغوية المنطوقة لطفل ما قبل المدرسة، ص ٢٢٦ ـ ٢٦٨، ويضم كتاب الثروة اللغوية للأطفال العرب ورعايتها للدكتور صباح حنا هرمز عدداً من المصادر الخاصة بإحصاء وتتبع المفردات اللغوية الشائعة لدى الأطفال العرب في أعمارهم وبيئاتهم المختلفة، انظر قائمة مصادر الكتاب المذكور، ص ٨٩ ـ ٩١.

(٥٦) انظر صباح حنا هرمز، الثروة اللغوية للأطفال العرب ورعايتها، (الكويت: ذات السلاسل للطباعة والنشر، ١٩٨٧)، ص ٣٩ ـ ٤٨.

(٥٧) صباح حنا هرمز، الثروة اللغوية للأطفال العرب، ص ٣٦.

(٥٨) Noam Chomsky, Language and Mind. (New York, : Harcourt & Brace, 1968). p. 15, 101 - ff.

(٥٩) لمزيد من التفصيل حول اكتساب المفردات اللغوية وقوانين ومراحل النمو اللغوي عند الأطفال عامة انظر: المصدر السابق، ص ٩٥ ـ ١١٦، د. حلمي خليل، اللغة والطفل، ص ٥٩ ـ ٨٠؛ Lois Bloom, Language Development: Form and Function in Emerging grammer. (Cambridge, Mass, : M I T . Pres)' Bloom & M Lahey. op. cit., ; M. E. Smith, "An investigation of the development of the sentence and the extent of vocabulary in young children" Univ la. Stud Child Welf., 3. No. 5.

(٦٠) للتفصيل في ذلك انظر علي عبدالواحد وافي، «أثر العوامل الاجتماعية في خصائص اللغة وتطورها»، في كتاب اللغة والمجتمع (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٧١)، ص ٩ ـ ٢٤، انظر

كذلك أوتو جسبرسن، اللغة بين الفرد والمجتمع، ترجمة د. عبدالرحمن محمد أيوب (القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٥٤م)، ص ٤ ـ ٦ .

(٦١) شفيق جبري «الألفاظ والحياة»، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مج ٤٨، ج٤، ١٩٧٣/ ١٣٩٣، ص ٧٢٧.

(٦٢) انظر ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، «الفصل الثاني: أسباب تغير المعنى» ص ١٥٢ ـ ١٦٠، د. علي عبدالواحد وافي، علم اللغة، ط٦ (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، ص ٢٥٥ ـ ٢٥٨، ٢٨٧ ـ ٣٠١.

(٦٣) انظر فاروق شوشة، لغتنا الجميلة (بيروت: دار العودة، د. ت)، ٩٧، ١٠١، ولمزيد من التفصيل عن التطور والصعود الدلالي في اللغة العربية انظر جاروسلاف ستتكيفتش، العربية الفصحى الحديثة: بحوث في تطور الألفاظ والأساليب، ترجمة وتعليق د. محمد حسن عبدالعزيز (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص ١٥٥ ـ ١٧١.

(٦٤) عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق أبو الفضل إبراهيم وآخرين، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د.ت)، ج١، ص ٢٩٤.

(٦٥) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ١٥٣.

(٦٦) انظر: د. جمعة سيد يوسف، سيكولوجية اللغة، ص ٥٩، د. عبدالغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث (القاهرة: مطبعة الجبلاوي، ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦)، ص ٢٨٧.

الفصل الثاني

(١) للمزيد من الفائدة وتتبع بعض الدراسات التي أجريت حول أهمية ثراء الحصيلة من المفردات اللغوية يقترح الاطلاع على ما كتبه صباح حنا هرمز تحت عنوان «أهمية المفردات اللغوية في حياة الطفل»، الثروة اللغوية للأطفال ورعايتها، ص ١٧ ـ ٢٠، فهو فصل قصير ولكنه يرشد الباحث إلى بعض الدراسات المهمة.

(٢) انظر سيلفانو أريتي، الفصامي: كيف نفهمه ونساعده، دليل للأسرة وللأصدقاء، ترجمة د. عاطف أحمد، عالم المعرفة (١٥٦) ـ جمادى الأولى ١٤١٢هـ/ ديسمبر ١٩٩١م ص ١٠٥ ـ ١٠٦. ويمكن مراجعة «الفصل الخامس: أسباب الفصام» ص ٨٩ ـ ١١١.

(٣) سامي عبدالحميد نوري وبدري حسون فريد، فن الإلقاء (جامعة بغداد، ١٩٨٠م)، ج١، ص ١٣.

(٤) محمود فهمي حجازي، أسس علم اللغة العربية. ص ٢٢ ـ ٢٣. يقسم بعض الدارسين اللغة العربية إلى مستويين رئيسيين: مستوى الفصحى ويتضمن فصحى التراث وفصحى العصر، ومستوى العامية ويتضمن: عامية المثقفين وعامية المتنورين وعامية الأميين. انظر السعيد بدوي، مستويات العربية المعاصرة في مصر (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٣)، ص ٨٩. وهذا في الحقيقة يمكن أن يكون تقسيماً نسبياً تقريبياً، لأن المستويات المذكورة قد تتداخل ويؤثر بعضها في البعض الآخر، كما أن هناك عناصر مشتركة بينها وصفات تنتقل من بعضها إلى البعض الآخر مع مرور الزمن.

(٥) حول ضرورة وجود القدرة الكافية على التعبير الفصيح وطلاقة اللسان وسلامة القول كخصيصة من خصائص القيادة الإدارية اللازمة والطلاقة والسلامة في القول، انظر: د. نواف كنعان، القيادة الإدارية (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٠٢/ ١٩٨٢)، ص ٣١٣، ٣٣٩.

(٦) الجاحظ، رسائل الجاحظ، الرسائل الأدبية، قدم لها وبوبها وشرحها د. علي أبو ملحم، (بيروت: دار مكتبة الهلال، ١٩٨٧)، ص ٢٠٧.
(٧) ديل كارنيجي، التأثير في الجماهير عن طريق الخطاب، ترجمة رمزي يسي وعزت فهيم صالح (بيروت: دار الفكر العربي، د. ت)، ص٢٠٠.
(٨) الجاحظ، البيان والتبيين، ط٥، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ج٣، ص٣٩.
(٩) الجاحظ، الحيوان، ط٢، تحقيق عبدالسلام هارون (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م)، ج٣، ص٣٩.
(١١) أبو هلال العسكري، الصناعتين، الكتابة والشعر، ط١، تحقيق وضبط د. مفيد قميحة (بيروت: دار الجيل، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص٣١.
(١٢) انظر ستيفن أولمان، دور الكلمة، ص٦٥. لقد اختلف اللغويون اختلافاً كبيراً في تعريف المعنى ويرجع هذا الخلاف إلى أسباب كثيرة لا يعنينا ذكرها في هذا المجال، وقد اخترنا التعريف الذي يمكن أن يوفق بين عدد من التعريفات ويكون قريباً من تصورنا وللتفصيل يمكن للقارىء الرجوع إلى ما ذكره الدكتور كمال محمد بشر في تعليقه على تعريف أولمان، دور الكلمة، ص ٦٦ ـ ٦٨، وكذلك د. عزمي إسلام، مفهوم المعنى: دراسة تحليلية، حوليات كلية الآداب، الرسالة الحادية والثلاثون، الحولية السادسة (جامعة الكويت)، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥، ص ٢٧ ـ ٦٤ «المعنى اللفظي»، د. نوال محمد عطية، علم النفس اللغوي (القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٨٢. ص ٤٥ ـ ٥٠ «تعريف المعنى».
(١٣) يقول جوزيف فندريس: «إن ما نسميه بالمفردات هو مجموعة الكلمات في إحدى اللغات باعتبار قيمتها المعنوية»، انظر كتاب «اللغة. ص ٢٢٥.
(١٤) فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق د. بكري شيخ أمين (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٥)، ص١٤٨.
(١٥) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٢/ ١٩٨٢)، ص ٤١.
(١٦) ابن أبي الحديد، الفلك الدائر على المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتحقيق د. أحمد الحوفي وبدوي طبانة (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، لات)، ص ٣٠٥.
(١٧) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٣٨.
(١٨) غيورغي غاتشف، الوعي والفن، ترجمة د. نوفل نيوف ومراجعة د. سعد مصلوح، سلسلة عالم المعرفة ١٤٦، رجب/ ١٤١٠هـ ـ فبراير/ شباط ١٩٩٠، ص ٧٦.
(١٩) الجرجاني، دلائل الإعجاز ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨.
(٢٠) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٥٠ ـ ٥١.
(٢١) عبدالرحمن بن عيسى الهمذاني، الألفاظ الكتابية (بيروت: دار الهدى للطباعة والنشر ١٣٩٩/ ١٩٧٩) مقدمة المؤلف ص: ك.
(٢٢) انظر د. لويس كامل مليكة، سيكولوجية الجماعات والقيادة، الجزء الأول (القاهرة: الهيئة المصرية العامة ١٩٨٩)، ص٢٠.
(٢٣) انظر: د. مصطفى غالب، في سبيل موسوعة نفسية ـ ٢ فصام الشخصية «الازدواجية» (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٦)، ص ٨٥ ـ ٩٢.

(٢٤) د. أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٧)، ص ٣٣٩.
(٢٥) انظر لويس مليكة، سيكولوجية الجماعات والقيادة، ص ٢٧ ـ ٢٨.
(٢٦) J. Khatena, and Cunnington. E.P., Torrance, Thinking Creatively with sounds and Words, (Personnel Press. Lexington, Massm 1973) P. 29.
(٢٧) انظر: د. عبدالله الدنان، الإبداع واللغة العربية في المناهج المدرسية، ص ٢٨.
(٢٨) د. حلمي المليجي سيكلوجية الابتكار، الطبعة الثانية (دار المعارف بمصر، ١٩٦٩)، ص ١٢٧، ١٢٥.
(٢٩) د. فاخر عاقل، الإبداع وتربيته (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٣)، ص ١٢٣.
(٣٠) ألكسندرو روشكا، الإبداع العام والخاص، ترجمة د. غسان عبدالحي أبو فخر، عالم المعرفة (١٤٤)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، ص٦٠.
(٣١) انظر: جارلس بورلي ولنكتن وجين ولت ولكتن، تربية العقل الناقد، ترجمة د. طه الحاج إلياس (بغداد: المكتبة الأهلية، ١٩٦٥م)، ص.
(٣٢) حلمي المليجي، سيكلوجية الابتكار، ص ١٢٩، يعتبر الكسندروروشكا الاستعداد اللغوي مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالقدرات الإبداعية سواء بالإعداد لها وتوفير المرونة في التفكير أو بإظهارها والتعبير عنها. راجع الإبداع العام والخاص، ص ٦٨ وما بعدها.
(٣٣) انظر الجاحظ، البيان والتبيين ج١، ص ٥٥.
(٣٤) انظر د. حسن ظاظا، كلام العرب: من قضايا اللغة العربية (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٦)، ص ٩٠ ـ ٩١.
(٣٥) عبدالله العلايلي، انظر فايز ترحيني: «العربية والمعجمات»، مجلة الباحث، السنة العاشرة، العدد الثاني ـ ٥٠ ـ نيسان ـ حزيران ـ ١٩٨٨، ص ١٣٢.
(٣٦) انظر ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ١٤٦.
(٣٧) وتعرف الازدواجية أو الثنائية اللغوية أيضاً بأنها «تعايش لغتين مختلفتين في مجتمع واحد» أو بأنها «استعمال فرد أو مجموعة أفراد لغتين مختلفتين أو أكثر في شكلهما المحكي أولاً والمكتوب ثانياً»، انظر د. ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية: دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٣م)، ص ٣٦ وما بعدها.
(٣٨) مصطفى زكي التوني: «علل التغيير اللغوي»، حوليات كلية الآداب، ص ١٣٣.
(٣٩) د. محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين: الثنائية اللغوية: «الثنائية اللغوية في العالم»، ص ٣٩.

الباب الثاني

الفصل الأول

(١) انظر: Saracevic, T. Consolidation of Information. Paris, UNESCO, July 1981, P. 18 - 19.
انظر كذلك د. صالح بن مبارك الدباسي: «التدريب ونظريات الاتصال»، رسالة الخليج العربي، العدد التاسع والثلاثون، السنة الثانية عشرة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م، ص٢٩.

(٢) الاستعداد الفطري لاكتساب اللغة أو ما كان يسمى بملكة اللغة يشمل التكوين الجسدي المتمثل في وجود وسلامة جهاز النطق وجهاز السمع الذي يضبط وينظم الأصوات الصادرة والواردة، كما يشمل الاستعداد الذهني الذي يتمكن به الدماغ من القيام بوظائفه في ضبط حركة الفم والحلق وتمييز الأصوات وفرزها وتصنيفها والإفادة من المعلومات المسموعة وتذكرها، وتخزين الإحساسات ورصد المشاعر ويشمل كذلك القدرة على تقليد الآخرين ومحاكاتهم في ترديد أو نطق النماذج الكلامية المسموعة. انظر د. عبدالمنعم المليجي ود. حلمي المليجي، النمو النفسي، ط٥ (بيروت: دار النهضة العربية ١٩٧١)، ص ١٧٨، د. مصطفى فهمي، أمراض الكلام، ط٥ (القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٩٧٥)، ص ٩ ـ ٢٨، «الجهاز الكلامي».

(٣) أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار(بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م)، ج٢، ص ١٦.

(٤) للمزيد من التفصيل عن طرق وطبيعة اكتساب اللغة عن طريق التعايش والاختلاط الاجتماعي المباشر وما طرح بعض العلماء العرب من أمثال ابن جني وابن خلدون من آراء أو نظريات في هذا الصدد انظر د. هادي نهر، علم اللغة الاجتماعي عند العرب (بيروت: دار الغصون، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ص ٧١ ـ ٧٦.

(٥) انظر: د. عبدالمجيد سيد أحمد منصور، علم اللغة النفسي، ص ١٤٩ ـ ١٥٣.

(٦) الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ٨٦.

(٧) قامت بعض المدارس الحديثة في الولايات المتحدة وفي عدد من دول الخليج أيضاً، ومنها المملكة العربية السعودية والكويت باستخدام الهاتف في عملية التعليم ومساعدة الطلبة الذين لا تسمح ظروفهم بالذهاب إلى المدرسة، انظر: د. مصباح الحاج عيسى، «استخدام الهاتف والشاشة الإلكترونية في التعلم عن بعد في دول الخليج العربية»، المجلة العربية لبحوث التعليم العالي، المركز العربي لبحوث التعليم العالي ـ دمشق، العدد السادس ـ ذو القعدة ١٤٠٧هـ ـ يوليو/ تموز ١٩٨٧م، ص ٥١.

(٨) مصطفى مندور، اللغة بين العقل والمغامرة (الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٧٤م)، ص ٣٧ ـ ٣٨.

(٩) يقصد بالدائرة التلفزيونية المغلقة، الشبكة أو الدائرة التي تخص فئة معينة من المتلقين معروفة سلفاً ومحددة بدقة، كالدائرة التي تخصص لمدرسة أو لعدد من المدارس ويتم من خلالها بث برامج تعليمية خاصة إلى الطلبة أو إلى مجموعة أو مجموعات منهم. . . وتوجد في جامعة الملك

سعود والجامعات المتطورة الأخرى عدة دوائر تلفزيونية مغلقة مخصصة لبرامج تعليمية مختلفة وتشرف عليها مراكز فنية تقنية خاصة، انظر د. مصطفى بن محمد عيسى فلاته، المدخل إلى التقنيات الحديثة في الاتصال والتعليم (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٩٩٢م)، ص ٢٩٧.

(١٠) عبدالقادر المغربي: «الراديو وأثره في نشر اللغة»، مجلة المجمع العلمي العربي ـ دمشق المجلد السادس عشر، ج١، ٢، ١٩٤١/ ١٣٦٠هـ، ص ٢٣.

(١١) د. سعد لبيب، «برامج التلفزيون والتكنولوجيا الحديثة للاتصال في الوطن العربي»، المجلة العربية للثقافة، السنة الحادية عشرة، العدد العشرون ـ شعبان ١٤١١هـ/ مارس (آذار) ١٩٩١م ـ تونس، ص ١٠.

(١٢) د. علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، (الرياض: جامعة الرياض ١٣٩٥/١٩٧٥)، ص١٩٢.

(١٣) لقد تابعت ابنتي (هناء) البالغة في الوقت الحاضر سنتين وتسعة أشهر تقريباً، تابعتها فترة من الزمن فوجدت أنها تمكنت من التقاط طائفة من المفردات والتراكيب العربية الفصحى من خلال مشاهدتها عدداً من أفلام «كارتون» والأناشيد والإعلانات التجارية التي تقدم بالفصحى، وإن كان معظم هذه المفردات والتراكيب مما يسهل في العادة نطقه، فهي تردد عبارات مثل «حافظي على نعومة شعرك»، «إنها رمز الجودة»، «قوية ومغذية ومنشطة». ويلاحظ أنها تستخدم كثيراً الكلمات والتراكيب التي تلتقطها في تعبيراتها وأحاديثها مما يدل على فهمها لمعانيها ومدلولاتها.

(١٤) انظر سمر روحي الفيصل، تنمية ثقافة الطفل العربي، سلسلة الدراسات العلمية الموسمية المتخصصة (٩)، (الكويت: الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م)، ص ١١٠ ـ ١١٥.

(١٥) د. يحيى عبدالرؤوف جبر، «مسلسل المناهل مقدمات ونتائج»، رسالة الخليج العربي، العدد الثالث والثلاثون، السنة العاشرة ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، ص ٧١.

(١٦) من السلبيات التي نسبت للوسائل السمعية والبصرية عامة وللتلفاز بصورة خاصة عدم تمكين المشاهد من القيام بأي ردة فعل أمام مضمون البرامج، وإن طابع الرتابة الذي تتسم به بعض هذه الأجهزة وسوء الكثير من البرامج التي تقدم من خلال هذه الوسائل يعد من الأسباب التي تدفع المشاهد إلى السلبية وعدم التفاعل، لذلك كان من المهم البحث عن أنظمة جديدة تعيد للمشاهد حقه في التعبير وتدفعه إلى التجاوب والتفاعل المستمر وتجعل القدرات الخلاقة مشتركة وذلك بالاستناد إلى عدد من المستجدات التقنية الحديثة من التجديد المتواصل في نوعيات البرامج بالإضافة إلى العمل على تربية المشاهد وتوجيهه لكيفية التفاعل مع الوسائل المذكورة، كلود فابريزيو: «الوسائل السمعية البصرية أداة للعمل الثقافي»، التنمية الثقافية: تجارب إقليمية، تأليف مجموعة من خبراء (اليونسكو)، ترجمة سليم مكسور، مراجعة عبده وازن، ط١ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٣م)، ص ٤٠٥ وما بعدها.

(١٧) انظر د. إبراهيم إمام، الإعلام الإذاعي والتلفزيوني، ط٢ (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٨٥م)، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

(١٨) انظر سمر روحي الفيصل، تنمية ثقافة الطفل العربي، ص ١١٣.

(١٩) انظر طائفة الأخطاء والمآخذ اللغوية التي أوردها الدكتور أحمد مختار عمر كأمثلة على شيوع الخطأ في لغة المذيعين ومقدمي البرامج في كتابة أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين، ط٢ (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٣م)، ص ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٨، ـ ٣٠، ٣٩ ـ

٢٢٨، انظر كذلك د. إبراهيم السامرائي، فقه اللغة المقارن، ط٤ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)، ٢٢٣ وما بعدها، فكتور سحاب، أزمة الإعلام الرسمي العربي: النموذج اللبناني (بيروت: دار الوحدة، ١٩٨٥م)، ص ٩٧ ـ ١٠٠، د. عبدالعزيز الخويطر: «أخطاء في اللغة»، مجلة تلفزيون الخليج، س١١، ع١ ـ رمضان ١٤١٢هـ/ أبريل ١٩٩٢م، ص ٢٢.

(٢٠) النصان المذكوران: من قول لنجيب محفوظ وقول لمحمود عبدالمنعم مراد أوردهما الدكتور أحمد مختار عمر في كتابه السابق الذكر «أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين»، ص٢٣ ـ ٢٤، كما أورد أقوالاً أخرى في معرض التمهيد لكتابه وتبرير معالجته لظاهرة الخطأ اللغوي الشائعة بين المذيعين والصحفيين. ولقد عالج الكتاب هذه الظاهرة بسعة وعمق وتتبع، ضمن دراسة ميدانية تحليلية تقويمية للأخطاء اللغوية الشائعة، كما طرح مجموعة من المقترحات والتوصيات التي تقود علاج الظاهرة أو تعمل على الحد من انتشارها وخطرها على اللغة، ولذلك فلا غنى لأي دارس للموضوع عن الرجوع إلى هذا الكتاب.

(٢١) لمزيد من المعلومات عن الأضرار الصحية التي تنجم عن الإدمان على مشاهدة التلفاز: انظر د. ضحى بابلي «التلفزيون قد يشكل عقلية طفلك» المجلة الطبية السعودية، ع٧٠، س ١٤ محرم ـ ربيع الثاني ١٤١١هـ، ص ٦٥ ـ ٦٩.

(٢٢) الملاحظات المذكورة تتعلق بالتلفاز بصورة خاصة، وقد خصصناه بالتعليق لأهميته وغلبته في شد الجماهير والتأثير فيهم، ومن ثم اتساع دوره التثقيفي، وللتوسع في معرفة دور المذياع وفي المجال المذكور يمكن الرجوع إلى ما كتبه عبدالقادر المغربي تحت عنوان: «الراديو وأثره في نشر اللغة» المصدر المذكور نفسه، ص ٢٣ ـ ٢٨.

(٢٣) د. محمد كامل حسين، اللغة العربية المعاصرة (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦م)، ص ٨٨. ولمزيد من التفصيل حول اللغة المبسطة أو «المخففة» المقترحة لبرامج الأطفال والبرامج الإذاعية والتفزيونية عامة انظر: د. أحمد محمد المعتوق، دور وسائل الاتصال السمعية والبصرية في تنمية الحصيلة اللغوية»، رسالة الخليج العربي، العدد السابع والأربعون، السنة الرابعة عشرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ص ٧٧ وما بعدها.

(٢٤) سمر روحي الفيصل، تنمية ثقافة الطفل العربي، ص ١١٦.

(٢٥) للتفصيل في الحديث عن أساليب الإلقاء في التلفزيون والراديو والعمل على تنمية القدرات فيها انظر سامي عبدالحميد وبدري حسون فريد، فن الإلقاء (بغداد: جامعة بغداد، ١٩٨١م)، الجزء الرابع: «الباب الثالث ـ الإلقاء في الإذاعة والتلفزيون والسينما» ص ٦٧ ـ ٩٤.

(٢٦) د. سعد لبيب، «برامج التلفزيون والتكنولوجيا الحديثة للاتصال في الوطن العربي»، المجلة العربية للثقافة، ص ١٤.

(٢٧) للاطلاع على وسائل أو سبل الارتقاء بالبرامج التلفزيونية على مختلف الأصعدة والمستويات يمكن الرجوع إلى المصدر السابق، ص ١٦ ـ ١٨.

(٢٨) قد أشير من قبل إلى ما قام به د. أحمد مختار عمر من عمل جليل في هذا المجال في كتابه أخطاء اللغة العربية المعاصرة، ومما يجدر ذكره أيضاً أن لجنة ألفت في كلية اللغة العربية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لرصد وتصحيح الأخطاء الشائعة التي ترد في كل من الصحافة والإذاعة، وقد خصصت شعبة منها: للإذاعة والتلفزيون، وشعبة أخرى الصحافة. انظر: مجلة الفيصل، ع١٥٧ ـ رجب ١٤١٠هـ، س ١٤ ـ شباط ١٩٩٠م، ص ١٣٨ ولا شك في أن ذلك يعتبر خطوة إيجابية سديدة ومهمة نحو تعزيز فاعلية وسائل الاتصال المذكورة في تنمية اللغة.

(٢٩) لقد طرح د. أحمد مختار عمر في كتابه «أخطاء اللغة العربية المعاصرة» السابق الذكر عدداً من المقترحات والتوصيات القيمة المتعلقة بقضية الارتقاء بلغة التلفاز والمذياع عن طريق تفادي الأخطاء والشوائب والتجاوزات اللغوية، لم نذكرها تجنبا للتكرار وتفاديا للإطالة، يحسن الرجوع إليها، انظر: ص ٢٧ ـ ٣٨.

(٣٠) انظر: د. فوزي طه إبراهيم ود. وليم توضروس عبيد، مبادىء الكمبيوتر التعليمي للأفراد: المدرسة المجتمع المنزل، ط ١ (جدة: تهامة، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨م).

(٣١) Bates. A. W. "The Implication for Teaching and Learning of New Informatics Developments" Paper Presented at Higer Education Internationals First Annual Conference: Forward to the Year 2000 University of York, U, K., 1984. PP 3 - 5

نقلاً عن د. مصباح الحاج عيسى، «استخدام الهاتف والشاشة الإلكترونية في التعلم عن بُعد ....» ص ٥١.

(٣٢) لقد ظهر حتى عام ١٩٨٩م ما يزيد على ألف نشرة معلومات ودورية إلكترونية، وعدد كبير آخر ضمن برامج متنوعة في عدد كبير من مجالات المعرفة. انظر: د. محمد الفيتوري عبدالجليل. «الكتاب وتقنية الاتصالات» المجلة العربية للثقافة ـ السنة التاسعة ـ العدد السابع عشر ـ صفر ١٤١٠هـ/ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩م، تونس، ص ١٣٤.

(٣٣) إبراهيم أنيس، «دور الكمبيوتر في البحث اللغوي» مجلة مجمع اللغة العربية، ج٢٨، رمضان ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، ص ٨.

(٣٤) د. محمد المنجي الصيادي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥م)، «نشاطات المكتب»، ص ١٩٢ ـ ٢٠٨.

(٣٥) مري أليس ويات، «ثورة التعليم الإلكتروني: المسائل المطروحة» مستقبليات، مجلة التربية الفصلية، اليونسكو، عدد (١) المجلد الرابع عشر، ١٩٨٤م، د. مصباح الحاج عيسى، المصدر نفسه، ص ٤٩، ٥٢.

(٣٦) انظر ما كتبه جوزيف نيومان عن فاعلية الحاسب الآلي في عمليات التعليم ومن جملتها تعليم اللغة تحت عنوان «وسيلة جديدة في التعليم» في كتابة: الحاسب الإلكتروني وكيف يغير حياتنا، ترجمة: زغلول فهمي (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٢م)، ص ٣٩ ـ ٦٢، كذلك انظر روث بيرد وجيمس هارتلي، التعليم والتعلم في الجامعات والمعاهد العليا، ترجمة د. أحمد إبراهيم شكري ومراجعة د. محمد علي حبشي (جدة: جامعة الملك عبدالعزيز ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م)، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٧.

(٣٧) انظر ما كتبه: ج. براون وآخرون حول استخدام الشاشة الإلكترونية في التعلم ومدى فاعلية هذا الاستخدام في التقنيات التربوية بين النظرية والتطبيق، ترجمة مصابيح الحاج عيسى وآخرون (الكويت: مكتبة الفالح، ١٩٨٥م)، ص ٢٣٦ وما بعدها. انظر كذلك مصباح الحاج عيسى، المصدر السابق نفسه ص ٥١ ـ ٥٢، ٦١ وما بعدها.

(٣٨) انظر الجزء الخاص بوسائل تنمية الحصيلة اللفظية من هذا البحث فهناك العديد من العمليات أو الإجراءات المذكورة التي يمكن أن تعمل على شكل برامج خاصة بالحاسب الآلي يكتسب الناشىء من خلال معالجتها أو تطبيقها حصيلة لفظية واقية.

(٣٩) كمثل على ذلك انظر:

Micro Adventure no. 1 SPACE ATTACK. by Eileen Buckholtz and Ruth Glick,

Parachute Press 1984 Micro Adventure no. 2. Jungle Quest, by Megan Stine and H. William Stine. Parachute Press 1984.

(٤٠) انظر: شفيق جبري «الألفاظ والحياة»، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ٤٨، ج٤، ١٣٩٣، ١٩٧٣، ص ٧٢٧ ـ ٧٣٠، بقايا الفصحى، مجلة المجمع العلمي العربي ـ دمشق م ١٧ ج٣ و ٤ (١٩٤٢)، ص ١١٤ ـ ١١٨ وز ٢٠، ج٥ و ٦ (١٩٤٥) ص ١٩٣ ـ ١٩٧، م ٥٤، ج٤، ١٩٧٩ ص ٧٣٣ ـ ٧٣٦ وأعداد مختلفة من المجلة المذكورة.

(٤١) لمزيد من التفصيل فيما يتعلق بهذا الفصل من موضوعات وقضايا وجوانب أخرى متشعبة عنها انظر: د. أحمد محمد المعتوق، «دور وسائل الاتصال السمعية والبصرية في تنمية الحصيلة اللغوية»، رسالة الخليج العربي، ص ٥٥ ـ ١١٨.

الفصل الثاني

(١) يعتبر الكتاب في الحقيقة من أهم وسائل الاتصال المطبوعة، ويدخل ضمن وسائل للاتصال الاجتماعي العامة التي سبقت الإشارة إليها ولكنه يمتاز عنها بأنه وسيلة مطبوعة ولا يحتاج في أداء دوره إلى أجهزة للعرض ومعدات خاصة كما يحتاج التلفاز أو المذياع أو الحاسب الآلي والوسائل السمعية والبصرية الأخرى.

(٢) حمد قرة علي، سنابل الزمن، ط٦ (بيروت: مؤسسة نوفل، ١٩٨٦)، ص ٣١.

(٣) انظر: د. محمد الفيتوري عبدالجليل، المصدر السابق نفسه، ص ١٣٣.

(٤) Rene Wellek and Austin Warren, Theory of Literature. (New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1977), P. 22.

وقد تحدث المؤلفان عن الاختلاف بين طبيعة اللغة العلمية واللغة الأدبية أيضاً، انظر المصدر نفسه ص ٢٣ وما بعدها.

(٥) انظر: الوعي والفن، ص ٤٣.

(٦) تحدث الدكتور إبراهيم مدكور عن الصلة بين اللغة والأدب في مقال بعنوان «الأدب العربي تجاه مشكلتي اللغة والحرف» مجلة مجمع اللغة العربية القاهرة، ج١٥، ١٩٦٢، ص ٥ ـ ١٣ يمكن الرجوع إليه والاستفادة من بعض ما حواه مما يتعلق بالموضوع.

(٧) انظر د. لطفي عبدالبديع، التركيب اللغوي للأدب: بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا، الرياض: دار المريخ، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م)، ص ٨١.

(٨) انظر د. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط٦ (القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٧٨م)، «طرائق نمو اللغة» ص ٨ ـ ١٣١.

(٩) انظر د. عبدالسلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب (طرابلس: الدار العربية للكتاب، د. ت)، ص ١١٧،

(١٠) د. عبدالسلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ص ٣٦.

(١١) حول التوسع الدلالي في العربية عن طريق المجاز والتجريد والتجسيد ونماذج لذلك من الأدب العربي انظر جاروسلاف ستتكيفتش، العربية الفصحى الحديثة، ص ١٥٧ ـ ١٧١.

(١٢) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال محمد بشر (القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٧٥م)، ص ٧٦.

(١٣) انظـر: George Watson. The Study of Literature (London: Allen Lane The Penguin Press. 1969). P. 60

تحدث ج. فندريـس أيضاً عن تنـامي واتساع معاني الألفـاظ بهذه الصورة من خـلال السياق، انظر كتاب اللغة ص ٢٣١ ـ ٢٣٢.

(١٤) د. إبراهيم أنيس من أسرار اللغة، ط ٦ (القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٧٨م)، ص ١٤٩.

(١٥) أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص ١٥٦.

(١٦) انظر د. محمد حسين حسـن جبل، الاحتجاج بالشعر في اللغة. الواقـع ودلالته (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ص ٥٢ وما بعدها، وهناك فصول وأجزاء عديدة أخرى من الكتاب أوردت تفصيلات وأمثلة على الاحتجاج بالشعر واتخاذه مورداً مهماً تستقى منه ألفاظ اللغة ومعانيها وصيغها يحسن الرجوع إليه.

(١٧) انظـر د. محمد حسين آل يـاسين، الدراسـات اللغـوية عنـد العـرب إلى نهاية القـرن الثالـث (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص ٣٦١، انظر كذلك ص ٣٦١ وكذلك حديث المؤلف عن الشعر كمصدر من مصادر اللغة المهمة في الصفحات السابقة لها.

(١٨) آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب ص ٣٦١ ـ ٣٦٢، انظر كذلك د. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط٦ (القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٧٨م)، ص ١٣.

(١٩) إبراهيـم أنيس، من أسرار اللغـة، ص ١٠، انظر كذلك مـا تحدث به المؤلف عـن القياس في اللغة عـامة ومـا ذكره مـن احتجاج اللغـويين بالشعـر وقياسهـم عليه في ص ١٢ ــ ١٣ بشكل خاص.

(٢٠) انظر ما كتبه الدكتور محمد كامل حسين حـول الشعر كمصدر من مصادر اللغة عند اللغويين والنحاة: «أصـول علوم اللغة» مـؤتمر مجمع اللغة العـربية بالقـاهرة، الدورة السـادسة والعشرون ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠م، مجموعة البحوث والمحاضرات، ص ١٥٤ ـ ١٥٩.

(٢١) انظر ما ذكره الدكتور إبراهيم أنيس عن ارتجال أو اختراع الشاعر رؤبة وأبيه العجاج في أراجيزهما مـن مفردات لغـوية تهافـت اللغـويون على تعقبهـا وتـدوينها، مـن أسرار اللغة، ص ٩٨ ومـا بعدها.

(٢٢) H. Read. Collected Essays in Literary Criticism. P. 43. نقلاً عن د. السعيد الورقي، لغة الشعر العـربي الحديث: مقوماتها الفنية وطـاقتها الإبداعية، (بيروت: دار النهضـة العربية للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ص ٦٤ ـ ٦٥.

(٢٣) رينيـه ويليك. أوستـن واريـن، نظريـة الأدب، ترجمة محيـي الـدين صبحـي ط٢ (بيروت: المؤسسة العـربية للـدراسات والنشر، ١٩٨١م)، ص١٨١. انظـر كذلـك: د. فايـز الدايـة، الجوانب الـدلالية في نقـد الشعر في القرن الـرابع الهجـري (دمشق: دار الملاح للطبـاعة والنشر، ١٩٧٨) ص١٣٣.

(٢٤)ـــ غراهام، مقالة في النقد، ترجمة محيي الـدين صبحي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، دمشق ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م، ص١٣٤. نقلا عن أحمد قدور، صور من تطور لغة الشعر العربي الحديث عن طريق المجاز، عالم الفكر، م.٢٠، ع٣، ١٩٨٩، ص١٩٢.

(٢٥) د. مصطفـى نـاصـف، نظـريـة المعنـى في النقـد العـربي، ط٢ (بيروت: دار الأنـدلـس، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص ص ١٥٤ ـ ١٥٥. انظر كذلك ما كتبـه الدكتور محمد منـدور حول الرمزية في اللغة الشعرية: «لغة الشعر»، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد الثاني عشر، ١٩٦٠م، ص ص ١٩٨ـ٢٠١.

(٢٦) انظر عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة، (دار الإعلانات، ١٩٦٠م) ص٤١ وما بعدها.

(٢٧) منقول بتصرف عن د. شكري فيصل، مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي: عرض ونقد، واقتراح، ط٥(بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٢م) ص ص ٢٠٠ - ٢٠١.

(٢٨) آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريدة، ط٤ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧هـ/ ١٩٦٧)، مج١، ص٤٤٧.

(٢٩) لمزيد من الاطلاع على ارتباط ظاهرة السجع في التراث الأدبي العربي باللغة وآثارها في تنمية هذه اللغة وفي زيادة حيويتها انظر د. أحمد محمد المعتوق: «أسلوب السجع وموقف الباقلاني من السجع في القرآن: دراسة نظرية تحليلية ورؤية نقدية»، الدارة، العدد الثاني ـ السنة التاسعة عشرة، محرم، صفر، ربيع الأول ١٤١٤هـ، ص ص١١٠ـ١٢٥.

(٣٠) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ط٢، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن خوجة (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١)، ص٢٩.

(٣١) انظر عزيز أباظة، لغة الشاعر، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء الخامس والعشرون، رمضان ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م ص ص، ٤٦ـ٤٧

(٣٢) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص ٧٧.

(٣٣) سارتر، ما الأدب، ترجمة محمد غنيمي هلال، ص٩ـ١٠ نقلاً عن د. لطفي عبدالبديع، التركيب اللغوي للأدب، ص ص٨١ـ٨٢.

(٣٤) لزيادة الاطلاع على مايتعلق بالمعنى العاطفي أو الانفعالي وما يشكل من قوة لغوية، انظر: جون لاينز John Lyons علم الدلالة. ، ترجمة مجيد عبدالحليم الماشطة وآخرين. (كلية الآداب - جامعة البصرة ١٩٨٠م)، ص٦٧ وما بعدها.

(٣٥) للمزيد من التفصيل في الحديث عن اللغة الأدبية انظر د. أحمد محمد المعتوق، «الأدب وأثره في تنمية الحصيلة اللغوية»، القافلة، رجب ١٤١٣هـ/ ديسمبر ١٩٩٢م، ص ص١٦ـ١٩.

(٣٦) العبارة الموضوعة بين القوسين للكاتبين رينيه ويليك وأوستن وارين، وردت ضمن الحديث عن طبيعة الأدب وكأحد التعريفات المفضلة التي تختصر معنى الأدب في جوهره الحقيقي. انظر نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي، ص٢٤. ونحن نتبنى التعريف المختصر مع بعض التحفظ.

(٣٧) عبدالصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية (دار الإصلاح، ١٩٨٣م)، ص١٤ـ١٥.

٣٨ـ ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (بيروت: دار الجيل، ١٩٧٢)، ج١، ص١٢٦.

(٣٩) انظر د. كامل العسلي، مقتطفات في الكتب والقراءة والمكتبات (عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٧٧م)، ص، ١٥١.

(٤٠) الجاحظ، البيان والتبيين، ص٨٦.

(٤١) مصطفى فهمي، سيكولوجية اللغة (القاهرة: دار الطباعة، لا ت)، ص ص١٩٨، ٢٠١.

(٤٢) للمزيد من التفصيل انظر د. محمد أمين البنهاوي، عالم الكتب والقراءة والمكتبات (جدة: دار الشروق، ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠م) ص ص١٨٩ - ١٩٢.

(٤٣) فيما يتعلق بشعر الأطفال وأهميته وطبيعته وأشكاله ومعاييره ودوره الخاص في تنمية الرصيد اللغوي للناشىء عامة ثم التوصيات الخاصة بتأليفه واختياره وتصنيفه انظر د. حسن

شحاتـه، أدب الطفـل العـربي: دراسـات وبحـوث (القـاهـر: الـدار المصريـة اللبنـانيـة، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ص ص ١٧٩ ـ ٢٢١، أحمد حسن حنورة أدب الأطفـال (الكويـت: مكتبة الفلاح، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ص ص١٦٧ـ١٨٧.

(٤٤) انظر: جان ميلريو، ممثـل منظمة اليونسكو «حتى يكون النهوض بالكتـاب عملاً متواصلا» في قضايا الكتاب والمطـالعة، كراس٤، الملتقى المغربي بالحمامات نـوفمبر ١٩٧٢م، تونس، المعهد القومي لعلوم التربية، ص٣٤.

(٤٥) لمزيد من التفصيـل حول هذا الجانب من الموضـوع انظر أحمد نجيب، فن الكتابـة للأطفال، ط٢ (القاهرة: دار اقرأ، ١٩٨٣م).

(٤٦) للمزيـد من المعلومـات حول هذه الـدورة وأعمالها والمهام المناطـة بها انظر محمد بسـام ملص: «اتجاهـات حـديثـة في أدب الطفـل العـربي وكتبـه»، النـاشر العـربي، ع١٣ـ١٩٨٩م ص ص١٢١ـ١٢٥.

(٤٧) انظر: مفتـاح دياب، «وسـائل وطرق التشجيع على القـراءة ودورها في انتشـار الكتـب: تجارب ودروس» المجلـة العربيـة للثقـافـة، ص٩ ع١٧ صفـر ١٤١٠هـ/ سبتمبر (أيلـول) ١٩٨٩م، تونس، ص ص١٦٥ـ١٧٣.

(٤٨) انظرجان ميلـريو، ممثل منظمة اليـونسكو «حتى يكون النهـوض بالكتاب عملاً متـواصلا» في قضايا الكتاب والمطالعة، ص٣٣.

الفصل الثالث

(١) للمزيد من التفصيل حول نشوء المدارس المنهجية والمدارس الإسلامية وأنظمتها ومناهجها بوجه خاص انظر د. جورج مقدسي

George Makdisi, The Rise Colleges: Institution of Learining in Islam and The West, (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1981).

(٢) أنطوان م الخوري: أعـلام التربية، حياتهم، آثـارهم (بيروت: دار الكتـاب اللبناني، ١٩٦٤)، ص٢٠٥.

(٣) صالـح عبدالعزيـز، التربية الحديثة مادتها ـ مبادئها ـ تطبيقاتها العملية، ط٤ (القـاهرة، دار المعارف، ١٩٦٩)، ج٣، ص١٩١.

(٤) صالح عبدالعزيز، التربية الحديثة، ج٣، ص٢٠٤.

(٥) محمود مسعدي: «التنمية الثقـافية في الدول العربية»، التنمية الثقافيـة: تجارب إقليمية، تأليف لفيف من خبراء (اليونيسكو)، ترجمة سليم مكسور، مراجعة عبده وازن، ط١ (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٣م)، ص ص ٢٦٥ ـ ٣٠٢.

(٦) انظر د. نهاد الموسى، اللغـة العربية وأبناؤهـا: أبحاث في قضية الخطأ وضعـف الطلبة في اللغة العربية (الرياض: دار الغلوم للطبـاعة والنشر، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م)، ص١٢، وقد خصصت مجلة الفيصل السعوديـة ملفاً خاصاً بعنوان: «اللغة العـربية غريبة في بلادها» نـاقشت فيه عدداً من جوانب ضعف النـاشئة العرب في لغتهم، وقد ساهـم صاحـب هذه السطور بمقال مطول في هـذا الملـف بعنـوان «لغتنـا ومنـاهـج التعليـم». انظـر الفيصـل، العـدد (٢١٨) ـ شعبـان ١٤١٥هـ/ يناير ١٩٩٥م. وقد عقدت جـامعة الإمام محمد بن سعود نـدوة خاصة تحت عنوان: «ظـاهـرة الضعـف اللغـوي في المرحلة الجامعيـة» في المدة مـن ٢٣ـ٢٥/ ٥/ ١٤١٦هـ الموافـق

١٧ـ١٩/ ١٠/ ١٩٩٥م وهـذه الإجراءات كلها دلائل واضحة على تفشي الضعـف في اللغة على النحو الذي ذكرناه .

(٧) انظر محمود مسعـدي : «التنمية الثقافية في الـدول العربية»، التنمية الثقـافية : تجارب إقليمية، ص ص٣٢٨، ٣٣١ وما بعدهـا، بشير الهاشمي، الكتاب العربية : معالجات دراسيـة لقضايا مطـروحـة (منشـورات اتحاد النـاشريـن العـرب ١٩٨٦م)، ص ص ١٠٣ ــ ١٢١، ١٠٦ ـ ١٠٧, ٢٣ .

(٨) انظر الفصل الأول من الباب الأول «اللغة والذكاء» .

(٩) انظر ما ذكرناه من تعليق لويس تيرمان Lewis Terman على اختبارات الذكاء لاستانفورد ـ بينيه» Binet : وتأكيـده على أن الاختبار اللغوي لـه قيمة أعظم من أي اختبـار آخر للذكـاء في الفصل المشار إليه في الرقم السـابق، لمزيد من التفصيل عن ارتباط النمو اللغـوي بالذكاء والإدراك انظر د. فـاخر عـاقـل. أصـول علم النفـس وتطبيقـاتـه (بيروت : دار العلم للمـلايين، ١٩٨٤)، ص١٣٢، د. عبدالمجيد سيـد أحمد منصـور، علـم اللغـة النفسي (الريـاض : جـامعة الملك سعود، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص ص١٠٥ـ١٠٦ .

(١٠) راجع الفصـل الثاني مـن الباب الأول مـن هذا البحـث : «الثنائيـة اللغويـة»، كذلـك انظر: سـارنوف أ. مـدنيـك وآخـران. التعلـم . ترجمة د. محمـد عماد الـدين إسماعيـل (بيروت : دار الشروق، ١٩٨١مـ١٤٠١هـ)، ص١٥٤ وما بعدها .

(١١) انظر: د. نايف خرما ود. علي حجاج، اللغات الأجنبية : تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة العدد (١٢٦) ـ شوال ١٤٠٨هـ ـ يونيو(حزيران) ١٩٨٨م، الكويت، ص٨٢ .

(١٢) انظـر د. نـادية أحمد طـوبـا، الطفـل العربي واللغـات الأجنبيـة، تقـديم وتحريـر د. يس عبـدالرحمن قنـديـل، سلسلـة عـالم التربيـة، السنـة الأولى، الكتـاب الثـاني، رجـب ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ص٨٩ .

(١٣) لقد أمضيـت ما يزيـد على ثماني السنوات في التدريس في جـامعة الملك فهـد للبترول والمعادن وشهدت ومازلت أشهد الصراع والتنافس بين اللغة العربية واللغة الإنكليزية فيها، حيث يدرس الطلبة معظـم المواد العلمية فيهـا إذا لم يكن كلها بـاللغة الإنكليزيـة، بينما يتلقون تـدريسهم في مجموعة كبيرة من مواد الدراسات العربية والإسلاميـة وعددا آخر من الدراسات الإنسانية المقررة باللغـة العربية، وبـذلك فهـم يمارسون ازدواجية اللغـة في كثير من مظاهـر حياتهم الـدراسية، ويمارسون عملية التداخل والخلط أو المزج اللغوي بشكل بارز ويعانون نتيجة لذلك من الضعف اللغوي، وممـا ساعـد على تطور هذا الضعـف لدى هؤلاء الطلبـة في تصوري، ضعـف مستوى تعلمهم للغة في مراحل تعليمهم السابقة، وضعف مستواهم الثقافي بنحو عام، وعدم وجود أي حـوافـز تشدهـم إلى لغتهـم وتشجعهـم على الاهتمام بها، كما عرضـت لـذلـك في مقدمـة هـذا البحث .

(١٤) د. محمد علي الخولي، الحياة مع لغتين : الثنائية اللغوية (الرياض : مطابع الفرزدق، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)ص٨٢، وزيادة في تـأكيد مـا ذكر انظـر: د. سلطان الشـأوي : «الصعوبـات التي تواجه تعريب التعليـم العالي في الوطن العربي»، تعريب التعليم العـالي وسياسات الالتحاق به في الوطن العـربي ـ المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين عـن التعليم العالي والبحث العلمـي في الوطن العربي، ٢٠ـ٢٣/ أكتوبر، تونس ١٩٨٣م ـ (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم، ١٩٨٤م)، ص ١٠٢ .

(١٥) د. نهاد الموسى، قضية التحـول إلى الفصحـى في العـالم العربي الحديـث (عمان : دار الفكـر للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م)، ص ١١٧ .

(١٦) د. محمد راجي الزغلول: «ازدواجية: نظرة في حاضر العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية»، اللسان العربي ـ المجلد الثامن عشر، ج١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠، ص٢٣.

(١٧) أونج، والتر، الشفاهية والكتابية، ترجمة د. حسن البناعز الدين، عالم المعرفة (١٨٢)، شعبان ١٤١٤هـ/ فبراير، شباط ١٩٩٤م، الكويت، ص ص٥٤ـ٥٥.

(١٨) شكري فيصل: «التحدي اللغوي»، وقائع ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج العربي (الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ص٣٠٩.

(١٩) للمزيد من التفصيل حول حياة التذبذب والصراع بين الفصحى والعامية التي يحياها الناشىء العربي في المدرسة على سبيل المثال انظر د. شكري فيصل: «قضايا اللغة العربية المعاصرة: بحث من الإطار العام للموضوع»، المجلة العربية للدراسات اللغوية، المجلد الثاني، العدد أغسطس آب ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، الخرطوم، ص٢٣ وما بعدها.

(٢٠) P.J. Cachia: "The Use of the Colloquialin Modern Arabic Literature" Journal of the American oriental Society, 87, 1. (1976). P.12

انظر كذلك د. محمد راجي الزغلول، المصدر السابق، ص٢٤.

(٢١) انظر نهاد الموسى، قضية التحول إلى الفصحى، ص١٢١.

(٢٢) لقد أورد الدكتور محمد كامل حسين صوراً أو أمثلة تطبيقية عديدة لعملية التنقيح التي اقترحها، انظر اللغة العربية المعاصرة (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦م)، ص ص٨٣ـ٨٧.

(٢٣) عبدالله أمين: «رأي في اللغة الفصحى وتعليمها: دراسة اللغة العربية الفصحى في مدارسنا المصرية» مجلة المقتطف، المجلد ١٠٠، ج٥ ربيع الثاني ١٣٦١هـ/ مايو (أيار) ١٩٤٢م، ص٤٦٣.

(٢٤) انظر على سبيل المثال: ابن الحنبلي، بحر العوام في ما أصاب فيه العوام (دمشق، ١٩٣٧م) عبدالمنعم سيد عبدالعال، معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية (القاهرة، ١٩٧٢)، عبدالعزيز بن عبدالله، معجم الأصول العربية والأجنبية للعامية المغربية (الرباط، ١٩٧٢م) داود التنير، ألفاظ عامية فصيحة (بيروت: دار الشروق، ١٩٨٧) الأمير شكيب أرسلان، القول الفصل في رد العامي إلى الأصل (بيروت، ١٩٨٩)، أحمد أبو سعد، معجم فصيح العامية بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٠م) جبران مسعود، الفصحى في العامية ـ قاموس الجيب (بيروت: دار ريحاني، د.ت)

(٢٥) نقلاً عن د. عبدالكريم اليافي: «دور التعريب في تأصيل الثقافة الذاتية العربية»، تعريب التعليم العالي وسياسات الالتحاق به في الوطن العربي، ص٨٦.

(٢٦) انظر ما كتبه د. حلمي خليل حول ظاهرة التقليد ودورها في اكتساب اللغة عند الطفل في كتابه اللغة والطفل: دراسة في ضوء علم اللغة النفسي (بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، ص٨١ـ٩١، حيث يقرر المؤلف أن علماء اللغة والنفس يكادون يجمعون على دور بارز ومهم لعملية التقليد في اكتساب اللغة بينما يحاول إثبات عكس ذلك. والحقيقة أنه لم يوفق لمناقشة النظريات التي عرضها وسعى إلى معارضتها مناقشة تحليلية تفضي إلى إثبات رأيه، ولم يدل بالأدلة الكافية التي تدعم ما يسعى إلى إثباته.

(٢٧) السير روي. سي هجمان، اللغة والحياة والطبيعة البشرية، ترجمة د. داود حلمي أحمد السيد، (الكويت: جامعة الكويت، ١٩٨٩م/ ١٤٠٩هـ)، ص١٢٥.

(٢٨) انظر روي. سي هجمان، اللغة والحياة والطبيعة البشرية، ص١٢٤.

(٢٩) حول الأسس الأخرى التي تراعى في اختيار المدرس انظر د. حافظ فرج أحمد، المدخل إلى التربية (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦)، ص ص١٠٠-١٠٣.
(٣٠) روي. هجهان، اللغة والحياة والطبيعة البشرية، ص١٤٧.
(٣١) د. حسن حسيني جامع، التعلم الذاتي وتطبيقاته التربوية (الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ١٩٨٦م)، ص٤٦-٤٧.
٣٢-النص الموضوع بين القوسين منقول بتصرف عن د. عبدالحكيم بدران، مناهج العلوم في التعليم العام بدول الخليج ومواكبتها لمعطيات التطور والتقاني(الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ص٢١٧.
(٣٣) انظر د. حسن جامع، التعلم الذاتي، ص ص ٤٥-٤٧.
(٣٤) انظر ج. تيرنر، النمو المعرفي بين النظرية والتطبيق، ترجمة د. عادل عبدالله محمد (القاهرة: الدار الشرقية، ١٩٩٢م)، ص٢٠٤-٢٠٥، وللمزيد من الإيضاح عن ارتباط ما سبق ذكره بالتأثر والتأثير في مجال اللغة انظر الجزء الخاص بـ «نمو اللغة» من الكتاب المذكور نفسه، ص ص١٣٤-١٤٥.
(٣٥) الفصل الأول: الجزء الخاص بـ «اللغة والذكاء»، والفصل الثاني «أهمية ثراء الحصيلة اللغوية».
(٣٦) انظر وولنكتن ولكنتن، تربية العقل الناقد، ص١٨٧.
(٣٧) يقترح الرجوع إلى الفصل القيم الذي كتبه روث بيرد وجيمس هارتلي تحت عنوان: «دور المناقشة في التعليم والتعلم» في كتابها التعليم في الجامعات والمعاهد العليا، ترجمة د. أحمد إبراهيم شكري (جدة: جامعة الملك عبدالعزيز ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢)، ص ص١٩٣-٢١٤، ينظر كذلك: وولنكتن وولكنتن، تربية العقل الناقد، ص ص١٨٣-١٨٧ وكذلك:
Kenneth A. Benne and Grace Levit, "The Nature of Groups and Helpin Groups Improve their Operation", Review of Educational Research, vol. 23, October, 1953, ٣٠٨, -pp. 289
(٣٨) الشرقاوي، التعلم، ص٢٤٦-٢٥٣، وكذلك انظر:
E.W. Smith. & S.W.Krouse. and M.M Atkinson. The Educators, Encyclopedia (N.J. ٢٠, -Englwood Cliffs, 1964), PP. 618
(٣٩)— صلاح الدين بلال أسعد: «تطوير أنشطة بناء المفردات لدى معلمي اللغة الإنكليزية، مجلة جامعة دمشق في العلوم الإنسانية، م٤، ع١٥، ج١ محرم ١٤٠٩هـ — سبتمبر ١٩٨٨م، ص١٣١. لمزيد من المعلومات حول الموضوع يمكن الرجوع إلى ورقة هذا البحث المدونة باللغة الإنكليزية تحت العنوان التالي:
Building Activites for EFL Teachers:-Developing Communicative Vocabulary Damascus University Journal for The Humanities, V.4, No. 15, Sep 1988, pp. 35.
(٤٠) انظر، د. أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، القاهرة: دار المعارف ١٩٨٧، ص ص ٣٣٤-٣٣٨.
(٤١) نشواتي، علم النفس التربوي، ص٣٦٠ وما بعدها، انظر كذلك جمعة سيد يوسف، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، عالم المعرفة (١٤٥) الكويت جمادى الآخرة ١٤١٠هـ/ يناير - كانون الثاني ١٩٩٠م، ص ١١٠ وما بعدها.
(٤٢) هذا القول جاء ضمن حديث عن اللغة الاتصالية وأهمية ربط التدريبات على اللغة بالحياة، انظر بالحياة، انظر: د. يوسف الخليفة أبو بكر: «أنواع التمارين اللغوية في الكتاب المدرسي»، اللسان العربي، العدد الثالث والعشرون ١٩٨٢-١٩٨٣م. ص٥٥.

(٤٣) لمزيد من التفصيل حول طبيعة ونشاطات الإذاعة المدرسية والتوصيات الخاصة بها وبالإشراف عليها انظر د. مصطفى بن محمد عيسى فلاته، المدخل إلى التقنيات الحديثة في الاتصال والتعليم (الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م) ص ص١١٠ـ١١٦ .

(٤٤) للتفصيل في الحديث عن طرق انتقاء مقتنيات المكتبة المدرسية من الكتب والإصدارات الأخرى وطرق تصنيفها وإعدادها وإعارتها وكيفية استعمالها والتدريب على استخدامها انظر د. محمد ماهر حمادة ود. علي القاسمي، تنظيم المكتبة المدرسية (بيروت مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

(٤٥) للمزيد من المعلومات عن ضرورة تزويد الطلاب بالثقافة المعجمية، انظر: د. علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم (الرياض: جامعة الرياض، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، ص٢٠٣ـ٢٠٤ .

(٤٦) انظر ما سبق ذكره في الحديث عن وسائل الاتصال السمعية والبصرية. ولمزيد من الاطلاع على الوسائل التعليمية السمعية والبصرية المعنية في مجالات التعليم وعلى أهميتها وكيفية الحصول عليها والطرق الصالحة في استخدامها انظر: د. أبو الفتوح رضوان وآخرون، المدرس في المدرسة والمجتمع، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٣ـ١٨٨، انظر كذلك روث بيرد وجيمس هارتلي، التعليم والتعلم في الجامعات والمعاهد العليا، ترجمة د. أحمد إبراهيم شكري ومراجعة د. محمد علي حبشي (جدة جامعة الملك عبدالعزيز ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢)، ص ص٢٤٧ـ٢٥٠ .

(٤٧) ولنكتن وولكنتن، تربية العقل الناقد، ص١٢٧ .

(٤٨) انظر المصدر السابق، ص١٢٨ وما بعدها، انظر كذلك إلى ما سبق ذكره عن التلفزيون كأداة لتوصيل اللغة، ص٥٠ـ٦٠ .

(٤٩) للمزيد من التفصيل عن فاعلية التلفزيون التعليمي في عملية التعليم عامة روبرت رتشي، التخطيط للتدريس، ترجمة د. محمد أمين المفتي ود. زينب علي النجار (نيويورك: دار ماكجر وهيل للنشر، ١٩٨٢م)، ص١٢٥ وما بعدها.

(٥٠) روبرت رتشي، التخطيط للتدريس، ص ١٤٨ .

(٥١) جون ديوي: المدرسة والمجتمع، ترجمة د. أحمد حسن الرحيم، (بيروت: دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر)، ص٦٩ .

(٥٢) بعض الأفكار التي تضمنتها هذه الفقرة مستوحاة مما كتبه جون ديوي في الموضوع، انظر المصدر السابق ص ٦٨ـ٦٩

(٥٣) The English Language Arts In the Secondary School, P. 203
نقلا عن ولنكتن وولكنتن، تربية العقل الناقد، ص ١٧٢ .

(٥٤) ولنكتن وولكنتن، تربية العقل الناقد، ص١٧٤ـ١٧٥ .

(٥٥) د. مصطفى بدران وآخرون: الوسائل التعليمية، ط٥ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٣) ص٣٢٥ وما بعدها.

(٥٦) لقد وجدت من خلال تجربتي في التدريس الجامعي أن هناك عددا كبيرا من الطلبة وخاصة من طلبة التخصصات العلمية يرددون كلمات عديدة لا يفهمون معانيها، أو يفهمونها على نحو خاطيء مثل الكلمات: جزالة، ضامر، عنجهية، فظيع، مروع، رهيب، عصماء...؟

(٥٧) ـ ولنكتن وولكنتن، تربية العقل الناقد، ص ٢٧ .

(٥٨) انظر د. أحمد محمد المعتوق: «ظاهرة اللفظية: أسبابها، نتائجها، وسائل علاجها»، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الخامس، الآداب (٢) ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ص٤٩٩ـ٥٣٨ .

(٥٩) المصدر السابق، ص٢٧٩.
(٦٠) د. يوسف الخليفة أبو بكر: «أنواع التمارين اللغوية في الكتاب المدرسي»، اللسان العربي، العدد الثالث والعشرون، ١٩٨٢ــ١٩٨٣م، ص٥٨.
(٦١) روي. سي. هجمان، اللغة والحياة والطبيعة البشرية، ص٢٠.
(٦٢) على سبيل المثال: في كتاب الأدب نصوصه وتاريخه للصف الأول الثانوي، تأليف حسن شاذلي فرهود وآخرين، ط٨ (الرياض، وزارة المعارف، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م)، ص ص٢٥ـ٢٦، ذكر تفسير لثلاثين كلمة غريبة من مقطع شعري من معلقة امرىء القيس (قفا نبك) مكون من اثني عشر بيتا فقط. وقد سألت عدداً من التلاميذ الذين اجتازوا الاختبار في هذا النص عن معاني الكلمات المفسرة فوجدت أنهم قد حفظوها وحفظوا مرادفاتها المذكورة نصاً، دون فهم لها ودون فهم للنص نفسه كما يجب، بل أن بعضهم كان يشعر بالاشمئزاز من النص والنفور من كلماته ويبدي شعوراً بالعطف على المدرس الذي عانى من شرحه للنص المذكور للكلمات غير المألوفة فيه.
(٦٣) من الكلمات المفسرة على الصورة المذكورة في كتاب الأدب نصوصه وتاريخه السابق الذكر نسوق الأمثلة التالي: قيد الأوابد: يقيد الوحوش بسرعته/ الإرخاء والتقريب: نوعان من عدو الخيل/ ملاء مذيل: ملاءات ذات أذيال سوداء/ الذمار: الحمى/ دويهية: داهية عظيمة/ أمحل: أجدب/ أعنف: أوبخ...
(٦٤) مثال ذلك ما ورد في كتاب الأدب نصوصه وتاريخه، ص ١٩٣، حيث فسرت الكلمات التالية كما يلي: الصغار والقماءة: الذل والضعة والسقوط. سدم: الهم والأسف... مع أن هناك فوارق دقيقة بين الصغار والقماءة، والذل والضعة، كما أن هناك فرقا دقيقا بين الهم والأسف. انظر أبو هلال العسكري. الفوارق في اللغة، ط٤ (بيروت: دار الآفاق الجديدة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص٢٤٤، وكذلك انظر لسان العرب.
(٦٥) انظر رياض زكي قاسم، المعجم العربي، ص ص ٢٧٠ـ٢٧١، انظر كذلك إدريس بن الحسن العلمي: مع «المعجم الوسيط» في طبعته الثانية، اللسان العربي، العدد الثالث والعشرون، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص١٠١ واللسان العربي، العدد الثلاثون ذو الحجة ـ ١٤٠٨هـ/ يوليو ـ ١٩٨٣م، ص٧٥.
(٦٦) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤)، ج٢، ص٢٠٤٩.
(٦٧) انظر رياض زكي قاسم، المعجم العربي: بحوث في المادة والمنهج والتطبيق (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص ص ٢٧٢ـ٢٧٤.
(٦٨) انظر على سبيل المثال ما جاء في تعقب أخطاء المعجم الوسيط لإدريس بن الحسن العلمي: «مع المعجم الوسيط» في طبعته الثانية، اللسان العربي، العدد الثالث والعشرون، ص١٠٢، واللسان العربي، العدد الثلاثون، ص٧٦.
(٦٩) لمزيد من التفصيل حول هذا الجانب انظر: د. أحمد المعتوق: «ظاهرة اللفظية»، مجلة جامعة الملك سعود، ص٥٠٨، انظر كذلك ملاحظات أحمد فارس الشدياق على منهج القاموس المحيط في كتابه الجاسوس على القاموس، (قسطنطينية: مطبعة الجوائب، ١٢٩٩هـ/ ص ص١٠ـ١١.
(٧٠) للتمثيل على ذلك انظر د. أحمد المعتوق: «ظاهرة اللفظية»، مجلة جامعة الملك سعود، ص٥٠٩.
(٧١) تستثني من ذلك المعجم العربي الأساسي الذي وضعته المنظمة العربية للتربية والثقافة

والعلوم، ومعجم الطلاب الذي وضعه كل من محمود صيني وحيمور حسن يوسف، غير أننا لا نرى المعجم الأول ملائما لعامة الناشئين من حيث حجمه وضخامته وسعة محتواه، إذ قد يكف ثقله بعض الناشئين عن تداوله، وتهيب سعته بعضاً آخر منهم فيستصعب استعماله. وسنأتي للتفصيل في ذلك في الفصل الخاص بالمعاجم اللغوية، أما المعجم الثاني فهو معجم غير واف بحاجة الناشئين في كل مستوياتهم وتخصصاتهم، والعذر فيه هو أنه وضع في الأساس للطلاب غير العرب. .

(٧٢) المعجم الوسيط، صدر عن مجمع اللغة العربية ط٢ (القاهرة: ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ج١، ص٢٠٥.

(٧٣) انظر المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية (القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ص ص٦-٧. وحول تفسير المادتين المذكورتين في هذا المعجم انظر ص ١٧٧.

(٧٤) يقصد بذلك كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي وكتاب الجمهرة لابن دريد، وهذان المعجمان - كما هو معروف - من أوائل المعاجم اللغوية وأبرزها.

(٧٥) عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (بيروت: دار المعارف، ١٤٠٢/ ١٩٨٢)، ص٤١.

(٧٦) أحمد عزت راجح، أصول علم النفس (القاهرة: دار المعارف ١٩٨٧)، ص٣٣٩.

(٧٧) عبدالمجيد نشواتي، علم النفس التربوي، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥)، ص٤٠٩.

(٧٨) مصطفى غالب، في سبيل موسوعة نفسية (١٠) الذاكرة، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٦)، ص٦٠ وكذلك ص٦٥ وما بعدها، د. أنور الشرقاوي، التعلم: نظريات وتطبيقات، ط٢ (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٧)، ص٢٥٣. نشواتي، علم النفس التربوي، ص ص٣٦٠-٣٦١.

(٧٩) أنور الشرقاوي، العمليات المعرفية وتناول المعلومات (القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٨٤)، ص ٦٩.

(٨٠) لقد وجدت أن روبرت رتشي يؤيد هذا الاستنتاج، انظر التخطيط للتدريس، ص١٤٩.

(٨١) لاستقصاء هذه العوامل والتفصيل في بحثها يمكن الرجوع إلى الدراسة التي وضعناها عن الظاهرة وسبقت الإشارة إليها، د. أحمد المعتوق: «ظاهرة اللفظية»، مجلة جامعة الملك سعود ص٥٢٠-٥٣٧.

(٨٢) مريم سليم، علم تكون المعرفة، ابستمولوجيا «بياجيه» (بيروت: معهد الإنماء العربي ١٩٨٥)، ص٢٤٣

(٨٣) عبدالقادر أبو شريفة وحسين لافي وداود عطاشة، علم الدلالة والمعجم العربي (عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩)، ص٥١، ولمزيد من المعلومات حول التطور الدلالي للغة انظر ص٦٣-٨٥ إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ط٢ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٦، عبدالغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، ط٢ (القاهرة: مطبعة الجبلاوي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)ص ص ٢٠٤-٢٣٤

(٨٤) يقصد بالمعاجم المرحلية تلك المعاجم التي تصنف فيها المفردات على مستويات مدرجة من حيث السعة والعمق والتفصيل في الشرح تبعا لمستويات الناشئة العقلية أو الثقافية أو الدراسية ومثل هذه المعاجم متوافر في اللغات المتقدمة كاللغة الانكليزية والفرنسية وتكاد تكون قواميس الجيب العربية المتعارفة شبيهة لهذه المعاجم.

(٨٥) سورة التغابن، الآية ١١.

(٨٦) سورة التحريم، الآية ٥.

(٨٧) فندريس، اللغة، ص ص ٢٣٦-٢٣٧، انظر كذلك إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص ص٧٥ـ٨٩
(٨٨) L. Wittgenstei, Philosophical Investigations. (London, Black well, 1953) p. 89.
(٨٩) Ibid. 93 .
انظر كذلك عزمي إسلام، مفهوم المعنى: دراسة تحليلية، حوليات كلية الآداب، الحولية السادسة، الرسالة الحادية والثلاثون، جامعة الكويت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥، ص٦٦.
(٩٠) نشواتي، علم النفس التربوي، ص ٤٠٩، انظر كذلك ص ص ٤١٤ ـ ٤١٥.
(٩١) انظر ما كتبه د. راجح حول مبدأ التكرار، أصول علي النفس، ص ص٢٩٢-٢٩٣.
(٩٢) انظر جمعة سيد يوسف، سيكولوجية اللغة، ص ١٣٦.
(٩٣) حول المزالق اللغوية والآثار السلبية التي تنجم عن استخدام الألفاظ المشتركة المعاني، انظر توفيق محمد شاهين، المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م)، ص ص ٣١ـ٣٨.
(٩٤) علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم (الرياض: جامعة الرياض، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، ص ١٧٢.
(٩٥) القاسمي، علم اللغة، ص ص ١٧٤ـ١٧٥.
(٩٦) القاسمي، علم اللغة، ص ١٧٤.
(٩٧) القاسمي، علم اللغة، ص ١٧٧.
(٩٨) القاسمي، علم اللغة، ص ص ١٨٥ـ١٩٥، انظر كذلك د. خليل إبراهيم الحماش: «الرسوم التوضيحية ومكانتها في المعجم»، اللسان العربي، العدد الثاني والعشرون، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ص١٢٩ ـ١٣١.
وسنعود للحديث عن الصور والشواهد التوضيحية في الفصل الخاص بالمعجمات اللغوية.

الفصل الرابع

(١) للزيادة من المعلومات حول هذا الموضوع انظر: د. أحمد عبدالرحمن حماد، عوامل التطور اللغوي، دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية (بيروت: دار الأندلس، ١٤٠٣/ ١٩٨٢).
(٢) جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق أبو الفضل إبراهيم وآخرين (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د. ت)، ج١، ص٦٤
(٣) أبو عبيدة هو معمر بن المثنى (ت٢٠٩هـ). وهو أديب وعالم لغوي مشهور، له مايقارب المئتي مؤلف في اللغة والشعر والتاريخ ومعاني القرآن وعلوم الأخرى، انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس (بيروت: دار الثقافة، د. ت)، ج٥، ص ص٢٣٥ـ٢٤٣.
(٤) أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، كتاب ذيل الأمالي والنوادر (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، د. ت)ص٦٩. السيوطي، المزهر، ج٢، ص٥٣٩. إبن منظور، لسان العرب، مادة زلخ.
(٥) انظر السيوطي، المزهر، ج٢، ص ص٣١٥ـ٣١٨
(٦) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ، ط١، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ)، ج٢، ص ص١٧٤ـ١٧٥.

(٧)- انظر د. حسين نصار، المعجم العربي: نشأته وتطوره (القاهرة: دار مصر للطباعة، د.ت)، ج١، ص٣٩ وما بعدها.
(٨) حسين نصار، المعجم العربي، ج١، ص ٥٠ وما بعدها.
(٩) د. أنور محمد الشرقاوي. العمليات المعرفية وتناول المعلومات (القاهرة• مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤)، ص٦٢. د. مصطفى فهمي، سيكولوجية التعليم (القاهرة: دارمصر للطباعة.، د.ت)، ص ص١٩٤ ـ ١٩٧.
(١٠) د. حسن ظاظا، كلام العرب: من قضايا اللغة العربية (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٦)، ص١١٩.
(١١) حسن ظاظا، كلام العرب، ص ٢٠.
(١٢) حسن ظاظا، كلام العرب، ص ص١٢٢ـ١٢٨. علي عبدالواحد وافي، فقه اللغة، ط٢ (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، د.ت)، ص ص٢٧٤ـ٢٨٩، محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، ط٢ (القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٨)، ص ص٧٦ـ٨٠.
(١٣) د. علي القاسم، علم اللغة وصناعة المعجم (جامعة الرياض، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، ص ص٤١ـ٦٠
(١٤) انظر فتحي علي يونس ومحمود كامل الناقة: أساسيات تعليم اللغة العربية (القاهرة: دار الثقافة ١٩٧٧م)، ص٢.
(١٥) د. أحمد العايد: «معجم الأطفال الأساسي المصور الثنائي اللغة»، اللسان العربي، العدد العشرون ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص١٠٣.
(١٦) رياض زكي قاسم، المعجم العربي: بحوث في المادة والمنهج والتطبيق (بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ص٣٢٧.
(١٧) د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط٣ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م)، ص٣٩ انظر كذلك ص٤٠ من نفس المصدر.
(١٨) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: د. حسين نصار، المعجم العربي: نشأته وتطوره، رياض قاسم، المعجم العربي: بحوث في المادة والمنهج والتطبيق، عدنان الخطيب، المعجم العربي بين الماضي والحاضر (القاهرة: مطبعة النهضة الجديدة ١٩٦٧م)، أحمد عبدالغفور عطار، مقدمة كتاب الصحاح، د. عبدالله درويش: المعاجم العربية، د. إبراهيم نجا: المعاجم اللغوية (القاهرة: مكتبة ومطبعة الموسكي ١٩٦٩م)، د. عبدالسميع أحمد، المعاجم العربية: دراسة تحليلية (القاهرة دار الفكر العربي، ١٩٦٩م) د. محمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث (بيروت: دار النهضة العربية ١٩٦٦)، د. عبداللطيف الصوفي: اللغة ومعاجمها في المكتبة العربية. هذه مع غيرها من المصادر التي ذكرت ضمن مراجع هذا البحث.
(١٩) علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ص ص١١٤ـ١١٥.
(٢٠) علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ص١١٦.
(٢١) صدر هذا المعجم بتحقيق د. أحمد مختار عمر وضاحي عبدالباقي (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٦م).
(٢٢) لمزيد من التفصيل عن المآخذ على هذا المنهج انظر د. حسين نصار، المعجم العربي، ج١، ص ص٣٩٤ـ٣٩٦
(٢٣) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي (القاهرة، دار المعارف، د.ت)، ص١١ مقدمة المؤلف.

(٢٤) للتفصيل في الحديث عن الفترات التي شاع فيها الاهتمام بالسجع وما ترتب على ذلك من اهتمام بالمعاجم المصنفة وفق منهج القافية انظر د. أحمد محمد المعتوق: «أسلوب السجع وموقف الباقلاني من السجع في القرآن: دراسة نظرية تحليلية ورؤية نقدية». الدارة، الرياض، العدد الثاني، السنة التاسعة عشرة-المحرم، صفر، ربيع الأول ١٤١٤هـ، ص ص ١٠٤-١٦٠.

(٢٥) د. عبدالصبور شاهين، العربية لغة العلوم والتقنية، ط١ (دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٨٣م)، ص٢٦.

(٢٦) ويستثني من ذلك معجم «المرجع» للشيخ عبدالله العلايلي، حيث تذكر تحت الجذر في هذا المعجم جميع ما عرف من مشتقاته، وأن يحال إلى بحث هذه المشتقات والنظر إلى معانيها حيث تقع من النطق.

(٢٧) هذا هو المنهج الذي سار عليه جبران مسعود في معجمه الرائد، أما العلايلي فهو كما تقدم القول، وكما نص هو نفسه في مقدمة معجمه «المرجع»: يسرد تحت الجذر «ما حفظ من مشتقاته، سرداً مع الإحالة إلى بحثها حيث تقع من النطق»، وهذا أنه يعيد ذكر المشتقات في أبوابها المتفرقة بعد ذكرها مجتمعة.

(٢٨) هكذا وجدت في استفتاء تحريري وشفهي لمجموعة من طلبتي في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ومجموعة من زملائي الذين أتموا دراساتهم العليا في الولايات المتحدة الأمريكية، والحقيقة أن أكثر الإجابات كانت تشعر بالتحيز للغة الإنكليزية ضد العربية، أو بمواقف نفسية غير راضية حيالها، ومرد ذلك في أكثر الأحوال أو أرجحها إلى الضعف في هذه اللغة وعدم التمكن منها.

(٢٩) د. خليل الجر، لاروس: المعجم العربي الحديث (باريس: مكتبة لاروس، ١٩٧٣م)، المقدمة (د. ص)

(٣٠) أحمد فارس الشدياق، الجاسوس على القاموس (قسطنطينية: مطبعة الجوائب، ١٢٩٩)، ص١٢.

(٣١) د. كمال محمد بشر، علم اللغة العام، القسم الثاني: الأصوات اللغوية (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥م)، ص١٩٦.

(٣٢) انظر د. علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ص ١٣٤.

(٣٣) المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم، تقديم د. محيي الدين صابر (لاروس، ١٩٨٩م)، ص٩.

(٣٤) المعجم العربي الأساسي، نفس الصفحة.

(٣٥) د. علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ص٢٠٢

(٣٦) د. علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم، ص١٨٦

(٣٧) لمزيد من المعلومات حول الشواهد الصورية وأهدافها وصفاتها وقواعدها انظر المصدر السابق نفسه، ص ص١٨٥-١٩٥.

(٣٨) على سبيل المثال انظر: مقدمة معجم الدكتور فيشر د. حسين نصار «المعاجم التي نحتاج إليها»، المعجم العربي، ج٢، ص ص٧٤٥-٧٨١، د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط٣ (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م)، ص ص٣٢٥-٣٣٤، د. عبد الله درويش، المعاجم العربية، (القاهرة: مطبعة الرسالة ١٩٥٦م) ص ص١٥٧-١٦٠، د. محمد المنجي الصيادي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، ط٤، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥) ص ص٢٩٧-٣٢٠.

الباب الثالث

الفصل الأول

(١) أوتو جسبرسن، اللغة بين الفرد والمجتمع، ترجمة د. عبدالرحمن محمد أيوب (القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٥٤م)، ص١٩.
(٢) المصدر السابق، ص١٥
(٣) انظر أنور الشرقاوي، العمليات المعرفية، ص٦١.
(٤) المصدرر السابق، ص٦٨-٧٤.
(٥) أنظر Smith. EW & Krouse. S.W and Atkinson. M. M The Educators Encyclopedia, (N.J: Englwood Cliffs, 1964), PP. 618-20
انظر كذلك أنور الشرقاوي، التعلم نظريات وتطبيقات (القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٨٧)، ص٢٤٦
(٦) د. عزمي إسلام «مفهوم المعنى، دراسة تحليلية» حوليات كلية الآداب، الرسالة الحادية والثلاثون، الحولية السادسة (جامعة الكويت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥)، ص١٦-٦٧.
(٧) فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عن رومان جاكوبسون: دراسة ونصوص (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ص١٦٣.
(٨) لودفيج فتجنشتين Ludwig Wittgenstein، انظرمحمود فهمي زيدان في فلسفة اللغة (بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، ص٥٦.
(٩) المصدر السابق، ص ٥٧.
(١٠) د. كمال محمد بشر، علم اللغة العام: القسم الثاني: الأصوات (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥م)، ص١٩٦
(١١) كمال بشر، علم اللغة العام، ص١٩٧
(١٢) فندريس، اللغة ص ص٤٠٦-٤٠٧.
(١٣) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال محمد بشر (القاهرة: مكتبة الشباب ١٩٧٥م) ص٥٧
(١٤) ستيفن أولمان، دور الكلمة، ص٥٩.
(١٥) روي سي هجمان، اللغة والحياة والطبيعة البشرية، ترجمة د. داود حلمي أحمد السيد (الكويت: جامعة الكويت، ١٩٨٩م/ ١٤٠٩هـ) ص ص٢٠-٢١.
(١٦) فندريس، اللغة، ص٢٣٩.
(١٧) فندريس، اللغة ص٣٨٥.
(١٨) فندريس، اللغة، ص٤١٥-٤١٦.
(١٩) فندريس، اللغة، ص٤٠٤.
(٢٠) رومان جاكوبسون: فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، ص٢١٨-٢١٩.

(٢١) أوتـوجسبرسن، اللغـة بين الفـرد والمجتمع، تـرجمة د. عبـدالرحمن أيـوب (القـاهرة: مكتبـة الأنجلو، ١٩٥٤م) ص١٥٨.

(٢٢) فندريس، اللغة ص٢٣٣.

(٢٣) ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، (القاهرة: دار الكتب، ١٩٥٢)، (باب في تصاقـب الألفاظ لتصاقب المعـاني) و(باب في إمساس الألفاظ أشبـاه المعاني)، ج٢ ص١٤٥. ص١٤٥ ـ وص١٥٣. السيوطي: المزهر، ج١، ص١٦.

(٢٤) انظر فندريس، اللغة، ص٢٣٦ وما بعدها. د. صبحي الصالح، دراسات في اللغة، ط١١ (بيروت: دار العلم للملايين، ١٣٧٩/ ١٩٦٠)، ص١٤٨ـ١٥٢. وللـرد على هذه النظرية أو مناقشتها انظر: د. عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية (بيروت: دار النهضة العربية، ١٣٩٢/ ١٩٧٢)، ص٦٨ وما بعدها أنظر كذلك: E.Sapi, Language, (New York1, g,1 PP S. I. Haya kawa, Language in thought andaction, (London, 1968) p.27.

(٢٥) أنيس فريحة، نظريات في اللغة، ص ص ١٧ـ١٨.

(٢٦) السيوطي، المزهر، ج١، ص١٦.

(٢٧) فندريس، اللغة، ص٢٣١.

(٢٨) أونج، والتر، الشفاهية والكتابية، ترجمة د. حسن البناعزالدين، عالم المعرفة (١٨٢)، شعبان ١٤١٤هـ/ فبراير، شباط ـ ١٩٩٤م، الكويت، ص١٥٧.

(٢٩) الشرقاوي، العلم، ص٢٤٧.

(٣٠) فندريس، اللغة، ص ص٢٥٢ـ٢٥٣.

(٣١) د. عزمي إسلام، مفهوم المعنى، ص٦٦.

(٣٢) الجاحظ، رسائل الجاحظ: الرسائل الأدبية. ص٢٠٧.

الفصل الثاني

(١) لم تؤخذ أو تستفد هذه الوسائل من مصدر معين، فلم أطلع على مؤلف يجمعها أو يتحدث عنها على النحو الذي يجده القـارىء هنا، وإنما استفدتها من خـلال تجربتي الطويلة في التعليـم ومن خلال اطـلاعي على عدد مـن مناهج التعليم والمقـررات الدراسية الخاصـة بتعليم اللغة العـربية واللغة الانكليزية في مراحل التعليم الأولى ومن خلال ملاحظاتي واستنتاجاتي الخاصة.

(٢) المقصود باللعبة هنا اللعبة التعليمية ومـا عرفت في الاصطلاح التربوي التعليـمي بـ (Instruction Game) وتنطوي هذه اللعبة على أهداف أو أغراض تعليمية أو معرفية أو تربوية ووجدانية معينة يتولى تحديدها المعلم أو المربي ويضع خطتها والتعليمات الخاصة بها. انظر:

Bright. G.W. Harvey. J.G, and Wheeler, M.M. "Teaching statistics Concepts through instrictional games", Procediengs of the First International Conference on Teaching Statistics, Vol, 1 University of Sheffield, 9-13 August 1982. p.2.

وقد سمى فتجنشتين كل طريقة من طرق استخدام الألفاظ ـ بناء على ما اصطلح عليه من دلالات لها ـ لعبـة من ألعـاب اللغة، وهـي كأي لعبـة يلعبها الإنسـان، أو كلعبة الشطـرنج، فـالألفاظ التـي نستخدمها في اللغة شبيهة بقطع الشطرنج، لأن قطع الشطـرنج يتم تحريكها وفقاً لقواعد معينة تحكم هذه اللعبة وكذلك الألفاظ. انظر، د. عزمي إسلام، مفهوم المعنى، ص٦٨.

(٣) لا يقصد بالمتضادات الألفاظ التي تؤدي كل منها معنيين متباينين متضادين وما يسمى بالأضداد مثل لفظة المولى التي تطلق على العبد وعلى السيد ولفظة البصير التي تطلق على الأعمى وعلى المبصر، وإنما المقصود هنا المتضادات بالمعنى المنطقي أو ما يسمى في علم المنطق بـ (تفاعل الضدين) مثل الحرارة والبرودة، السواد والبياض، الفضيلة والرذيلة، الخفة والثقل. ويمكن أن يندرج ضمن هذه الطريقة كل أنواع الألفاظ المتقابلة بالتعبير المنطقي وهي أربعة: ١ـ المتقابلة تقابل النقيض مثل: إنسان ولا إنسان، سواد ولا سواد، منير وغير منير٢ ـ المتقابلة في الملكة وعدمها مثل: البصر والعمى، الزواج والعزوبة، ٤ـ الألفاظ المتضايفة مثل: الأب والابن، فوق وتحت، متقدم ومتأخر. أما الرابعة فهي الألفاظ المتضادة المذكورة، أنظر: محمد رضا المظفر، المنطق (بغداد: مطبعة الزهراء، ١٣٧٧/١٩٥٧)ج١، ص ص ٣٩ـ٤١.

(٤) هناك العديد من المعاجم التي تحتوي المترادفات والأضداد في اللغات الأجنبية المتقدمة ومثالها باللغة الانكليزية Roget.S The Saurus of Synnyms & Antonyms New Webster,s World Dictionary of Synonams.

أما معاجم المتضادات بالمعنى المقصود المبين أعلاه فتكاد تكون معدومة في اللغة العربية على عكس معاجم المترادفات التي وضع في العربية قديماً وحديثاً عدد لابأس به منها مثل: الألفاظ المترادفة لعلي بن عيسى الرماني نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، المنجد في المترادفات والمتجانسات، لعامة الأدباء ولتلاميذ الصفوف العليا لرفائيل نخلة اليسوعي، المترادفات للتعليم الثانوي، لعبد الجواد عبدالعال وعبدالله الأنصاري وغيرها ومعظمها مطبوع، انظر: وجدي رزق غالي، المعجمات العربية، ببليوجرافية شاملة مشروحة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١)، ص٣٧ـ٣٩.

(٥) فندريس، اللغة ص٢٣٣.

(٦) انظر محمد مهدي الجواهري، ديوان الجواهري (بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٦٧م)، ج٢، ص ص ٢٢٣ـ٢٧٣ والأبيات المنثورة مختارة منمقاطع متفرقة من القصيدة المذكورة، وهي كما يلي:

سلام على هضبات العراق	وشطيه والجرف والمنحنى
على النخل ذي السعفات الطوال	على سيد الشجر المقتنى
على الرطب الغض إذ يُجتلى	كوشي العروس وإذ يجتنى
بإيساره يوم أعذاقه	ترف وبالعسر عند القنى
سلام على قمر فوقها	عليها هفا، وإليها رنا
تدغدغ أضواؤه صدرها	وتمسح طياتها والثنى
وما برح القمر المستدير	يسبح في فلك من سنا
تلوذ النجوم بأذياله	هفت إذ هفا ودنت إذ دنا

(٧) إيليا أبو ماضي، تبر وتراب (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٠م)، ص ص٧ـ٨.

(٨) يحسن الرجوع في هذا الصدد إلى ما كتبته الدكتورة غادة الشماع حول موضوع استعمال اللغة كوسيلة للتفاهم والاتصال بين الآباء والأبناء وأنماط السلوك اللغوي التي تؤدي إلى خلق شعور عند الطفل باحترام الذات وخلق الشخصية. انظر:

"The Humanistic Character of Language and Ego Development" Damascus University Journal for The Humanities, V.2, No.7 1986. PP. 29-44

(٩) مـن مجلات الأطفال العـربية الأخـرى التي اتخذت مـادة للدراسـة هنا : «تسـالي الصغار» التـي تصدرهـا دار النحاس في بيروت، ومجلـة «ماجـد» التي تصـدر عن مـؤسسة الاتحاد للصحـافة والنشر في أبو ظبي بدولة الإمارات العربية المتحدة، ومجلة «العربي الصغير» التي تصدر عن وزارة الإعلام بدولة الكويت.

(١٠) كمثـل على ذلك انظـر: مجلـة الشبـل لصاحبهـا سليمان الـرويشـد، الريـاض ع٣/ ٤س١٠ ص٣١.

(١١) فيما يتصل بأهمية الكتاب في مجال التثقيف وعملية تصنيعـه ونشره وتطويره يمكن الاستفادة مما كتبه كل من: محمد المصمودي، «الكتاب الفني وآفاق تطويره في الوطن العربي»، المجلة العربية للثقـافـة، س٩ ع١٧ ــــ صفـر ١٤١٠هـــ/ سبتمبر (أيلـول) ١٩٨٩م تـونـس، ص ص١٧٥_١٨٥. محمد جبرناس، «معارض الكتب أهميتهـا ودورها في ترويج الكتـاب العربي»، المجلة العـربية للثقافة، العـدد المذكور نفسه، وهناك عـدد آخر من المقالات المنشـورة في العدد المشار إليه من المجلة المذكورة.



مراجع البحث

المراجع العربية

(١) آل ياسين، د. محمد حسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
(٢) أباظة، عزيز: «لغة الشاعر»، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الجزء الخامس والعشرون، رمضان ١٩٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
(٣) إبراهيم، د. فوزي طه ود. وليم تاوضروس عبيد، مبادىء الكمبيوتر التعليمي للأفراد: المدرسة المجتمع المنزل، ط١، جدة: تهامة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
(٤) ابن أبي الحديد، الفلك الدائر على المثل السائر، وهو ملحق بكتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتحقيق د. أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، د. ت.
(٥) ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م.
(٦) ابن خلدون، المقدمة، بيروت: دار لبنان، د. ت. وطبعة بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٩م.
(٧) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، د. ت.
(٨) ابن سيدة، علي بن إسماعيل، المخصص، (طبعة بولاق).
(٩) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق د. مصطفى الشويمي. بيروت ١٩٦٣.
(١٠) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤.
(١١) أبو حمدة، محمد علي، الداني في مهارات اللغة العربية، عمان: مكتبة الرسالة الحديثة، د. ت.
(١٢) أبو زيد، أحمد: «الفكر واللغة» مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الأول، ١٩٧١.
(١٣) أبو زيد، أحمد: «لعبة اللغة»، عالم الفكر، مجلد ١٦ عدد ٤/ ١٩٨٦.
(١٤) أبو شريفة، عبدالقادر وحسين لافي وداود غطاشة، علم الدلالة والمعجم العربي، عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ/ ١٩٧٨٩.
(١٥) أحمد، د. حافظ فرج: المدخل إلى التربية، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦.
(١٦) أريتي، سيلفانو، الفصامي: كيف نفهمه ونساعده، دليل للأسرة وللأصدقاء، ترجمة د. عاطف أحمد، عالم المعرفة (١٥٦) ـ جمادى الأولى ١٤١٢هـ/ ديسمبر ١٩٩١م.
(١٧) إسلام، د. عزمي: مفهوم المعنى، دراسة تحليلية حوليات كلية الآداب، الرسالة الحادية والثلاثون، الحولية السادسة (جامعة الكويت)، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.

(١٨) إسماعيل، د. محمد عماد الدين، الأطفال مرآة المجتمع : (النمو النفسي الاجتماعي للطفل في سنواتها التكوينية)، عالم المعرفة، (٩٩)ـ جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
(١٩) الأصبهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، كتاب الأغاني، تحقيق عبدالكريم إبراهيم العزباوي، بيروت : دار إحياء الكتاب العربي، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
(٢٠) إمام، د. إبراهيم، الإعلام الإذاعي والتليفزيوني، ط، بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٨٥م.
(٢١) أمين، عبدالله : «رأي في اللغةالفصحى وتعليمها دراسة اللغة العربية الفصحى في مدارسنا المصرية»، مجلة المقتطف، المجلد ١٠٠، ج٥، ربيع الثاني ١٣٦١هـ/ مايو (أيار) ١٩٤٢م.
(٢٢) أنيس، د. إبراهيم، دلالة الألفاظ، ط٦، القاهرة: دارالمعارف، ١٩٨٦.
(٢٣) أنيس، د. إبراهيم، «دور الكمبيوتر في البحث اللغوي»، مجلة مجمع اللغة العربية، ج٢٨، رمضان ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
(٢٤) أنيس، د. إبراهيم «تطور البنية في الكلمات العربية» مجلة اللغة العربية، الجزء الحادي عشر ـ ١٩٥٩م.
(٢٥) أنيس، د. إبراهيم، من أسرار اللغة، ط٦، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٧٨م.
(٢٦) أولمان، ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال محمد بشر، القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٧٥م.
(٢٧) أونج، والتر، الشفاهية والكتابية، ترجمة د. حسن البناعز الدين، عالم المعرفة (١٨٢)، شعبان ١٤١٤هـ/ فبراير، شباط ١٩٩٤م، الكويت.
(٢٨) أيوب، عبدالرحمن، العربية ولهجاتها، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٨.
(٢٩) بابلي، د. ضحى: «التلفزيون قد يشكل عقلية طفلك» المجلة الطبية السعودية، ع ٧٠ س١٤ محرم-ربيع الثاني، ١٤١١هـ.
(٣٠) بدران، د. عبدالحكيم، مناهج العلوم في التعليم العام بدول الخليج ومواكبتها لمعطيات التطور العلمي والتقاني، الرياض؛ مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
(٣١) بدران، د. مصطفى وآخرون: الوسائل التعليمية، ط٥، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٣.
(٣٢) بدوي، السعيد، مستويات العربية المعاصرة في مصر، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٣.
(٣٣) بر، هنري، «اللغة وإداة التفكير»، تصدير لكتاب (اللغة)، ج. فندريس، تعريب عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠.
(٣٤) براون، ج، وآخرون حول استخدام الشاشة الإلكترونية في التعلم ومدى فاعلية هذا الاستخدام، التقنيات التربوية بين النظرية والتطبيق، ترجمة مصباح الحاج عيسى وآخرين (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٥م)
(٣٥) بركة، فاطمة الطبال، النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون: دراسة ونصوص، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
(٣٦) بشر، كمال محمد، علم اللغة العام، القسم الثاني: الأصوات اللغوية. القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥م.
(٣٧) البلخي، مقاتل بن سليمان. الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، دراسة وتحقيق د. عبدالله محمود شحاتة، القاهر: الهيئة المصرية العامة، ١٣٩٥/ ١٩٧٥م.

(٣٨) البنهاوي، د. محمد أمين، عالم الكتب والقراءة والمكتبات، جدة: دار الشروق، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م.
(٣٩) بيرد، روث وجيمس هارتلي، التعليم والتعلم في الجامعات والمعاهد العليا، ترجمة د. أحمد إبراهيم شكري ومراجعة د. محمد علي حبشي، جدة: جامعة الملك عبدالعزيز ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
(٤٠) بيلكي، البروفسور ف. م. وترجمة د. جليل كمال الدين: «حول طابع الكلمات المترادفة في اللغة العربية الفصحى» في كتاب دراسات في اللغة، لعدد من الباحثين، طراد الكبيسي - رئيس التحرير بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة - وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٦م.
(٤١) ترحيني، فايز، «العربية والمعجمات»، مجلة الباحث، السنة العاشرة، العدد الثاني - ٥٠ - نيسان / حزيران - ١٩٨٨.
(٤٢) التوني، د. مصطفى زكي، علل التغيير اللغوي، حوليات كلية الآداب، الحولية الثالثة عشرة، الرسالة الرابعة والثمانون، ١٤١٢ - ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، الكويت.
(٤٣) الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٧٧هـ.
(٤٤) الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق فوزي عطوي، بيروت: مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني، ١٩٦٨. البيان والتبيين، ط٥، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.
(٤٥) الحيوان، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، بيروت: دار الكتاب العربي ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩.
(٤٦) رسائل الجاحظ، الرسائل الأدبية، قدم لها وبوبها وشرحها د. علي أبو ملحم، بيروت: دار مكتبة الهلال، ١٩٨٧.
(٤٧) جامع د. حسن حسيني، التعلم الذاتي وتطبيقاته التربوية، الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ١٩٧٦م.
(٤٨) جبر، د. يحيى عبدالرؤوف: «مسلسل المناهل مقدمات ونتائج»، رسالة الخليج العربي، العدد الثالث والثلاثون، السنة العاشرة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
(٤٩) جبري، شفيق، «الألفاظ والحياة»، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، مجلد ٤٨ ج٤، ١٩٧٣.
(٥٠) جبل، د. محمد حسن حسن، الاحتجاج بالشعر في اللغة: الواقع ودلالته، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
(٥١) الجرجاني، عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، تصحيح وتعليق السيد محمد رشيد رضا، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٢/ ١٩٨٢.
(٥٢) جرناس، محمد، «معارض الكتب أهميتها ودورها في ترويج الكتاب العربي»، المجلة العربية للثقافة س٩ ع١٧ - صفر ١٤١٠هـ/ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩م، تونس.
(٥٣) الجزائري، السيد نور الدين، فروق اللغات، تحقيق أسد الله الإسماعيليان، النجف: دار الكتب العلمية، ١٣٨٠هـ.
(٥٤) جسبرسن، أوتو، اللغة بين الفرد والمجتمع، ترجمة د. عبدالرحمن محمد أيوب، القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٥٤م.
(٥٥) الجندي، أنور، الفصحى لغة القرآن، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
(٥٦) الحاج عيسى، د. مصباح، «استخدام الهاتف والشاشة الإلكترونية في التعلم عن بعد في دول

الخليج العربية، المجلة العربية لبحوث التعليم العالي، المركز العربي لبحوث التعليم العالي ـ دمشق، العدد السادس ـ ذو القعدة ١٤٠٧هـ ـ يوليو/ تموز ١٩٨٧م.
٥٧ـ حجازي، محمود فهمي، أسس علم اللغة العربية، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٨٧م
(٥٨) حجازي، محمود فهمي، مدخل إلى علم اللغة، ط٢، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٧٨م.
(٥٩) حجازي، محمود فهمي، علم اللغة بين التراث والهيئة المصرية العامة، ١٩٧٠م.
(٦٠) حسان، د. تمام، اللغة العربية معناها ومبناها ط٣، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.
(٦١) حسان، د. تمام، مناهج البحث في اللغة، الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م.
(٦٢) حسين، د. محمد كامل، اللغة العربية المعاصرة، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦م.
(٦٣) حسين، د. محمد كامل: «أصول علوم اللغة» مؤتمر مجتمع اللغة العربية بالقاهرة، الدورة السادسة والعشرون ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠م، مجموعة البحوث والمحاضرات.
(٦٤) حماد، أحمد عبدالرحمن، عوامل التطور اللغوي، دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية، بيروت : دار الأندلس، ١٤٠٣/ ١٩٨٢.
(٦٥) حمادة، د. محمد ماهر ود. علي القاسمي، تنظيم المكتبة المدرسية، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
(٦٦) الحماش، د. خليل إبراهيم: «الرسوم التوضيحية ومكانتها في المعجم»، اللسان العربي، العدد الثاني والعشرون، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
(٦٧) حنورة، د. أحمد حسن، أدب الأطفال، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
(٦٨) خرما، د. نايف ود. علي حجاج، اللغات الأجنبية: تعليمها وتعلمها، عالم المعرفة، العدد (١٢٦) شوال ١٤٠٨هـ يونيو (حزيران) ١٩٨٨م، الكويت.
(٦٩) الخليفة أبو بكر، د. يوسف: أنواع التمارين اللغوية في الكتاب المدرسي»، اللسان العربي، العدد الثالث والعشرون ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣م.
(٧٠) خليل، د. حلمي، اللغة والطفل: دراسة في ضوء علم اللغة النفسي، بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.
(٧١) الخوري، أنطوان م: أعلام التربية: حياتهم، آثارهم، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٦٤.
(٧٢) الخولي، د. محمد علي، الحياة مع لغتين: الثنائية اللغوية، الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م
(٧٣) الداية، فايز، الجوانب الدلالية في نقد الشعر في القرن الرابع الهجري، دمشق: دار المالح للطباعة والنشر، ١٩٧٨.
(٧٤) الدباسي، د. صالح بن مبارك: «التدريب ونظريات الاتصال» رسالة الخليج العربي، العدد التاسع والثلاثون، السنة الثانية عشرة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.
(٧٥) درويش، د. عبدالله، المعاجم العربية، القاهرة: مطبعة الرسالة، ١٩٥٦م.
(٧٦) الدنان، د. عبدالله، «الإبداع واللغة العربية في المناهج المدرسية»، مجلة جامعة دمشق في العلوم الإنسانية والأساسية والتطبيقية، مجلد٢، ع٦، شوال ١٤٠٦ حزيران ١٩٨٦.
(٧٧) دياب، مفتاح محمد، «وسائل وطرق التشجيع على القراءة ودورها في انتشار الكتب تجارب

ودروس»، المجلة العربية للثقافة، السنة التاسعة، العدد السابع عشر ـــ صفر ١٤١٠هـ/ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩م تونس.
(٧٨) ديوي، جون: المدرسة والمجتمع، ترجمة أحمد حسن الرحيم، بيروت: دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر.
(٧٩) راجح، د. أحمد عزت، أصول علم النفس، القاهرة: دار المعارف ١٩٨٧ .
(٨٠) الراجحي، د، عبده، فقه اللغة في الكتب العربية، بيروت: دار النهضة العربية، ١٣٩٢/ ١٩٧٢ .
(٨١) الرازي، فخر الدين، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق د. بكري شيخ أمين، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٥م.
(٨٢) رتشي، روبرت، انظر التخطيط للتدريس: مدخل للتربية، ترجمة د. محمد أمين المفتي ود. زينب علي النجار، نيويورك: دار ماكجروهيل للنشر، ١٩٨٢م.
(٨٣) رضا، أحمد: «العامي والفصيح» ١ـ١٠، مجلة المجمع العلمي العربي ـــ دمشق، مجلد ١٩، ج١ و٢، ج٣، ج٥، ٦ ـ ١٩٤٤، مجلد ٢٠، ج٩ و١٠ ـــ ١٩٤٥م، مجلد ٢٢، ج٥ و٦، ج١١ و١٢ ـ ١٩٤٧م، مجلد ٢٣، ج١، ج٢، ج٤ ـ ١٩٤٨م.
(٨٤) رضوان، د. أبو الفتوح وآخرون، المدرس في المدرسة والمجتمع القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٣م.
(٨٥) روشكا، الكسندرو، الابداع العام والخاص، ترجمة ،د. غسان عبدالحي أبو فخر، عالم المعرفة (١٤٤) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت.
(٨٦) الزركشي. بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، ط١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧ .
(٨٧) الزغلول، د. محمد راجي «ازدواجية اللغة: نظرة في حاضر العربية وتطلع نحو مستقبلها في ضوء الدراسات اللغوية»، في كتاب دراسات في اللغة، لعدد من الباحثين، طراد الكبيسي ـ رئيس التحرير، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة ـ وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٦ .
(٨٨) زكريا، د. ميشال، قضايا ألسنية تطبيقية: دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، بيروت دار العلم للملايين، ١٩٩٣م.
(٨٩) زيدان، محمود فهمي، في فلسفة اللغة، بيروت: دار النهضة العربية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
(٩٠) سارتون، آلان، الذكاء، ترجمة د. محمود سيد رصاص، دمشق: دار المعرفة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
(٩١) السامرائي، د. إبراهيم، فقه اللغة المقارن، ط٤، بيروت: دا ر العلم للملايين، ١٩٨٧م.
(٩٢) ستتكيفتش، جاروسلاف، العربية الفصحى الحديثة في تطور الألفاظ والأساليب، ترجمة وتعليق دكتور محمد حسن عبدالعزيز، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
(٩٣) سحاب، فكتور، أزمة الإعلام الرسمي العربي، النموذج اللبناني، بيروت: دار الوحدة، ١٩٨٥م.
(٩٤) السرغيني، محمد، «الازدواجيات وتعدد اللهجات واللغات»، مجلة اللسان العربية، ع٦ يناير ١٩٦٩/ شوال ١٣٨٨ .
(٩٥) سليم، مريم، علم تكوين المعرفة، ابستمولوجيا «بياجيه». بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨٥ .
(٩٦) السعران، محمود، علم اللغة، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢ .

(٩٧) سيد يوسف، جمعة، سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، سلسلة عالم المعرفة (١٤٥)، جمادى الآخرة ١٤١٠هـ/ يناير - كانون الثاني ١٩٩٠، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
(٩٨) السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق أبو الفضل إبراهيم وآخرين، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، د. ت.
(٩٩) شاهين، توفيق محمد، المشترك اللغوي نظرية وتطبيقا، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
(١٠٠) شاهين، د. عبدالصبور، العربية لغة العلوم والتقنية، دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع، ١٩٨٣م.
(١٠١) شاهين، د. عبدالصبور، المنهج الصوتي للبنية العربية: رؤية جديدة في الصرف العربي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
(١٠٢) الشاوي، د. سلطان، «الصعوبات التي تواجه تعريب التعليم العالي في الوطن العربي»، تعريب التعليم العالي وسياسات الالتحاق به في الوطن العربي، المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي، ٢٠-٢٣/ أكتوبر، تونس ١٩٨٣م، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٨٤م.
(١٠٣) شحاته، د. حسن، أدب الطفل العربي: دراسات وبحوث القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
(١٠٤) الشرقاوي، أنور محمد، العمليات المعرفية وتناول المعلومات، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٤
(١٠٥) الشرقاوي، التعلم، نظريات وتطبيقات، القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٨٧.
(١٠٦) شوشة، فاروق، لغتنا الجميلة، بيروت: دار العودة، د. ت.
(١٠٧) الصالح، د. صبحي، . دراسات في فقه اللغة، ط١١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٠/١٣٧٩.
(١٠٨) صبحي، يسير ود. يوسف قطامي، مقدمة في الموهبة والإبداع، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٢.
(١٠٩) صليبا، جميل، «تعريب التعليم بين القائلين به والمعارضين له، العربي ١٨٢/ يناير ١٩٧٤
(١١٠) الصيادي، د. محمد المنجي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥م.
(١١١) ضيف، د. شوقي، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط٩، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦م.
(١١٢) طحان، ريمون ودنيز بيطار، اللغة العربية وتحديات العصر، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٤.
(١١٣) ظاظا، د. حسن، كلام العرب: من قضايا اللغة العربية، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٦.
(١١٤) عاقل، د. فاخر، الإبداع وتربيته، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٣.
(١١٥) عاقل، د. فاخر، أصول علم النفس وتطبيقاته، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤.
(١١٦) العايد، د. أحمد، «معجم الأطفال الأساسي المصور الثنائي اللغة»، اللسان العربي، العدد العشرون ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص١٠٣.

(١١٧) عبدالبديع، د. لطفي، التركيب اللغوي للأدب: بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا، الرياض: دار المريخ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
(١١٨) عبدالجليل، د. محمد الفيتوري، «الكتاب وتقنية الاتصالات»، المجلة العربية للثقافة، السنة التاسعة، العدد السابع عشر ـ صفر ١٤١٠هـ/ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩م، تونس.
(١١٩) عبده، داود وسلوى حلو عبده، «في اكتساب المفردات عند الطفل» المجلة العربية للعلوم الإنسانية، (صيف١٩٨١م)، ع٣ مج١.
(١٢٠) عبدالحميد، سامي وبدري حسون فريد، فن الإلقاء، بغداد: جامعة بغداد، ١٩٨١م.
(١٢١) عبدالعزيز، صالح، التربية الحديثة: مادتها ـ مبادئها ـ تطبيقاتها العلمية، ط٤، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٩.
(١٢٢) عبدالقادر، حامد: «بين العربية والفارسية»، مجموعة البحوث والمحاضرات: مؤتمر مجمع اللغة العربية، الدورة السادسة والعشرون، القاهرة، ١٩٥٩ ـ ١٩٦٠م.
(١٢٣) العسكري، أبو هلال، الصناعتين: الكتابة والشعر، ط١، تحقيق وضبط د. مفيد قميحة، بيروت: دار الجيل، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١.
(١٢٣) العسكري، أبو هلال، الفروق في اللغة، ط٤، بيروت: دار الآفاق الجديدة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
(١٢٥) عطية، نوال محمد، علم النفس اللغوي، القاهرة: مكتبة الأنجلو، ١٩٨٢.
(١٢٦) العقاد، عباس محمود، اللغة الشاعرة، دار الإعلات، ١٩٦٠م.
(١٢٧) العلمي، إدريس بن الحسن: «مع المعجم الوسيط» في طبعته الثانية، واللسان العربي، العدد الثالث والعشرون، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٣م، واللسان العربي، العدد الثلاثون، ذو الحجة ـ ١٤٠٨هـ/ يوليو ـ ١٩٨٣م
(١٢٨) علي. أسعد، تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، بيروت: دار النعمان، ١٣٨٨/ ١٩٦٨.
(١٢٩) عمر، د. أحمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، ط٢، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٨١م.
(١٣٠) عمر، د. أحمد مختار، أخطار اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين، ط٢، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٣م.
(١٣١) غاتشف، غيورغي، الوعي والفن، ترجمة د. نوفل نيوف ومراجعة د. سعد مصلوح، عالم المعرفة ١٤٦، رجب/ ١٤١٠هـ ـ فبراير/ شباط ١٩٩٠.
(١٣٢) غالب، د. مصطفى، في سبيل موسوعة نفسية: «٢ـ فصام الشخصية الازدواجية»، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٨٦.
(١٣٣) غالي، وجدي رزق، المعجمات العربية، ببليوجرافية شاملة مشروحة القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.
(١٣٤) غنيم، سيد محمد: «اللغة والفكر عند الطفل»، مجلة عالم الفكر، م٢، ع١، ١٩٧١.
(١٣٥) فابريزيو، كلود: «الوسائل السمعية البصرية أداة العمل الثقافي»، التنمية الثقافية تجارب إقليمية، تأليف لفيف من خبراء (اليونسكو)، ترجمة سليم مكسور، مراجعة عبده وازن، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٣م.
(١٣٦) فرهود، حسن شاذلي وآخرون، الأدب نصوصه وتاريخه للصف الأول الثانوي، ط٨، الرياض: وزارة المعارف، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.
(١٣٧) فريحة، أنيس، نظريات في اللغة، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
(١٣٨) فلاتة د. مصطفى بن محمد عيسى، المدخل إلى التقنيات الحديثة في الاتصال والتعليم، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(١٣٩) فندريس. جوزيف، اللغة، تعريب عبدالحميد الدواخلي ومحمد القصاص، القاهرة مطبعة لجنة البيان العربي، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠.
١٤٠ـ د. مصطفى، سيكولوجية اللغة، القاهرة: دار مصر للطباعة، د.ت.
(١٤١) فهمي، د. مصطفى، سيكولوجية التعليم، القاهرة: دار مصر للطباعة، د.ت.
(١٤٢) فهمي، د. مصطفى، أمراض الكلام، ط٥، القاهرة: دار مصر للطباعة، ١٩٧٥.
(١٤٣) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت: دار الجيل، د. ت، مقدمة الطبعة للشيخ نصر الهوريني.
(١٤٤) فيصل، د. شكري: «التحدي اللغوي»، وقائع ندوة التحديات الحضارية والغزو الثقافي لدول الخليج العربي، الرياض: مكتب التربية العربية لدول الخليج، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.
(١٤٥) فيصل، د. شكري: «خطوات تنفيذ التعريب»، تعريب التعليم العالي وسياسات الالتحاق به في الوطن العربي، وقائع المؤتمر الثاني للوزراء المسؤولين عن التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي المنعقد في تونس في ٢٠ـ٢٣ أكتوبر ١٩٨٣م، تونس إدارة التربية، ١٩٨٤م.
(١٤٦) فيصل، د. شكري: «قضايا اللغة العربية المعاصرة: بحث من الإطار العام للموضوع»، المجلة العربية للدراسات اللغوية، المجلد الثاني، العدد الأول، أغسطس أب ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، الخرطوم.
(١٤٧) فيصل د. شكري، المجتمعات الإسلامية في القرن الأول: نشأتها، مقوماتها، تطورها اللغوي والأدبي، بيروت: دار العلم للملايين، د. ت.
(١٤٨) فيصل، د. شكري، مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي: عرض ونقد، واقتراح، ط٥ بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٢م.
(١٤٩) الفيصل، سمر روحي، تنمية ثقافة الطفل العربي، الكويت الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة، سلسلة الدراسات العلمية المتخصصة، (٩)، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨.
(١٥٠) فيك، يوهان، العربية، ترجمة عبدالحليم النجار، القاهرة: دار الكتاب العربي، ١٩٥١م.
(١٥١) قاسم، رياض زكي، المعجم العربي: بحوث في المادة والمنهج والتطبيق، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
(١٥٢) القاسمي، د. علي، علم اللغة وصناعة المعجم، الرياض: جامعة الرياض ١٣٩٥/ ١٩٧٥.
(١٥٣) القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم، كتاب ذيل الأمالي والنوادر، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، د. ت.
(١٥٤) قدور، أحمد محمد: «صور من تطور لغة الشعر العربي الحديث عن طريق المجاز»، عالم الفكر، م ٢٠ ع٣، ١٩٨٩.
(١٥٥) القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ط٢، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بين الخوجة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨١.
(١٥٦) قرة علي، محمد، سنابل الزمن، ط٦، بيروت: مؤسسة نوفل، ١٩٨٦.
(١٥٧) القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الجيل، ١٩٧٢.
(١٥٨) كارنيجي، ديل، التأثير في الجماهير عن طريق الخطابة، ترجمة رمزي يسي وعزت فهيم صالح، بيروت: دار الفكر العربي، د. ت.
(١٥٩) كرم الدين، د. ليلى أحمد، الحصيلة اللغوية المنطوقة لطفل ما قبل المدرسة من عمر عام حتى

ستة أعوام، سلسلة الدراسات الموسمية المتخصصة (١١) ــ الكويت الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، ١٩٨٩م.
(١٦٠) كنعان، نواف، القيادة الإدارية، الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤٠٢/ ١٩٨٢.
(١٦١) لاينز، جون John Lyons علم الدلالة، ، ترجمة مجيد عبدالحليم الماشطة وآخرين. كلية الآداب ـ جامعة البصرة ١٩٨٠.
(١٦٢) لبيب، د. سعد، «برامج التلفزيون والتكنولوجيا الحديثة للاتصال في الوطن العربي»، المجلة العربية للثقافة، السنة الحادية عشرة، العدد العشرون ــ شعبان ١٤١١هـ/ مارس (آذار) ١٩٩١م ـ تونس.
(١٦٣) مارتينيه، أندريه، مبادىء ألسنية عامة، ترجمة ريمون رزق الله، بيروت: دار الحداثة، ١٩٩٠م.
(١٦٤) المبارك، محمد، فقه اللغة وخصائص العربية: دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، ط٤، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٠م.
(١٦٥) متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريدة، ط٤، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧هـ/ ١٩٦٧م.
(١٦٦) مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، صدر عن مجمع اللغة العربية ط٢، القاهرة ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
(١٦٧) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
(١٦٨) محمد، د. عادل عبدالله، النمو المعرفي بين النظرية والتطبيق، القاهرة الدار الشرقية، ١٩٩٢.
(١٦٩) مدكور، د. إبراهيم، «الأدب العربي تجاه مشكلتي اللغة والحرف»، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج١٥، ١٩٦٢.
(١٧٠) مدنيك، سارنوف أ. وآخران: التعلم. ترجمة د. محمد عماد الدين اسماعيل بيروت، دار الشروق ١٩٨١م ـ ١٤٠١هـ.
(١٧١) المسدي، د. عبدالسلام، الأسلوبية والأسلوب، ط٣، طرابلس: الدار العربية للكتاب، د. ت.
(١٧٢) مسعدي، محمود: «التنمية الثقافية في الدول العربية»، التنمية الثقافية: تجارب إقليمية. تأليف لفيف من خبراء (اليونسكو)، ترجمة سليم مكسور، مراجعة عبده وازن، ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٣م.
(١٧٣) المصمودي، محمد، «الكتاب الفني وآفاق تطويره في الوطن العربي»، المجلة العربية للثقافة، س٩ ع١٧ ـ صفر ١٤١٠هـ/ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩م، تونس.
(١٧٤) المعتوق، د. أحمد محمد، «دور وسائل الاتصال السمعية والبصرية في تنمية الحصيلة اللغوية»، رسالة الخليج العربي، العدد السابع والأربعون، السنة الرابعة عشرة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.
(١٧٥) المعتوق، د. أحمد محمد: «الأدب وأثره في تنمية الحصيلة اللغوية» القافلة، رجب ١٤١٣هـ/ ديسمبر ١٩٩٢ ـ يناير ١٩٩٣م.
(١٧٦) المعتوق، د. أحمد محمد: «أسلوب السجع وموقف الباقلاني من السجع في القرآن: دراسة نظرية تحليلية ورؤية نقدية»، الدارة، العدد الثاني ـ السنة التاسعة عشرة، محرم، صفر ربيع الأول ١٤١٤هـ، الرياض.

(١٧٧) المعتوق، د. أحمد محمد: «ظاهرة اللفظية: أسبابها، نتائجها، وسائل علاجها»، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الخامس، الآداب (٢) (١٧٨) المغربي، عبدالقادر، «الراديو واثره في نشر اللغة»، مجلة المجمع العلمي العربي ـ دمشق المجلد السادس عشر، ج١ ـ ٢، ١٩٤١/ ١٣٦٠هـ، ص ٢٣.

(١٧٩) ملص، محمد بسام: «اتجاهات حديثة في أدب الطفل العربي وكتبه»، الناشر العربي، ع١٣ ـ ١٩٨٩م.

(١٨٠) المليجي، حلمي، سيكولوجية الابتكار، الطبعة الثاينية، دار المعارف بمصر ١٩٦٩.

(١٨١) المليجي، عبد المنعم، أساليب التفكير، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٤٩.

(١٨٢) المليجي د. عبدالمنعم ود. حلمي المليجي، النمو النفسي، ط٥، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧١.

(١٨٣) مليكة، د. لويس كامل، سيكولوجية الجماعات والقيادة، الجزء الأول، القاهرة: الهيئة المصرية العامة، ١٩٨٩م.

(١٨٤) مندور، د. محمد، حول الرمزية في اللغة الشعرية: «لغة الشعر»، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد الثاني عشر، ١٩٦٠م.

(١٨٥) مندور، د. مصطفى. اللغة بين العقل والمغامرة، الاسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٧٤.

(١٨٦) منصور، د. عبدالمجيد سيد أحمد، علم اللغة النفسي. الرياض: جامعة الملك سعود، ١٤٩٢هـ/ ١٩٨٢م.

(١٨٧) الموسى، نهاد، قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي الحديث، عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٨٧م.

(١٨٨) مونتاكو. أشلي، طبيعة الإنسان البيولوجية الاجتماعية، ترجمة د. أحمد حسن الرحيم، النجف: مطبعة الأدب، ١٣٨٥/ ١٩٦٥.

(١٨٩) ميلريو، جان: «حتى يكون النهوض بالكتاب عملاً متواصلاً»، قضايا الكتاب والمطالعة، كراس٤، الملتقى المغربي بالحمامات نوفمبر ١٩٧٢م، تونس: المعهد القومي لعلوم التربية، ١٩٧٢م.

(١٩٠) ناصف، د. مصطفى، نظرية المعنى في النقد العربي، ٢٣، بيروت: دار الأندلس ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(١٩١) نشواتي، عبدالمجيد، علم النفس التربوي، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.

(١٩٢) نصار، حسين، المعجم العربي: نشأته وتطوره، القاهرة: دار مصر للطباعة، د. ت.

(١٩٣) نصار، حسين، دراسات لغوية. ط٢، بيروت: دار الرائد العربي، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(١٩٤) نهر، د. هادي، علم اللغة الاجتماعي عند العرب، بيروت: دار الغصون ١٤٩٨/ ١٩٨٨.

(١٩٥) نيومان، جوزيف، الحاسب الإلكتروني وكيف يغير حياتنا، ترجمة: زغلومل فهمي، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٢م.

(١٩٦) هجمان، روي. سي، اللغة والحياة والطبيعة البشرية، ترجمة د. داود حلمي أحمد السيد، ، الكويت: جامعة الكويت، ١٩٨٩م/ ١٤٠٩هـ.

(١٩٧) هرمز، صباح حنا، الثروة اللغوية للأطفال العرب ورعايتها، الكويت: ذات السلاسل للطباعة والنشر، ١٩٨٧م.

(١٩٨) هلال، عبدالغفار حـامد، علم اللغة بين التقديم والحديث، القـاهرة: مطبعة الجبلاوي، ١٤٠٦/١٩٨٦.
(١٩٩) الهمذاني، عبـدالرحمن بـن عيسى، الألفاظ الكتـابية، بيروت: دار الهدى للطبـاعة والنشر ١٣٩٩/١٩٧٩.
(٢٠٠) وافي، د. علي عبـدالـواحـد، علـم اللغـة، ط٦، القـاهـرة: دار نهضـة مصر، ١٣٨٧/١٩٦٧م.
(٢٠١) وافي، د. علي عبـدالـواحـد اللغـة والمجتمـع، القـاتهرة، دار نهضـة مصر للطبـع والنشر ١٩٧١.
(٢٠٢) وافي، د. علي عبدالواحـد، فقه اللغة، ط٦، القاهرة: دار نهضـة مـصر للطبـع والنشر، د. ت.
(٢٠٣) وايت مري أليس، «ثورة التعليم الإلكتروني: المسـائل المطروحة»، مستقبليات، مجلة التربية الفصلية، اليونسكو، عدد (١) المجلد الرابع عشر، ١٩٨٤م.
(٢٠٤) الورقـي، د. السعيد، لغـة الشعر العـربي الحديث: مقـوماتها الفنيـة وطاقـاتها الإبداعيـة، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
(٢٠٥) ولنكتن وولكنتن، تربيـة العقل الناقد، ترجمة د. طه الحاج إليـاس، بغداد: المكتبة الأهلية، ١٩٦٥م.
(٢٠٦) يونس، د. عبدالحميد، «اللغة الفنية»، مجلة عالم الفكر، م٢ ع١، ١٩٧١.
(٢٠٧) ياقوت، د. محمود سليمان، معاجم الموضوعـات في ضوء علـم اللغة الحديـث، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٤م.

المراجع الأجنبية

208. Bright. G.W.; Harvey. J.G.; and Wheeler, M.M. "Teaching instrictional games," Proceedings of the First International Conference on Teaching Statistics, vol. 1, University of Sheffield.
209. Bloom, Lois & M. Lahey. Language Development and Language Disorders. New York: John Wiley, 1978.
210. Bloom, Lois. Language Development: Form and Function in Emerging Grammer. Cambridge, Mass, : MIT Press, 1972.
211. P. J. Cachia: "The Use of the Colloquialin Modern Arabic Literature" Journal of the American Oriental Society, 87.1 (1976). P. 12
212. Chomsky. Noam, Language and Mind, New York: Harcourt & Brace, 1968.
213. Dale, P. S. Language Development: Structure and Function. New York: Holt Rinehart and Winston, 1976.]
214. Diller Karl, Generative Grammer (Rowley Massachusetts Newbur House Publishers, 1971.
215. Hayakawa., I.S. Language in Thought and Action, London, 1968.

216. Khatena. J, and Cunnington. E.P., Torrance, Thinking Creatively with Sounds and Words, Personnel Press, Lexington, Massm 1973.
217. Lennenberg, Eric, Biological Foundations of Language, New York: John Wiley & Books, 1967.
218. Kenneth A. Benne and Grace Levit," The Nature of Groups and Helping Groups Iir Operation" in Review of Educational Research, vol. 23, October, 1953.
219. Koestler, A., Act of Creation, London: Sons, 1967.
220. Mahadin R., "Mor on Diglossia" "Damascus University of Journal For The Humanities, Basic and Applied Sciences, V. 2, No. 5, 1986.
221. Makdisi, George, The Rise of Colleges: Institutions of Learning in Islam and The West, (Edinburgh: Edinburgh University Press, 1981).
222. Moore, T.E. (Ed), Cognitive Development and the Acquisition of Language, New York: Academic Press, 1973.
223. Piaget, Jean, Six Psychological Studies, With an Introduction Notes and Glossary by David Elkind, translation from the French by Anita Tenzer, Trans & edited by David Elkind, New York: Vintage Books, 1968.
224. Rogers. C.R., "Towards a Theory of Creativity" in Selected, Reading, ed. P.E. The Chaucer Press, Ltd, 1975.
225. Salih. Mahmud Husein, "Asociolinguistic Analysis of Arab Students, Attitudes in America," Damascus University Journal for The Humanities, V. 3, No. 12, 1987.
226. Sapir E., Language, New York 1921.
227. Al-Shamma, Ghada, "The Humanistic Character of Language and Ego Development" Damascus University Journal for The Humanities, V. 2, No. 7, 1986.
228. Smith. E.W. & Krouse S.W and Atkinson. M.M. The Educators Encyclopedia, N.J.: Englwood Cliffs, 1964.
229. Smith, M.E. (1926) "An investigation of the development of the sentence and the extent of vocabulary in young children" Univ la. Stud Child Welf 3, No. 5.
230. Rene Wellek and Austin Warren, Theory of Literature, New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1977.
231. Vygotsky. L.S., Thought and Language, ed & trans by Eugenia Hauf & Gertrude Vaker, (Cambridge: Massachusetts: The M.I.T. Press, 1962.)
232. Watson George., The Study of Literature, London: Allen Lan The Penguin Press, 1969.
233. Wittgenstein, L. Phiosophical Investigations. (London: Blackwell, 1953).

المؤلف في سطور

د. أحمد محمد المعتوق

* حاصل على الدكتوراه في الأدب والنقد من جامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٧م.
* له مجموعة من البحوث والدراسات في اللغة والنقد والشعر والرواية والمسرح والبلاغة والأسلوب منشورة في عدد من الدوريات العلمية والمجلات المتخصصة.
* له أعمال شعرية عديدة ومشاركات إبداعية أخرى منشورة في عدد من المجلات الأدبية والثقافية العربية. كما أنه يحمل عضوية عدد من الجمعيات العلمية العالمية والمنظمات واللجان الأدبية والثقافية المحلية والعربية.
* شارك في العديد من المؤتمرات العلمية والندوات الأدبية.
* يعمل حاليا أستاذا مشاركا للغة والأدب بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران.



صدر عن هذه السلســلة

١ـ الحضارة	تأليف : د/ حسين مؤنس	ينـــاير ١٩٧٨
٢ـ اتجاهات الشعر العربي المعاصر	تأليف : د/ إحسان عباس	فبرايــر ١٩٧٨
٣ـ التفكير العلمي	تأليف : د/ فؤاد زكريا	مــارس ١٩٧٨
٤ـ الولايات المتحدة والمشرق العربي	تأليف : / أحمد عبدالرحيم مصطفى	أبريــل ١٩٧٨
٥ـ العلم ومشكلات الإنسان المعاصر	تأليف : د/ زهير الكرمي	مايـــو ١٩٧٨
٦ـ الشباب العربي والمشكلات التي يواجهها	تأليف : د/ عزت حجازي	يونيـــو ١٩٧٨
٧ـ الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية	تأليف : / محمد عزيز شكري	يولـــيو ١٩٧٨
٨ـ تراث الإسلام (الجزء الأول)	ترجمة : د/ زهير السمهوري تحقيق وتعليق : د/ شاكر مصطفى مراجعة : د/ فؤاد زكريا	أغسطس ١٩٧٨
٩ـ أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة	تأليف : د/ نايف خرما	سبتمبر ١٩٧٨
١٠ـ جحا العربي	تأليف : د/ محمد رجب النجار	أكتوبـر ١٩٧٨
١١ـ تراث الإسلام (الجزء الثاني)	ترجمة : { د/ حسين مؤنس، د/ إحسان العمد مراجعة : د/ فؤاد زكريا	نوفـمبر ١٩٧٨
١٢ـ تراث الإسلام (الجزء الثالث)	ترجمة : { د. حسين مؤنس، د/ إحسان العمد مراجعة : د/ فؤاد زكريا	ديـسمبر ١٩٧٨
١٣ـ الملاحة وعلوم البحار عند العرب	تأليف : د/ أنور عبدالعليم	ينايـــر ١٩٧٩
١٤ـ جمالية الفن العربي	تأليف : د/ عفيف بهنسي	فـبراير ١٩٧٩
١٥ـ الإنسان الحائر بين العلم والخرافة	تأليف : د/ عبدالمحسن صالح	مـارس ١٩٧٩
١٦ـ النفط والمشكلات المعاصرة للتنمية العربية	تأليف : د/ محمود عبدالفضيل	أبـريل ١٩٧٩
١٧ـ الكون والثقوب السوداء	إعداد : رؤوف وصفي مراجعة : زهير الكرمي	مايـــو ١٩٧٩
١٨ـ الكوميديا والتراجيديا	ترجمة : د/ علي أحمد محمود مراجعة : { د/ شوقي السكري، د/ علي الراعي	يونــيو ١٩٧٩
١٩ـ المخرج في المسرح المعاصر	تأليف : / سعد أردش	يولــيو ١٩٧٩

٢٠ـ التفكير المستقيم والتفكير الأعوج	ترجمة حسن سعيد الكرمي مراجعة : صدقي حطاب	أغسطس ١٩٧٩
٢١ـ مشكلة إنتاج الغذاء في الوطن العربي	تأليف : د/ محمد على الفرا	سبتمبر ١٩٧٩
٢٢ـ البيئة ومشكلاتها	تأليف : { رشيد الحمد د/ محمد سعيد صباريني	أكتوبر ١٩٧٩
٢٣ـ الرق	تأليف : د/ عبدالسلام الترمانيني	نوفمبر ١٩٧٩
٢٤ـ الإبداع في الفن والعلم	تأليف : د/ حسن أحمد عيسى	ديسمبر ١٩٧٩
٢٥ـ المسرح في الوطن العربي	تأليف : د/ علي الراعي	يناير ١٩٨٠
٢٦ـ مصر وفلسطين	تأليف : د/ عواطف عبدالرحمن	فبراير ١٩٨٠
٢٧ـ العلاج النفسي الحديث	تأليف : د/ عبدالستار ابراهيم	مارس ١٩٨٠
٢٨ـ أفريقيا في عصر التحول الاجتماعي	ترجمة : شوقي جلال	أبريل ١٩٨٠
٢٩ـ العرب والتحدي	تأليف : د/ محمد عماره	مايو ١٩٨٠
٣٠ـ العدالة والحرية في فجر النهضة العربية الحديثة	تأليف : د/ عزت قرني	يونيو ١٩٨٠
٣١ـ الموشحات الأندلسية	تأليف : د/ محمد زكريا عناني	يوليو ١٩٨٠
٣٢ـ تكنولوجيا السلوك الإنساني	ترجمة : د/ عبدالقادر يوسف مراجعة : د/ رجا الدريني	أغسطس ١٩٨٠
٣٣ـ الإنسان والثروات المعدنية	تأليف : د/ محمد فتحي عوض الله	سبتمبر ١٩٨٠
٣٤ـ قضايا أفريقية	تأليف : د/ محمد عبدالغني سعودي	أكتوبر ١٩٨٠
٣٥ـ تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي (١٩٣٠ـ ١٩٧٠)	تأليف : د/ محمد جابر الأنصاري	نوفمبر ١٩٨٠
٣٦ـ الحب في التراث العربي	تأليف : د/ محمد حسن عبدالله	ديسمبر ١٩٨٠
٣٧ـ المساجد	تأليف : د/ حسين مؤنس	يناير ١٩٨١
٣٨ـ تكنولوجيا الطاقة البديلة	تأليف : د/ سعود يوسف عياش	فبراير ١٩٨١
٣٩ـ ارتقاء الإنسان	ترجمة : د/ موفق شخاشيرو مراجعة : زهير الكرمي	مارس ١٩٨١
٤٠ـ الرواية الروسية في القرن التاسع عشر	تأليف : د/ مكارم الغمري	أبريل ١٩٨١
٤١ـ الشعر في السودان	تأليف : د/ عبده بدوي	مايو ١٩٨١
٤٢ـ دور المشروعات العامة في التنمية الاقتصادية	تأليف : د/ علي خليفة الكواري	يونيو ١٩٨١
٤٣ـ الإسلام في الصين	تأليف : فهمي هويدي	يوليو ١٩٨١
٤٤ـ اتجاهات نظرية في علم الاجتماع	تأليف : د/ عبدالباسط عبدالمعطي	أغسطس ١٩٨١

٤٥ـ حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي	تأليف : د/ محمد رجب النجار	سبتمبر ١٩٨١
٤٦ـ دعوة إلى الموسيقا	تأليف : د/ يوسف السيسي	أكتوبر ١٩٨١
٤٧ـ فكرة القانون	ترجمة : سليم الصويص مراجعة : سليم بسيسو	نوفمبر ١٩٨١
٤٨ـ التنبؤ العلمي ومستقبل الإنسان	تأليف : د/ عبدالمحسن صالح	ديسمبر ١٩٨١
٤٩ـ صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي	تأليف : صلاح الدين حافظ	يناير ١٩٨٢
٥٠ـ التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية	تأليف : د/ محمد عبدالسلام	فبراير ١٩٨٢
٥١ـ السينما في الوطن العربي	تأليف : جان ألكسان	مارس ١٩٨٢
٥٢ـ النفط والعلاقات الدولية	تأليف : د/ محمد الرميحي	أبريل ١٩٨٢
٥٣ـ البدائية	ترجمة : د/ محمد عصفور	مايو ١٩٨٢
٥٤ـ الحشرات الناقلة للأمراض	تأليف : د/ جليل أبو الحب	يونيو ١٩٨٢
٥٥ـ العالم بعد مائتي عام	ترجمة : شوقي جلال	يوليو ١٩٨٢
٥٦ـ الإدمان	تأليف : د/ عادل الدمرداش	أغسطس ١٩٨٢
٥٧ـ البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية	تأليف : د/ أسامة عبدالرحمن	سبتمبر ١٩٨٢
٥٨ـ الوجودية	ترجمة : د/ إمام عبدالفتاح	أكتوبر ١٩٨٢
٥٩ـ العرب أمام تحديات التكنولوجيا	تأليف : د/ انطونيوس كرم	نوفمبر ١٩٨٢
٦٠ـ الأيديولوجية الصهيونية (الجزء الأول)	تأليف : د/ عبدالوهاب المسيري	ديسمبر ١٩٨٢
٦١ـ الأيديولوجية الصهيونية (الجزء الثاني)	تأليف : د/ عبدالوهاب المسيري	يناير ١٩٨٣
٦٢ـ حكمة الغرب	ترجمة : د/ فؤاد زكريا	فبراير ١٩٨٣
٦٣ـ الإسلام والاقتصاد	تأليف : د/ عبدالهادي علي النجار	مارس ١٩٨٣
٦٤ـ صناعة الجوع (خرافة الندرة)	ترجمة : أحمد حسان عبدالواحد	إبريل ١٩٨٣
٦٥ـ مدخل إلى تاريخ الموسيقا المغربية	تأليف : عبدالعزيز بن عبد الجليل	مايو ١٩٨٣
٦٦ـ الإسلام والشعر	تأليف : د/ سامي مكي العاني	يونيو ١٩٨٣
٦٧ـ بنو الإنسان	ترجمة : زهير الكرمي	يوليو ١٩٨٣
٦٨ـ الثقافة الألبانية في الأبجدية العربية	تأليف : د/ محمد موفاكو	أغسطس ١٩٨٣
٦٩ـ ظاهرة العلم الحديث	تأليف : د/ عبدالله العمر	سبتمبر ١٩٨٣
٧٠ـ نظريات التعلم (دراسة مقارنة) القسم االأول	ترجمة : د/ علي حسين حجاج مراجعة : د/ عطيه محمود هنا	أكتوبر ١٩٨٣
٧١ـ الاستيطان الأجنبي في الوطن العربي	تأليف : د/ عبدالمالك خلف التميمي	نوفمبر ١٩٨٣
٧٢ـ حكمة الغرب (الجزء الثاني)	ترجمة : د/ فؤاد زكريا	ديسمبر ١٩٨٣

٧٣ـ التخطيط للتقدم الاقتصادي والاجتماعي	تأليف : د / مجيد مسعود	يناير ١٩٨٤
٧٤ـ مشاريع الاستيطان اليهودي	تأليف : أمين عبدالله محمود	فبراير ١٩٨٤
٧٥ـ التصوير والحياة	تأليف : د / محمد نبهان سويلم	مارس ١٩٨٤
٧٦ـ الموت في الفكر الغربي	ترجمة : كامل يوسف حسين مراجعة : د / إمام عبدالفتاح	أبريل ١٩٨٤
٧٧ـ الشعر الإغريقي تراثا إنسانيا وعالميا	تأليف : د / أحمد عثمان	مايو ١٩٨٤
٧٨ـ قضايا التبعية الإعلامية والثقافية	تأليف : د/ عواطف عبدالرحمن	يونيو ١٩٨٤
٧٩ـ مفاهيم قرآنية	تأليف : د / محمد أحمد خلف الله	يوليو ١٩٨٤
٨٠ـ الزواج عند العرب (في الجاهلية والإسلام)	تأليف : د / عبدالسلام الترمانيني	أغسطس ١٩٨٤
٨١ ـ الأدب اليوغسلافي المعاصر	تأليف : د / جمال الدين سيد محمد	سبتمبر ١٩٨٤
٨٢ ـ تشكيل العقل الحديث	ترجمة : شوقي جلال مراجعة : صدقي حطاب	أكتوبر ١٩٨٤
٨٣ ـ البيولوجيا ومصير الإنسان	تأليف : د / سعيد الحفار	نوفمبر ١٩٨٤
٨٤ ـ المشكلة السكانية وخرافة المالتوسية	تأليف : د / رمزي زكي	ديسمبر ١٩٨٤
٨٥ ـ دول مجلس التعاون الخليجي ومستويات العمل الدولية	تأليف : د / بدرية العوضي	يناير ١٩٨٥
٨٦ ـ الإنسان وعلم النفس	تأليف : د / عبدالستار إبراهيم	فبراير ١٩٨٥
٨٧ ـ في تراثنا العربي الإسلامي	تأليف : د / توفيق الطويل	مارس ١٩٨٥
٨٨ ـ الميكروبات والإنسان	ترجمة : د / عزت شعلان مراجعة : د / عبدالرزاق العدواني، د / سمير رضوان	أبريل ١٩٨٥
٨٩ ـ الإسلام وحقوق الإنسان	تأليف : د/ محمد عماره	مايو ١٩٨٥
٩٠ ـ الغرب والعالم (القسم الأول)	تأليف : كافين رايلي ترجمة : د / عبدالوهاب المسيري، د/ هدى حجازي مراجعة : د / فؤاد زكريا	يونيو ١٩٨٥
٩١ ـ تربية اليسر وتخلف التنمية	تأليف : د / عبدالعزيز الجلال	يوليو ١٩٨٥
٩٢ ـ عقول المستقبل	ترجمة : د / لطفي فطيم	أغسطس ١٩٨٥
٩٣ ـ لغة الكيمياء عند الكائنات الحية	تأليف : د / أحمد مدحت إسلام	سبتمبر ١٩٨٥
٩٤ ـ النظام الإعلامي الجديد	تأليف : د / مصطفى المصمودي	أكتوبر ١٩٨٥

٩٥ ـ تغيّر العالم	تأليف : د/ أنور عبدالملك	نـــوفبر ١٩٨٥
٩٦ ـ الصهيونية غير اليهودية	تأليف : ريجينا الشريف ترجمة : أحمد عبدالله عبدالعزيز	ديسمبر ١٩٨٥
٩٧ ـ الغرب والعالم (القسم الثاني)	تأليف : كافين رايلي ترجمة : { د/ عبدالوهاب المسيري د/ هدى حجازي } مراجعة : د/ فؤاد زكريا	ينـــايـــر ١٩٨٦
٩٨ ـ قصة الأنثروبولوجيا	تأليف : د/ حسين فهيم	فبرايـــــر ١٩٨٦
٩٩ ـ الأطفال مرآة المجتمع	تأليف : د/ محمد عماد الدين إسماعيل	مـــارس ١٩٨٦
١٠٠ ـ الوراثة والإنسان	تأليف : د/ محمد علي الربيعي	أبـريــل ١٩٨٦
١٠١ ـ الأدب في البرازيل	تأليف : د/ شاكر مصطفى	مـــايـــو ١٩٨٦
١٠٢ ـ الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية	تأليف : د/ رشاد الشامي	يـــونيـــو ١٩٨٦
١٠٣ ـ التنمية في دول مجلس التعاون	تأليف د/ محمد توفيق صادق	يـــوليـــو ١٩٨٦
١٠٤ ـ العالم الثالث وتحديات البقاء	تأليف جاك لوب ترجمة : أحمد فؤاد بلبع	أغسطس ١٩٨٦
١٠٥ ـ المسرح والتغير الاجتماعي في الخليج العربي	تأليف : د/ إبراهيم عبد الله غلوم	سبتمبر ١٩٨٦
١٠٦ ـ «المتلاعبون بالعقول»	تأليف : هربرت . أ . شيللر ترجمة : عبدالسلام رضوان	أكتـوبـر ١٩٨٦
١٠٧ ـ الشركات عابرة القومية	تأليف : د/ محمد السيد سعيد	نـــوفمبر ١٩٨٦
١٠٨ ـ نظريات التعلم (دراسة مقارنة) (الجزء الثاني)	ترجمة : د/ علي حسين حجاج مراجعة : د/ عطية محمود هنا	ديسمبر ١٩٨٦
١٠٩ ـ العملية الإبداعية في فن التصوير	تأليف : د/ شاكر عبدالحميد	ينـــايـــر ١٩٨٧
١١٠ ـ مفاهيم نقدية	ترجمة : د/ محمد عصفور	فبرايـــر ١٩٨٧
١١١ ـ قلق الموت	تأليف : د/ أحمد محمد عبدالخالق	مـــارس ١٩٨٧
١١٢ ـ العلم والمشتغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث	تأليف : د/ جون . ب . ديكنسون ترجمة : شعبة الترجمة باليونسكو	أبـريــل ١٩٨٧
١١٣ ـ الفكر التربوي العربي الحديث	تأليف : د/ سعيد إسماعيل علي	مـــايـــو ١٩٨٧
١١٤ ـ الرياضيات في حياتنا	ترجمة : د/ فاطمة عبدالقادر الما	يـــونيـــو ١٩٨٧

١١٥ ـ معالم على طريق تحديث الفكر العربي	تأليف : د / معن زيادة	يوليو ١٩٨٧
١١٦ ـ أدب أميركا اللاتينية	تنسيق وتقديم : سيزار فرناندث مورينو	أغسطس ١٩٨٧
قضايا ومشكلات (القسم الأول)	ترجمة : أحمد حسان عبدالواحد	
	مراجعة : د / شاكر مصطفى	
١١٧ ـ الأحزاب السياسية في العالم الثالث	تأليف : د / أسامة الغزالي حرب	سبتمبر ١٩٨٧
١١٨ ـ التاريخ النقدي للتخلف	تأليف : د / رمزي زكي	أكتوبر ١٩٨٧
١١٩ ـ قصيدة وصورة	تأليف : د / عبدالغفار مكاوي	نوفمبر ١٩٨٧
١٢٠ ـ سيكولوجية اللعب	تأليف : د / سوزانا ميلر	ديسمبر ١٩٨٧
	ترجمة : د / حسن عيسى	
	مراجعة : د / محمد عماد الدين إسماعيل	
١٢١ ـ الدواء من فجر التاريخ إلى اليوم	تأليف : د / رياض رمضان العلمي	يناير ١٩٨٨
١٢٢ ـ أدب أميركا اللاتينية (القسم الثاني)	تنسيق وتقديم : سيزار فرناندث مورينو	فبراير ١٩٨٨
	ترجمة : أحمد حسان عبدالواحد	
	مراجعة : د / شاكر مصطفى	
١٢٣ ـ ثقافة الأطفال	تأليف : د / هادي نعمان الهيتي	مارس ١٩٨٨
١٢٤ ـ مرض القلق	تأليف : د / دافيد . ف . شيهان	أبريل ١٩٨٨
	ترجمة : د / عزت شعلان	
	مراجعة : د / أحمد عبدالعزيز سلامة	
١٢٥ ـ طبيعة الحياة	تأليف : فرانسيس كريك	مايو ١٩٨٨
	ترجمة : د / أحمد مستجير	
	مراجعة : د / عبد الحافظ حلمي	
١٢٦ ـ اللغات الأجنبية (تعليمها وتعلمها)	تأليف : { د/ نايف خرما ، د/ علي حجاج }	يونيو ١٩٨٨
١٢٧ ـ اقتصاديات الإسكان	تأليف : د / إسماعيل إبراهيم درة	يوليو ١٩٨٨
١٢٨ ـ المدينة الإسلامية	تأليف : د / محمد عبدالستار عثمان	أغسطس ١٩٨٨
١٢٩ ـ الموسيقا الأندلسية المغربية	تأليف : عبدالعزيز بن عبدالجليل	سبتمبر ١٩٨٨
١٣٠ ـ التنبؤ الوراثي	تأليف : { د/ زولت هارسيناي ، ريتشارد هتون }	أكتوبر ١٩٨٨
	ترجمة : د / مصطفى إبراهيم فهمي	
	مراجعة : د / مختار الظواهري	

١٣١ ـ مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الاسلام	تأليف : د/ أحمد سليم سعيدان	نوفمبر ١٩٨٨
١٣٢ ـ أوروبا والتخلف في أفريقيا	تأليف : د/ والتر رودني ترجمة : د/ أحمد القصير مراجعة : د/ إبراهيم عثمان	ديسمبر ١٩٨٨
١٣٣ ـ العالم المعاصر والصراعات الدولية	تأليف : د/ عبدالخالق عبدالله	يناير ١٩٨٩
١٣٤ ـ العلم في منظوره الجديد	تأليف : { روبرت م . اغروس جورج ن . ستانسيو } ترجمة : د/ كمال خلايلي	فبراير ١٩٨٩
١٣٥ ـ العرب واليونسكو	تأليف : د/ حسن نافعة	مارس ١٩٨٩
١٣٦ ـ اليابانيون	تأليف : إدوين رايشاور ترجمة : ليلى الجبالي مراجعة : شوقي جلال	أبريل ١٩٨٩
١٣٧ ـ الاتجاهات التعصبية	تأليف : د/ معتز سيد عبدالله	مايو ١٩٨٩
١٣٨ ـ أدب الرحلات	تأليف : د/ حسين فهيم	يونيو ١٩٨٩
١٣٩ ـ المسلمون والاستعمار الاوروبي لأفريقيا	تأليف : عبدالله عبدالرزاق ابراهيم	يوليو ١٩٨٩
١٤٠ ـ الانسان بين الجوهر والمظهر (نتملك أو نكون)	تأليف : إريك فروم ترجمة : سعد زهران مراجعة : د/ لطفي فطيم	أغسطس ١٩٨٩
١٤١ ـ الأدب اللاتيني (ودوره الحضاري)	تأليف : د/ أحمد عتمان	سبتمبر ١٩٨٩
١٤٢ ـ مستقبلنا المشترك	إعداد : اللجنة العالمية للبيئة والتنمية ترجمة : محمد كامل عارف مراجعة : علي حسين حجاج	أكتوبر ١٩٨٩
١٤٣ ـ الريف في الرواية العربية	تأليف : د/ محمد حسن عبدالله	نوفمبر ١٩٨٩
١٤٤ ـ الإبداع العام والخاص	تأليف : الكسندرو روشكا ترجمة : د/ غسان عبدالحي أبو فخر	ديسمبر ١٩٨٩
١٤٥ ـ سيكولوجية اللغة والمرض العقلي	تأليف : د/ جمعة سيد يوسف	يناير ١٩٩٠
١٤٦ ـ حياة الوعي الفني (دراسات في تاريخ الصورة الفنية)	تأليف : غيورغي غانشف ترجمة : د/ نوفل نيوف مراجعة : د/ سعد مصلوح	فبراير ١٩٩٠
١٤٧ ـ الرأسمالية تجدد نفسها	تأليف : د/ فؤاد مُرسي	مارس ١٩٩٠

١٤٨ ـ علم الأحياء والأيديولوجيا والطبيعة البشرية	تأليف : ستيفن روز وآخرين	أبريل ١٩٩٠
	ترجمة : د/ مصطفى إبراهيم فهمي	
	مراجعة : د/ محمد عصفور	
١٤٩ ـ ماهية الحروب الصليبية	تأليف : د/ قاسم عبده قاسم	مايو ١٩٩٠
١٥٠ ـ حاجات الإنسان الأساسية في الوطن العربي	(برنامج الأمم المتحدة للبيئة)	يونيو ١٩٩٠
«الجوانب البيئية والتكنولوجية والسياسية»	ترجمة : عبد السلام رضوان	
١٥١ ـ تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية	تأليف : د/ شوقي عبد القوي عثمان	يوليو ١٩٨٩
١٥٢ ـ التلوث مشكلة العصر	تأليف : د/ أحمد مدحت إسلام	أغسطس ١٩٩٠

(ظهر هذا العدد في أغسطس ١٩٩٠، وانقطعت السلسلة بسبب العدوان العراقي الغاشم على دولة الكويت، ثم استؤنفت في شهر سبتمبر ١٩٩١ بالعدد ١٥٣)

١٥٣ ـ الكويت والتنمية الثقافية العربية	تأليف : د/ محمد حسن عبدالله	سبتمبر ١٩٩١
١٥٤ ـ النقطة المتحولة : أربعون عاما في استكشاف المسرح	تأليف : بيتر بروك	أكتوبر ١٩٩١
	ترجمة : فاروق عبدالقادر	
١٥٥ ـ مؤثرات عربية وإسلامية في الادب الروسي	تأليف : د/ مكارم الغمري	نوفمبر ١٩٩١
١٥٦ ـ الفصامي : كيف نفهمه ونساعده، دليل للأسرة والأصدقاء	تأليف : سيلفانو آرتي	ديسمبر ١٩٩١
	ترجمة : د/ عاطف أحمد	
١٥٧ ـ الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي	تأليف : د/ زينات البيطار	يناير ١٩٩٢
١٥٨ ـ مستقبل النظام العربي بعد ازمة الخليج	تأليف : د/ محمد السيد سعيد	فبراير ١٩٩٢
١٥٩ ـ فكرة الزمان عبر التاريخ	ترجمة : فؤاد كامل عبدالعزيز	مارس ١٩٩٢
	مراجعة : شوقي جلال	
١٦٠ ـ ارتقاء القيم (دراسة نفسية)	تأليف : د/ عبداللطيف محمد خليفة	أبريل ١٩٩٢
١٦١ ـ أمراض الفقر (المشكلات الصحية في العالم الثالث)	تأليف : د/ فيليب عطية	مايو ١٩٩٢
١٦٢ ـ القومية في موسيقا القرن العشرين	تأليف : د/ سمحة الخولي	يونيو ١٩٩٢
١٦٣ ـ أسرار النوم	تأليف : الكسندر بوربلي	يوليو ١٩٩٢
	ترجمة : د/ أحمد عبدالعزيز سلامة	
١٦٤ ـ بلاغة الخطاب وعلم النص	تأليف : د/ صلاح فضل	أغسطس ١٩٩٢
١٦٥ ـ الفلسفة المعاصرة في أوربا	تأليف : إ.م. بوشنسكي	سبتمبر ١٩٩٢
	ترجمة : د/ عزت قرني	

١٦٦ـ الأمومة : نمو العلاقة بين الطفل والأم	تأليف : د/ فايز قنطار	أكتوبر ١٩٩٢
١٦٧ـ تاريخ الدراسات العربية في فرنسا	تأليف د/ محمود المقداد	نوفمبر ١٩٩٢
١٦٨ ـ بنية الثورات العلمية	تأليف : توماس كون ترجمة : شوقي جلال	ديسمبر ١٩٩٢
١٦٩ ـ تاريخ الكتاب (القسم الاول)	تأليف : د/ الكسندر ستيبشفيتش ترجمة : د/ محمد م. الأرناؤوط	يناير ١٩٩٣
١٧٠ ـ تاريخ الكتاب (القسم الثاني)	تأليف : د/ الكسندر ستيبشفيتش ترجمة : د/ محمد م. الأرناؤوط	فبراير ١٩٩٣
١٧١ ـ الأدب الأفريقي	تأليف : د/ علي شلش	مارس ١٩٩٣
١٧٢ ـ الذكاء الأصطناعي واقعه ومستقبله	تأليف : آلان بونيه ترجمة: د/ علي صبري فرغلي	أبريل ١٩٩٣
١٧٣ ـ المعتقدات الدينية لدى الشعوب	أشرف على التحرير جفري بارندر ترجمة : د/ إمام عبدالفتاح إمام مراجعة: د/ عبدالغفار مكاوي	مايو ١٩٩٣
١٧٤ ـ الهندسة الوراثية والأخلاق	تأليف : ناهدة البقصمي	يونيو ١٩٩٣
١٧٥ ـ سيكولوجية السعادة	تأليف : مايكل أرجايل ترجمة : د/ فيصل عبدالقادر يونس مراجعة : شوقي جلال	يوليو ١٩٩٣
١٧٦ ـ العبقرية والإبداع والقيادة	تأليف : دين كيث سايمنتن ترجمة : د/ شاكر عبدالحميد مراجعة : د/ محمد عصفور	أغسطس ١٩٩٣
١٧٧ ـ المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين	تأليف : د/ شكري محمد عياد	سبتمبر ١٩٩٣
١٧٨ ـ الكون	تأليف : د/ كارل ساغان ترجمة : نافع أيوب لبّس مراجعة : محمد كامل عارف	أكتوبر ١٩٩٣
١٧٩ ـ الصداقة (من منظور علم النفس)	تأليف: د/ أسامة سعد أبو سريع	نوفمبر ١٩٩٣
١٨٠ ـ العلاج السلوكي للطفل أساليبه ونماذج من حالاته	تأليف : د/ عبد الستار إبراهيم د/ عبدالعزيز الدخيل د/ رضوى إبراهيم	ديسمبر ١٩٩٣

١٨١ـ الأدب الالماني في نصف قرن	تأليف : د/ عبدالرحمن بدوي	ينـاير ١٩٩٤
١٨٢ـ الشفاهية والكتابية	تأليف: والتر ج. أونج ترجمة : د. حسن البنا عزالدين مراجعة : د. محمد عصفور	فبراير ١٩٩٤
١٨٣ ـ الطاغية	تأليف : د. إمام عبدالفتاح إمام	مـارس ١٩٩٤
١٨٤ ـ العرب وعصر المعلومات	تأليف : د. نبيل علي	أبـريـل ١٩٩٤
١٨٥ ـ عندما تغير العالم	تأليف: جيمس بيرك ترجمة : ليلى الجبالي مراجعة : شوقي جلال	مـايـو ١٩٩٤
١٨٦ ـ القوى الدينية في إسرائيل	تأليف : د. رشاد عبدالله الشامي	يـونيـو ١٩٩٤
١٨٧ ـ آلاف السنين من الطاقة	تأليف : فلاديمير كارتسيف بيوتر كازانوفسكي ترجمة : محمد غياث الزيات	يـوليـو ١٩٩٤
١٨٨ ـ الاتجاه القومي في الرواية	تأليف : د. مصطفى عبد الغني	أغسطس ١٩٩٤
١٨٩ ـ عودة الوفاق بين الإنسان والطبيعة	تأليف : جان ـ ماري بيلت ترجمة : السيد محمد عثمان	سبتمبر ١٩٩٤
١٩٠ ـ مقدمة في علم التفاوض السياسي والاجتماعي	تأليف : د. حسن محمد وجيه	أكتـوبـر ١٩٩٤
١٩١ ـ النهاية الكوارث الكونية وأثرها في مسار الكون	تأليف : فرانك كلوز ترجمة : د. مصطفى إبراهيم فهمي مراجعة : عبدالسلام رضوان	نـوفمبر ١٩٩٤
١٩٢ ـ جذور الاستبداد (قراءة في أدب قديم)	تأليف : د . عبدالغفار مكاوي	ديسـمبر ١٩٩٤
١٩٣ ـ اللغة والتفسير والتواصل	تأليف : د. مصطفى ناصف	ينـايـر ١٩٩٥
١٩٤ ـ جوته والعالم العربي	تأليف : كاتارينا مومزن ترجمة : د. عدنان عباس علي مراجعة : د. عبدالغفار مكاوي	فبرايـر ١٩٩٥
١٩٥ ـ الغزو العراقي للكويت	ندوة بحثية	مـارس ١٩٩٥
١٩٦ـ المدينة في الشعر العربي المعاصر	تأليف : د. مختار أبوغالي	أبـريـل ١٩٩٥
١٩٧ـ اليهود في البلدان الإسلامية	تحرير : صموئيل أتينجر ترجمة : د. جمال الرفاعي مراجعة : د. رشاد الشامي	مـايـو ١٩٩٥

١٩٨ـ فلسفات تربوية معاصرة	تأليف : د. سعيد إسماعيل علي	يونيو ١٩٩٥
١٩٩ ـ الفكر الشرقي القديم	تأليف : جون كولر ترجمة : كامل يوسف حسين مراجعة : د. إمام عبدالفتاح إمام	يوليو ١٩٩٥
٢٠٠ ـ الزلازل : حقيقتها وآثارها	تأليف : د. شاهر جمال أغا	أغسطس ١٩٩٥
٢٠١ـ جيران في عالم واحد	مراجعة : عبدالسلام رضوان	سبتمبر ١٩٩٥
٢٠٢ ـ الأمم المتحدة في نصف قرن	تأليف : د. حسن نافعة	أكتوبر ١٩٩٥
٢٠٣ ـ التصوير الشعبي العربي	تأليف : د. أكرم قانصو	نوفمبر ١٩٩٥
٢٠٤ ـ الصراع على القمة	تأليف : لستر ثارو ترجمة : أحمد فؤاد بلبع	ديسمبر ١٩٩٥
٢٠٥ ـ المخدرات والمجتمع	تأليف : د. مصطفى سويف	يناير ١٩٩٦
٢٠٦ ـ البنيوية وما بعدها	تأليف : جون ستروك ترجمة : د. محمد حسن عصفور	فبراير ١٩٩٦
٢٠٧ ـ شعرنا القديم والنقد الجديد	تأليف : د. وهب أحمد روميه	مارس ١٩٩٦
٢٠٨ ـ العبقرية (تاريخ الفكرة)	تحرير : بنيلوبي مري ترجمة : محمد عبدالواحد محمد مراجعة : د. عبدالغفار مكاوي	أبريل ١٩٩٦
٢٠٩ ـ أزمة المياه في المنطقة العربية	تأليف : د. سامر صلاح الدين مخيمر خالد جمال الدين حجازي	مايو ١٩٩٦
٢١٠ ـ الصينيون المعاصرون(ج ١)	تأليف : وو بن ترجمة : د. عبدالعزيز حمدي مراجعة : لي تشين تشونغ	يونيو ١٩٩٦
٢١١ ـ الصينيون المعاصرون(ج ٢)	تأليف : وو بن ترجمة : د. عبدالعزيز حمدي مراجعة : لي تشين تشونغ	أغسطس ١٩٩٦

سلسلة عالم المعرفة

«عالم المعرفة» سلسلة كتب ثقافية تصدر في مطلع كل شهر ميلادي عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ دولة الكويت ـ وقد صدر العدد الأول منها في شهر يناير عام ١٩٧٨ .

تهدف هذه السلسلة إلى تزويد القارىء بمادة جيدة من الثقافة تغطي جميع فروع المعرفة ، وكذلك ربطه بأحدث التيارات الفكرية والثقافية المعاصرة. ومن الموضوعات التي تعالجها تأليفاً وترجمة :

١ ـ الدراسات الإنسانية : تاريخ ـ فلسفة ـ أدب الرحلات ـ الدراسات الحضارية ـ تاريخ الأفكار.

٢ ـ العلوم الاجتماعية : اجتماع ـ اقتصاد ـ سياسة ـ علم نفس ـ جغرافيا ـ تخطيط ـ دراسات استراتيجية ـ مستقبليات .

٣ ـ الدراسات الأدبية واللغوية : الأدب العربي ـ الآداب العالمية ـ علم اللغة .

٤ ـ الدراسات الفنية : علم الجمال وفلسفة الفن ـ المسرح ـ الموسيقا ـ الفنون التشكيلية والفنون الشعبية .

٥ ـ الدراسات العلمية : تاريخ العلم وفلسفته ، تبسيط العلوم الطبيعية (فيزياء، كيمياء، علم الحياة، فلك) ـ الرياضيات التطبيقية (مع الاهتمام بالجوانب الإنسانية لهذه العلوم)، والدراسات التكنولوجية .

أما بالنسبة لنشر الأعمال الإبداعية ـ المترجمة أو المؤلفة ـ من شعر وقصة ومسرحية، وكذلك الأعمال المتعلقة بشخصية واحدة بعينها فهذا أمر غير وارد في الوقت الحالي .

وتحرص سلسلة «عالم المعرفة» على ان تكون الأعمال المترجمة حديثة النشر.

وترحب السلسلة باقتراحات التأليف والترجمة المقدمة من المتخصصين، على ألا يزيد حجمها على ٣٥٠ صفحة من القطع المتوسط، و أن تكون مصحوبة بنبذة وافية عن الكتاب وموضوعاته وأهميته ومدى جدته. وفي حالة الترجمة ترسل نسخة مصورة من الكتاب بلغته الأصلية، كما ترفق مذكرة بالفكرة العامة للكتاب، **والمجلس غير ملزم بإعادة المخطوطات والكتب الأجنبية في حالة الاعتذار عن عدم نشرها**. وفي جميع الحالات ينبغي إرفاق سيرة ذاتية لمقترح الكتاب تتضمن البيانات الرئيسية عن نشاطه العلمي السابق.

وفي حال الموافقة والتعاقد على الموضوع ـ المؤلف أو المترجم ـ تصرف مكافأة للمؤلف مقدارها ألف دينار كويتي، وللمترجم مكافأة بمعدل خمسة عشر فلسا عن الكلمة الواحدة في النص الأجنبي أو تسعمائة دينار أيهما أكثر (وبحد أقصى مقداره ألف ومائتا دينار كويتي)، بالإضافة إلى مائة وخمسين دينارا كويتيا مقابل تقديم المخطوطة ـ المؤلفة و المترجمة ـ من نسختين مطبوعتين على الآلة الكاتبة.



سعر النسخة

الكويت ودول الخليج	دينار كويتي
الدول العربيــة الأخرى	ما يعادل دولاراً أمـريكياً
خارج الوطن العــربي	أربعة دولارات أمريكية

الاشتراكات :	أفراد	مؤسسات
دولة الكويت	١٥د.ك	٢٥د.ك
دول الخليج	١٧د.ك	٣٠د.ك
الدول العربية الأخرى	٢٥دولاراً أمريكياً	٥٠دولاراً أمريكيــاً
خارج الوطن العربي	٥٠دولاراً أمريكياً	١٠٠دولار أمريكي

الاشتراكات / ترسل باسم :

الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص . ب : ٢٣٩٩٦ الصفاة/ الكويت ـ 13100
برقيا : ثقف ـــ فاكسميلي : ٢٤٣١٢٢٩

طبع من هذا الكتاب أربعون ألف نسخة

مطابع السياسة ـ الكويت

قسيمة اشتراك

البيان	سلسلة عالم المعرفة		مجلة الثقافة العالمية		مجلة عالم الفكر		سلسلة المسرح العالمي	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	دك	دولار
المؤسسات داخل الكويت	٢٥	-	١٢	-	١٢	-	٢٠	-
الأفراد داخل الكويت	١٥	-	٦	-	٦	-	١٠	-
المؤسسات في دول الخليج العربي	٣٠	-	١٦	-	١٦	-	٢٤	-
الأفراد في دول الخليج العربي	١٧	-	٨	-	٨	-	١٢	-
المؤسسات في الدول العربية الأخرى	-	٥٠	-	٣٠	-	٢٠	-	٥٠
الأفراد في الدول العربية الأخرى	-	٢٥	-	١٥	-	١٠	-	٢٥
المؤسسات خارج الوطن العربي	-	١٠٠	-	٥٠	-	٤٠	-	١٠٠
الأفراد خارج الوطن العربي	-	٥٠	-	٢٥	-	٢٠	-	٥٠

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في : تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك ☐

الاسم :	
العنوان :	
اسم المطبوعة :	مدة الاشتراك :
المبلغ المرسل :	نقداً / شيك رقم :
التوقيع :	التاريخ : / / ١٩م

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت.

وترسل على العنوان التالي :

السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص . ب : ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة ـ الرمز البريدي 13100
دولة الكويت



هـذا الكتاب

من المعلوم أنه لا وجود لذخيرة وافيـة من الإبداع والعمل الفكري لدى أي أمـة في غياب اللغـة، فاللغـة وعـاء الفكر وأداة الإرسـال والاستقبال والأخـذ والعطـاء، وهذا مـا يجعل الإنتـاج أو الإبداع الفكـري والفني المدون مـرهونـا بوجودهـا وقائما في نموه وارتقائه على نمـوها واتساعها، وعلى مـا يكتسب من مهارات عالية فيها، وما يستحصل من رصيد ثري من مفرداتها وصيغها. ومن هذا المنطلق تنشـأ أهمية المحور الذي يـدور حوله هذا الكتـاب، وهو البحث فيما يغْني اللغة وينمـي حصيلة الناشئة من صيغها ومفـرداتها، ويكشـف عن مصادرها والـوسائل التي تؤدي إلى هـذا الثراء وهذا النمو، حيـث يعتبر ذلك مرتبطا بتراث الأمة وبمصيرها الفكري والحضاري.

يتضمن هذا الكتاب محاولة جادة لدراسـة قضية الحصيلة اللغوية اللفظية في إطارها العام الذي لا يقتصر على اللغة العربية، وإن كان يجعل منها المحور الأساسي، ولا يتناول القضية من طرف أو بعد واحد، وإنما يتناولها من جوانب مختلفة ويتسـع ليحيط بها مـن أبعاد متعددة: فيبحثهـا من جـوانبها اللغـوية الوثيقـة الصلة ومن جوانـب أخرى أدبية وبلاغيـة ونفسية وتربويـة واجتماعية مرتبطة بها داخلة في حدودها، وفـق منهج نظري تحليلي نقدي، يعتمد بصورة أساسية على خلفية قوامها التجربة والعمل الإجرائي والفحص النظري والربط بين الواقع الفعلي المحسوس والجانـب العقلي المنظور. ويهدف إلى الكشف عما يمكـن أن يعمل على تنميـة الـرصيد اللغـوي اللفظـي لـدى مستخدم اللغـة العـربية، كما يهدف إلى معـالجة مـا يشكو منـه الناشئـة العـرب من نقـص في المحصول من مفردات لغتهم الفصحى، وما نجم عن هذا النقص من ضعف القدرة على التعبير السليم بهذه اللغة.

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج	دينار كويتي
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولاراً أمريكياً
خارج الوطن العربي	أربعة دولارات أمريكية

الاشتراكات:	أفراد	مؤسسات
دولة الكويت	١٥د.ك	٢٥د.ك
دول الخليج	١٧د.ك	٣٠د.ك
الدول العربية الأخرى	٢٥ دولاراً أمريكياً	٥٠ دولاراً أمريكيـاً
خارج الوطن العربي	٥٠ دولاراً أمريكياً	١٠٠ دولار أمريكي